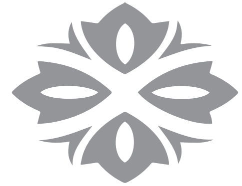

ميراث
فوائد وتدوينات، وقصص ومراسلات


مِيراثُ
فوائِدُ وتَدْوِيناتٌ، وقَصصٌ ومُراسلاتٌ

ميراث

فوائد وتدوينات، وقصص ومراسلات



الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

مِيرَاثٌ

فَوَائِدُ وَتَدْوِينَاتٌ، وَقَصَصٌ وَمُرَاسَلَاتٌ

لِلشَّيْخِ فَهْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْقَاضِي
رَحِمَهُ اللهُ
١٣٧٧ - ١٤٤١هـ

جَمْعُ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ فَهْدٍ الْقَاضِي



بسم الله الرحمن الرحيم



مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أما بعد:

فقد يَسَّر الله تعالى ـ بفضله وكرمه ـ جَمْعَ الرسائل التي أَلَّفها الشيخ الوالد: فهد بن سليمان القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ، وجَمْعَ بعضِ المحاضرات التي ألقاها، في الكتاب الموسوم بـ(إضاءات مجموعٌ فيه رسائلُ ومحاضرات).

كما يَسَّر تعالى ـ بعونه ومِنَّته ـ جَمْعَ الكلمات التي سجلها الشيخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ تسجيلًا صوتيًّا في سنواته الأخيرة، وسُمِّيَ ذلك المجموع بـ (خِتام السِّنين)[1].

وتلك الرسائل والمحاضرات والكلمات الصوتية متعددةُ الموضوعات، متنوعة الأساليب، باعثها النصح والتوجيه، تناسب الصغير وتفيد الكبير، ومَدَارها ـ في الغالب ـ على كبار القضايا التربوية والإيمانية.

ثم اتجه العزم بعد ذلك إلى النظر في دفاتر الشيخ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ وأوراقِه (الموروثة)؛ لاستخراج بعضِ ما فيها من فوائدَ وتحريرات وتعليقات وغير ذلك، **فكان هذا (الميراث)!**

---

(١) طُبع هذان الكتابان «إضاءات»، و«خِتام السنين» عام (١٤٤٥هـ)، وهما من منشورات دار الحضارة، في المملكة العربية السعودية، كما نشر الكتابان نشرًا إلكترونيًّا بصيغة (pdf).

واللهُ المسؤول أن يجعل ما في هذه الكتب مِن عِلمٍ نافع: في ميزان حسنات الشيخ الوالد، وأن يجعل فيه بركة على جميع المسلمين، وأن يتقبله بقبول حَسن، إنه هو السميع العليم.





مَدْخَل إلى (ميراث)

من سِمات الوالد رَحِمَهُ اللهُ: الاحتفاظُ بالأوراق المهمة، والرسائل القيِّمة، والكتابات المفيدة، والذكريات الجميلة.

ومع ذلك؛ فقد كان رَحِمَهُ اللهُ مُرَتَّبًا ومُنَظَّمًا جدًّا، يُصنف الأوراق، ويَضم الشبيه إلى شبيهه، ويَنتقي ما يُبقيه، ويَتخلص مما سواه، بحيث يَسهل عليه الرجوع إلى محفوظاته متى شاء.

فمن الأمثلة على احتفاظه بالكتابات المفيدة: احتفاظه بأوراق «التقويم» التي فيها فائدة علمية، أو حكمة، أو مَثَل، أو معلومة فلكية، وما أشبه ذلك.

ومن الذكريات الجميلة التي كانت محفوظة عنده رَحِمَهُ اللهُ: الشهادات المدرسية لِبَنيه وبناته، والأوراق الـمُرْسَلَة إليه من بعض بناته في مناسبة عيد أو غيره، وبعض رسومات الصغار والأحفاد.

ومن الرسائل النادرة التي كان الوالد رَحِمَهُ اللهُ يحتفظ بها: تعزيةٌ مُوجَّهة إلى جدي وجدتي من جهة أبي، رحمهم الله تعالى، بعث بها خالُ الوالد.

وتاريخ الرسالة هو (٢٤/ ٤/ ١٣٧٥هـ)؛ أي أنها كُتبت قبل ولادة الوالد رَحِمَهُ اللهُ بسنتين تقريبًا!

وستراها في ملحق الصور ـ إن شاء الله ـ آخر الكتاب.

ومن الأوراق التي كان الوالد محتفظًا بها حتى توفي رَحِمَهُ اللهُ: قصيدةٌ كُتبت بمناسبة حِفْظ جدتي لأمي للقرآن الكريم، كتبها الخال العزيز: يوسف بن عبد الرحمن القاضي ـ حفظه الله ـ، وتاريخها هو: جمادى الآخرة، عام (١٤٢٠هـ).

وهي قصيدة جزلة، وسترى صورتها ـ إن شاء الله ـ بخط الخال يوسف في الملحق آخر الكتاب.

ومن القصائد التي احتفظ بها الوالد رحمه الله: قصيدةٌ لجدنا الشاعر: محمد العبد الله القاضي رحمه الله، وتسمى (توبة القاضي)، وهي آخر قصائد الجد، وهي قصيدة طويلة مُبْكِية، فيها ذِكرٌ لآخر مراحل الإنسان في الدنيا، وحالِه في الآخرة، وهي معروفة ومنشورة.

وثمة وثائقُ مهمة موجودة عند الوالد رحمه الله، فيها معلومات تتعلق بالأجداد والجدات وغير ذلك.

ومن أغرب الأوراق التي كان الوالد رحمه الله يحتفظ بها: رؤى يراها في المنام، فيدونها، ويحتفظ بها، وليست كثيرة، لكنه فعل ذلك مرات!

إذا كان الوالد رحمه الله حَفِيًّا بمثل ما سبق؛ فاحتفاؤه بما كان له شأن من باب أولى، كحفظه لأوراق فيها فتاوى مهمة، وبحوث ودراسات قيِّمة، وكراريس فيها تحضير لدرس أو محاضرة أو خطبة جمعة، وغير ذلك.

وهذا هو مقصود الكتاب؛ أن تُجمع كتابات الوالدِ ذاتُ الشأن، مما لم يُنشر في الكتابين الـمُشار إليهما سابقًا، وهو من خير ما (وَرَّثَهُ) الوالد لأولاده وغيرهم.

فرحمه الله، وجعل جنة الفردوس مثواه، آمين.





فِكرة (ميراث)

هذا الكتاب مُسْتَلٌّ من بطون دفاتر الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن مسوداته وتعليقاته...[1].

فهو في حقيقة الأمر: انتقاءات واختيارات مِن (تَرِكَةٍ) ضخمة، فليس ما بين يديك هو كل ما (وَرَّثَهُ) الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لكنْ لعله هو الأنسب للنشر.



(١) رأيتُ في الكتاب المَليح «صُوَى وكُوَى» نقلًا يناسب المقام، وهذا نصه: «قال البَلَوي الأندلسي ـ وهو من علماء القرن السادس ـ: (ما رأيتُ أحدًا ممن لقيتُ من أهل الآفاق إلا وله تعاليقُ وأوراقٌ تحتوي على حكايات وأشعار ورسائلَ وأخبار)».



تقسيمات (ميراث)

هذا الكتاب عبارة عن خمس ورقات، يندرج في كل ورقة كتاباتٌ يَشملها عنوان تلك الورقة، كما يلي:

❖ الورقة الأولى: فوائد:

أَضع هاهنا تلك «النُّقول» التي قيدها الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي إما:

- فائدة متعلقة بالقرآن الكريم.
- أو فائدة تتعلق بالحديث النبوي الشريف وأخبار الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.
- أو فائدة تتعلق بالرقائق وأعمال القلوب.
- أو فوائد متنوعة.

وربما ضممتُ إلى ما سبق كتاباتٍ للوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وليست نقولًا، كتأمل في آية، أو وقفة عند حديث، أو ما أشبه ذلك.

❖ الورقة الثانية: مُرَاسَلات بين الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره:

فمنها ما هو جواب لسؤال أو استشارة، ومنها رسائل موجهة إلى بعض أصحابه في مناسبةٍ ما، وبعضها مُرْسَل إليه من أحد زملائه، ورسائل أخرى فيها نصائح...

❖ الورقة الثالثة: مُدَوَّنات:

وينطوي تحت هذه الورقة خمس مدونات:

المدونة الأولى: مواسم الطاعات، كرمضان، والحج، وعشر ذي الحجة، وغيرها.

المدونة الثانية: مناسبات عائلية.

والمقصود هنا: أن لأُسرة (القاضي) اجتماعًا سنويًّا يحضره عامة من ينتسب إلى الأسرة، وكان الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحرص على حضور هذه المناسبة؛ لِيَصِل الرَّحِم، ولِيُسهم بالنصح والتوجيه...

والذي تيسر لي الوقوف عليه من تلك الكلمات التي ألقاها في هذه المناسبة شيءٌ يسير.. لكن لعل فيها من الخير الشيءَ الكثير.

المدونة الثالثة: مناسبات متنوعة، كمناسبة امتحانات طلاب المدارس، وبداية الدراسة، والإجازة، وغير ذلك.

المدونة الرابعة: خُلاصات ومُلَخَّصات. ربما قرأ الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابًا، فدوَّن أبرز النقاط فيه، وأهم ما يُستخلَص منه، وربما استعد الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لإلقاء كلمة أو محاضرة، فكتب رؤوس أقلام في موضوعٍ ما.. جُعل هذا القسم مَحَلًّا لتلك الخُلاصات والملخصات.

المدونة الخامسة: كتابات متنوعة، كالتنبيه إلى بعض الأحكام الشرعية؛ مما يجب أو يحرم، وكالحث على اغتنام الأعمار، والمسابقة إلى الخيرات. ومن ألطف ما في هذا القسم: تلك الورقة التي قَيَّد فيها أسماءً مختارةً للبنات!

❖ الورقة الرابعة: تأصيل:

هذه الورقة عبارة عن كتابات للوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ إلا أنها تَميَّزت عن الورقة السابقة بالدقة في الكتابة، والتأصيل والتحرير عند طَرْق الموضوع، والشمولية والاستيعاب غالبًا، وبالتالي فسمتها العلمية أظهر.

وهي **أهم ورقة في هذا الكتاب في نظري..**

وقد قسمتها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: العقيدة.

القسم الثاني: الدعوة إلى الله وطلب العلم وتربية الأولاد.

القسم الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم تأتي بعد ذلك الورقة الأخيرة:

❖ الورقة الخامسة: قَصص وأخبار وذكريات:

فمما يندرج في هذه الورقة: إشارة إلى قصة غلام أصحاب الأخدود، وإشارة إلى شيء من قصة هجرة النبي ﷺ، وبعضٍ من سيرة عثمان بن عفان وعائشة رضي الله عنهما.

وأفضل ما قُيِّد هنا وأكثره تحريرًا وإفادةً وإمتاعًا: ما كَتبه الوالد رحمه الله مِن «وَمَضات من حياة أبي هريرة رضي الله عنه».

كما ستجد في هذه الورقة ـ إن شاء الله ـ شيئًا من أخبار الصحابة رضي الله عنهم والسلف وعلماء الأمة والصالحين، رحمهم الله أجمعين.

كما ضُمَّ إلى ذلك أخبارٌ أُخرى.. وشيءٌ من الذكريات التي احتفظ بها الوالد رحمه الله، والمواقفِ النادرة.

وفي آخر الميراث مُلحقٌ: فيه صور لبعض الأوراق الـمُشار إليها في المقدمة وغيرها.

وهذه التقسيمات وما تضمه من عناوين مَبنية على الاجتهاد، فربما صلح لبعض الكتابات أكثر من موضع، فأجعلها في أكثرها مناسبةً في نظري، ومن الله التسديد.





(ميراث) و(أنوار القدوة)

طُبع قريبًا ـ ولله الحمد ـ كتاب «أنوار القدوة، شذرات من سيرة أبي، الشيخ فهد بن سليمان القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ»، من إعداد أخي، الشيخ د. عبد الله، وفقه الله.

وأُحب أن أَلفتَ نظر القارئ الكريم إلى علاقةٍ خَفِيَّة بين هذين الكتابين «ميراث ـ أنوار القدوة».

طَرَق كتابُ «أنوار القدوة» عددًا من الجوانب المهمة في حياة الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ، فمن ذلك: عبادته، واهتمامه واحتفاؤه بالصلاة على وجه الخصوص، وتعظيمه لمواسم الطاعات، وورعه وتَحَفُّظه من اللغو وفضول النظر والكلام وغير ذلك، وحرصه على تطبيق السُّنَّة، ونصحه لأهل بيته وذويه وسائر المسلمين، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أن في الكتاب المشار إليه ذِكرًا لشيء من طريقته رَحِمَهُ اللَّهُ في التربية والدعوة والاحتساب... إلى غير ذلك.

وحينئذ؛ فلربما تَطَلَّع القارئ إلى شيء من كتابات الوالد المتعلقةِ بالصلاة وبيان عِظَم منزلتها، وكيفية استقبال مواسم الطاعات.

أو رغب في الوقوف على تقريرات الوالد المتصلةِ بمسائل الزهد والورع ومُجانبة اللغو والفضول.

أو تَشوَّف القارئ لمطالعة كلامه المحرر في شأن التربية والدعوة والاحتساب.

أو تاقت نفسه لمشاهدة نماذج واقعية من مراسلاته ونصائحه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأهله وذويه وجيرانه...

فجاء هذا الكتاب «ميراث» ليحقق هذا الغرض وغيرَه إن شاء الله.

فصار بين هذين الكتابين «ميراث ـ أنوار القدوة» تكاملٌ، ففي أحدهما بيانٌ للجانب العِلمي، وفي الآخر ذِكرٌ للجانب العَملي.. ومن الله التوفيق.





تنبيهات

١ ـ قد أتصرف في بعض ألفاظ الوالد رحمه الله بما يناسب الكتاب المقروء، وذلك في مواضع قليلة.

٢ ـ لمَّا كان هذا الكتاب عبارةً عن ورقات مجتمعة من هنا وهناك.. استوجب الأمرُ التأليفَ بين الكتابات متشابهةِ المحتوى والمضمون. وذلك كأنْ تتعدد كتابات الوالد رحمه الله في موضوع محبة الله تعالى، أو محبة النبي ﷺ، أو طلب العلم، أو تربية الأولاد، ففي هذه الحال: أَعتمد أَوْفَى تلك الورقات، وأضم إليها ما زاد في غيرها.

٣ ـ الأصل أن ما في الهوامش من تخريج للأحاديث، أو إحالة للمراجع، أو تعليقات، أو تنبيهات: ليس من كتابة الوالد رحمه الله، وما كان فيها من كتابة الوالد رحمه الله فإني أُنبه إليه.

٤ ـ ربما كتب الوالد رحمه الله خطبة أو مقالة أو غيرهما، ووضع في أثنائها إشارات لآيات أو أحاديث، فالعمل في هذه الحالة: الاجتهاد في ذِكر تلك الآية أو الحديث، فإن لم يتبين المراد؛ حُذفت تلك الإشارة.

٥ ـ قد أُقَدِّم لبعض الكتابات بما يشرح سببَ أو مناسبةَ تلك المقالة، وفي هذه الحال أضع خطًّا تحت ذلك المدخل، مع أن مضمونه دالٌّ على كونه ليس للوالد رحمه الله، لكني أفعل ذلك احتياطًا، ولمزيدٍ من البيان.

٦ ـ ربما ورد ذِكر للشيخ ابن باز، أو ابن عثيمين، أو غيرهما رحمهم الله، فيدعو لهم الوالد رحمه الله بالحفظ أو التوفيق؛ لكونهم حال الكتابة أحياء، وقد رأيت إبقاء ذلك كما هو؛ ليُعلم وقتُ كتابة تلك الورقة!



شكر ودعاء

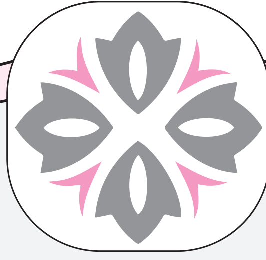
الحمد لله في الابتداء والانتهاء، والشكر له ـ وحده ـ على فضله الذي عَمَّ الأرض والسماء، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى.

ثم الشكر والدعاء لكل من ساهم وساعد في إخراج وإنجاح هذا الكتاب ولو بالدعاء، فجزاه الله خير الجزاء، آمين[(١)].



---

(١) يسعدنا تواصلكم عبر البريد: (Fahd.Alqadi@gmail.com)، أو عبر الجوال: (+٩٦٦٥٤٢٨٨٢٨١٦).



الورقة الأولى

فوائد

وفيها أربعة أقسام:

القسم الأول: فوائد متعلقة بالقرآن الكريم.

القسم الثاني: فوائد متعلقة بحديث النبي ﷺ وأخبار الصحابة رضي الله عنهم.

القسم الثالث: الرقائق وأعمال القلوب.

القسم الرابع: فوائد متنوعة.





القسم الأول

فوائد متعلقة بالقرآن الكريم

من كتاب حال السلف مع القرآن

روى ابن أبي داود بسنده أن طلحة بن مصرف وحبيب بن أبي ثابت والمسيب بن رافع رحمهم الله تعالى كانوا يصبحون في اليوم الذي يختمون فيه القرآن صيامًا.

ثم أورد حديث: «ثلاثٌ لا تُرد دعوتهم»، وذكر منهم: «الصائم حتى يفطر» رواه البيهقي[١].

وراجع هذا المبحث في «الأذكار» للنووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢].

تفسير آخر آية من سورة الفرقان

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْۖ﴾ [الفرقان: ٧٧]:

اعلم أن كلام أهل التفسير في هذه الآية الكريمة يدور على أربعة أقوال.

واعلم أولًا أن العلماء اختلفوا في المصدر في قوله: ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْۖ﴾ هل هو مضاف إلى فاعله، أو إلى مفعوله.

---

(١) انظر: حال السلف مع القرآن، للدكتور: بدر بن ناصر البدر، ص٣٤٩ ـ ٣٥٥.

(٢) انظر: الأذكار للنووي، دار الفكر، ص١٨٩. وقال ابن علان في الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية ص٢٤٣، معلقًا على ما سبق: «كأن حكمة ذلك: شكر نعمة تيسير ذلك، والتوصل إلى تعدد أسباب إجابة الدعاء».

وعلى أنه مضاف إلى فاعله فالمخاطبون بالآية داعون، لا مَدْعُوّون، أي: ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم، أي: عبادتكم له.

وأما على أن المصدر مضاف إلى مفعوله فالمخاطبون بالآية مَدْعُوّون لا داعون.

واعلم أيضًا أن ثلاثة من الأقوال الأربعة المذكورة في الآية مبنية على كون المصدر فيها مضافًا إلى فاعله.

الأول منها: أن المعنى: ﴿مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ أي: عبادتكم له وحده جل وعلا، وعلى هذا القول فالخطاب عامٌّ للكافرين والمؤمنين، ثم أَفرد الكافرين دون المؤمنين بقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ الآية.

والثاني منها: أن المعنى ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ أيها الكفار له وحده عند الشدائد والكروب، أي: ولو كنتم ترجعون إلى شرككم إذا كشف الضر عنكم.

والثالث: ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة أخرى، ولا يخفى بُعْدُ هذا القول، وأن فيه تقديرَ ما لا دليل عليه ولا حاجة إليه.

الرابع: ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤه إياكم على ألسنة رسله.

وكل واحد من هذه الأقوال قد دل عليه قرآن.

ثم ذكر من أدلة القول الأخير: قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، وذكر آيتين من الكهف والملك نحوها، ثم قال: «وهذا القول هو وحده الذي لا إشكال فيه، فهو قوي بدلالة الآيات المذكورة عليه» انتهى باختصار(١).

(١) انظر: أضواء البيان، دار عطاءات العلم، ٦/ ٣٩٧ ـ ٣٩٩.

أيها المحب لربه

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: ١١٠]، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: يرجو رؤيته وثوابه، ويخشى عقابه»[١].

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍۚ﴾ [العنكبوت: ٥]، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني: يا أيها المحب لربه، المشتاق للقائه، أبشر بقرب لقاء الحبيب، فتزود للقائه. انتهى باختصار[٢].

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٦]، «وهو الحاكم العادل الذي لا يجور في حكمه، فإنه على صراط مستقيم»، ابن كثير[٣].

«أي: على عدل وقسط وحكمة وحمد في قضائه وقدره، وفي شرعه وأمره، وفي جزائه وثوابه وعقابه، لا تَخرج أفعاله عن الصراط المستقيم التي يحمد ويُثنى عليه بها»، السعدي[٤].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي، دار الكتب المصرية، ١١/ ٦٩.

(٢) تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، ص٣٨٤. وتتمة الآية: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، ولذا قال السعدي بعد الكلام السابق: «ولكن؛ ما كل من يَدَّعِي يُعْطَى بدعواه، ولا كل من تمنى يُعطى ما تمناه، فإن الله سميع للأصوات، عليم بالنيات، فمن كان صادقًا في ذلك أناله ما يرجو، ومن كان كاذبًا لم تنفعه دعواه، وهو العليم بمن يصلح لحبه ومن لا يصلح».

(٣) تفسير ابن كثير، دار طيبة، ٤/ ٣٣٠.

(٤) تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، ص٦٢٦. وانظر للفائدة: كلام العلامة ابن القيم في أعلام الموقعين، عطاءات العلم ١/ ٣٢٦، حيث إن فيه إشارةً إلى التوافق بين هذه الآية، وقولِ النبي ﷺ: «اللهم إني عبدُك، ابنُ عبدك، ابنُ أَمَتِك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤك».

ثمرة تحقيق الإخلاص

كلما حقق العبد الإخلاص في قوله: لا إله إلا الله؛ خرج من قلبه تَأَلُّه ما يهواه، وتُصرف عنه المعاصي والذنوب، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤](١).

معنى قول الله تعالى: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾

عن سفيان رحمه الله في قول الله تعالى: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، قال: «نُسبغ عليهم النِّعَم، ونمنعهم الشكر»(٢).

المراد بقول الله عز وجل: ﴿مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: المراد به زواجه صلى الله عليه وسلم زينبَ بنت جحش رضي الله عنها حيث أَوحى إليه ذلك، وهي في ذلك الوقت تحت زيد بن حارثة رضي الله عنه، هذا هو الذي أبداه الله بقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وهذا هو التحقيق في معنى الآية الذي دل عليه القرآن، وهو اللائق بجنابه صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٥/ ٢٣٥. وعلَّق الشيخ أحمد بن ناصر الطيار ـ في كتابه: تقريب فتاوى ابن تيمية ١/ ٤٢ ـ على هذا الموضع بما نصه: «وفي قراءة أخرى متواترة: ﴿المُخْلِصِيْن﴾ بكسر اللام، فبينت القراءتان أن الله تعالى يصرف عن عباده المخلِصين السوء والفحشاء، وأنه بسبب ذلك جعلهم من المختارين المصطفَين الأخيار»، انتهى كلامه. وقد أشار العلامة ابن القيم إلى قريبٍ من هذا المعنى بقوله في إغاثة اللهفان ١/ ٧٦: «وهذا ـ يعني محبة غير الله ـ إنما تُبْلَى به القلوب الفارغة من حب الله والإخلاص له، فإن القلب لا بد له من التعلق بمحبوب، فمن لم يكن اللهُ وحده محبوبَه وإلـهَه ومعبودَه فلا بد أن يتعبّد قلبُه لغيره، قال تعالى عن يوسف الصدّيق عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، فامرأة العزيز لما كانت مشركة وقعت فيما وقعت فيه مع كونها ذاتَ زوج، ويوسف عليه السلام لما كان مخلصًا لله نجا من ذلك، مع كونه شابًّا عَزَبًا غريبًا مملوكًا».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر (١١٦).

وبه تَعْلَم أن ما يقوله كثير من المفسرين أن ما أخفاه في نفسه ﷺ وأبداه الله وقوعُ زينب في قلبه ومحبته لها وهي تحت زيد إلى آخر القصة ـ كله لا صحة له، والدليل عليه: أن الله لم يُبْدِ من ذلك شيئًا، مع أنه تعالى صرَّح أنه مُبْدٍ ما أخفاه رسول الله ﷺ.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: اختلف الناس في تأويل هذه الآية، فذهب قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين منهم الطبري وغيره إلى أن النبي ﷺ وقع منه استحسانٌ لزينبَ بنت جحش وهي في عصمة زيد، وكان حريصًا على أن يطلقها زيد فيتزوجها هو، وأن هذا الذي كان يُخفي في نفسه، ولكنه لزم ما يجب من الأمر بالمعروف، يعني قوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾، انتهى كلام القرطبي.

ولا شك أن هذا القول غير صحيح، وأنه غير لائق به ﷺ.

وذكر القرطبي عن علي بن الحسين أن الله أوحى إلى نبيه ﷺ أن زيدًا سيطلق زينب، وأن الله يزوجها رسوله ﷺ، وبعد أن علم هذا بالوحي قال لزيد: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾، وأن الذي أخفاه في نفسه أن الله سيزوجه زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ثم قال القرطبي بعد أن ذكر هذا القول: قال علماؤنا رحمهم الله: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم.

قال الترمذي الحكيم في نوادر الأصول وأسند إلى علي بن الحسين قوله: «أعلم الله نبيه أنها ستكون من أزواجه، فلما جاء زيد يشكوها قال: اتق الله وأمسك عليك زوجك»، قال الترمذي: فعليٌّ بن الحسين جاء بهذا من خزانة العلم جوهرًا من الجواهر ودرًّا من الدرر أنه إنما عتب الله عليه في أنه قد أعلمه أنْ ستكون هذه من أزواجك، فكيف قال بعد ذلك لزيد: ﴿أَمْسِكْ

عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾، وأخَذَتْك خشيةُ الناس أن يقولوا: تزوج امرأة ابنه، ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾، انتهى محل الغرض منه[1].

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له ـ أي: الشيخ الشنقيطي ـ: التحقيق إن شاء الله في هذه المسألة هو ما ذكرنا أن القرآن دل عليه، وهو أن الله أعلم نبيه ﷺ بأن زيدًا يطلق زينب، وأنه يزوجها إياه ﷺ، وهي في ذلك الوقت تحت زيد، فلما شكاها زيد إليه ﷺ قال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾، فعاتبه الله على قوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ بعد علمه أنها ستصير زوجته هو ﷺ، وخشي مقالة الناس أن يقولوا ـ لو أظهر ما علم من تزويجه إياها ـ إنه يريد تزويج زوجة ابنه في الوقت الذي هي فيه في عصمة زيد.

ثم قال الشنقيطي رحمه الله ـ باختصار ـ: والدليل على هذا أمران:

الأول: ما قدمنا من أن الله جل وعلا قال: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، وهذا الذي أبداه الله جل وعلا هو زواجه إياها في قوله: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾، ولم يُبْدِ جل وعلا شيئًا مما زعموه أنه أحبها، ولو كان ذلك هو المراد لأبداه الله تعالى.

الأمر الثاني: في قوله تعالى: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾، فهذا تعليل صريح في أن الله زوجه إياها لهذه الحكمة العظيمة ـ وهي قطع تحريم أزواج الأدعياء ـ، كما أنه صريح في سبب زواجه ﷺ إياها ليس محبته لها.

انتهى باختصار وتصرف يسير[2].

فائدة متعلقة بقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾

«قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] متضمنٌ لكنز عظيم، وهو أن

---

(١) انظر: نوادر الأصول، مكتبة الإمام البخاري، ص٥٩٧.
(٢) انظر: أضواء البيان، دار عطاءات العلم، ٦/ ٦٣٩ ـ ٦٤٢.

كل مراد إن لم يُرَدْ لأجله ويتصلْ به فهو مضمحل منقطع، فإنه ليس إليه المنتهى، وليس المنتهى إلا إلى الذي انتهت إليه الأمور كلها، فهو غاية كل مطلوب، وكلُّ محبوبٍ لا يُحَبُّ لأجله فمحبته عَناءٌ وعذابٌ»، انتهى من الفوائد لابن القيم(١).

فائدة متعلقة بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن من أنواع البيان التي تضمنها: أن يقول بعض العلماء في الآية قولًا، ويكون في نفس الآية قرينة تدل على عدم صحة ذلك القول.

ومن أمثلة ذلك: قول بعض أهل العلم: إن أزواجه ﷺ لا يدخلن في أهل بيته ـ في الآية المتقدمة ـ، فإن قرينة السياق صريحة في دخولهن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ﴾ [الأحزاب: ٢٨]، ثم قال في نفس خطابه لهن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾، ثم قال بعده: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٤] الآية.

وقد أجمع جمهور علماء الأصول على أن صورة سبب النزول قطعية الدخول، فلا يصح إخراجها بمخصص، وروي عن مالك أنها ظنية الدخول، والتحقيق: أنها قطعية الدخول، كما هو مقرر في الأصول.

ونظير ذلك ـ من دخول الزوجات في اسم أهل البيت ـ: قوله تعالى

---

(١) انظر: الفوائد، دار عطاءات العلم، ١/ ٢٩٣. ويُنبَّه إلى أن ما أشار إليه العلامة ابن القيم هو أحد المعاني المستنبطة من الآية الكريمة. وانظر للاستزادة: تفسير ابن جرير الطبري (٢٢/ ٨١)، تفسير ابن كثير (٧/ ٤٦٦).

في زوجة إبراهيم: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ [هود: ٧٣]، انتهى(١).

فائدة متعلقة بقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ﴾

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قول الله عَجَلَّ عن السحرة: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ﴾ [طه: ٧٣]: في هذه الآية سؤال معروف، وهو أن يقال: قولهم: ﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ﴾ يدل على أنه أكرههم عليه، مع أنه دلت آيات أُخَر على أنهم فعلوه طائعين غير مكرهين، كقوله في الشعراء: ﴿قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١].

ثم ذكر آيات أخرى، ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وللعلماء عن هذا السؤال أجوبة معروفة، وذكر ثلاثة أجوبة، وقال: وأظهرها عندي أنه أكرههم على الشخوص من أماكنهم ليعارضوا موسى بسحرهم، فلما أُكرهوا على القدوم، وأُمروا بالسحر أتوه طائعين، فإكراههم بالنسبة إلى أول الأمر، وطوعهم بالنسبة إلى آخر الأمر، فانفكت الجهة، وبذلك ينتفي التعارض. انتهى(٢).

تَكرار القَصص في القرآن الكريم

تَكَرُّرُ قصة موسى عليه الصلاة والسلام ـ أو غيرِها من القَصص ـ ليس فيها شيء مُعَادٌ مُكَرَّر، وإنما يُعرَض من القصة في كل سياق ما يناسب ذلك السياق:

حِفظ الله لأوليائه.

صِدقه تعالى ما وَعَد به.

---

(١) انظر: أضواء البيان، دار عطاءات العلم، ٦/ ٦٣٥ ـ ٦٣٦.

(٢) انظر: أضواء البيان، دار عطاءات العلم، ٤/ ٥٩٢ ـ ٥٩٤.

عاقبة الباغي والظالم والمستكبر ومن استذل الناس بغير حق.

حِلم الأنبياء على أقوامهم، وصبرهم عليهم، وصبرهم في تبليغ الدعوة.

إذا أراد الله شيئًا.. كان، ولو ضعفت الأسباب أو عدمت.

إحسان يوسف عليه الصلاة والسلام في السجن

من فتح القدير: «وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة في قوله: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦]، قال: كان إحسانه فيما ذُكر لنا أنه كان يعزي حزينهم، ويداوي مريضهم، ورأوا منه عبادة واجتهادًا فأحبوه.

وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب، عن الضحاك قال: كان إحسانه أنه إذا مرض إنسان في السجن قام عليه، وإذا ضاق عليه المكان أوسع له، وإذا احتاج جَمَع له.

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال: دعا يوسف لأهل السجن فقال: اللهم لا تعمِّ عليهم الأخبار، وهون عليهم مر الأيام»، انتهى[(١)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد اشتهر في السجن بالجودِ، والأمانةِ، وصدقِ الحديث، وحسنِ السمت، وكثرةِ العبادة ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ، ومعرفةِ التعبير، والإحسانِ إلى أهل السجن، وعيادةِ مرضاهم، والقيامِ بحقوقهم»[(٢)].

صُوَر هَجْر القرآن

❖ **هجر القرآن أنواع:**

١ ـ هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه.

٢ ـ هجر العمل به، والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

---

(١) فتح القدير، دار ابن كثير، ٣/ ٣٤.

(٢) تفسير ابن كثير، دار طيبة، ٤/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨.

٣ ـ هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه.

٤ ـ هجر تدبره وتفهمه.

٥ ـ هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها.

وكل هذا داخل في قول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، انظر: الفوائد لابن القيم[(١)].

غاية الجزالة والبلاغة في القرآن

لما كان القرآن في غاية الجزالة والبلاغة اقشعرت الجلود منه؛ إعظامًا له، وتعجبًا من حُسن ترصيعه، وتهيبًا لما فيه[(٢)].

مما يُثَبِّت القرآن في الصَّدْر

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يُثبّت القرآن في الصدر، ولا يُسَهِّل حفظه، ويُيَسِّر فهمه: إلا القيام به في جوف الليل»[(٣)]، قال الشيخ عطية سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ وهو ناقل هذه الكلمة ـ: «وقد كان شيخنا لا يترك وِرده من الليل صيفًا ولا شتاءً»[(٤)].

خَتْمَةٌ في مكة

جاء عن إبراهيم النخعي: «كانوا يحبون إذا دخلوا مكة أن لا يخرجوا حتى يختموا بها القرآن»[(٥)].

وقال الحسن: «كان يعجبهم إذا قدموا للحج أو العمرة ألا يَخرجوا حتى يقرؤوا ما معهم من القرآن»[(٦)].

---

(١) ١/١١٨.

(٢) انظر: تفسير القرطبي، دار الكتب المصرية، ١٥/٢٥٠.

(٣) أضواء البيان، دار الفكر، ٨/٣٥٩.

(٤) أضواء البيان، دار الفكر، ٨/٣٥٩.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٩٠١٠ ط. الشثري).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٩٠١٢ ط. الشثري).

عِزَّةُ الإيمان

قول الله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥].

لم يقتصروا في جوابهم على كونهم يعلمون صدق نبيهم عليه الصلاة والسلام فيما جاءهم به من الرسالة؛ بل بما هو أبلغ من ذلك، وهو أن شهادتهم له لا تقف عند درجة العلم؛ بل هي أبلغ من ذلك، وهي مرتبة الإيمان بما شهدوا به.

وفي هذا من العزة ما فيه؛ مع كونهم مستضعفين.

كما يؤخذ منها: معرفة الفرق بين معنى العلم ومعنى الإيمان.

ثم انظر إلى تعقيب قومهم: ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٦]، لم يقتصر تعقيبهم على أصل سؤالِهم هُم: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾، بل عقبوا بذلك الكلام الذي فيه من العناد والتعالي والاستكبار ما فيه.

وتأمل تكرار الاسم الظاهر: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ [الأعراف: ٧٦]، ولم يُذكر بصيغة الضمير، كأنْ تكون: قالوا، والله أعلم.

عدد حروف القرآن الكريم

جَمع الحجاجُ بن يوسف الحفاظَ والقراء، فقال: أخبروني عن القرآن كله، كم هو من حرف؟ قال: فجعلنا نحسب، حتى أجمعوا أن القرآن كله ثلاث مئة ألف حرف، وأربعون ألفًا، وسبع مئة، ونيف وأربعون حرفًا(١).

---

(١) المصاحف لابن أبي داود، ص٢٧٦.

تنبيه وفائدة: قال السيوطي في الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢٤٢): «وتقدم عن ابن عباس عَدُّ حروفه، وفيه أقوال أُخر، **والاشتغالُ باستيعاب ذلك مما لا طائل تحته**، وقد =

معنى قول عائشة رضي الله عنها: «كان خُلقه القرآن»

قال النووي رحمه الله في تفسير قول عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ خُلُقه القرآن»[(١)]: «معناه: العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره، وحسن تلاوته»[(٢)].

أُحدِث لنا فأَحدثنا

قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، قال ابن كثير رحمه الله: وقال ابن أبي حاتم ـ وساق إسناده ـ: حُبس وهب بن منبه، فقال له رجل من الأبناء[(٣)]: ألا أُنشدك بيتًا من شعر يا أبا عبد الله؟ فقال وهب: نحن في طَرَفٍ من عذاب الله، والله يقول: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦﴾، قال: وصام وهبٌ ثلاثًا متواصلة، فقيل له: ما هذا الصوم يا أبا عبد الله؟ قال: أُحدِث لنا فأَحْدَثْنَا. يعني: أُحدِث لنا الحبس، فأحدثنا زيادة عبادة[(٤)].

= استوعبه ابن الجوزي في فنون الأفنان، وعَدَّ الأنصافَ والأثلاثَ إلى الأعشار، وأَوْسَعَ القول في ذلك، فراجعه منه، فإن كتابنا موضوعٌ للمهمات، لا لمثل هذه البطالات».

(١) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٢) شرح النووي على مسلم، ٦/٢٦.

(٣) المراد بالأبناء: أبناء الفُرس، الذين تَعَرَّبوا وتناسلوا باليمن، بعد أن بعثهم كسرى مع سيف بن ذي يزن؛ لطرد الأحباش من اليمن. وجاء في تفسير الطبري ـ في أثناء كلامٍ ـ ما نصه: «كما قيل لأبناء الفُرس الذين أمهاتُهم من العرب وآباؤهم من العجم: أبناء...».
تنبيه: وهب بن مُنَبِّه من الأبناء أيضًا، ففي سير أعلام النبلاء للذهبي ما نصه: «قال أحمد بن محمد بن الأزهر: سمعت مسلمة بن همام بن مسلمة بن همام يَذكر عن آبائه: أن همامًا ووهبًا، وعبد الله ومعقلًا ومسلمة بنو مُنَبِّه أصلُهم من خراسان من هراة، فمُنَبِّه من أهل هراة، خرج أيام كسرى، وكسرى أخرجه من هراة، ثم إنه أسلم على عهد النبي ﷺ فحسن إسلامه. ومسكنهم باليمن، وكان وهب بن مُنَبِّه يختلف إلى هراة، ويتفقد أمر هراة...».

(٤) تفسير ابن كثير، دار طيبة، ٥/٤٨٧.

تأمَّلْ في الآية

تأمَّلْ قول الله ﷻ: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]، وقول الله ﷻ: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ [الزمر: ٢٠][١].

قُرة عين المؤمن

قال الحسن: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤]، في طاعة الله، وما من شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى حبيبه في طاعة الله[٢].

كيف يُنطق اسم سورة: الممتحنة

سورة الممتحنة: «المشهور في هذه التسمية فتح الحاء، وقد تكسر وبها جزم السهيلي، فعلى الأول: هي صفة المرأة التي نزلت السورة بسببها، والمشهور أنها: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط...، ومَن كسر: جعلها صفة للسورة، كما قيل لبراءة الفاضحة»[٣].

أيهما أفضل: قراءة القرآن من المصحف أم عن ظهر قلب؟

قال النووي رحمه الله في كتابه «التبيان» في مسألة: أيهما أفضل: قراءة القرآن من المصحف أم عن ظهر قلب؟

قال: «ولو قيل: إنه يختلف باختلاف الأشخاص، فيُختار القراءة في المصحف لمن استوى خشوعه وتدبره في حالتي القراءة في المصحف وعن ظهر القلب، ويُختار القراءة عن ظهر القلب لمن لم يكمل بذلك خشوعه

---

(١) جاء في تفسير الرازي، دار إحياء التراث، ٢٦/ ٤٣٩: «من الأشياء التي وعدها الله هؤلاء الذين اجتنبوا وأنابوا قولُه تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾، وهذا كالمقابل لِمَا ذكر في وصف الكفار: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾».

(٢) أخرجه البخاري معلقا (٦/ ١٠٩).

(٣) فتح الباري لابن حجر، ٨/ ٦٣٣.

ويزيدُ على خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف؛ لكان هذا قولًا حسنًا، والظاهر أن كلام السلف وفِعلَهم محمول على هذا التفصيل»(١).

ملحوظة: هذا إذا كانت التلاوة خارج الصلاة، أما إذا كانت في الصلاة فلها كلام آخر.

أسئلة

السؤال الأول

تكرر اسم الله ﷻ (القهار) في كتاب الله ست مرات، وفي كل موضع من هذه المواضع الستة جاء مقرونًا باسم معيَّن من أسماء الله ﷻ.

ما الاسم الذي اقترن به؟(٢)

وماذا يظهر لك من الحكمة في هذا الاقتران؟(٣)

السؤال الثاني

سورة من «الحواميم» ذُكر فيها ثلاثةُ أسماء من أسماء يوم القيامة.

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، دار ابن حزم، ١/ ١٠٠.

(٢) اقترن اسمُ الله «القهار» في جميع هذه المواضع باسم الله: «الواحد».

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره، ص٧١٦: «﴿قُلْ﴾ يا أيها الرسول لهؤلاء المكذبين إن طلبوا منك ما ليس لك ولا بيدك: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ﴾ هذا نهايةُ ما عندي، وأما الأمر فلله تعالى، ولكني آمركم وأنهاكم وأحثكم على الخير وأزجركم عن الشر، فَمَنِ اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ أي: ما أحدٌ يُؤْلَهُ ويُعبد بحق إلا اللهُ ﴿ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾، هذا تقرير لألوهيته بهذا البرهان القاطع، وهو وحدته تعالى وقهره لكل شيء، **فإن القهر ملازمٌ للوحدة**، فلا يكون[قَهَّاران متساويان] في قهرهما أبدًا، فالذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذي لا نظير له، وهو الذي يستحق أن يُعبد وحده، كما كان قاهرًا وحده». وقد قرر السعدي رحمه الله هذا المعنى في مواضع أخرى، وانظر أيضًا: الصواعق المرسلة، عطاءات العلم، ٢/ ٦٦٢.

ما هي السورة؟ وما تلك الأسماء؟[١]

السؤال الثالث

«وَلِيّ» وما اشتُق منها (أولياء...)، تكررت في إحدى «الحواميم» عدة مرات.

ما هذه السورة؟ وكم مرة تكررت تلك اللفظة؟[٢].



---

(١) هي سورة غافر، والأسماء هي: يوم التلاق، يوم الآزفة، يوم التناد.

(٢) هي سورة الشورى، وقد تكررت فيها هذه اللفظة ثماني مرات.



القسم الثاني

فوائد متعلقة بحديث النبي ﷺ وأخبارِ أصحابه ﷺ

أَجْمَعُ كلمة للخيـر: الفلاح

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح باب «استحباب القول مثل قول المؤذن»: قالوا: وليس في كلام العرب كلمة أجمع للخير من لفظة الفلاح، ويقرب منها: النصيحة، فمعنى: حي على الفلاح، أي: تعالوا إلى سبب الفوز والبقاء في الجنة، والخلود في النعيم[١].

إن الله تعالى جعل للمعروف وجوهًا من خلقه

ذكر ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» هذا الأثر: «إن الله تعالى جعل للمعروف وجوهًا من خلقه، حبب إليهم المعروف، وحبب إليهم فِعَاله، ووَجَّه طلاب المعروف إليهم، ويسر عليهم إعطاءه، كما يسر الغيث إلى الأرض الجدبة ليحييها ويحيي بها أهلها، وإن الله جعل للمعروف أعداءً من خلقه، بغض إليهم المعروف، وبغض إليهم فِعَاله، وحظر عليهم إعطاءه، كما يحظر الغيث عن الأرض الجدبة ليهلكها، ويهلك بها أهلها، وما يعفو أكثر»[٢].

ما هي المروءة؟

سُئل أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن المروءة؟ فقال: ثبوته في مجلسه، والغداء والعشاء بأفنية البيوت، واستصلاح المال، ومعونة الإخوان، والذب عنهم[٣].

(١) انظر: شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي، ٤/ ٨٧.
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج مرفوعًا (٤).
(٣) انظر: تاريخ دمشق، دار الفكر، ٦٧/ ٣٧٥.

فائدة من شرح حديث: «الدين النصيحة»[(١)]

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في «جامع العلوم والحِكَم»: قال الحسن: قال بعض أصحاب النبي ﷺ: والذي نفسي بيده! إن شئتم لأقسمن لكم بالله إن أحب عباد الله إلى الله الذين يُحببون الله إلى عباده، ويُحببون عباد الله إلى الله، ويسعون في الأرض بالنصيحة.

ومن أنواع نصحهم ـ أي: عامة المسلمين ـ: إيثارُ فقيرهم، وتعليم جاهلهم، وردُّ من زاغ منهم عن الحق في قول أو عمل بالتلطف في ردِّهم إلى الحق، والرفقُ بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محبةً لإزالة فسادهم ولو بحصول ضررٍ له في دنياه، كما قال بعضُ السَّلف: وددتُ أنَّ هذا الخلق أطاعوا الله وأنَّ لحمي قُرِضَ بالمقاريضِ، وكان عمرُ بن عبد العزيز يقول: يا ليتني عملتُ فيكم بكتاب الله وعملتم به، فكلما عملتُ فيكم بسنة وقع مني عضوٌ حتى يكون آخر شيء منها خروج نفسي[(٢)].

مسائل في العزلة والخلطة

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: (بابٌ: العزلة راحة من خلاط السوء)، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خذوا حظكم من العزلة»، وقال الخطابي: لو لم يكن في العزلة إلا السلامة من الغيبة ومن رؤية المنكر الذي لا يقدر على إزالته؛ لكان ذلك خيرًا كثيرًا.

وفي معنى الترجمة ما أخرجه الحاكم مرفوعًا بلفظ: «الوحدة خير من جليس السوء»، والمحفوظ أنه موقوف.

والمطلوب إنما هو ترك فضول الصحبة؛ لما في ذلك من شغل البال، وتضييع الوقت عن المهمات، ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغداء

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥).

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، دار ابن كثير، ص٢٠٢ ـ ٢٠٣.

والعشاء، فيقتصر منه على ما لا بد له منه، فهو أروح للبدن والقلب، والله أعلم[(١)].

قال ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن»[(٢)].

قال ابن حجر: «شعف الجبال» أي: رؤوس الجبال، والمرعى فيها والماء ـ ولا سيما في بلاد الحجاز ـ أيسر من غيرها.

«ومواقع القطر» أي: بطون الأودية، وخَصَّهما بالذكر لأنهما مظان المرعى.

والحديث دل على فضيلة العزلة لمن خاف على دينه، وقد اختلف السلف في أصل العزلة، فقال الجمهور: الاختلاط أولى، وقيل: يختلف باختلاف الأشخاص، فمنهم من يَتَحَتَّم عليه أحد الأمرين، ومنهم من يترجح، وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة، فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة؛ لما ينشأ فيها غالبًا ـ يعني: في الفتنة ـ من الوقوع في المحذور، وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة، فتعم من ليس من أهلها، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥][(٣)].

الحق والباطل لا يلتبس أمرهما على المؤمن البصير

قال ابن رجب رحمه الله في شرح حديث: «البر حُسن الخُلق»[(٤)]: ««قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: أُحذّركم زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر، دار المعرفة، ١١/ ٣٣١ ـ ٣٣٣.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٨٨).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر، دار المعرفة، ١٣/ ٤٢ ـ ٤٣. وانظر للاستزادة: كتاب الخطابي: العُزلة، ومدارج السالكين لابن القيم، ومما جاء فيه: «. . . فللعزلة وقتٌ تجب فيه، ووقتٌ تستحبُّ فيه، ووقتٌ تباح فيه، ووقتٌ تكره فيه، ووقتٌ تَحرُم فيه. . .».

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٥٣).

لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق، فقيل لمعاذ: ما يدريني أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأن المنافق يقول كلمة الحق؟ قال: اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقال: ما هذه؟ ولا يثنينك ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع، وتَلَقَّ الحق إذا سمعته، فإن على الحق نورًا»، خرجه أبو داود.

وفي رواية له قال: «بل ما تشابه عليك من قول الحكيم حتى تقول: ما أراد بهذه الكلمة؟».

فهذا يدل على أن الحق والباطل لا يلتبس أمرهما على المؤمن البصير، بل يعرف الحق بالنور الذي عليه فيقبله قلبه، وينفر عن الباطل فينكره ولا يعرفه.

ومن هذا المعنى: قول النبي ﷺ: «سيكون في آخر الزمان قوم يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم»، يعني: أنهم يأتون بما تستنكره قلوب المؤمنين ولا تعرفه.

وفي قوله: «أنتم ولا آباؤكم» إشارة إلى أن ما استقرت معرفته عند المؤمنين مع تقادم العهد وتطاول الزمان فهو الحق، وأن ما أُحدث بعد ذلك مما يُستنكر فلا خير فيه»[(١)].

فائدة متعلقة بقول النبي ﷺ: اقتلوا الحيات، واقتلوا ذا الطُّفْيتين

للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ مقالة بعنوان: «من أحكام الحيات»[(٢)]، جاء فيها ذِكرٌ لحديثٍ أخرجه البخاري ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «اقتلوا الحيات، واقتلوا ذا الطُّفْيتين»[(٣)].

وقد وجدتُ على مسوَّدة تلك المقالة تعليقًا، وهذا نصه:

وَصَفَ لي الأخ (...) الثعبانَ المسمَّى «الكوبرا» بصفات تنطبق على

(١) جامع العلوم والحكم، دار ابن كثير، ص٥٧٣ ـ ٥٧٤.
(٢) انظر كتاب: خِتام السنين، للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ، ص٢٢٩.
(٣) أخرجه البخاري (٣٢٩٧) ومسلم (٥٣٥٣).

ذي الطُّفْيتينِ، وقال ـ فيما قال ـ: إنه إذا أراد أن يدافع عن نفسه نصب رأسه، وانتفخ ما تحته، وظهر عليه شِبْه شكل كَفَّين، ونفث سمه[(١)].

ما هو النُّغض؟

قال الإمام أحمد رحمه الله ورضي عنه: «حدثنا حسن ـ يعني الأشيب ـ، وأبو النضر، قالا: حدثنا زهير، حدثنا عروة بن عبد الله بن قشير ـ أبو مَهَل الجعفي ـ، عن معاوية بن قرة، عن أبيه رضي الله عنه، قال: «أتيت رسول الله ﷺ في رهط من مزينة فبايعناه، وإن قميصه لمطلَق»، قال: «فبايعناه، ثم أدخلتُ يدي في جيب قميصه فمسست الخاتم»، قال عروة: «فما رأيت معاوية ولا ابنه في شتاء قط ولا حر إلا مطلقي أزرارهما لا يزرانه أبدًا»[(٢)].

وبسنده قال رضي الله عنه: «أتيت رسول الله ﷺ فاستأذنته أن أُدخل يدي في جُرُبَّانِه، وإنه ليدعو لي، فما منعه أن ألمسه أن دعا لي»، قال: «فوجدت على نُغْض كتفه مثلَ السِلعة»[(٣)].

وبسنده رضي الله عنه: «أنه أتى النبي ﷺ، فدعا له، ومسح رأسه»[(٤)].

قال محقق المسند في الحديث الأول: إسناده صحيح، وأخرجه أبو داود (٤٠٨٢)، والترمذي في «الشمائل» (٥٧)، وابن ماجه (٣٥٧٨).

صحابي الحديث: قرة بن إياس المزني، حفيده: إياس بن معاوية المزني، القاضي المشهور بالذكاء.

---

(١) كتب الوالد رحمه الله بعد هذا النقل: في ٢٤/١/١٤٤١هـ.

(٢) أخرجه أحمد (١٥٥٨١)، وانظر للفائدة سؤالًا في موقع الإسلام سؤال وجواب: (هل من السنة تعمد فتح أزرار القميص من الأعلى؟).

(٣) أخرجه أحمد (١٥٥٨٢).

(٤) أخرجه أحمد (١٥٥٨٣).

قال السندي: قوله لَمُطْلَق: أي غير مزرور أزراره، وجُرُبَّانِه: جيب القميص.

وقوله: «فما منعه»: أي ما عَدَّه ﷺ قِلَّة أدب حتى يمنعه ذاك من الدعاء لي أو ما شغله ذاك عن الدعاء لي حتى يقطع الدعاء لي.

وقوله: «نُغْض»؛ قيل: أعلى الكتف، وقيل: عظم رقيق على طرف الكتف[(١)].

فائدة من شرح الشيخ محمد العثيمين رحمه الله لكتاب «رياض الصالحين»

قال رحمه الله: «وقد بين زيد بن ثابت رضي الله عنه حينما ذكر أنه تسحر مع النبي ﷺ ثم قاموا إلى الصلاة ولم يكن بينهما إلا قدر خمسين آية.

خمسون آية: من عشر دقائق إلى ربع الساعة إذا قرأ الإنسان قراءة مرتلة، أو دون ذلك.

وهذا يدل على أن الرسول ﷺ يؤخر السحور تأخيرًا بالغًا، وعلى أنه يُقَدِّم صلاة الفجر ولا يتأخر»[(٢)].

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة، ٢٤/ ٣٤٧ ـ ٣٤٩. وقد كتب الوالد رحمه الله بعد النقل السابق: حدثني (. . .) أنهم في منطقة «الأمواه» وما حولها: يطلقون الناغض على غضروف الكتف. يقول: وخلف الغضروف عصب الأبهر. وقال عن بلدته «الفرع»: ما وصلتها الكهرباء إلا قبل حوالي سبع سنوات، وإلى الآن لا تصلها شبكة الجوال، والطرق المزفتة وصلتها منذ أقل من سنتين، ونهايتها قبل القرية بسبعة كيلومترات تقريبًا، ويحبون أهل العلم كثيرًا، أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ ابن باز والشيخ عبد الله الجبرين رحمهم الله فلا يَعدلون بهم أحدًا، وخاصة الشيخ ابن باز رحمه الله، وكانوا بعد أن يصلوا العشاء يعودون إلى المسجد ويجتمعون على المذياع لبرنامج نور على الدرب. ليلة ٢٨/ ٢/ ١٤٤١هـ.

(٢) شرح رياض الصالحين، دار الوطن، ٥/ ٢٨٥.

أحاديث في فضائل المدينة

من صحيح البخاري في كتاب فضائل المدينة[١]:

١٨٧٠ ـ قال النبي ﷺ: «المدينة حرم، ما بين عائر إلى كذا، من أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدل»، وقال: «ومن تولى قومًا بغير إذن مواليه، فعليه لعنة الله والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدل».

١٨٧١ ـ قال النبي ﷺ: «أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد».

قال الشيخ ابن باز رحمه الله ـ تعليقًا على هذا الحديث ـ: «وهذا يكون في آخر الزمان، عند ما يخرج الدجال، ترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج منها كل منافق ومنافقة وكافر، وقد يخرج منها الآن بعض الخبثاء، لكن هناك فيها خبثاء، وهي تنفي الخبثاء آخر الزمن، وهذا الخروج الكلي لكل كافر ومنافق آخر الزمان»، انتهى من الفوائد المجنية[٢].

١٨٧٤ ـ قال النبي ﷺ: «يتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العواف ـ يريد عوافي السباع والطير ـ، وآخر من يحشر راعيان من مزينة، يريدان المدينة، ينعقان بغنمهما فيجدانها وَحْشًا، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خَرَّا على وجوههما».

قال الشيخ ابن باز رحمه الله ـ تعليقًا على قول النووي رحمه الله: «هذا الترك يكون آخر الزمان» ـ:

قال الشيخ: «وهذا هو الصواب»، انتهى من الفوائد المجنية[٣].

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر، دار المعرفة، ٤/ ٨١.
(٢) الفوائد المجنية من التعليقات البازية على صحيح البخاري وفتح الباري، ص٤٦٢.
(٣) المرجع السابق، ص٤٦٢.

١٨٧٥ ـ قال النبي ﷺ: «تُفتح اليمن فيأتي قوم يبسُّون، فيتحَمّلون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتُفتح الشأم فيأتي قوم يبسُّون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتُفتح العراق فيأتي قوم يبسُّون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون».

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعليقًا على هذا الحديث ـ: هذا ظاهر لما فُتحت هذه المدن، انتقل الناس إليها؛ لِمَا رأوا هناك من النعم والخيرات، ويُبِسُّون: يسرعون، انتهى من الفوائد المجنية[(١)].

١٨٧٦ ـ قال النبي ﷺ: «إن الإيمان لَيَأْرِز إلى المدينة كما تَأْرِز الحية إلى جحرها».

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعليقًا على هذا الحديث ـ: «وهذا واقع، ففي عهد النبي ﷺ الناس يتوافدون إليه من كل مكان للهجرة، وقد يكون آخر الزمان كذلك»[(٢)].

١٨٧٧ ـ قال النبي ﷺ: «لا يَكِيد أهلَ المدينة أحدٌ إلا انماع كما ينماع الملح في الماء».

١٨٧٩ ـ قال النبي ﷺ: «لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب، على كل باب مَلَكان».

١٨٨١ ـ وقال ﷺ: «ليس من بلد إلا سَيَطَؤُه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس له من نِقَابها نَقْب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجُف المدينة بأهلها ثلاث رَجَفَات، فيُخرِج الله كل كافر ومنافق».

---

(١) المرجع السابق، ص٤٦٢.

(٢) المرجع السابق، ص٤٦٢.

علق الشيخ ابن باز رحمه الله على هذا الحديث بنحو تعليقه على الحديث (١٨٧١)، وتقدم.

١٨٨٣ ـ عن جابر رضي الله عنه قال: جاء أعرابيٌّ النبي ﷺ فبايعه على الإسلام، فجاء من الغد محمومًا، فقال: أقلني، فأبى، ثلاث مرار، فقال: «المدينة كالكير، تنفي خبثها، وينصع طَيِّبُها».

١٨٨٥ ـ قال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة».

١٨٨٦ ـ عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر، فنظر إلى جُدُرات المدينة أَوْضَع راحلته، وإن كان على دابة حركها؛ من حبها.

قال القسطلاني في «إرشاد الساري»: «جُدُرات»: بضم الجيم والدال، جمع جدار جمع سلامة، «أوضع»: بفتح الهمزة وسكون الواو، أي: حمل راحلته على السير السريع، «وإن كان على دابة حَرَّكها؛ من حبها» أي: حرَّك الدابة من حب المدينة.

وقد استجاب الله تعالى دعاء نبيه ﷺ حيث دعا: اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، حتى كان يحرك دابته إذا رآها من حبها.

اللهم حببها إلينا، وحبب صالحي أهلها فينا، واجعل لنا بها قرارًا ورزقًا، وتوفنا بها في عافية بلا محنة(١).

١٨٨٧ ـ وعنه رضي الله عنه قال: أراد بنو سَلِمة أن يتحولوا إلى قُرب المسجد، فكَرِه رسول الله ﷺ أن تَعْرَى المدينة، وقال: «يا بني سَلِمة، ألا تحتسبون آثاركم، فأقاموا».

١٨٨٨ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي».

---

(١) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، ٣/ ٣٤١.

١٨٨٩ ـ عن عائشة ﵂ قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وُعِكَ أبو بكر وبلال، إلى قوله ﷺ: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مُدنا، وصححها لنا، وانقل حماها إلى الجحفة»، قالت: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله، قالت: فكان بُطحان يجري نَجْلًا، تعني: ماءً آجنًا.

لماذا سُميت المدينة المنورة طَيْبَة؟

سماها رسول الله ﷺ طيبة وطابة؛ لطيب قريحة أهلها وضمائرهم، والله أعلم[١].

تعليق على قوله ﷺ: «المرء مع من أحب»[٢]

الحب منه حقيقي ومنه ادعائي، وأعمال الإنسان وتصرفاته ومواقفه تُبين هذا من ذاك، فالصادق في محبة النبي ﷺ هو الذي يحقق قوله: أشهد أن محمدًا رسول الله، وذلك بتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر[٣].

فمن أصلح قلبه بالإخلاص لله ومحبته وخوفه ورجائه والتوكل عليه، ومن كان مقيمًا للصلاة كما أمر الله وأمر نبيه ﷺ، معظمًا لشأنها يؤديها في أوقاتها جماعة في المساجد، لا يؤخر فرضًا من الفروض الخمسة عن وقته بسبب النوم أو غيره؛ فهذا علامةٌ من علامات صدق محبته للنبي ﷺ.

ومن كان بارًّا بوالديه، واصلًا رَحِمَه، محسنًا إلى جيرانه، كافًّا شره عن

---

(١) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار المنهاج، ٢٢/٤٥٨.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٦٨) ومسلم (٢٦٤١).

(٣) جاء في ثلاثة الأصول للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب: «ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع».

إخوانه المسلمين، يجاهد نفسه ألا يكون في قلبه غِلٌّ أو حقد أو حسد لمسلم؛ فهذه أيضًا علامةٌ على صدق دعواه في محبته للنبي ﷺ.

وهكذا من أصلح باطنه وسريرته، وأصلح ظاهره ممتثلًا ما أمر الله به وأمر به رسوله ﷺ من إعفاء اللحية وعدم أخذ شيء منها، وإحفاء الشارب، ولم يسبل ثوبه؛ فهذه أيضًا علامةٌ على صدق دعواه في محبته للنبي ﷺ، وهكذا.

وعلى أي حال؛ فالكمال عزيز، ولكن الموفق من يجاهد نفسه، ويسعى في تكميل نقصه، والمخذول من يكابر الحق، ويبرر أخطاءه، ويُصِرُّ على الخطأ.

اللهم اجعلنا من عبادك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

حفظ المرأة لصوتها

قوله ﷺ: «فَلْيُسَبِّحِ الرِّجَالُ، وَلْيُصَفِّحِ النِّسَاءُ»[(١)]؛ فيه إشارة إلى أنْ تَحفظ المرأة صوتها إذا كان بحضرتها رجال أجانب، ودرءًا للفتنة، فإن الرجل كما يستمتع بالنظر إلى المرأة فإن صوتها أيضًا محل لاستمتاعه وتلذذه كما لا يخفى، خاصة إذا كان ناعمًا ورخيمًا.

نعم إذا دعت الحاجة إلى ذلك فلا بأس، كما كان النساء على عهد النبي ﷺ يأتينه ويسألنه عما يشكل عليهن وعنده أصحابه رضي الله عنهم.

أما التوسع في هذا الأمر وترديد عبارة: صوت المرأة ليس بعورة، حتى أفضى الأمر إلى . . . ، فهذا لا شك أنه خطأ.

وهو من الأسباب التي جَرَّأَت بعض الشركات والمؤسسات والمستوصفات أن توظف فتيات يتولين الرد على اتصالات المتصلين.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٩٠) ومسلم (٤٢١). وفي سنن أبي داود ـ بعد إخراج هذا الحديث ـ بسنده إلى عيسى بن أيوب أنه قال: قوله: «التصفيح للنساء» تضرب بأصبعين من يمينها على كفها اليسرى. وفي المحلى (٢/٣٩٦) لابن حزم: «لا خلاف في أن التصفيق والتصفيح بمعنى واحد، وهو: الضرب بإحدى صفحتي الأكف على الأخرى».

وهذا لا شك سبب للفتنة.

نسأل الله العافية والسلامة.

تعليقات على كتاب: «الوابل الصيب»

هذه نُقول من تعليقات محقق الوابل الصيب(١) ـ جزاه الله خيرًا ووفقه ونفعه ونفع به وبارك فيه ـ على قول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ الله: «إذا تاب العبد توبة نصوحًا صادقة خالصة؛ أحرقت ما كان قبلها من السيئات، وأعادت عليه ثواب حسناته».

الذي استظهره المصنف في هذه المسألة هنا جَزَم به في مدارج السالكين، وهو متأخر في التصنيف عن هذا الكتاب.

ويدل على ما ذهب إليه: قولُ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا المتقدمُ لزيد بن أرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أبلغي زيدًا أنه أحبط جهاده مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن يتوب».

وقال ابن رجب في فتح الباري: «وهذا يدل على أن بعض السيئات تُحبط بعض الحسنات، ثم تعود بالتوبة منها»، انتهى(٢).

ومن تعليقاته: في شأن مكانة أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الفقهية: قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: وكان أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من أوعية العلم، ومن كبار أئمة الفتوى.

وقد جمع تقي الدين السبكي فتاويه في جزء، انظر: الجواهر المضية للقرشي (٤/ ٥٤١)، مجموع الفتاوى (٤/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣) مهم، والحديث عن فقهه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ طويل الذيل(٣).

---

(١) من سلسلة آثار الإمام ابن القيم الجوزية وما لحقها من أعمال، من مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي.

(٢) انظر: الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، دار عطاءات العلم، ص٢٤.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص١٣٩.

كلما زاد السِّنُّ زاد العمل الصالح

قال الشيخ ابن باز رحمه الله في حديث اعتكاف النبي ﷺ آخر حياته عشرين يومًا: «هذا يدل على أن المسلم ينبغي له كلما زاد السنُّ زاد العمل الصالح»[(١)].

فائدة متعلقة بقول النبي ﷺ: وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله

قال رسول الله ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» الحديث رواه مسلم[(٢)].

سؤال: هل يكسب هذا الفضل مَن جلس في غير المسجد؟

قال النووي رحمه الله: السكينة: الطمأنينة والوقار، ويُلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما إن شاء الله تعالى، ويدل عليه الحديثُ الذي بعده، فإنه مطلق يتناول جميع المواضع، ويكون التقييد في الحديث الأول خرج مخرج الغالب، لا سيما في ذلك الزمان[(٣)]. انتهى

الحديث الذي أشار إليه النووي رحمه الله: قوله ﷺ: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده» رواه مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنه[(٤)].

---

(١) الفوائد المجنية من التعليقات البازية على صحيح البخاري وفتح الباري، ص٥٠١.
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).
(٣) انظر: شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي، ١٧/ ٢١ ـ ٢٢.
(٤) أخرجه مسلم (٢٧٠٠).

عبرة وحكمة

تَأَخُّر وفاة عدو الله ـ ابنِ أبيّ ـ إلى أواخر حياة النبي ﷺ، وما في ذلك من البلاء والامتحان العظيم لنبي الله ﷺ وللمسلمين(١).



(١) يشير الوالد رَحِمَهُ اللهُ في هذه الفائدة إلى أن في تَأَخُّر وفاة رأس النفاق ابنِ أبيّ إلى أواخر حياة النبي ﷺ عبرةً وحكمةً؛ لما في ذلك من البلاء والامتحان العظيم للنبي ﷺ وللمسلمين.



القسم الثالث
الرقائق وأعمال القلوب

من أسماء الله تعالى: الودود

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسيره: «معنى الودود من أسماء الله تعالى: أنه يُحب عباده المؤمنين ويحبونه، فهو فعول بمعنى فاعل وبمعنى مفعول»[1].

وقال في موضع آخر: «الودود: الوادّ لأحبابه»[2].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦]: «أي محبة وَوِدَادًا في قلوب أوليائه وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في القلوب ودٌّ تَيَسَّرَ لهم كثير من أمورهم...، وإنما جَعل الله لهم ودًّا لأنهم ودّوه فوددهم إلى أوليائه وأحبائه»[3].

أكثر موضع في القرآن توالت فيه أسماء الله الحسنى

فيما يظهر لي أن أكثر موضع في القرآن توالت فيه أسماء الله الحسنى هو الآيات في سورة الحج، من قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ﴾ [الحج: ٥٨] الآية (٥٨)، أو التي بعدها، إلى الآية (٦٥)، فيها نحو خمسة عشر اسمًا من أسماء الله الحسنى.

---

(١) تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، ص٣٨٨.

(٢) المرجع السابق، ص٩١٨.

(٣) المرجع السابق، ص٥٠١.

ونحوه في سورة النساء، من قول الله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾ [النساء: ١٢٦] الآية (١٢٦)(١)، فيها أربعة عشر اسمًا من أسماء الله الحسنى.

وهكذا أربعة عشر اسمًا من أسماء الله الحسنى في خواتيم سورة الحشر(٢).

والآيات في سورة لقمان من (٢٣ ـ ٣٠) ورد فيها أحد عشر اسمًا من أسماء الله ﷻ.

مَكانة الأرض في الكون

لكي تَعرف مكانة الأرض في هذا الكون: اقرأ الآيات في سورة فُصِّلت (٩ ـ ١٢)، وتَذكَّر أنها ذُكرتْ في القرآن قُرابة (٤٥٠) مرة!(٣)

الله تعالى يُحِب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتضمن هذا الحديث الشريف(٤) أصولًا عظيمة من أصول الإيمان. . .، الثاني: أنه يحب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها،

(١) إلى الآية (١٣٥).

(٢) تنبيه: هذا العدد (أربعة عشر اسمًا) إنما يكون كذلك إذا لم يُحسب لفظ الجلالة «الله»؛ باعتباره هو الأصل في الأسماء الحسنى، وإذا لم يُحسب اسمه تعالى «الإله»، حيث جاء في هذه الآية بصيغة النفي ـ وإلا فهو من الأسماء الحسنى بدلالة نصوص أخرى ـ، وكذلك إذا لم يُحسب اسم «العالِم»؛ لأنه أتى مضافًا، ولا «عالم الغيب»؛ لكونه من الأسماء المركبة. فأما إذا اعتُبر ذلك فسيكون عدد الأسماء الحسنى المذكورُ في خواتيم سورة الحشر أكثر من (أربعة عشر اسمًا).

(٣) للوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلمة بعنوان: «تَدَبُّرُ آيات الله الكونية»، في كتاب: ختام السنين، ص٥٣ ـ ٥٥، ذَكر فيها هذا المعنى المشار إليه هنا بتوسع. تنبيه: جاء في بعض البحوث حول «لفظ الأرض في القرآن» ما خلاصته: أن لفظ الأرض ورد في القرآن الكريم في ثمانية وخمسين وأربع مئة موضع، وأن لفظ الأرض جاء في القرآن الكريم على عدة معانٍ؛ منها: الجنة، ومكة، والمدينة، والشام، ومصر، وغير ذلك، وكل ذلك يُعلم معناه بالسياق.

(٤) يعني حديث: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله».

فهو القويُّ ويحب المؤمن القويَّ، وهو وِترٌ يحب الوتر، وجميل يحب الجمال، وعليم يحب العلماء، ونظيف يحب النظافة، ومؤمن يحب المؤمنين، ومحسن يحب المحسنين، وصابر يحب الصابرين، وشاكر يحب الشاكرين»(١).

وُعِظَ.. فاتَّعَظَ

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسير سورة الجاثية [آية: ٢٧]: «قال ابن أبي حاتم: قدم سفيان الثوري المدينة، فسمع المعافريَّ يتكلم ببعض ما يُضحِك به الناس، فقال له: يا شيخ، أمَا علمتَ أن لله يومًا يخسر فيه المبطلون؟ قال: فما زالت تُعْرَف في المعافري حتى لحق بالله عَزَّ وَجَلَّ»، انتهى(٢).

المعافري: عبد الرحمن بن شريح المصري، ثقة، توفي سنة ١٦٧هـ.

من أسباب النشاط على الطاعات

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ في «تاريخه»: عن ضيغم بن مالك الراسبي البصري رَحِمَهُ اللهُ قال: «رأيت المجتهدين إنما قووا على الاجتهاد بما يدخل قلوبهم من الحلاوة في الطاعة»(٣).

من أقوال السلف

- من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكر له زاده، ومن أقرضه جزاه.
- واللهِ لَلَذة العفة أعظم من لذة المعصية.
- تَرْك الذنب أيسر من طلب التوبة.

---

(١) شفاء العليل، دار عطاءات العلم، ١/ ٦١.
تنبيه: هذا الكلام متعلق بصفات الله تعالى التي يَحسن من المخلوق أن يَتصف بمقتضاها، أما الصفات المختصة بالله تعالى، كالخلاق، والإله، ونحو ذلك، فليست مرادةً بالنقل السابق، ولا يمكن أن يَتصف بها المخلوق.

(٢) تفسير ابن كثير، دار طيبة، ٧/ ٢٧٠.

(٣) تاريخ الإسلام، دار الغرب الإسلامي، ٤/ ٨٦٨.

حينما مَرَّ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالمقابر

مر عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بمقابر الكوفة فقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة، أنتم لنا سلف ونحن لكم تَبَع، أما الأزواج فقد نُكحت، وأما الديار فقد سُكنت، وأما الأموال فقد قُسمت، هذا خَبَر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟ ثم التفتَ إلى أصحابه فقال: أمَا إنهم لو تكلموا لقالوا: وجدنا خير الزاد التقوى(١).

للعبد بين يدي ربه موقفان

للعبد بين يدي ربه موقفان: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا ۝٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦ ـ ٢٧]، الفوائد لابن القيم(٢).

يَبِيْتُ يُجافِي جَنبَهُ عَن فِراشِهِ

قال الشاعر: تركي بن حميد:

يا محلا يا عبيد في وقت الاسفار ... جر الفراش وشبّ ضوّ المناره
مع دلة تجذا على واهج النار ... ونجرٍ لِيَا حرّك تزايد عباره
النجر دَقّ وجاذِبٍ كل مرّار ... ما لفّه الملفوف من دون جاره
واخْيَر منها ركعتين بالاسحار ... لا طاب نوم اللي حياته خساره

وأحسن منها وأبلغ وأجمل قولُ عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وفينا رسولُ اللهِ يتلو كتابَهُ ... إذا انشقَّ معروفٌ من الصبحِ ساطعُ

---

(١) انظر: محاضرات الأدباء، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ٢/ ٥٠٣.

(٢) الفوائد، دار عطاءات العلم، ١/ ٢٩١.

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبُنا   بـه مـوقـنـاتٌ أنَّ مـا قـال واقـعُ
يـبـيـتُ يـجـافـي جَـنْـبَـهُ عـن فِـراشِـهِ   إذا استثقلتْ بالمشركينَ المضاجعُ

أخرجه البخاري بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن أخًا لكم لا يقول الرفث»، يعني بذلك ابن رواحة في الأبيات المتقدمة[١].

وأما كلام الله عز وجل وتعالى علوًّا كبيرًا فلا يدانيه ولا يقارنه ولا يقاربه شيء، وفضله على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه، اقرأ قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] الآية.

المحبة أصل كل عمل

«أصل الأعمال كلها هو المحبة، فالإنسان لا يعمل إلا لما يحب، إما لجلب منفعة أو لدفع مضرة، فإذا عمل شيئًا فلأنه يحبه، إما لذاته كالطعام، أو لغيره كالدواء.

وعبادة الله مبنية على المحبة، بل هي حقيقة العبادة، إذ لو تَعَبَّدتَ بدون محبة صارت عبادتك قشرًا لا روح فيها، فإذا كان الإنسان في قلبه محبةٌ لله وللوصول إلى جنته فسوف يسلك الطريق الموصل إلى ذلك»[٢].

من كتاب «المَحَجَّة في سير الدُّلْجَة» لابن رجب

من كتاب «المَحَجَّة في سير الدُّلْجَة» لابن رجب[٣]:

كان محمد بن واسع رحمه الله يودّع أصحابه عند موته، ويقول: عليكم السلام إلى النار أو يعفو الله.

(١) أخرجه البخاري (١١٥٥).
(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد، دار ابن الجوزي ٢/ ٤٤، وانظر للاستزادة: قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ابن تيمية، الجواب الكافي لابن القيم، عطاءات العلم ١/ ٤٥٥.
(٣) انظر: مجموع رسائل ابن رجب، دار الفاروق الحديثة، ٤/ ٣٩٢، ٤/ ٤٢٢، ٤/ ٤٣٧، ٤/ ٤٤٠.

كان لمطرف بن عبد الله بن الشخير ابنٌ قد اجتهد في العبادة، فقال له أبوه: خير الأمور أوسطها، الحسنة بين السيئتين، وشر السير الحقحقة.

قال أبو عبيد: يعني أن الغلو في العبادة سيئة، والتقصير سيئة، والاقتصاد بينهما حسنة.

قال: والحقحقة أن يلح في شدة السير حتى تقوم عليه راحلته وتعطب، فيبقى منقطعًا به سفره.

قال ابن عيينة: لما حضرتْ محمدَ بن المنكدر الوفاةُ جزع، فدعوا له أبا حازم، فجاء، فقال له ابن المنكدر: إن الله يقول: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]، فأخاف أن يبدوَ لي من الله ما لم أكن أحتسب، فجَعَلا يبكيان جميعًا.

خرجه ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم، وزاد ابن أبي الدنيا: فقال له أهله: دعوناك لتخفف عليه فزدته، فأخبرهم بما قال.

قال ابن عون: لا تثق بكثرة العمل، فإنك لا تدري أيقبل منك أم لا، ولا تأمن ذنوبك، فإنك لا تدري هل كُفِّرت عنك أم لا؛ لأن عملك مُغيَّب عنك كله لا تدري ما الله صانع به.

تعليق على حديث: «يأتي على الناس زمانٌ القابضُ على دينه كالقابض على الجمر»(١)

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمؤمن مَن يقول في هذه الأحوال: لا حول ولا قوة إلا بالله، و: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا، اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) الحديث المشار إليه: أخرجه الترمذي (٢٢٦٠) بلفظ: «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر».

ويقوم بما يَقدر عليه من الإيمان والنصح والدعوة، ويقنع باليسير إذا لم يمكن الكثير، وبزوال بعض الشر وتخفيفه إذا تعذر غير ذلك»[(١)].

من أراد صفاء القلب

قال ابن القيم رحمه الله: من أراد صفاء قلبه فليُؤْثِر اللهَ على شهوته؛ لأن القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلُّقها بها[(٢)].

من ثمرات الرضا

الرضا يفرغ قلب العبد، ويقلل همه وغمه، فيتفرغ لعبادة ربه بقلب خفيف من أثقال الدنيا وهمومها وغمومها.

قال بعض الصالحين: إنه لتكون لي الحاجة إلى الله، فأجتهد في الدعاء، فيفتح الله عليَّ من مناجاته ومعرفته والتذلل له ما أحب معه أن يؤخِّر عني قضاءَها، لتدوم لي تلك الحال[(٣)].

أبياتٌ ختم بها ابن رجبٍ رسالةً له

ختم ابن رجب رحمه الله رسالةً له في شرح حديث: «إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا أنتم هؤلاء الكلمات» الحديثَ[(٤)]، بأبيات؛ منها[(٥)]:

أَستغفرُ اللهَ مما يَعلمُ اللهُ ... إن الشقيَّ لَمَنْ لا يَرحمُ اللهُ

---

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، مكتبة الرشد، ص٢٢١.

(٢) انظر: الفوائد، دار عطاءات العلم، ١/ ١٤٢.

(٣) انظر: مدارج السالكين، دار عطاءات العلم، ٢/ ٥٧٩.

(٤) أخرجه أحمد (١٧١١٤)، وتتمة الحديث: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، وأسألك لسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب».

(٥) انظر: مجموع رسائل ابن رجب، دار الفاروق الحديثة، ١/ ٣٦٦.

طُوبى لمنْ حَسُنَتْ دوماً سريرتُه ... طُوبى لمنْ يَنتهِي عما نَهَى اللهُ

إذا ما مات ذو علم وتقوى

إذا ما ماتَ ذو عِلْمٍ وتقوى ... فقدْ ثُلمتْ منَ الإسلامِ ثلمةْ
وموتُ الحاكمِ العدلِ المُولَّى ... بحكمِ الأرضِ مَنقصةٌ ونقمةْ
وموتُ الفارسِ الضرغامِ هدمٌ ... فكم شهدتْ له بالنصرِ عَزمةْ
وموتُ العابدِ القوَّامِ ليلاً ... يناجي ربَّه في كلِّ ظُلمةْ
وموتُ فتًى كثيرِ الجودِ مَحْلٌ ... فإنَّ بقاءَه خِصبٌ ونِعمةْ
فحسبُكَ خمسةٌ يُبكى عليهمْ ... وباقي الناسِ تخفيفٌ ورحمةْ
وباقي الناسِ هُمْ هَمجٌ رَعاعٌ ... وفي إيجادِهم للهِ حكمةْ

متاع الغرور

من «لطائف المعارف»، قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ[(١)]:

قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللهُ: ﴿مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]: ما يلهيك عن طلب الآخرة، وما لا يلهيك فليس بمتاع الغرور، ولكنه بلاغ إلى ما هو خير.

وقال الحسن: مَن أحب الدنيا وسَرَّتْهُ؛ ذهب خوف الآخرة من قلبه.

باب الافتقار إلى الله تعالى

قال بعض العارفين: أقبلتُ على الله من أبواب الطاعات كلها، فوجدتُ على الأبواب زحامًا، فولجتُ باب الافتقار إلى الله، فوجدت مطلوبي ولم أجد زحامًا[(٢)].

---

(١) انظر: لطائف المعارف، المكتب الإسلامي، ص٥٤١.

(٢) في مدارج السالكين، دار عطاءات العلم، ٢/ ٥١ ما نصه: «ويُحكى عن بعض العارفين قال: دخلت على الله من أبواب الطّاعات كلِّها، فما دخلت من باب إلا رأيت عليه =

خطورة العُجْب

إنك أَنْ تبيت نائمًا وتصبح نادمًا خيرٌ من أَنْ تبيت قائمًا وتصبح معجَبًا، فإن المعجَب لا يصعد له عمل.

وإنك أَنْ تَضْحك وأنت معترف بذنبك خيرٌ من أَنْ تبكي وأنت مُدِلٌّ بعملك[١].

وأنين المذنبين أحب إلى الله من زَجَل المسبّحين المُدِلِّين[٢].

موعظة لعمر بن عبد العزيز

قال خالد بن صفوان لعمر بن عبد العزيز: «يا أمير المؤمنين، إن أقوامًا غرهم ستر الله، وفتنهم حُسن الثناء، فلا يغلبنَّ جهلُ غيرك بك علمَك بنفسك، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مسرورين، وعما افترض الله علينا متخلفين ومقصرين، وإلى الأهواء مائلين، قال: فبكى، ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى»[٣].

إطابة المَطعَم

جاء في كتاب مختصر شعب الإيمان: فَصْلٌ: في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «يا أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا»، إلى أن قال: عن الفضيل بن عياض قال: سُئل سفيان الثوري عن فضل الصف الأول؟ فقال: انظر كسرتك التي تأكل، من أين تأكلها؟ وصلِّ في الصف الأخير.

= الزِّحام، فلم أتمكَّن من الدُّخول، حتّى جئت باب الذُّلِّ والافتقار، فإذا هو أقرب بابٍ إليه وأوسعه، ولا مزاحم فيه ولا معوِّق، فما هو إلا أن وضعتُ قدمي في عَتَبته فإذا هو قد أخذ بيدي وأدخلني عليه».

(١) أي: تَمُنّ بعملك.

(٢) انظر: مدارج السالكين، ط الكتاب العربي، ١/ ١٩٥.

(٣) حلية الأولياء، دار الفكر، ٨/ ١٨.

وعنه أيضًا: انظر درهمك من أين هو؟ وصلِّ في الصف الأخير[(١)].

أثر الشكر والافتقار إلى الله ودعائه

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما أُتِي من أُتِي إلا من قِبَل إضاعة الشكر، وإهمال الافتقار والدعاء، ولا ظفر من ظفر بمشيئة الله وعونه إلا بقيامه بالشكر، وصدق الافتقار والدعاء»[(٢)].

مَن تَكَلَّف من التطوع ما يَتضرر به جسمه

في المجاهدة وسلامة القلب قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في وظائف ذي القعدة: فمن تكلف من التطوع ما يتضرر به في جسمه، أو يمنع به حقًّا واجبًا عليه، كما فعل عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيرُه ممن عزم على ترك المباحات: فإنه يُنهى عن ذلك، ومَن احتمل بدنُه ذلك ولم يمنعه من حق واجب عليه: لم يُنْهَ عن ذلك؛ إلا أن يمنعه عما هو أفضل من ذلك من النوافل، فإنه يُرشَد إلى عمل الأفضل، وأحوال الناس تختلف فيما تحتمل أبدانهم من العمل.

وكان كثير من المتقدمين يحملون على أنفسهم من الأعمال ما يُضر بأجسادهم ويحتسبون أجر ذلك عند الله، وهؤلاء قومٌ أهلُ صدق وجد واجتهاد، فيُحَبُّون على ذلك، ولكن لا يُقتدَى بهم، وإنما يُقتدَى بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن خير الهدي هديه، ومن أطاعه فقد اهتدى، ومن اقتدى به وسلك وراءه وصل إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهى عن التعسير، ويأمر بالتيسير، ودِينه الذي بُعث به يُسْر، وكان يقول: «خير دينكم أيسره»، ورأى رجلًا يكثر الصلاة، فقال: «إنكم أمة أريد بكم اليسر»، ولم يكن أكثر تطوع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخواص أصحابه

---

(١) انظر: مختصر شعب الإيمان، دار ابن كثير، ٨٠ ـ ٨٣.

(٢) الفوائد، دار عطاءات العلم، ١/ ١٤٢.

بكثرة الصوم والصلاة، بل ببر القلوب وطهارتها وسلامتها وقوة تعلقها بالله؛ خشيةً له ومحبةً وإجلالًا وتعظيمًا ورغبةً فيما عنده وزهدًا فيما يَفْنَى.

وفي المسند عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إني أعلمكم بالله وأتقاكم له قلبًا».

قال ابن مسعود رضي الله عنه لأصحابه: «أنتم أكثر صلاة وصيامًا من أصحاب محمد ﷺ، وهم كانوا خيرًا منكم، قالوا: ولِمَ؟ قال: كانوا أزهد منكم في الدنيا، وأرغب في الآخرة».

وقال بكر المزني: ما سبقهم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في صدره.

قال بعض العلماء المتقدمين: الذي وقر في صدره هو حب الله والنصيحة لخلقه.

وقال بعض السلف: ما بلغ مَن بلغ عندنا بكثرة صلاة ولا صيام، ولكن بسخاوة النفوس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة، وزاد بعضهم: واحتقار أنفسهم.

فمن كان بالله أعرف، وله أخوف، وفيما عنده أرغب، فهو أفضل ممن هو دون ذلك، وإن كثر صومه وصلاته.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم، كيف يسبق سهرَ الجاهلين وصيامهم».

ولهذا المعنى كان فضلُ العلم النافع الدال على معرفة الله وخشيته ومحبته ومحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه ـ لا سيما عند غلبة الجهل ـ والتعبدُ به: أفضلَ من التطوع بأعمال الجوارح.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «أنتم في زمانٍ العملُ فيه أفضل من العلم، وسيأتي زمانٌ العلمُ فيه أفضل من العمل».

وقال مطرّف: فضل العلم أحبُّ إليَّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع.

ونص كثير من الأئمة على أن طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، وكذلك الاشتغال بتطهير القلوب أفضل من الاستكثار من الصوم والصلاة مع غش القلوب ودغلها[(١)].

التهاون في إدراك تكبيرة الإحرام

من أقوال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيتَ الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فاغسل يدك منه»[(٢)].

بِمَ يُستعان على غض البصر؟

مِن جامع العلوم والحكم: «سُئل الجنيد: بِمَ يُستعان على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى ما تنظره»[(٣)].

نَقْصُ الإيمان عند حلول المحنة

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ـ لما ذَكر ما وقع من عبد الله بن أُبَيّ في غزوة أحد ـ: فلما انخذل يومَ أُحد انخذل معه خلق كثير، كان كثير منهم لم ينافق قبل ذلك، فأولئك كانوا مسلمين وكان معهم إيمان هو الضوء الذي ضرب الله به المثل، فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق لماتوا على الإسلام، ولم يكونوا من المؤمنين حقًّا الذين امتُحنوا فثبتوا على المحنة، ولا من المنافقين حقًّا الذين ارتدوا عن الإيمان بالمحنة.

وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم، إذا ابْتُلوا بالمحنة التي يتضعضع فيها أهل الإيمان ينقص إيمانهم كثيرًا، وينافق كثير منهم، ومنهم من يُظهِر الردة إذا كان العدو غالبًا.

وقد رأينا من هذا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة، وإذا كانت العافية أو

---

(١) انظر: لطائف المعارف، المكتب الإسلامي، ص٤٤٤ ـ ٤٤٦.

(٢) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة ٤/ ٢١٥.

(٣) جامع العلوم والحكم، دار ابن كثير، ص٣٨٨.

كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين، وهم مؤمنون بالرسل باطنًا وظاهرًا، لكنه إيمان لا يثبت على المحنة، ولهذا يكثر في هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم، وهؤلاء من الذين قالوا: آمنا، فقيل لهم: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، أي: الإيمان المطلق الذي أهله هم المؤمنون حقًّا، فإن هذا هو الإيمان إذا أطلق في كتاب الله تعالى، كما دل عليه الكتاب والسنة، فلم يحصل لهم ريب عند المحن التي تقلقل الإيمان في القلوب(١).

ثلاث من الصبر

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير سورة يوسف: «قال عبد الرزاق: قال الثوري عن بعض أصحابه أنه قال: ثلاث من الصبر: ألا تُحدّث بوجعك، ولا بمصيبتك، ولا تزكّي نفسك»(٢).

أصول الخطايا

أصول الخطايا كلها ثلاثة:

١ ـ الكبر، وهو الذي صَيَّر إبليس إلى ما هو فيه.

٢ ـ الحرص، وهو الذي أخرج آدم من الجنة.

٣ ـ الحسد، وهو الذي جرأ أحد ابني آدم على أخيه.

فمن وُقِي شر هذه الثلاثة فقد وقي الشر(٣).



(١) انظر: مجموع الفتاوى، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٧/ ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(٢) تفسير ابن كثير، دار طيبة، ٤/ ٣٧٥.

(٣) انظر: الفوائد لابن القيم، عطاءات العلم، ١/ ٨٠.



القسم الرابع
فوائد متنوعة

مَن كان له وِرد مشروع فإنه يصليه حيث كان

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن كان له وِرد مشروع من صلاة الضحى أو قيام ليل أو غير ذلك فإنه يصليه حيث كان، ولا ينبغي له أن يدع ورده المشروع لأجل كونه بين الناس، إذا علم الله من قلبه أنه يفعله سرًّا لله، مع اجتهاده في سلامته من الرياء ومفسدات الإخلاص»[(١)].

تعريف حُسن الخلق عند الإمام أحمد

«قال الإمام أحمد: حُسن الخُلق ألا تغضب ولا تَحْتَدَّ، وعنه أنه قال: حُسن الخُلق أن تحتمل ما يكون من الناس»[(٢)].

أركان حُسن الخُلق

من كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حُسن الخُلق يقوم على أربعة أركان، لا يُتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل»[(٣)].

قاعدة سد الذرائع

قاعدة سد الذرائع استدل لها شيخ الإسلام بأربعة وعشرين وجهًا[(٤)]،

---

(١) مجموع الفتاوى، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٣/ ١٧٤.
(٢) جامع العلوم والحكم، دار ابن كثير، ص٤٣٠.
(٣) مدارج السالكين، دار عطاءات العلم، ٣/ ٣١.
(٤) انظر: الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، ٦/ ١٩ ـ ١٧٢.

ونقل عليها الإجماعَ الشاطبيُّ وغيره من أهل العلم(١).

حكم الاستشهاد بالشِّعر في الخُطَب

قال الشيخ بكر أبو زيد ـ غفر الله له ورحمه ورضي عنه ـ: «لا أعرف في خُطب النبي ﷺ ولا في خطب الصحابة رضي الله عنهم الاستشهادَ بالشعر ببيت فصاعدًا، وعلى هذا جرى التابعون لهم بالإحسان.

وقد استمرأَ بعض الخطباء في القرن الرابع عشر تضمين خطبة الجمعة البيتَ من الشعر فأكثر، بل ربما صار الاستشهاد بمقطوعات شعرية متعددة، وربما كان إنشاد بيت لمبتدع أو زنديق أو ماجن.

والمقام في خطبة الجمعة مقام له خصوصيات متعددة يخالف غيره من المقامات في الدروس والمحاضرات والوعظ والتذكير، وهو مقام عظيم لتبليغ هذا الدين صافيًا، يجهر فيه الخطيب بنصوص الوحيين الشريفين، وتعظيمهما في القلوب، والبيان عنهما بما يليق بمكانتهما ومكانة فرائض الإسلام، فلا أرى لك أيها الخطيب للجمعة إلا اجتناب الإنشاد في خطبة الجمعة؛ تأسيًا بالنبي ﷺ، وهو بك أجمل وبمقامك أكمل، والله المستعان»(٢).

---

(١) انظر: الموافقات، دار ابن عفان، ٣/ ٥٠٩، ٤/ ٦٦، ٤/ ١١١. ومن الكلام القيّم للعلامة ابن القيم: ما قاله بعد ذِكر تسعة وتسعين وجهًا دالًّا على سد الذريعة في الشرع: «ولنقتصر على هذا العدد من الأمثلة الموافقِ لأسماء الله الحسنى، التي من أحصاها دخل الجنة؛ تفاؤلًا بأن من أحصى هذه الوجوهَ وعلم أنها من الدين وعمل بها: دخل الجنة؛ إذ يكون قد اجتمع له معرفةُ أسماء الرب عز وجل ومعرفةُ أحكامه، ولله وراء ذلك أسماء وأحكام. وباب سدّ الذرائع أحد أرباع التكليف؛ فإنه أمرٌ ونهيٌ، والأمر نوعان؛ **أحدهما**: مقصود لنفسه، **والثاني**: وسيلة إلى المقصود، والنهي نوعان؛ **أحدهما**: ما يكون المنهيُّ عنه مفسدةً في نفسه، **والثاني**: ما يكون وسيلة إلى المفسدة؛ فصار سدُّ الذرائع المفضية إلى المحرَّم أحدَ أرباع الدين»، أعلام الموقعين، عطاءات العلم، ٤/ ٤٣.

(٢) تصحيح الدعاء، دار العاصمة، ص٩٩. **وذهب الشيخ** عبد العزيز بن باز رحمه الله إلى جواز =

حكم تمثيل الصلاة وغيرها من العبادات

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: بعض الناس في مشاهد التمثيليات يجعلون إنسانًا يصلي على أنها تمثيلية، وهذا حرام عليهم، لا يجوز أن تُمَثَّل العبادات تمثيلَ مشاهدة للمرح أو ما أشبه ذلك، بل يجب الكف عن هذا.

وكذلك بعضهم يأتي بقرآن وما أشبه ذلك، كل هذا لا يجوز في مثل هذه الأشياء التي هي للمرح والترويح عن النفس دون قصد التعليم(١).

فوائد من اقتضاء الصراط المستقيم

قال الشيخ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «اقتضاء الصراط المستقيم» في ذكر مفاسد البدع: «ومنها: مسارقة الطبع إلى الانحلال من ربقة الاتباع وفوات سلوك الصراط المستقيم، وذلك أن النفس فيها نوع من الكبر، فتحب أن تَخرج من العبودية والاتباع بحسب الإمكان، كما قال أبو عثمان النيسابوري رَحِمَهُ اللَّهُ: ما ترك أحد شيئًا من السنة إلا لكبر في نفسه»، انتهى(٢).

وراجع هذا الموضع فإنه قَيِّم، فَنَّد فيه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ المفاسد الموهومة للبدع والشبهات، من صدورها أحيانًا من أهل علم وفضل أو ما يجده صاحبها من رقة قلبه ونحو ذلك.

أبو عثمان النيسابوري: قال المحقق ـ حفظه الله ووفقه وبارك فيه ـ: «الصابوني الشافعي، حافظ واعظ مفسر، من أئمة السنة، توفي سنة (٤٤٩هـ)، وعمره (٧٧) سنة»(٣).

= استشهاد الخطيب بأبيات من الشعر؛ على أن يكون ذلك بقدْر، وبحُسن اختيار؛ مستدلًّا بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن من الشعر لحكمة».

(١) انظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، طبعة مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، ١/ ٢٤٦.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، دار عالم الكتب، ٢/ ١٢٠.

(٣) المرجع السابق، ٢/ ١٢٠.

وقال ابن تيمية رحمه الله: «لم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم في بلاد الإسلام لا الحجاز ولا الشام ولا اليمن ولا العراق ولا خراسان ولا مصر ولا المغرب مسجدٌ مبني على قبر، ولا مَشهَد يُقصد للزيارة أصلًا، ولم يكن أحد من السلف يأتي إلى قبر نبي أو غير نبي لأجل الدعاء عنده، ولا كان الصحابة يقصدون الدعاء عند قبر النبي ﷺ، ولا عند قبر غيره من الأنبياء، وإنما كانوا يُصَلُّون ويُسَلِّمون على النبي ﷺ وعلى صاحبيه»[(١)].

وقال رحمه الله: «قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢]، قال أبو قلابة: هي لكل مبتدع من هذه الأمة إلى يوم القيامة».

قال المحقق: أخرجه ابن جرير في تفسيره، وقال: كل مُفْتَرٍ، بَدَل: مبتدع.

ثم قال الشيخ رحمه الله: وهو كما قال، فإن أهل الكذب والفرية عليهم من الغضب والذلة ما أوعدهم الله به، والشركُ وسائر البدع مبناها على الكذب والافتراء، ولهذا فإن كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد كان إلى الشرك والابتداع والافتراء أقرب، كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل الأهواء وأعظمهم شركًا، فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم ولا أبعد عن التوحيد، حتى إنهم يُخْرِبون بيوت الله التي يُذكر فيها اسمه، فيعطلونها عن الجُمُعَات والجَمَاعات، ويَعمرون المشاهد التي أُقيمت على القبور[(٢)].

وقال رحمه الله: «ثم إن الضالين تجد عامة دينهم إنما يقوم بالأصوات المطربة، والصور الجميلة، فلا يهتمون بأمر دينهم بأكثر من تلحين الأصوات.

---

(١) المرجع السابق، ٢/ ٢٨٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٢/ ٢٨١.

ثم تجد قد ابتُليت هذه الأمة من اتخاذ السماع المطرب بسماع القصائد وإصلاح القلوب والأحوال به ما فيه مضاهاة لبعض حال الضالين»[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣]، فأخبر أن كل واحدة من الأمتين تجحد كل ما الأخرى عليه.

وأنت تجد كثيرًا من المتفقهة إذا رأى المتصوفة والمتعبدة لا يراهم شيئًا ولا يعدهم إلا جهالًا ضُلالًا، ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدى شيئًا، وترى كثيرًا من المتصوفة والمتفقِّرة لا يرى الشريعة ولا العلم شيئًا بل يرى أن المستمسك بهما منقطع عن الله، وأنه ليس عند أهلها شيء مما ينفع عند الله.

والصواب أن ما جاء به الكتاب والسنة من هذا وهذا حقٌّ، وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا باطل»[(٢)].

قال المحقق ـ حفظه الله ووفقه وبارك فيه ـ: «الـمُتَفقِّرة: هم طائفة من دراويش الصوفية الذين يُظهرون الفقر ويتكلفونه، ويتعبدون على جهل، ويَنشدون العزلة أو السياحة الهائمة دون قصد، وينتقصون العلم الشرعي، ويرونه عِلمًا بالظاهر لا ينفع صاحبه، وأكثرهم من ضعاف العقول، ولبعض العامة الجاهلين فيهم اعتقادات، ويسمونهم المجاذيب أو الدراويش وأهل الله، ويزعمون أن الله وضع سِرَّه فيهم... إلخ من الاعتقادات الباطلة، نسأل الله السلامة والعافية»[(٣)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمع المسلمون على أن مواقيت الصوم والفطر والنسك إنما تقام بالرؤية[(٤)].

---

(١) المرجع السابق، ١/ ٩٠ ـ ٩١. وعلق المحقق على قول شيخ الإسلام السابق: «ثم تجد»، فقال: «في العبارة غموض، وتتضح إذا زدنا (أنه)؛ لتكون: ثم نجد أنه قد...».

(٢) انظر: المرجع السابق، ١/ ٩١.

(٣) المرجع السابق، ١/ ٩١.

(٤) انظر: المرجع السابق، ١/ ٢٨٦.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «طريقة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أنهم يأمرون الخلق بما فيه صلاحهم، وينهونهم عما فيه فسادهم، ولا يشغلونهم بالكلام في أسباب الكائنات كما تفعل المتفلسفة، فإن ذلك كثير التعب، قليل الفائدة، أو موجِب للضرر.

ومثال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثال طبيب دخل على مريض، فرأى مرضه فعَلِمه، فقال له: اشرب كذا، واجتنب كذا، ففعل ذلك، فحصل غرضه من الشفاء.

والمتفلسف قد يطوّل معه الكلام في سبب ذلك المرض، وصفته، وذمه، وذم ما أوجبه.

ولو قال له المريض: فما الذي يشفيني منه؟ لم يكن له بذلك علم تام.

والكلام في بيان تأثير بعض هذه الأسباب قد يكون فيه فتنة لمن ضعف عقله ودينه، بحيث تختطف عقله فيتأله[(١)] إذا لم يرزق من العلم والإيمان ما يوجب له الهدى واليقين.

ويكفي العاقلَ أن يعلم أن ما سوى المشروع لا يؤثر بحال، فلا منفعة فيه، أو أنه وإن أثّر فضرره أكثر من نفعه»، انتهى[(٢)].

حكم التصفيق

قال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله ورضي عنه ورفع درجته: التصفيق في الحفلات ليس من عادة السلف الصالح، وإنما كانوا إذا أعجبهم الشيء سبحوا أحيانًا أو كبَّروا، لكنهم لا يُسبِّحون ولا يكبِّرون تكبيرًا جماعيًّا، بل

---

(١) جاء في تحقيق اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٢١٣، ما نصه: يتأله؛ أي: يتحير أو يتنسك. انظر القاموس المحيط، فصل الهمزة، باب الهاء (٤/ ٢٨٢)، والمنجد في اللغة (١٦): أله. والمعنى هنا ـ والله أعلم ـ: أن المشتغل بهذه الفلسفة تُهيمن على عقله وتُعمي بصيرته، وتَجعله حيران، أو هائمًا في طريق التعبد والتنسك الخاطئ، كتنسك النصارى وبعض المتصوفة والفلاسفة على غير هدى من الله.

(٢) المرجع السابق، ٢/ ٢١٢ ـ ٢١٣.

كل واحد يكبِّر لنفسه أو يسبِّح لنفسه، دون أن يكون هناك رفع صوت بحيث يسمعه مَن بقربه، فالأولى الكف عن التصفيق.

المسألة الملقبة بـــ: عندي درهم ونصفه

مسألةٌ معروفة عند أهل العربية بمسألة: عندي درهم ونصفه.

انظر كلام الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ عليها في تفسير سورة الأحزاب ـ آخرها ـ[1].

---

(١) قال رَحِمَهُ اللَّهُ في أضواء البيان، دار عطاءات العلم، ٦/ ٦٦٧: «قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] الظاهر أن المراد بالإنسان آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وأن الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ راجع للفظ الإنسان مجردًا عن إرادة المذكور منه الذي هو آدم، والمعنى: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الإنسان الذي لا يحفظ الأمانة، ﴿كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ أي: كثير الظلم والجهل، والدليل على هذا أمران:

أحدهما: قرينة قرآنية دالة على انقسام الإنسان في حمل الأمانة المذكورة إلى معذب ومرحوم في قوله تعالى بعده متصلًا به: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا﴾ [الأحزاب: ٧٣]، فدل هذا على أن الظلوم الجهول من الإنسان هو المعذب والعياذ بالله، وهم المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات، دون المؤمنين والمؤمنات، واللام في قوله: ﴿لِّيُعَذِّبَ﴾ لام التعليل، وهي متعلقة بقوله: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾.

الأمر الثاني: أن الأسلوب المذكور الذي هو رجوع الضمير إلى مجرد اللفظ دون اعتبار المعنى التفصيلي معروف في اللغة التي نزل بها القرآن، وقد جاء فعلًا في آية من كتاب الله، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١]؛ لأن الضمير في قوله: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ راجع إلى لفظ المعمَّر دون معناه التفصيلي كما هو ظاهر، وقد أوضحناه في سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وبيَّنَّا هناك أن هذه المسألة هي المعروفة عند علماء العربية بمسألة: عندي درهم ونصفه، أي: نصف درهم آخر كما ترى، وبعض مَن قال مِن أهل العلم: إن الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ عائد =

معنى كلمة: غَابِر

قال النحاس: «يقال للذاهب غابر، وللباقي غابر»[١].

وايم الله

«وايم الله؛ همزته همزة وصل عند الجمهور، وقيل: يجوز القطع»[٢].

فائدة من ابن سيرين

كان ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا قَصَّ عليه رجل أنه رأى النبي ﷺ قال: صِفْ لي الذي رأيته؟ فإن وَصَفَ له صفة لا يعرفها قال: لم تره[٣].

مراد النووي بقوله: جائز بالاتفاق

قال الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قول النووي في المجموع: جائز بالاتفاق، يعني: اتفاق أهل مذهبه، وقد تتبعتُ مواضع كثيرة في كلامه فوجدت أنه يعني أصحابه[٤].

فائدة تتعلق بكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب

فائدة من كتاب «التمهيد بشرح كتاب التوحيد» للشيخ صالح آل الشيخ وفقه الله:

«كتاب التوحيد» صنفه إمام الدعوة ابتداءً في البصرة لما رحل إليها؛ لِمَا

= إلى آدم، قال: المعنى: إنه كان ظلومًا لنفسه، جهولًا أي: غرًا بعواقب الأمور وما يتبع الأمانة من الصعوبات، والأظهر هو ما ذكرنا، والعلم عند الله تعالى».

(١) معاني القرآن، جامعة أم القرى، ٥/ ٩٩.

(٢) فتح الباري، دار المعرفة، ٦/ ٥٩٨.

(٣) انظر: تغليق التعليق، المكتب الإسلامي، ٥/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٢/ ٣٨٤: «سنده صحيح».

(٤) انظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، طبعة مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، ٧/ ٣٣٠.

رأى من شيوع الشرك بالله جل جلاله، ومن ضياع مفهوم التوحيد الحق عند بعض المسلمين، ثم لما قدم نجدًا حرر الكتاب وأكمله.

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسط القول في توحيد الألوهية؛ لأن التصانيف قبله اعتنى فيها العلماء ـ علماء السنة والعقيدة ـ ببيان توحيدي الربوبية والأسماء والصفات، فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسط القول فيما الناسُ أحوج إليه، ويفتقدون التصنيف فيه(١).

فائدة من الشيخ عبد الرحمن البراك

فائدة من الشيخ عبد الرحمن البَرَّاك ـ حفظه الله ـ: العلماء يتنازعهم في المآخذ منزعان:

- الميل إلى الظاهر.
- والأخذ بالمعاني والحكم والعلل.

إذا كانت العلل والحِكَم خفيةً: قوي الميل إلى الأخذ بالظاهر، والعكس إذا كانت الحِكَم والعلل والمعاني ظاهرةً: قوي الأخذ بها وتعليق الحكم بها.

التشديد كلٌّ يحسنه

قال الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنما العلم عندنا الرُّخَص عن الثقة، فأما التشديد فكلّ إنسان يُحْسِنه»(٢).

السلام على الظلمة

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن اضطُر إلى السلام على الظلمة... سَلَّم عليهم،

(١) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، دار التوحيد، المقدمة، ص٧ ـ ٨.

(٢) حلية الأولياء، دار الفكر، ٦/ ٣٦٧. **ومعنى هذه العبارة:** أن العِلْم ليس بالتشديد على الناس والتضييق عليهم، وإنما العلم أن تأتيَ الرخصةُ من عالم، بحيث يجد للناس مخرجًا لا يخالف الشرع، وليس المراد بذلك تتبعَ الرُّخص، فإنه أمر محرَّم.

وقال ابن العربي المالكي: ينوي حينئذ أن السلام اسمٌ من أسماء الله تعالى، ومعناه: الله رقيب عليكم»[(١)].

الطمع بما لدى الناس وإنكار المنكر

قال ابن الجوزي: من لم يَقطع الطمع من الناس من شيئين لم يَقدر على الإنكار؛ أحدهما: مِن لطفٍ ينالونه به. والثاني: عن رضاهم عنه وثنائهم عليه[(٢)].

خِطَاب النووي رحمه الله لنائب الخليفة

فائدة مهمة: طَالِع خِطَاب النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لنائب الخليفة بطلب إيصال كتابهم الموجَّهِ للظاهر بيبرس بطلب العدل في الرعية وإزالة المكوس والرفق بالرعية، لاسيما مع ما أصابهم في ذلك العام من ضيق العيش[(٣)].

حضور أماكن المنكر

قال شيخ الإسلام: «ليس للإنسان أن يحضر الأماكن التي يَشهد فيها المنكرات ولا يمكنه الإنكار إلا لموجِب شرعي، مثل أن يكون هناك أمر يحتاج إليه لمصلحة دينه أو دنياه لا بد فيه من حضوره أو يكون مُكْرَهًا»[(٤)].

آفة السكوت على المنكَر

قال ابن العربي: «والسكوت على المنكر تتعجل عقوبته في الدنيا؛ بنقص الأموال، والأنفس، والثمرات، وركوب الذل من المظلمة للخلق»[(٥)].

(١) المجموع شرح المهذب، الطبعة المنيرية، ٤/ ٦٠٣، الأذكار، دار الفكر، ص٢٥٥.
(٢) الآداب الشرعية، عالم الكتب، ١/ ١٩٣.
(٣) انظر: تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين، لابن العطار، الدار الأثرية، ص٩٨ ـ ١٠١، وانظر أيضًا: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي، دار إحياء الكتب العربية، ٢/ ٩٧.
(٤) مجموع الفتاوى، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٨/ ٢٣٩.
(٥) عارضة الأحوذي، دار الكتب العلمية، ٩/ ١٢.

=

إذا خاف أحدُكم

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إذا خاف أحدُكم السلطان الجائر فليقل: اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، كُنْ لي جارًا من فلان بن فلان وأتباعه من خلقك من الجن والإنس؛ أن يَفرُط عليَّ أحدٌ منهم أو أن يطغى، عَزَّ جارُك، وجلَّ ثناؤك، لا إله إلا أنت»(١).

إِمَارةُ الصبيان

روى البخاري رحمه الله في صحيحه قال: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا إسرائيل أبو موسى ولقيته بالكوفة جاء إلى ابن شبرمة، فقال: أدخِلْني على عيسى فأعظه، فكأن ابن شبرمة خاف عليه فلم يفعل(٢).

قال ابن حجر رحمه الله: «أبو موسى» هي كنية إسرائيل، واسم أبيه موسى، وهو بصري، كان يسافر في التجارة إلى الهند، وأقام بها مدة، وابن شبرمة هو عبد الله، قاضي الكوفة في خلافة أبي جعفر المنصور، ومات في خلافته سنة ١٤٤هـ، وكان صارمًا عفيفًا ثقة فقيهًا.

وقوله: «أدخِلْني على عيسى»: هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ابن أخي المنصور، وكان أميرًا على الكوفة إذ ذاك.

ولعل سبب خوف ابن شبرمة عليه أنه كان صادعًا بالحق، فخَشِيَ أنه لا يتلطف بعيسى فيبطش به؛ لما عنده من غرة الشباب وغرة الملك.

= **تنبيه**: لعل محل كلام ابن العربي: فيمن وجب عليه الإنكار فلم يفعل. وسيأتي ـ إن شاء الله ـ قسمٌ خاصٌّ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حكمه، ومكانته، ونتائج الإخلال به، وغير ذلك من المسائل المهمةِ المتصلةِ به.

(١) أخرجه إسماعيل الأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٢٧٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢/ ٥٣٨: «وهو موقوف يحتمل أن يكون في حكم المرفوع، وإسناده صحيح...».

(٢) أخرجه البخاري (٧١٠٩).

قال ابن بطال: ذلك من صنيع ابن شبرمة على أنَّ من خاف على نفسه سقط عنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، انتهى[(١)].

ومن حاشية مسلم: «وفي البخاري: «هلاك أمتي على يدي أُغَيلِمَة من قريش»، وهذا الهلاك بَيَّنه في حديث: «أعوذ بالله من إمارة الصبيان، إن أطعتموهم هلكتم، وإن عصيتموهم أهلكوكم»، قال الطبري: المراد: بعضُ الحيّ ـ على قوله: «يهلك أمتي هذا الحي من قريش» ـ، وكان الهلاك على أيديهم لصغرهم وعدم تجربتهم للأمور، ولم يرد الأمة جميعها، بل من وُجد في زمن الأغيلمة»[(٢)].

قوله ﷺ: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[(٣)]، قال ابن حجر رحمه الله: «في هذه القصة من الفوائد: عَلَم من أعلام النبوة، ومنقبة للحسن بن علي رضي الله عنهما، فإنه ترك الملك لا لقلة ولا لذلة ولا لعلة، بل لرغبته فيما عند الله؛ لِما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين، ومصلحة الأمة، وفيها رد على الخوارج، ومن ثَمَّ كان سفيان بن عيينة يقول عقب هذا الحديث: قوله: «من المسلمين» يعجبنا جدًّا[(٤)]، وفيه فضيلة الإصلاح بين الناس، ولا سيما في حقن دماء المسلمين، ودلالة على رأفة معاوية بالرعية وشفقته على المسلمين وقوة نظره في تدبير الملك ونظره في العواقب»[(٥)].

ورأفة معاوية مستنبطة من قوله رضي الله عنه: «مَنْ لذراري المسلمين»[(٦)] يعني: إن تقاتَلَ جَمعُه وجَمعُ الحسن رضي الله عنهما.

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر، دار المعرفة، ١٣/ ٦٢.
(٢) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار المنهاج، ٢٦/ ١٨٤.
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٢٩).
(٤) وجه الرد على الخوارج: أن النبي ﷺ سمى الفئتين المقتتلتين «المسلمين»، فدل على أنهما لم تكفرا بذلك، بخلاف ما ذهب إليه الخوارج.
(٥) فتح الباري لابن حجر، دار المعرفة، ١٣/ ٦٦ ـ ٦٧.
(٦) أخرجه البخاري (٧١٠٩).

وفي رواية للبخاري: «إن قَتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور الناس؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟»(١)، و«ضيعتهم: الأطفال والضعفاء، سُمّوا باسم ما يؤول إليه أمرهم؛ لأنهم إذا تُركوا ضاعوا لعدم استقلالهم بأمر المعاش»(٢).

الخروج على ذي السلطان

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولعله لا يكاد يُعرف طائفةٌ خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته»(٣).

ينظر إلى العاصي بنظر الرحمة

قال في حاشية «العقد الثمين في بيان مسائل الدين»: «يُنظر إلى العاصي بنظر الرحمة، ويُرى إقدامه على المعصية مصيبة على نفسه؛ لكون المسلمين كنفس واحدة، فإن من أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر فهو على شفير جهنم، فإياك أن تدفعه في قعر جهنم؛ إذ قد يتعلق بك فتقع معه فيها، وذلك أنك إذا أمرته بالغلظة فلعله يَتقوّى عليك بالأذى باليد واللسان، فتكون قد زدته شرًّا على شره، فتهلكه بعد إهلاكه نفسك»، انتهى(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

(٢) فتح الباري لابن حجر، دار المعرفة، ١٣/ ٦٤.

(٣) منهاج السنة النبوية، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، ٣/ ٣٩١. ومن كلام العلامة ابن القيم في أعلام الموقعين، عطاءات العلم، ٤/ ٤٢: «الوجه الثامن والتسعون: نهيُه عن قتال الأمراء والخروج على الأئمة ـ وإن ظلموا أو جاروا ـ ما أقاموا الصلاة؛ سدًّا لذريعة الفساد العظيم والشر الكثير بقتالهم كما هو الواقع، فإنه حصل بسبب قتالهم والخروج عليهم أضعافُ أضعافِ ما هم عليه، والأمة في بقايا تلك الشرور إلى الآن. وقال: «إذا بُويع لخليفتين فاقتلوا الآخِرَ منهما» سدًّا لذريعة الفتنة».

(٤) العقد الثمين، دار ابن حزم، ص٤٧٢.

العقد الثمين: تأليف علي بن أبي السعود الشافعي.

كما جاء في المتن(١): ينبغي أن يراعي فيه(٢) التدريج، فيبدأ أولًا بالأسهل الأرفق، كالوعظ والنصيحة والتخويف بالله، فإن لم يرجع أغلظ له الكلام وسبَّه من غير فحش، مثل: يا فاسق، أو يا جاهل، أو يا من لا يخاف الله تعالى.

وَلْيحذر في استرسال غضبه من كذب صريح، وفحش قبيح، وليحذر مما يفعله كثيرٌ من الاسترسال في الضرب بعد زوال المنكر، فإن ذلك للحاكم فقط.

فإن لم يقدر بفعله ولا بقوله فيجب الإنكار بقلبه، بأن يَحزن ويَكره ذلك ويَودَّ أن له قدرةً فيغيره.

وهذا أمر صعب، فإنه يظهر في كل حين وزمان كثيرٌ من المنكرات فلا تُغَيَّر؛ بل يقع السكوت عنها لاستئناس النفوس بها، وكلما وُجد منكرٌ وجاء بعده غيرُه صار سنةً قد أَلِفَتْها النفوس، فكأنه قد زالت مُنْكَرِيَّتُه.

قال بعض العلماء: والله ما أُبالي بكثرة المنكرات والبدع، وإنما أخاف من تأنيس القلب بها، انتهى(٣).

وانظر هذه الجملة الأخيرة في تنبيه الغافلين(٤).

صور من شح النفوس

١ ـ في قيادة السيارة.

---

(١) أي: متن الكتاب المشار إليه.

(٢) أي: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٣) انظر: العقد الثمين، دار ابن حزم، ص٤٧٢ ـ ٤٧٣.

(٤) انظر: تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، دار الكتب العلمية، ص١٠٦.
ويُنَبَّه إلى أن معنى الجملة الأخيرة: أن كثرة المنكرات والبدع مصيبة؛ لكن الأشد من ذلك تأنيس القلب بها، فلا يعني النقلُ السابق التهوينَ من شأن المنكرات!

٢ ـ تَأَخُّر الأهل في تقديم الطعام.

٣ ـ التبسم.

٤ ـ إلقاء السلام.

٥ ـ رد السلام.

٦ ـ الكلمة الطيبة.

٧ ـ التبكير للدوام، ولسائر الارتباطات، ومثله التوجه للمطار.

٨ ـ التبكير للصلاة، ترى من هو جالسٌ هكذا وإخوانه في المصلى، وقد قرب وقت الصلاة، وربما كان في الثلث الأخير من الليل.

٩ ـ إذا باع وإذا اشترى وإذا قضى وإذا اقتضى.

حينما عطست امرأة الإمام أحمد

قال ابن مفلح في الآداب الشرعية: «قال ابن الجوزي: وقد روينا عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه كان عنده رجل من العُبّاد فعطست امرأة أحمد، فقال لها العابد: يرحمكِ الله، فقال أحمد رحمه الله: عابد جاهل»، انتهى[(١)].

لماذا لُقِّب حاتم بالأصم؟

من مدارج السالكين لابن القيم: «قال أبو علي الدقاق: جاءت امرأة فسألت حاتمًا عن مسألة، فاتفق أنه خرج منها صوت في تلك الحالة، فخجلت، فقال حاتم: ارفعي صوتكِ، فأوهمها أنه أصم، فَسُرَّت المرأة بذلك، وقالت: إنه لم يَسمع الصوت، فلُقِّب بحاتم الأصم»[(٢)].

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، دار عالم الكتب، ٢/٣٤١. **تنبيه**: وجه قول الإمام أحمد «عابدٌ جاهل»: أنه لا يسن للرجل تشميت المرأة الأجنبية.

(٢) مدارج السالكين، دار عطاءات العلم، ٣/٩٣ ـ ٩٤.

التعامل مع الخَصْم

قال ابن القيم[(١)]: «... أن تُقَرِّب من يقصيك، وتكرم من يؤذيك، وتعتذر إلى من يجني عليك؛ سماحةً لا كظمًا، ومُوَادَّةً لا مصابرةً»...، ومن أراد فهم هذه الدرجة كما ينبغي فلينظر إلى سيرة النبي ﷺ مع الناس يجدها هذه بعينها، ولم يكن كمال هذه الدرجة لأحد سواه، ثم للورثة منها بحسب سهامهم من التركة.

وما رأيت أحدًا قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ، وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه، وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم.

وجئت يومًا مبشرًا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له، فنهرني وتَنَكَّر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام، فَسُرُّوا به ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه، فرحمه الله ورضي عنه[(٢)].

سبب تسمية محافظة المِذْنَب بهذا الاسم

ذكر لي أحد الإخوة من المِذْنَب[(٣)] أن سبب تسمية المِذْنب بهذا الاسم ـ فيما بلغه ـ أنه تجتمع فيها أذناب الأودية؛ أي: نهاياتها.

وجاء في كتاب روضة الأنوار في سياق غزوة الأحزاب: وأقبلت قريش،

---

(١) ما بين الأقواس كلامُ صاحب منازل السائرين، وهو الشيخ أبو إسماعيل الهروي، وما عداه كلام ابن القيم.

(٢) انظر: مدارج السالكين، دار عطاءات العلم، ٣/ ٩٤ ـ ٩٥.

(٣) المِذْنَب: هي إحدى مُحافَظات منطقة القصيم، في المملكة العربية السعودية.

فنزلوا بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة، وأقبلت غطفان فنزلوا بِذَنَبِ نقمى إلى جانب أُحد(١).

صعود المنابر

قيل لعبد الملك بن مروان: أسرع إليك الشيب! قال: كيف لا، وأنا أعرض عقلي في كل جمعة على الناس. وقال مَرَّةً: شيبني صعود المنابر وتوقع اللحن(٢).

وقال عبيد الله بن زياد: نِعْم الشيء الإمارة، لولا قعقعة البريد، وصعوبة المنبر(٣).

فائدة نفيسة من الخليل بن أحمد

قال الخليل بن أحمد: «اجعل تعليمك دراسة لك، واجعل مناظرة العالم تنبيهًا لما ليس عندك، وأكثِرْ من العلم لتعمل، وأَقْلِلْ منه لتحفظ»(٤).

أفضل عزاء

حدثني الأخ (. . .) أنه لما توفيت زوجته فجأة حزن عليها حزنًا شديدًا، وبكى عليها كثيرًا حتى إن عينيه تأثرتا، بحيث إنه مُنع تلك الأيام من ممارسة عمله.

يقول: وكان مِن أحسن مَن عزاه إمام مسجدهم، حيث قال له: لو كان الذي أخذ زوجتك أحد البشر لقلتُ: لا خير فيك إن لم تجتهد ولو بذلت نفسك لاستردادها.

---

(١) انظر: روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، دار السلام، ص١٢٤.
(٢) انظر: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ٩/ ٦٤.
(٣) انظر: عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، ٢/ ٢٨٢، محاضرات الأدباء، شركة دار الأرقم، ١/ ١٧٤.
(٤) جامع بيان العلم وفضله، دار ابن الجوزي، ١/ ٥٢٢.

أمَا وقد أخذها مالكها فليس لك إلا أن ترضى وتسلِّم.

ثم هب أنها عاشت عما قُدِّر لها يومًا واحدًا فزَلَّت بها قدم إلى فاحشة أو زاغ قلبها، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، أوليس خيرًا لك ولها أنها توفيت وهي على خير وأنت راضٍ عنها!

يقول: فلم يعزني أحد بأحسن من ذلك.

من لطف الله بالناس إذا ضعف إيمانهم بالغيب

من لطف الله إذا خَفَّ إيمان الناس بالغيب أن يقَيَّض لهم معجزات وأمورًا مادية؛ إقامةً للحجة عليهم.

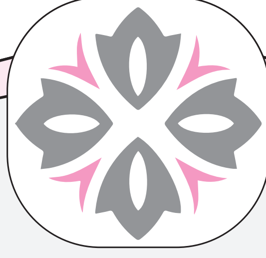
قال ابن حجر في فتح الباري: «وروينا في كتاب مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا في قصة طويلة في معنى سرعة الإجابة بالحرم للمظلوم فيمن ظلمه، قال: فقال عمر: كان يُفعل بهم ذلك في الجاهلية ليتناهوا عن الظلم؛ لأنهم كانوا لا يعرفون البعث، فلما جاء الإسلام أَخَّر القصاص إلى يوم القيامة.

وروى الفاكهي من وجه آخر عن طاوس: قال يوشك ألا يصيب أحدٌ في الحرم شيئًا إلا عُجلت له العقوبة.

فكأنه أشار إلى أن ذلك يكون في آخر الزمان عند قبض العلم وتناسي أهل ذلك الزمان أمور الشريعة، فيعود الأمر غريبًا كما بدأ»(١)، والله أعلم.



(١) فتح الباري لابن حجر، دار المعرفة، ٧/ ١٥٨.



الورقة الثانية

مُرَاسَلات

وجهة نظر تجاه تعليم المرأة المعاصر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه. وبعدُ:

فحيث إن الأولاد أمانة أُؤتُمِنَّا عليهم، ورَعِيُّةٌ نحن مسؤولون عنهم، وحيث إن أَمْر التعليم من الأمور المهمة وله أثره البالغ في حياة المتعلِّم، لذا فإني أعرض نظرتي في هذا الموضوع على مَن ألتمس منهم النصح والمشورة والرأي السديد، فما ندم من استخار الخالق واستشار المخلوقين(١).

❖ أولا: عيوب تعليم المرأة المعاصر؛ منها:

١ ـ خروج المتعلمة نصف النهار أو قريبًا من ذلك خارج بيتها منذ تَفَتُّحِها على الحياة وعلى مدى عام دراسي كامل، ولمدة تستمر ست عشرة سنة دراسية في الغالب المعتاد، وقد تَقِلّ وقد تزيد.

وهذا ـ حسب ما أفهم ـ فيه مخالفة لقول الله ﷻ: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

٢ ـ طريقة التعليم: حيث تُدَرَّس ما يدرسه الذَّكَر، وبالطريقة نفسها، وقد يكون ذهابها إلى المدرسة وإيابها بحافلة تجوب بها كثيرًا من أحياء البلد.

إن هذا وما قبله له أثره في إضعاف الصفات الأنثوية الفطرية، وإحلال صفات الاسترجال محلها.

كذلك من آثاره: استثقال طول القرار في البيت.

٣ ـ نوع العلوم التي تَدْرُسُها: حيث تدرَّس من العلوم ما لا تحتاج إليه

---

(١) تاريخ هذه الورقة ـ تقريبًا ـ: ١٤١٤هـ.

مما يستهلك جهدًا ووقتًا، وما لا حاجة إليه فالخير في تركه والانشغال بما هو أهم وأنفع.

بل إنها تَدْرُسُ من العلوم ما لا يحتاجه إلا الرجال مما هو متعلق بقوامتهم على النساء، وتهيئتهم للكسب والضرب في الأرض.

٤ ـ انقطاعها عن أهلها ساعات طويلة وهي في البيت بسبب انكبابها على دروسها، فهذا واجب وهذا اختبار وهذا نشاط، والطالبات يهتممن ـ عادةً ـ بواجباتهن وما يُكلَّفن به اهتمامًا زائدًا يفوق ـ في الغالب ـ اهتمام الطالب؛ بتنميق العمل وتلوينه وتحسينه، مما يستهلك وقتًا كبيرًا.

٥ ـ مما ينتج عما سبق: قِلة خبرتها في تدبير شؤون البيت وإن أَلَمَّت بالأشياء الأساسية؛ لكنْ فرقٌ بينها وبين من رُبيت تربيةَ ربةِ بيتٍ.

❖ ثانيا: بعض المَلاحِظ والمآخذ التي قد تُقال عن عدم إكمال تدريس المرأة في المدارس:

١ ـ قد يفوتها بعض العلوم النافعة:

والجواب عن هذا: أن يُكمل تعليمها في البيت، بوضع منهج دراسي مناسب.

ولا شك أن هذا يتطلب وقتًا وجهدًا من الأب، أو الأم إن كانت ذات علم ـ أعني التعليم في البيت ـ.

٢ ـ الفراغ الذي قد يخلفه ترك الدراسة في المدرسة، وما ينتج عن الفراغ من أشياء كثيرة:

وهذا يحل بما سبق، بالإضافة إلى البرامج النافعة، كتلخيص الكُتيبات، ونحو ذلك.

٣ ـ استنكار الناس واستغرابهم:

وهذا ليس عذرًا في ترك أمر إن ثبتت صحته.

كما أن الاستغراب يزول أو يخف مع الإِلْف والتعود، ورؤية النتائج الحسنة.

٤ ـ عدم الحظوة لدى الزوج:

وأنا أظن وأرجو أن الأمر هنا على النقيض مما قد يظن، فإذا كان عامة الناس يهتم بمستوى دراسة المرأة وشهادتها، فكم من رجال وَدُّوا أن يظفروا بامرأة تَرَبَّت وتعلمت في بيت أبويها، وأعرف من الخُطَّاب مَن كان يبحث عن مثل هذا النوع.

٥ ـ تأخرها عن مثيلاتها في الثقافة العامة والاطلاع والإلمام بثقافة العصر، مما قد يولد شعورًا بالنقص:

وهذا يستدرك ـ بإذن الله ـ بأن يُراعَى في المنهج الذي تُدَرَّس إياه، وذلك بأن تُختار بعض الكتب المناسبة المنهجية أو كتب الثقافة، فتَطَّلِع عليها وتُلِم بأهم ما فيها.

٦ ـ معارضة البنت ورفضها:

وهذا يحل بالاستعانة بالله، ثم بمناقشتها وإقناعها بأسلوب رفيق.

٧ ـ ما قد يفوتها من الاستفادة من بعض المعلمات الصالحات، من علم نافع أو تربية صالحة.

وهذا ـ ولله الحمد ـ يَحْصُل من بعض المعلمات الصالحات، ولكنه ليس عامًّا في كل مدرسة، ثم إنما هو بمثابة الترقيع.

٨ ـ إذا مَنع الصالحون بناتهم من إكمال الدراسة فمن يتولى التعليم والتوجيه؟

وهذا الكلام له وجاهته؛ لكن لو أصبحتْ هذه ظاهرة فلم نجد من الصالحات مَن يقوم بالتعليم لَانْتَدَبْنَا حينئذ مَن يقوم بهذا الأمر ويتصدى له؛ أي أننا نجعل الأصل هو القرار في البيت، وعكسه هو الطارئ الذي نصير إليه عند الحاجة لا العكس.

ثم مَن قال إن المرأة إذا لم تكمل دراستها في المدرسة فإنها لا تساهم في الإصلاح والدعوة! بل لعل المجال يكون حينئذ متاحًا لها أكثر مما يتاح لغيرها.

٩ ـ حصول المرأة على شهادة سببٌ للتكسب فيما لو نابتها نائبة.

وهذا الكلام لولا أني سمعته أكثر من مرة ما ذكرته هنا؛ لضعفه وتهالكه.

فما عهدنا الناس منذ الأزمنة الماضية إلى عهد آبائنا الأقربين يدربون نساءهم استعدادًا للتكسب، حتى في عهود الجاهليين.

وهذا القول إنما هو ناتج عن أحد سببين ـ والله أعلم ـ:

ـ ضعف التوكل والثقة بالله.

ـ أو التعلق بهذا الأمر (دراسة المرأة وعملها)، والتماس الأعذار التسويغية[1].

جوابٌ عن سؤالَين

بعث أحدهم إلى الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسؤالين؛ **أحدهما**: حول حكم إتيان العرافين وسؤالهم، و**الثاني**: يتعلق بحصول علاقة مع امرأة أجنبية.

فأجاب بما يلي:

أخي الكريم (...) حفظه الله من كل شر وسوء وفتنة ووفقه لكل خير.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فأسأل الله أن تكون بخير وعافية، وأن يجعل علاقتنا القائمة منذ قرابة عقدين من الزمن قائمة على الحب فيه، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

---

(١) وانظر للاستزادة حول هذا الموضوع: كتاب إضاءات مجموعٌ فيه رسائل ومحاضرات، ص١٢٢، وكتاب خِتام السنين، ص٢٧٥، كلاهما للوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولقد سرني ما ذكرتَ عن أحد الإخوة الكرام أنه مقبل وعازم على أن يصحح أوضاعه.

ومما يزيد في السرور: أننا أصبحنا نسمع بين آونة وأخرى عن أخبار تتكرر تَتَمثل في عودة شباب هذه الأمة إلى ربهم.

ما السبب في عودتهم ويقظتهم؟

الله أعلم، لكن لا أستبعد أن هذه الأحداث التي كشفت للأمة عن تواطؤ الأعداء عليها، وأن هدفهم قبل أن يكون بترولنا وثرواتنا الاقتصادية إنما هو على الحقيقة صَرْفُنا عن ديننا.

فلعل ذلك جعل شباب هذه الأمة يفيق من حالة السُّبات، ويهجر حياة العبث واللهو، ويتمسك بهذا الدين الذي أزعج بل أرعب أعداءنا.

وبخصوص السؤال الذي طرحته عن حكم إتيان العرافين وسؤالهم، فأُوْرِد لك كلام سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: لا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكهنة الذين يدّعون معرفة المغيَّبات ليعرف منهم مرضه، كما لا يجوز له أن يصدقهم فيما يخبرونه به، فإنهم يتكلمون رجمًا بالغيب، أو يستحضرون الجن ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء حكمهم الكفر والضلال إذا ادّعوا علم الغيب.

وقد روى مسلم في صحيحه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومًا»، وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» رواه أبو داود وخرجه أهل السنن الأربع، وعن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليس منا من تَطير أو تُطير له، أو تَكهن أو تُكهن له، أو سَحر أو سُحر له، ومن أتى كاهنًا فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» رواه البزار بإسناد جيد.

في هذه الأحاديث دليل على كفر الكاهن والساحر؛ لأنهما يدّعيان علم

الغيب وذلك كفر، ولأنهما لا يتوصلان إلى مقصدهما إلا بخدمة الجن وعبادتهم من دون الله، وذلك كفر بالله وشرك به سبحانه، والمصدق لهم في دعواهم علمَ الغيب يكون مثلهم، وكل من تلقّى هذه الأمور عمن يتعاطاها فقد برئ منه رسول الله ﷺ.

نسأل الله العافية والسلامة من شر السحرة والكهنة وسائر المشعوذين، كما نسأله سبحانه أن يقي المسلمين شرهم، وأن يوفق حكام المسلمين للحذر منهم وتنفيذ حكم الله فيهم حتى يستريح العباد من ضررهم وأعمالهم الخبيثة إنه جواد كريم، انتهى كلام الشيخ باختصار(١).

وتُلاحظ ـ بارك الله فيك ـ أن الوعيد في الحديث الأول على مجرد سؤال العرافين، وفي الحديث الثاني والثالث على تصديقهم.

ومع شناعة هذا الذنب وكبره فإن باب التوبة مفتوح، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

والتوبة المقبولة هي التي اجتمع فيها:

١ ـ الإقلاع عن الذنب.

٢ ـ والندم على ما فات.

٣ ـ والعزم على ألا يعود.

٤ ـ وإن كانت تتعلق بحق آدمي رد إليه حقه أو تحلله منه.

أما ما يتعلق بحصول علاقات مع امرأة أجنبية فمثل هذا الأمر لا يستغرب على أي شاب لم يحدد هدفه في الحياة، أو كان هدفه هدفًا تافهًا، فيكون قلبه

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز، إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة، ٣/ ٣٧٤ ـ ٣٧٧.

حينئذ خاويًا مهيئًا لمثل هذه العلاقات، ثم يَتصور أنه لا يمكن أن يتخلص منها، هذه ظاهرة تتكرر في حياة الشباب الفارغين وهم للأسف ليسوا قليلين.

وإن شئتَ أن أحدد سبب الداء فأقول: خَلَقَ الله ﷻ الإنسان ضعيفًا، إن لم يتعلق قلبه بربه وخالقه وفاطره وولي نعمه ومدبر أموره ومصرف أحواله ومن بيده الضر والنفع ومن هو أرحم به من أمه؛ فإنه سيتعلق قلبه بشيء آخر ولا بد.

فما تعلق أحد بشيء غير الله إلا بسبب نقص وضعف في محبته لله، هذه قاعدة مطردة.

والشيطان له وسائل كثيرة في الإضلال والإغواء؛ منها التدرج، فيتدرج بالرجل العاقل من ذنب كان يستهين به ولم يقصد ما وراءه، فلا يزال ينزل به درجة إثر أخرى، فلا يشعر إلا وقد أوقعه الشيطان في أوحال الرذيلة، وجر عليه سخط الله وعقوبته، يقول الله ﷻ محذرًا من هذا الكيد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [النور: ٢١].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف السبيل للتخلص من هذه العلاقات التي إن استرسل معها صاحبها عاش في صراع وتفكير وهَمٍّ وغم، وإن استجاب لما تدعوه إليه نفسه ويسوّل له شيطانه قادته إلى سخط الله وعقوبته، فأولها حسرة وكآبة، وآخرها خزي وندامة؟

الجواب: الحل يسير وسهل بإذن الله، وليس الإشكالَ هنا، محلُّ السؤال: مَن يكون صاحبك؟ هل هو رجل؟ واسمح لي بهذا التعبير، فالناس منهم مَن هو نصف رجل، أو ربع رجل، ومَن هو شِبه رجل، والرجال قليل، فإن كان صاحبك قوي الشخصية قراره بيده، فالأمر يسير بإذن الله.

وأنا أتفاءل ـ من خلال ما ذكرتَه لي عنه ـ أنه سينجح بإذن الله في تصحيح وضعه واجتيازِ المرحلة التي يمر بها والتخلصِ من الوضع الذي لا يُرضِي الله ﷻ، هكذا أستشف من شخصيته، والله أعلم.

وأُطَمْئِنك: أن الأمر ليس بتلك الصعوبة البالغة التي قد يتصورها بعض الناس، فكم من أُناس مروا بمثل ما مر به بل أصعب ثم أعانهم الله، وأكاد أقول: إن المسألة مسألة فِطَام، وهي مرحلة لا يطول وقتها بإذن الله، إذا اتخذ أسباب النجاح والنجاة، ومنها:

- الاستعانة بالله، والتعلق به، وصدق اللجوء إليه والتضرع إليه.

- تكميل محبة الله ﷻ، وأن يعلم أن محبة الله عِزٌّ وسعادة، والتعلق بغيره لا يثمر إلا الكآبة والتعاسة والحسرات والذلة والمهانة.

- صدق العزيمة.

- قوة الإرادة.

- قَطْع الأسباب التي تُذَكِّرُه بماضيه.

- المحافظة على الصلوات الخمس.

- تَذَكُّر الموت وما بعده.

- اختيار صحبة صالحة تملأ عليه وقته بما ينفعه ويفيده.

هذا ما يحضرني الآن.

وأسأل الله لي ولكم التوفيق لما يحبه ويرضاه.

وأنا على استعداد بإذن الله للتواصل معكم فيما فيه تعاون على البر والتقوى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محبكم: فهد القاضي
١٨/ ١٢/ ١٤٢٤هـ

مقترحات الرسالة الأكاديمية

حينما كنتُ أبحث عن موضوع لرسالة الدكتوراه، طلبتُ من الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يشير عليَّ بما يرى، فأفادني بما يحضره، وكان مما قال: البحوث ثلاثة: بحثٌ ينتفع به الباحث وغيره من طلبة العلم والمتلقين، وبحثٌ ينتفع به المتلَقُّون أو المجتمع ولا ينتفع به الباحث كثيرًا، وبحثٌ ينتفع به الباحث وحده، فقال لي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: احرص على النوع الأول.

ثم اتصل بي بعد ذلك، وقرأ عليَّ هذه الرسالة التي «كتبها له أحد أصحابه الفضلاء»، جزاه الله خيرًا، وهذا نصها كاملةً:

الحمد لله.

وبعدُ:

❖ رأس الأمر في هذه الرسائل الجامعية ركنان:

١ ـ مجاهدة النية.

٢ ـ والبراءة من الحول والقوة، وكثرة الاستعانة بالله، وطلب هدايته وتسديده.

فما أسعد من كانت سنوات الرسالة الأربع بلياليها وعنائها ومشترياتها كلها في سبيل الله، وضده بضده.

والحقيقة أنه يَصْعب الاقتراح مع عدم الفهارس للرسائل الأكاديمية السابقة للتحقق مما سبق بحثه.

❖ واعلم أن الرسائل لها مساران:

١ ـ مسارُ مَن يُغَلِّب استفادته الشخصية، فيتناول عنوانًا تتوزع آحاد مسائله على عامة أبواب الفقه؛ ليتعمق في أكبر قدر من الأبواب الفقهية.

٢ ـ ومسارُ مَن يُغَلِّب النفع المتعدي، فيتناول عنوانًا مما تمس حاجتُه الناسَ، وخصوصًا من النوازل.

❖ ومن أكثر ما تتميز به الرسائل وتتفاوت:

١ ـ الدقة في الاقتباس.

٢ ـ والتحليل والمعالجة للاقتباسات العلمية.

٣ ـ والتزام الصرامة المنهجية العلمية في عرض المعطيات حتى لو خالفت انحيازات الباحث وقناعاته المسبقة.

❖ ومن أكثر ما يُعِيق الباحثين:

١ ـ وَهْم النتيجة الناجزة.

وهو افتراض أن كل مسألة فيها نتيجةٌ لدى كل مذهب، ودليلٌ وجوابٌ على المخالِف، واتفاقٌ على صور ومناطات ومحل الخلاف.

بينما في كثير بل غالب الأحيان لا يتهيأ هذا لغير المسائل المشهورة، وعدمُ الوصول لنتيجة هو نتيجة بحد ذاته يجدر تسجيلها.

٢ ـ ومن العوائق: وَهْم الكمال.

مما يجعل الباحث تمضي عليه المدة أو أكثرها ولم ينتهِ؛ ظَنًّا منه أنه سيصل للكمال والتمام في معالجة كل مسائل البحث.

❖ وأمَّا مَا عَنَّ لي من مقترحات فهي كالتالي:

١ ـ نوازل الديات.

في أسبابها وتقديرها، وحوادث السيارات، والدية على سائقي وسائل النقل العامة، ودية مواطني الدول غير المسلمة، وتطبيقات العاقلة، ودية المنافع، وأثر التقارير الطبية فيها، وعلاقة اللغة الطبية في التعبير عنها بضوابط الفقهاء في التلف، ثم الديون الناشئة عنها، وفي غير مقابلة عوض، وحبس العاجز عنها، وعلاقة ذلك بنظام التنفيذ وأحكام محكمة التنفيذ، وظاهرة الصلح على أكثر من الدية التي تُعْقَد لها الاجتماعات الجماهيرية في قصور المناسبات بالأرقام الفلكية وضوابط ذلك، ونحوها من الصور

والتطبيقات التي تأتي بالتتبع وتصفُّح الأفراد والجزئيات، وخصوصًا الصكوك والسوابق القضائية فيها.

٢ ـ التوقيتات الفقهية الفلكية.

نشأ اضطراب معاصر بسبب الاختلاف في الترجمة الفلكية والتحديد الفلكي للمعايير الزمنية الفقهية، فلو تم تتبعها وجَرْدُ اختلاف المختصين فيها، والتواصل مع أهل الخبرة.

ومن مسائلها مثلًا: معيار دخول الفجر الأول فقهًا وفلكًا، والخلاف فيه، وتحرير الراجح.

وهكذا: معيار الفجر الثاني، ومعيار الإسفار، ومعيار الارتفاع قِيْد رمح، والضحى، وكبد السماء (الاستواء)، والزوال، وفَيْءُ الزوال، وفَيْءُ الظل ومِثْلَاه، واصفرار الشمس، والشفق، والثلث الأخير من الليل، والسَّحَر، وجوف الليل، ورؤية الهلال، والكسوف، وأثر الحوائل كالغيم... إلخ.

٣ ـ الأخلاقيات المهنية وأحكامها.

هو مجال جديد تُطرح فيه أدلةٌ لأخلاق الطبيب والمحامي والمعلم... إلخ، وفيه أعراف، مثل: القَسَم المهني، والتزامات وحقوق وواجبات، وهي بحاجة لدراسة التأصيل الفقهي العام لها.

٤ ـ أحكام المُصَلَّيَات.

وليست المساجد، تحرير الفرق بينهما، وأحكامها: تحية المسجد، الجمعة، الاعتكاف، البيع والشراء، نشدان الضالة، صلاة الجماعة، استئجارها ووقفها كما في صنيع الجاليات المسلمة في أمريكا وأوروبا هل يجعلها مسجدًا؟ وحقوق الإمام فيها وواجباته، والأذان، وتعدد الجماعة... إلخ.

وثمة صور خاصة تنفرد بها مصليات المستشفيات ومصليات الدوائر الحكومية، ومصليات السجون... إلخ، فضلًا عن المصليات في الغرب، وكثرة السؤال عن أحكامها المشتركة والمنفردة عن المسجد، وضابط الفرق بينهما.

٥ ـ نوازل الصيد.

التقيتُ بفئام من الشباب الذين أُوْقِفوا على خلفية اقتحام محميَّات والصيد فيها، وفوجئتُ بكمية هائلة من الصور الحديثة لوسائل الصيد تحتاج لتحرير على ضوابط الفقهاء، كالقتل بما ليس بمحدد، والسقوط في الماء، واسترسال الجوارح بنفسها، وكثرة السهو عن التسمية، والصيد بالأصوات الصناعية، وحِيَل كثيرة.

وهكذا: أنواع من الـمَـصيد يأكلونه لا يتيقنون حكمه، وإنما يحاكي بعضهم بعضًا، وبعضها من ذوات المخالب، أو آكلات الميتات، والإسراف في الصيد... إلخ.

٦ ـ الفروع الفقهية الطبية.

تَتَبُّع الأحكام الفقهية المبنية على الخبرة الطبية لدى الفقهاء، ودراسة أثر تطور الطب عليها.

مثل: الماء الـمُشَمَّس، اللبث في الخلاء فوق الحاجة، الاستياك بذوات الروائح الطيبة، لحوق النسب بالحد الأعلى للحمل، عيوب النكاح المبنية على نظرية العدوى... إلخ.

٧ ـ الاشتراك في الجنايات.

في صكوك الأحكام القضائية لدى الدوائر الجزائية صور متعددة لاشتراك مجموعات في القتل والسرقة والتزوير... إلخ، وتختلف أحكامهم بحسب اعتبارات فقهية لم تحرر جيدًا، جَرْدُها وتحريرها يُقَدِّم خدمة للفقه والقضاء.

٨ ـ المفاهيم الحُكْمِيَّة.

كقولهم: نجاسة حكمية، طهارة حكمية، إذا صلى الكافر في دار الإسلام فهو مسلم حكمًا... إلخ.

٩ ـ الأحكام الفقهية المتعلقة بالأذكار.

كالزيادة على الوارد، وتحرير أوقاتها، اقتباس الأدعية... إلخ.

١٠ ـ أحكام الاتصال والانفصال.

وهو معيار فقهي شائع في أبواب الفقه، كالنماء المتصل والمنفصل... إلخ.

رسالة لبعض أئمة المسجد الحرام

طلب مني الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ أن أبحث عن فتوى للشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ حول إقامة السُنة في فجر الجمعة؛ بقراءة سورتي السجدة والإنسان، فأحضرتها له، ففرح الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ بها، وطلب مني أن أُمْلِيَهُ إياها، وأن أنشرها بين عدد من أئمة المساجد، كما طلب مني إرسالها إلى بعض أئمة الحرم المكي.

وهذا نص السؤال والفتوى:

«س: بعض المأمومين يتضجر من قراءة سورة السجدة وسورة الدهر في فجر الجمعة؛ لطولهما، فما موقف الإمام؟ علمًا بأن أكثرهم يرغب في ذلك وبعضهم لا يرغب؟

ج: هذه سنة ثابتة عن النبي ﷺ، فيشرع للإمام قراءة هاتين السورتين في فجر الجمعة وإن كره ذلك بعض الجماعة لكسلهم؛ لأن السنة مقدَّمة على الجميع، والمشروع للأئمة في جميع الصلوات أن يراعوا فعل السنة ويحافظوا عليها؛ لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]»(١).

وطلب الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ مني مرةً إحضار رقم أحد أئمة المسجد الحرام، وأملى عليَّ هذه الرسالة:

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز، إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة، ١٢/٣٩٣.

سَرَّنا قراءتُكم سورتَي السجدة وهل أتى، في فجر الجمعة.

زادكم الله توفيقًا وسدادًا ومتابعة لسنته ﷺ، وجعلنا الله وإياكم ممن يُحْيُون سنة نبيه».

تطبيقُ سُنَّةِ إطالة الصلاة أو تقصيرها لتأليف قلوب جماعة المسجد

كان أحد أئمة المساجد يجتهد في تطبيق سنة إطالة الصلاة، مما أدى إلى وقوع شيء من الخلاف بينه وبين جماعة ذلك المسجد.

وقد كتب لي ذلك الإمام الفاضل ما نصه:

سألتُ الشيخ فهد القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن صفة الإطالة في الصلاة؟ وعن هدي النبي ﷺ في ذلك؟

فسألني ماذا تقرأ في الصلاة؟

فقلت: أقرأ في الفجر ثلاثة أوجه تقريبًا أو سورة من سور المفصَّل من جزء الذاريات والمجادلة، وأقرأ في الظهر ثلاثين آية ـ ما يعادل ثلاثة أوجه ـ، وأقرأ في العصر وجهًا ونصفًا، وأقرأ في المغرب من قصار المفصل، وأحيانًا من وسط المفصل، وأقرأ في العشاء سورتين من وسط المفصَّل (عبس والتكوير، الفجر والبلد)، وأمثال ذلك، وأحيانًا من سور جزء تبارك.

فاستكثر ذلك الشيخُ جدًّا، ولعله قال لي: غفر الله لك...

وذكر كلامًا فهمتُ منه: أن تأليف قلوب الجماعة ومحبتهم للصلاة مقصدٌ أهم من تطبيق سنة الإطالة، وأن الإمام لو قرأ في الظهر والعصر من القصار ـ مثل: الزلزلة والقارعة ـ، وقرأ في الفجر وجهين أو أقل لكان ذلك كافيًا.

وذكر أن الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يصلي الظهر في ثمان دقائق.

ثم أرسل إليَّ الشيخ فهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الرسالة لاحقًا:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

هذه نُقُول من كتاب لطائف المعارف لابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومعها بعض التعليقات:

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال ابن منصور: سُئل إسحاق بن راهويه: كم يقرأ في قيام شهر رمضان؟ فلم يرخص بدون عشر آيات، فقيل له: إنهم لا يرضون، فقال: لا رَضوا، فلا تؤمهم إذا لم يرضوا بعشر آيات من البقرة، ثم إذا صِرتَ إلى الآيات الخِفاف فبقدر عشر آيات من البقرة ـ يعني في كل ركعة ـ.

قال ابن رجب: وكذلك كره مالك أن يقرأ دون عشر آيات.

وروي أن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جمع ثلاثة قراء، فأمر أسرعهم قراءةً أن يقرأ بالناس ثلاثين ـ يعني في كل ركعة ـ، وأوسطهم بخمس وعشرين، وأبطأهم بعشرين.

قال ابن رجب: ثم كان في زمن التابعين يقرؤون بالبقرة في قيام رمضان في ثمان ركعات، فإن قرأ بها في اثنتي عشرة ركعة رأوا أنه قد خفف.

وسُئل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عما رُوي عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ يعني ما سبق ـ، فقال: في هذا مشقة على الناس، ولا سيما في هذه الليالي القصار، وإنما الأمر على ما يحتمله الناس.

وقال لبعض أصحابه وكان يصلي بهم في رمضان: هؤلاء قوم ضعفاء، اقرأ خمسًا، ستًّا، سبعًا، قال: فقرأت، فختمت ليلة سبع وعشرين(١).

وكأن هذا يَتَأَتَّى إذا صلوا عشرين ركعة.

وكلام الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدل على أنه يُراعى في القراءة حال المأمومين، فلا يشق عليهم.

وقاله أيضًا غيرُه من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة وغيرهم.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أراد أن يزيد في القراءة ويطيل وكان يصلي لنفسه فليطول ما شاء كما قاله النبي ﷺ، وكذلك مَن صلى بجماعة يرضون

---

(١) انظر: لطائف المعارف، المكتب الإسلامي، ص٣٠٣ ـ ٣٠٤.

بصلاته، وكان بعض السلف يختم في قيام رمضان في كل ثلاث ليال، وبعضهم في كل سبع؛ منهم قتادة، وبعضهم في كل عشر؛ منهم أبو رجاء العطاردي»، انتهى المراد من كلام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)].

ومن «كتاب مسائل صلاة الليل» للشيخ محمد بن فهد الفريح:

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا أعلم بين أهل العلم خلافًا في استحباب التخفيف لكل من أمَّ قومًا على ما شرطنا من الإتيان بأقل ما يجزئ، والفريضةُ والنافلةُ عند جميعهم سواء في استحباب التخفيف إلا ما جاء في صلاة الكسوف.

وقال ابن عبد البر: وقد قال ﷺ: «من أم الناس فليخفف»، وقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**لا تُبَغِّضوا الله إلى عباده**» يعني: لا تطولوا عليهم في صلاتهم[(٢)].

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

علاج الكسل في العبادة

وَجَّه أحد الفضلاء إلى الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سؤالًا عن علاج الكسل في العبادة؟

فأجابه الوالد بما يلي:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مساك الله بالخير، وحفظك الله، بالنسبة للموضوع الذي طرحته أرجو أن تقرأ رسالة المحجة لابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرح حديث سير الدلجة «لن يُنْجِيَ أحدًا منكم عملُه»[(٣)].

وهذه الرسالة طُبعت مفردة، وطُبعت ضِمن مجموع رسائل ابن رجب.

إذا قرأتها فسيكون بعدها نقاش بيننا بإذن الله.

---

(١) المرجع السابق، ص٣٠٥.

(٢) انظر: مسائل في صلاة الليل، دار ابن الجوزي، ٦٤ ـ ٦٥.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٦٣) ومسلم (٢٨١٦).

ثم لما قرأ ذلك الأخُ رسالةَ ابن رجب: «المحجة في سير الدلجة» أرسل إليه الوالد رحمه الله هذه الرسالة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، **أما بعد:**

قد يكون الإنسان على نشاط في الطاعة، ثم يصيبه ما يصيبه من الفتور، والله المستعان، كلنا ذاك الرجل، بل لم يسلم منه خيارُ هذه الأمة، فيُروى أن ابن مسعود رضي الله عنه دخلوا عليه وهو شاكٍ - أي: مريض -، فكان يبكي، فقيل له: جزعًا من الوجع؟ قال لا والله، ولكن أصابني على فتور، وتمنيت لو كان أصابني على اجتهاد[(١)].

يشير إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا**»[(٢)].

وفي الحديث: «**لكل عمل شِرَّة - أي: نشاط واندفاع -، ولكل شِرَّة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد أفلح، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك**»[(٣)].

لكن ما أسباب ذلك؟

بالجملة: يقول الله تعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠].

---

(١) انظر: جامع الأصول، مكتبة الحلواني، ٩/ ٥٨٦، ونصه فيه: عن شقيق بن عبد الله رحمه الله: قال: مَرِضَ عبدُ الله بن مسعود، فعدناهُ، فجعل يَبكي، فعوتب، فقال: «إني لا أبكي لأجل المرض، لأني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «المرض كفارة»، وإنما أبكي أنه أصابَني على حال فترة، ولم يُصِبْني في حال اجتهاد؛ لأنه يُكتَب لِلْعبد من الأجر إذا مَرِض ما كان يُكتب له قبل أن يَمرض فَمَنَعَهُ منه المرض».

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٩٦).

(٣) أخرجه أحمد (٦٩٥٨).

وعلى سبيل التفصيل: قد يُقال: إن السبب أحد أمرين:

أحدهما: غلبة الكسل، واتباع الهوى، ونحو ذلك، فإن اتباع الهوى يُضعف الهمة، والجنةُ حُفَّتْ بالمكاره.

السبب الآخر ـ وهو الذي يحصل غالبًا من الصالحين ـ: مجاوزة هَدْي النبي ﷺ بشكل أو بآخر، بل قد تكون مجاوزة الهدي بسبب حرص هذا الذي فَتَر عن كمال الاقتداء بالنبي ﷺ، فيكون امتثل ذلك واقتدى بالنبي ﷺ بشيء من المبالغة، أو بفهم قاصر، أو ما أشبه ذلك.

تحري هدي النبي ﷺ في هذا الباب لا بد أن يسبقه العلم.

ولذلك فالعلم بما جاءت به الشريعة من القواعد ونحوِ ذلك، هذا بإذن الله تعالى عاصمٌ للعبد.

وأضرب مثالًا لعله يُفهَم ما في خاطري: وردت أحاديث عن النبي ﷺ أنه كان يصوم يوم الجمعة، كحديث: «**قَلَّمَا رأيت رسول الله ﷺ مفطرًا يوم الجمعة**»(١).

فتفيد: أن صيام يوم الجمعة له مزية؛ لكن الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ قال: يفعل العبد ما هو أدعى لنشاطه على الطاعة، وأدعى لتلذذه بالعبادة، فإن كان ذلك في الصيام فالصيام في حقه أفضل، وإن كان في الفطر فالفطر في حقه أفضل.

وهكذا أجاب الشيخ عن: أيهما أفضل؛ إطالة القراءة وسائر أركان الصلاة، أو تخفيف ذلك وتكثير الركعات؟ قال الشيخ مثل الجواب السابق، مراعاة إقبال القلب وانشراحه والتلذذ بالصلاة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٧٤٢) والنسائي (٢٣٦٨) وابن ماجه (١٧٢٥).

تنبيه: صَحَّتِ الأحاديثُ عن النبي ﷺ في النهي عن إفراد يوم الجمعة بالصوم، فلعل التوفيق بين أحاديث النهي وهذا الحديث: بتقديم أحاديث النهي؛ لأنها أصح، أو أن صوم النبي ﷺ يومَ الجمعة كان داخلًا في صيامه، لا أنه كان يُفرِد يوم الجمعة بالصوم. وانظر كلام العلامة ابن القيم في زاد المعاد، عطاءات العلم، ١/ ٥٢٠ ـ ٥٢٦، فإنه مفيد.

فالمقصود أن إكراه النفس ومجاهدتها على أمر تستثقله ولا تهواه هذا لا يُحمد ولا يُمدح مطلقًا؛ بل هذا محمود بِحَدٍّ، بمعنى أن الإنسان يكون بين الإفراط والتفريط، لا يسترسل في مراعاة هوى النفس بِحُجَّة أن هذا أدعى لإقبال النفس وتلذذها، لا يتمادى في هذا الأمر، ولا يُبالغ أيضًا ويتمادى في مسألة إكراه النفس ومجاهدتها.

فيكون العبد بين هذين بعِلم وفقه، فأحيانًا يفوت بعضَ المجتهدين الفقهُ، فيكون قد حمّل نفسه أمرًا تستثقله، قد يتحمله هذه المرة لسبب أو لآخر، لكن إذا تكرر مرة ثانية وثالثة صار له انطباع بالنفس وذكريات لا تُشجع على عودة مواسمه.

مثلًا: يوم الجمعة يوم المجاهدة، يبكّر من الساعة الفلانية، وينقطع عما اعتاده من الطعام الفلاني، والشراب الفلاني، والبرنامج الفلاني، وهكذا.

وكان قد جاهد نفسه في هذا لكن ربما لم يتدرج أو ما أشبه ذلك، فصار يومًا ثقيلًا على النفس.

ومثل هذا: في رمضان، فأحيانًا بعض الصالحين لا يُكِنُّ لرمضان ـ إن صح تعبيري ـ مشاعرَ الاشتياق، بل إذا جاء دعا الله أن يعينه على طاعته، وأن يكون له النصيب الأوفر في فضله وثوابه ونحو ذلك، لكنه بنوع قليل أو كثير من الاستثقال، وليس عنده ذاك الاشتياق(١).

كل هذا ـ والله أعلم ـ نصيب لما انطبع في النفس من آثار المجاهدة التي كان مبالغًا فيها بوجه من الوجوه.

وكما تقدم: الاعتدال مطلوب.

وهذه كلمة ما أسهل أنْ تُقال لكن تطبيقها ـ كما تقدم ـ يحتاج يقظةً

---

(١) ثمة كلمة بعنوان: الحنين لمواسم الطاعة، في كتاب: خِتام السنين، ص٩٧، للوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يَحسن الرجوع إليها.

واستشعارًا للتعبد في كل ما يفعل، حتى ما يترك يتعبد لله بتركه، عليه أن يفقه هذا الباب وغيرَه من أحكام الشريعة.

لا يتمادى في إحسان الظن بنفسه واجتهاداته؛ أني أنا المصيب، ومن خالفني أو انتقدني فهو مخطئ، إما جاهل وإما إنسان كسول، وأنا دليلي كذا وكذا، نعم قد يكون دليلك كذا وكذا لكنك ما حَمَلته على وجهه.

مثل من يريد أن يقتدي بصلاة النبي ﷺ بجميع تفاصيلها وهو إمام ولو كان ذلك يشق على من خلفه، أو ما عندهم من الإيمان ما يُسهّل عليهم التزام هذه الآداب والأحكام وما أشبه ذلك. وأمثلته كثيرة.

أو يَنظُر الإنسان لنفسه نظرةً فيها شيء من التعالي من حيث لا يشعر، كأنْ يقول في نفسه: الحمد لله أنْ وفقني لكذا وأعانني على كذا، وغيري على الحالة الفلانية.

ثم من المهم جدًّا: طلب العلم وعدم الاقتصار على الكُتب، بل يجتهد في أَخْذ العلم عن أهله، فإن حصل بِثَنْيِ الركب بين يديهم فهذا هو الأفضل والأكمل، وإلا ففيه التسجيلات الصوتية ـ ولله الحمد والشكر ـ، فهذه فيها خير كثير، وتُعَوِّض شيئًا من هذا النقص.

هذا ما يحضرني، والله تعالى أعلم، وأستغفر الله من كل ذنب وخطيئة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

رسالة إلى أحد رفاق الدرب

مرض أحدُ أصحاب الوالد رحمه الله وأحد رفاق دربه، فسجّل له الوالد رسالة صوتية في تاريخ ٦/٢/١٤٤١هـ رسالة تحمل معانيَ التوكل وحسن الظن..

«اللهم لك الحمد، اللهم لك الحمد، واللهِ بِقَدْرِ ما يُؤْلِمُ ما يَحصل لأخيك المسلم الغالي عليك لكن ـ ولله الحمد والشكر ـ يهوّن على العبد أنَّ

الذي قدَّر هذا قدَّره بعلم وبحكمة وبرحمة، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

إذا كنتُ أنا أرحم أخي، فالله ﷻ هو الرحمن الرحيم، ليس كمثله شيء في رحمته، أنا رحمتي مجرد تَألُّم، وأما الرب فيرحم ويسوق أسباب الرحمة ويرفع أسباب المعاناة، لكن مع رحمته فهو لطيف وحكيم وقدير وغني وشكور، فما ندري ماذا قدَّر الله من ألطاف وخير ونِعَم ومواهب ورفعة درجات وصلاح للدين والدنيا وللزوجة والأولاد في عاجل الأمر وآجله.

فهذا ولله الحمد يطمئن العبد.

ثم ـ بارك الله فيك ـ أُذَكِّرُ نفسي وأُذَكِّرُ أخي بقول الله تعالى: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ﴾ [فصلت: ٤٩]، لاحظ هذه بِنا، ويندر أو يَقِلُّ من يَسلم منها.

هناك أشياء يقول الأطباء في عُرفهم: إنها مرض لا يُرجى برؤه، أما في ميزان الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [فاطر: ٤٤]، فلا ييأس الإنسان.

انظر: زكريا عليه الصلاة والسلام كم بلغ به العمر؟ ومع هذا قال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، بلغ من السن ما بلغ، وزوجته عاقر، ومع هذا ما يئس.

هذا يعقوب عليه الصلاة والسلام كم مضى على فقد ابنه؟ عقود، ومع هذا بقي أَمَلُه في الله، وحُسن الظنّ بالله، حتى إن أولاده قالوا: ﴿... تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ۝٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨٦ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٥ ـ ٨٧]، ما يئس، فما أسرع أن جاءه الفرج.

فأقول ـ بارك الله فيك ـ: أنت على خير إن شاء الله تعالى، وأبشر

بالخير، والذي قدّر ذلك عليك واللهِ إنه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]».

انتهت رسالة الوالد.. وقد توفي المرسِل والمرسَل إليه، رحمة الله عليهما وعلى جميع موتى المسلمين.

من أمراض الكبار

بعث الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أحد أصحابه الدعاة بهذه الرسالة، وهي رسالة مِلْؤُها اليقين والتثبيت، وعَنْوَنَ لها بـ: «من أمراض الكبار»، وكانت بتاريخ ٢٩/١١/١٤٤٠هـ، أنقلها بحروفها لأهميتها:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ. **أما بعد:**

فأحيانًا يكون نتيجةُ غَيرةِ القلب على حرمات الله والنصحِ لعباد الله وتمني الخير لهم ورؤيةِ ما يُضاد ذلك ويعاكسه من الإعراض بل ربما الصد عن دين الله: أن تتأثر كثير من النفوس وتتألم، هذا في ذوي القلوب الحية، أما من يَصدق عليهم: ﴿قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فهم في شأن آخر، الذي يُحزنهم ويسرهم ويقيمهم ويقعدهم شأن الدنيا وما نالوه منها، أما ذلك التأثر والتألم لدى أهل الغيرة فقد يتمادى ببعضهم.

وإذا كان رسول الله ﷺ وهو سيد البشر في اليقين والصبر والإيمان قال له ربه: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، ﴿بَٰخِعٞ﴾: مهلكٌ، وقال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦] مهلكٌ نفسك حزنًا حيث لم يؤمنوا.

لذا كان حريًّا بالمؤمنين أن يتواصوا بالصبر على ما يرونه مما يخالف دين الله، والقيامِ بما أوجب الله عليهم من الدعوة والأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر، والنصح لإخوانهم المسلمين حسب ما يمكنهم، فإذا قاموا بذلك فليطمئنوا، ولا يُحَمِّلُوا أنفسهم ما لم يُحَمِّلْهم الله ولم يكلفهم به: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾ [الطلاق: ٧]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وما بعد ذلك أَمْرُه إلى الله ﷻ، يدبره بحكمته وعلمه وعدله، لا يخفى عليه من أحوال الناس شيء، يَعلم المفسدَ وسعيَه، والكائدَ للدين ومكرَه، وهو سبحانه الرب الحكيم، مَن شاء أهلكه وعاجَلَه بالعقوبة، ومَن شاء أمهله وأملى له، بحسب حكمته وعلمه وحُسن تدبيره.

ويعين العبدَ على هذا المسلك المعتدل، بين تفريطِ باردِ القلب ـ تفريطِه بالقيام فيما يجب عليه ـ، وبين الإفراط والتمادي في الغيرة على حرمات الله الذي يصل إلى أن المرء قد يبخع نفسه ويهلكها من الحزن والأسى، يعين العبدَ على لزوم طريق الاستقامة والاعتدال أن يوقن بحكمة الله، وأنه لا يجري في الكون إلا ما شاءه الله، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿حِكْمَةُۢ بَٰلِغَةٌۖ﴾ [القمر: ٥].

واليقينُ كذلك بأن الحق غالب، والباطل مضمحل، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ﴾ [الأنبياء: ١٨]، لاحظ كلمة: ﴿نَقْذِفُ﴾، وما تفيده من القوة، ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ تأملَّها، وقوله: ﴿فَإِذَا﴾ هذه «إذا» الفجائية، كأنه جاء وقد استبعد الناس ذلك، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، جاءت بصيغة الماضي للتحقق، متى نزلت؟ ثم متى تحققت؟ ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠]، تأمل دلالة: ﴿هُوَ يَبُورُ﴾، ما قيل: سيبور أو مآله إلى بوار، دلالة الفعل المضارع في هذا السياق تأملَّها، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، ونحوها من النصوص التي وعد الله، والله لا يخلف الميعاد، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ﴾ [الأنعام: ١١٥].

أما متى يكون ذلك؟ فإلى الله، يقدره بحكمته، ويجب على العبد الرضا والتسليم وحُسن الظن بربه، وإلا فقد يتمادى الحزن ببعضٍ حتى يسقم بدنه ويمرض، ويؤثر ذلك على صحته ونفسيته، فتتأثر صحته تأثرًا شديدًا، ويعتل ويمرض، وهو يظن أنه مرض بسبب كذا وكذا من الأسباب، وإنما سبب مرضه هذا الحزن الشديد.

هذا الاعتدال واستصحاب اليقين يُعين على لزومه حسنُ الصلة بالله، ولعله من هنا جاءت التوجيهات الكثيرة للنبي ﷺ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧ ـ ٩٩]، ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٨ ـ ٤٩]، ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٤ ـ ٢٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٢] الآيات، ونحوها من الآيات الكثيرة.

اللهم ألهمنا رشدنا، وأعذنا من شرور أنفسنا، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، والله أعلم.

ملاحظات على كتاب

كتب أحد الفضلاء بحثًا حول فضل الأذكار، ثم عرضه على الوالد رحمه الله قبل نَشره، وطلب منه إبداء ملحوظاته عليه، فكانت هذه الرسالة:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

من فهد بن سليمان القاضي إلى أخيه (...) حفظه الله ووفقه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فلقد قرأت البحث، نفعك الله، ونفع بك، وجعله من موارد العمل الصالح النافعة في الحياة وبعد الممات.

لدي ملحوظات يسيرة:

١ ـ عدم الاقتصار على كلام العلماء؛ بل تذكر آيات وأحاديث في فضل الذكر.

٢ ـ أقترح أن يُلحق بالبحث ذِكر السُّبل التي تُعين على كثرة الذكر، ولعل منها:

١ ـ مجالسة الذاكرين، والحرص على عمارة المجالس بأحب الأعمال إلى الله وأحب الكلام إليه، وعدم الاقتناع بمجرد خُلُوِّها من اللغو والباطل؛ بل الحرص على أن يحل محلَّ المباح: المستحبُّ، ومحلَّ الفاضل: ما هو أفضل منه.

٢ ـ مجاهدة النفس ومراغمة الشيطان، فمهما أنساه الشيطان وألهاه وشَغله عن الذكر؛ عاد إليه.

٣ ـ البُعد عن الذنوب؛ لأنها سبب الحرمان من الخير.

٤ ـ تحسين النية في جميع الأعمال، حتى تصبح جميعها ذكرًا لله.

٥ ـ تَذَكُّر ما ورد في فضل الذكر، حتى يكون ذلك دافعًا ومنشطًا للاستكثار منه.

٦ ـ الدعاء، بمثل: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

هذه بعض الملاحظات، ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم مفاتيح للخير مغاليق للشر مباركين أينما كنا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نصيحة في شأن نشر العلم

فضيلة المدير العام لإدارة التوعية بالرئاسة، سلمه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعدُ:

فلا شك أن نشر العلم من أهم الأسباب لهداية الناس وانتشار الخير وانحسار الشر.

والمتتبع لأحوال المسلمين اليوم يرى الحاجات الماسة التي يحتاجها المسلمون من جميع الجوانب؛ لكن لا شيء يُقَدَّم على احتياجهم للعلم الشرعي وللعلماء الربانيين.

وإذا ما فُقد العلم فلا يَنتشر الشر فحسب؛ بل ويضيع جهد كثير من الخَيِّرين ويتبدد، ذلك أنه لم يُوَجَّه على ضوء العلم الوِجهة المثمرة.

وشاهِدُ هذا قائم في بلدان المسلمين، حيث لا يخلو بلد من أُناس صالحين غيورين متحمسين لدينهم، مستعدين للتضحية بأموالهم ووظائفهم وشهاداتهم وبأرواحهم؛ نصرةً لدينهم، لكنَّ افتقادهم للعلم والعلماء يبدد ويفوت فرصة استثمار هذا الحماس، بل أحيانًا يُصرف في مصارف غير نافعة، بل ربما ضارة.

لأجل هذا فلعله يكون من أولويات اهتمام الإدارة العامة للتوعية: حثُّ العلماء وطلبة العلم على نشر العلم، وإقامة الحلق، والتصدي لتعليم الناس.

وهذه صيغة مقترحة لهذا البرنامج:

أولًا: أهميته: تَقَدم ذِكر شيء من ذلك.

ثانيًا: الـمَعْنِيُّ به: العلماء وطلبة العلم الذين لم يُستفد منهم، أو تكون الاستفادة أقلَّ مما يؤمل.

هذا أمر نِسبيٌّ يتفاوت من منطقة لأخرى ـ أعني نصيبَ المرء من العلم ومستوى إفادته ـ، فقد تمس الحاجة في بعض المناطق إلى صغار طلبة العلم إذا لم يوجد غيرهم، فيتعين عليه حينئذ أن يُبَلِّغ ما عنده ولو آية.

ثالثًا: طريقة تنفيذه: ما يُرى مناسبًا، كأنْ يُعمم على الفروع بحصر هؤلاء، ثم مخاطبتهم فرادى أو جماعة أو إرسال رسائل لهم.

وقد يُستحسن أن تقوم الإدارة العامة للتوعية بـ(حملات) لاستنهاض هؤلاء، تُرسِل إليهم في كل جهة مندوبًا منها، أو يكون ذلك عند زيارة المنطقة من قِبَل منسوبي الإدارة العامة للتوعية.

رابعًا: صيغة مقترحة لمخاطبة المعنيين مشافهة أو مكاتبة:

أ ـ التذكير بشرف العلم وفضل تعليمه، واستنهاض الهمم بذكر بعض ما استجد وتَفتَّح على المسلمين من أبواب الشر.

ب ـ التخويف من أن يكون له مساهمة في انتشار الشر عند تقصيره في نشر الخير.

ت ـ ابذل نفسك سواء حضر الكثير أو لم يحضر إلا القليل، فالمعلِّم المخلص لا ينظر في هذا الأمر نظرةَ التاجر الذي يقيس ربحه بعدد المترددين على متجره، بل إنما هو يتعبد الله بما يقدمه؛ قَلَّ الحضور أو كثروا، ويسعى في أن يكون ممن قال فيهم النبي ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملةَ في جحرها وحتى الحوتَ ليصلون على معلم الناس الخير»[(١)].

ث ـ لا تتحاقر نفسك، وقَدِّم من بضاعتك، قال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»[(٢)]، وتَذَكَّر أن التواضع الذي يَحجب صاحبَه عن فعل الخير أنه ليس هو التواضع المحمود المحبوب إلى الله، وإنما هو من حِيَل الشيطان وخِدَاع النفس.

ج ـ لا تُلْقِ التبعة على غيرك، ولا تربط نفسك به، فإذا قصَّر مَن هو أولى منك ممن هو أكثر علمًا وأوسع وقتًا وأفرغ من الشواغل فلا تَجعل هذا عذرًا لك في أن تُقصّر.

ح ـ مَن آتاه الله علمًا فقد أنعم عليه بنعمة عظيمة، وحق النعم أن تشكر، وقد وعد الله الشاكر بالزيادة، وأوعد الكافر بعذاب شديد.

خ ـ تعليمك الناسَ وسعيك في بث العلم ونشر الخير سببٌ لصلاح ذريتك وعَقِبك، فالجزاء من جنس العمل.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

د ـ من لم يتيسر له الكثير فلا يزهد في القليل، فإن ضاق وقتك عن إلقاء الدروس الطويلة وتحرير المسائل بعد تحضيرها فلا تتحاقر القليل.

وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى، وجعلنا مفاتيح للخير، مغاليق للشر، مباركين أينما كنا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١٤/٧/١٤١٦هـ فهد القاضي

نصيحة موجهة إلى الزملاء في العمل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من فهد بن سليمان القاضي إلى زملائه الكرام.. حفظهم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وبعدُ:

فإن الدين النصيحة، ومن حق بعضنا على بعض التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

وهذه بعض الملاحظات، أحببتُ أن أَلْفِتَ نظر إخوتي إليها.

وقد يقول قائل: إنها أمور جانبية أو ثانوية لكنْ لِنَنتبه أن هذه حيلة من الشيطان؛ ليصرفنا عما أَمرنا الله ورسوله ﷺ، فالمسلم إذا أتاه الأمر أو النهي من الله ورسوله بادر إلى الامتثال؛ امتثال الأمر واجتناب النهي، ولا يُسَوِّغ لنفسه الاستمرارَ على تقصيرٍ كان عليه، متعذرًا بأن هذا أمر شكلي، أو هذه قشور، أو يقول: إن لم يبقَ عليَّ إلا هذا فأنا بخير.

فمِن هذه الأمور التي يقع منا التقصير فيها: إسبال اللباس، سواء كان الثوب أو البنطلون أو ما يشبههما، فهذا قد ورد النهي عنه في أكثر من حديث، من ذلك قول النبي ﷺ: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار» رواه البخاري في صحيحه[1].

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٧).

فهذا الوعيد عام، يشمل حتى مَن لم يُسبل بقصد التكبر والخيلاء، أما من أَسبل بقصد التكبر والخيلاء فهنا يزداد الوعيد ويشتد؛ لأنه جمع معصيتين: الإسبال والتكبر، وفي الحديث عن النبي ﷺ «من جر ثوبة خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[(١)].

فاحذر يا أخي أن تجني على نفسك سَخَط اللهِ وتتعرض لعقوبته بسبب فِعلٍ كان من السهل عليك تلافيه والتخلصُ منه.

وكذلك من تقصيرنا: حلق اللحية أو الأخذ منها، فقد أمر النبي ﷺ في أحاديث كثيرة بتوفيرها وحرّم حلقها، من ذلك: ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه أمر بإحفاء الشوارب، وإعفاء اللحية[(٢)].

ونحن نعرف أن الأمر يقتضي الوجوب.

وبقي أمر آخر أحب أن أُذَكّر بأهميته ومكانته من الدين، والذكرى تنفع المؤمنين: ذلكم هو أداء الصلاة جماعة في المساجد، فالله جل وعلا قد جعل الصلاة عمود الدين، وأعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وأمر بإقامتها، فلم نؤمر بمجرد فِعلها، وإنما أُمرنا بإقامتها، يعني: أداءَها قائمة على أتم وجوهها بأركانها وواجباتها وشروطها.

ومن ذلك: أن تكون في وقتها، فمن الموبقات صلاتُها في غير وقتها لغير عذر.

ومن إقامتها: أداؤها جماعة في المساجد، فلو تذكرنا قصة الرجل الأعمى الذي أتى إلى النبي ﷺ يستأذنه في الصلاة في بيته حيث إن بيته بعيد عن المسجد وليس له قائد يلائمه، فقال له النبي ﷺ: «هل تسمع النداء

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٥) ومسلم (٢٠٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٩٣) ومسلم (٢٥٩).

بالصلاة ـ يعني الأذان ـ؟»، قال: نعم، قال: «فأجب»[(١)]، فرسول الله ﷺ الشفيقُ الرحيم بأمته لو كان يجد رخصة لذلك الرجل لرخص له.

فيا إخواني، لننظر إلى واقعنا نظرةً جادة، وَلْنستدرك ونصححْ ما فينا من أخطاء، فإنه لا بد لنا من يوم نبعث فيه من قبورنا، ونُعطى صحائفنا التي قد سُجل فيها كل أعمالنا من صغيرة وكبيرة، ولابد لنا أن نقف بين يدي ربنا سبحانه وتعالى، فلنستعد لذلك اليوم بالتهيؤ له بالعمل الصالح، ولنحقق ونطبق شهادتنا أن محمدًا رسول الله ﷺ بطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر[(٢)].

ولا نكن أسرى لوضعٍ أَلِفْناه ودَرَجْنا عليه، أو نتحجج بأن الناس كلهم يفعلون ذلك، فالناس ليسوا هم الحجة، إنما الحجة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا يقال: إن التنبيه على مثل ما سبق تَنَطُّع أو غلوٌّ أو مبالغة، فالمسلم يحرص على تنفيذ أوامر الله والعمل بما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ ليفوز برضى الله والجنة، وينجوَ من سخطه والنار.

ختامًا: تقبلوا تحيات واحترام أخيكم الناصح لكم، والله يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نصيحة في شأن الصلاة:

أرسل الوالد رحمه الله رسالةً إلى مدير إحدى الإدارات، وذلك حينما عَلِم بتقصير بعض موظفي تلك الدائرة في الصلاة..

ومما جاء في تلك الرسالة:

ومعلوم ـ بارك الله فيكم ـ شأن الصلاة ومنزلتها من الدين، وكل شيء قد

(١) أخرجه مسلم (٦٥٣).

(٢) جاء في ثلاثة الأصول للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب: «ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع».

يُتَغاضَى عنه إلا الصلاة، فهي عمود الدين، وأعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي الفارق بين الإسلام والكفر، كما جاءت بذلك النصوص.

لذا ومن مقتضى الأمانة الجسيمة والمسؤولية الثقيلة التي تحملتموها؛ أُناشدكم أعانكم الله وسددكم أن تبادروا بالمعالجات.

ولعل من المقترحات ما يلي:

١ ـ تَهْيِئَةُ المصلَّى ليكون في حالة تليق بهذه الشعيرة العظيمة، وتشجع على أداء الصلاة فيه بحضور قلب وخشوع.

٢ ـ الاعتناء بالتوجيه، من خلال:

أ ـ الكلمات والمحاضرات.

ب ـ عرض الشرائح والمقاطع المناسبة.

ت ـ توفير الكتب والنشرات المناسبة.

ث ـ عمل مسابقات تتضمن حثَّهم على الخير وتوجيههم إلى معالي الأمور والأخلاق الكريمة.

٣ ـ أن يُلتمس مَن يناسب أن يكون إمامًا لهم في الصلاة، يفيدهم ويوجههم.

سددكم الله ووفقكم لكل خير. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قدمه: فهد بن سليمان القاضي

(١٨/ ٢/ ١٤٤٠هـ)

نصيحة تجاه آفة بين طلبة العلم

طلبت من الوالد رَحِمَهُ اللهُ نصيحةً حول آفة يقع فيها بعض طلبة العلم، وهي الوقيعة في بعض أهل الخير بالظن السيئ، فأرسل إليَّ جوابًا، ومما جاء فيه:

فَلْتُغْتَنم بعض الوقفات في علاج هذا الأمر:

فمثلًا: قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عباد الله، لتسون صفوفكم، أو ليخالفن الله بين

وجوهكم»[١]، فيُشار إلى أنه قد يكون ما ابتُلِي به الصالحون بسبب التقصير في بعض السنن أو الآداب، سواء الظاهرة أو الباطنة.

كذلك يُنَوَّه إلى مثل كلام ابن مسعود رضي الله عنه: «أنتم أكثر صيامًا وأكثر صلاة وأكثر جهادًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم كانوا خيرًا منكم»، قالوا: لِمَ يا أبا عبد الرحمن؟! قال: «كانوا أزهد بالدنيا، وأرغب في الآخرة»[٢].

وقولِ بكر بن عبد الله المزني رحمه الله عن أبي بكر رضي الله عنه: «ولكن سبقهم بشيء وَقَرَ في قلبه»[٣].

وقولِ مَن قال: إنما سبق مَن سبق بسلامة الصدور.

ويُنَبَّه ـ أيضًا ـ إلى أن مِن العقوبات البليغة ـ نسأل الله العافية ـ: أن الإنسان يُبتلى في دينه، وهو يظن أنه يُحسن صنعًا، وقد يقصِّر ويفرِّط فيما أوجب الله؛ من سلامة الصدر، أو موالاة الصالحين ومحبتهم، وهو يعكس ذلك، ويظن أنه يُحسن صنعًا.

عمومًا؛ أظن من المتأكد أو مما يَحرص عليه المعلِّم ـ أيًّا ما كان مستوى مَن عنده ـ: ألا يكون مُلَقِّنًا فقط، بل يكون في تعليمه توجيهٌ لما يَحتاج إليه الطلاب، سواء من خلال مادته، أو حتى لو اقتَطع من وقته.

وهنا يُتَرَسَّم هَدْيُ النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم أصحابه رضي الله عنهم، ومن ذلك: مراعاة الحكمة، والحذر من الإفراط من أن يكون ذلك على حساب المادة العلمية، أو الذي يؤدي إلى إملالهم، ويكون كلامه مَمْجُوجًا.

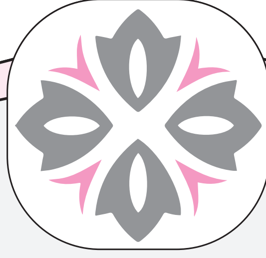


---

(١) أخرجه البخاري (٧١٧) ومسلم (٤٣٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٢٧٠ ط. الشثري).

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة، عطاءات العلم، ١/ ٢٢٧. ولفظه: «ما سبقهم أبو بكر رضي الله عنه بكثرة صوم ولا صلاة، ولكن بشيء وَقَر في قلبه».



الورقة الثالثة

مُدَوَّنات

وفيها خمس مدونات:

المدونة الأولى: مواسم الطاعات.

المدونة الثانية: مناسبات عائلية.

المدونة الثالثة: مناسبات متنوعة.

المدونة الرابعة: خُلاصات ومُلخَّصات.

المدونة الخامسة: كتابات متنوعة.





المدونة الأولى

مواسم الطاعات

كيف يُستقبَل شهر رمضان

يقول الله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وإني أبشرك أيها المسلم بقدوم شهر رمضان: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال رسول الله ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين» متفق عليه[(١)].

كيف لا يفرح المسلم الـمُوَحِّد بِمَقْدَم هذا الشهر الكريم أفضل شهور العام، شهر تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، شهر تضاعف فيه الحسنات، وتُقالُ فيه السيئات، شهر اختَص الله فيه أمة محمد ﷺ بخصائص ليست لغيرها من الأمم.

أَحْسِن استقبال هذا القادم الكريم، وإذا بَلَّغَك الله إياه:

١ ـ فاحمد الله أن بلغك إياه.

كم نذكر ـ والله ـ من أناس كانوا معنا في مثل هذه الأيام، من شيوخ وشباب ورجال ونساء أتاهم أَجَلُهم وبقينا نحن، فلا ندري مَن أَعْجَلُنا لَحَاقًا بهم!

كأني بهم لو سئلوا: ماذا تتمنون؟ وماذا تطلبون؟ لقالوا: أن نعود إلى الدنيا ولو يومًا واحدًا أو ساعة واحدة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٧٧) ومسلم (١٠٧٩).

أَحْسِن استقبال هذا القادم الكريم[١].

٢ ـ استقبله بالإخلاص لله، وأن يكون صيامك وقيامك نابعًا عن الإيمان بالله والرغبة في احتساب الأجر وطلبه من الله وحده، لا رياءً ولا عادةً جرى عليها الناس فأنت تفعل مثلهم.

قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»[٢]، وقال ﷺ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»[٣]، وقال ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»[٤].

فانظر كيف رُتِّب هذا الفضل العظيم ـ وهو مغفرة ما تقدم من الذنوب ـ على كون الصيام أو القيام عن إيمان واحتساب.

وتذكَّر أنَّ مَن كان صيامه وقيامه عن إيمان واحتساب كان كلما تقدم الشهر يزداد نشاطًا في الطاعة واستكثارًا من العمل الصالح، أما من كان صيامه وقيامه مجرد عادة اعتادها كان كلما تقدم الشهر غلب عليه الكسل والفتور[٥].

٣ ـ استقبِلْ هذا الشهر بالتوبة والاستغفار حتى لا تُحْرَم فضلَ الله الواسع بسبب الذنوب، قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠].

(١) أَفرد الوالد رحمه الله موضوع «نِعمة إدراك شهر رمضان»، بالكتابة، وسيأتي نقل تلك الكتابة قريبًا، إن شاء الله.
(٢) أخرجه البخاري (٣٨) ومسلم (٧٦٠).
(٣) أخرجه البخاري (٣٧) ومسلم (٧٥٩).
(٤) أخرجه البخاري (١٩٠١) ومسلم (٧٦٠).
(٥) تحدث الوالد رحمه الله عن «أسباب الترقي في عبادة الله تعالى في رمضان»، وعن أسباب الكسل عن الطاعة بعد الإقبال عليها، وذلك في كتابة مستقلة، وسيأتي نقلها قريبًا، إن شاء الله.

وتَذَكَّر أن مِن أحسن ما تتقرب به إلى الله ﷻ في هذا الشهر وكلِّ حين: فعلَ واجبٍ كنت تتركه، وتركَ معصية كنت تفعلها.

٤ ـ واستقبله بالعزم الجاد على اغتنامه وعمارة وقته بالطاعات، فمَن صَدَق الله صَدَقه الله وأعانه ويسر له طرق الطاعات وحببها إلى قلبه.

اغتنم ساعات رمضان كلها، وخُصَّ ساعتين يكثر التفريط فيهما: وقت السَّحَر، وآخر النهار[(١)].

وإن من علامات غفلة العبد: أن يقلب مواسم الخير ومتاجر الآخرة إلى أوقات لَهْوٍ وغفلة، فاحذر أن تكون من هؤلاء.

٥ ـ وحاسب نفسك عما مضى من أشهر رمضان، فإن وجدت إحسانًا: فاحمد الله على ذلك واستمر في الخير واستكثر منه، وإن وجدت من نفسك إساءة وتقصيرًا: فاحذر أن يكون هذا الشهر كما سبقه.

روى البخاري ومسلم ـ واللفظ للبخاري ـ عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنة ـ أي: وقاية من النار أو المعاصي ـ فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ـ الكلام الفاحش ـ ولا يصخب ـ اللغط ـ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لَخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه»[(٢)].

أخي المسلم! إن فضل الله عظيم، ورحمته وسعت كل شيء، وهو تعالى

---

(١) انظر للاستزادة: رسالة «كي نستفيد من رمضان»، ضمن كتاب: إضاءات مجموعٌ فيه رسائل ومحاضرات، للوالد ﵀، فقد عقد ﵀ في ص٣٢ مسألةً بعنوان: اغتنام ساعات ثمينة يكثر التفريط فيها، فذكر ثلاث ساعات، ونقل كلامًا مهمًّا للعلامة ابن رجب ﵀.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١).

أكرم الأكرمين، فتَعَرَّض لفضل ربك، ولا يُيْئِسك الشيطان من ربك؛ فتكون من المحرومين[(١)].

نعمة إدراك شهر رمضان

نحمد الله ﷻ أن هدانا للإسلام، ونسأله ﷻ أن يثبت قلوبنا على دينه، كما نحمده ﷻ أن بلغنا رمضان؛ منةً منه تعالى وفضلًا.

إن الناس يتقلبون في نِعَم الله ﷻ، نِعَم أسبغها عليهم ظاهرة وباطنة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

والنِّعَم تتفاوت في قدرها، فأعظمها وأجلها شأنًا ما يتعلق بالدين، بأن يُوَفَّق العبد لطاعة أو يُعصم عن معصية، أو يُتاح له فرصة وموسم من فرص الخير ومواسمه.

إن هذا الموسم العظيم شهر رمضان من أعظم المواسم وأفضلها، روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أُعطِيَتْ أمتي خمس خصال في رمضان لم تعطهن أمة من الأمم قبلها: خُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، ويزين الله كل يوم جنته، ثم يقول: يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة والأذى ويصيروا إليك، ويصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصوا إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره، ويغفر لهم في آخر ليلة»، قيل: يا رسول الله، أهي ليلة القدر؟ قال: «لا، ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله»[(٢)].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل

---

(١) انظر للاستزادة حول هذا الموضوع: رسالة «كي نستفيد من رمضان»، ضمن كتاب: إضاءات مجموعٌ فيه رسائل ومحاضرات، ص٤٣، للوالد رحمه الله.

(٢) أخرجه أحمد (٧٩١٧).

شهر رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»[١]، وفي رواية لمسلم: «فُتِّحت أبواب الرحمة»[٢]، وله أيضًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين»[٣]، وللترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتّحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة»[٤].

يا لها من نعمة عظيمة أن يُسَلِّم الله العبد ويمد له في عمره حتى يدرك شهر رمضان وهو صحيح ومعافى، إن هذه نعمة عظيمة تستوجب الشكر، وقد وعد الله من شكر نِعَمَه بالزيادة، وأوعد من كفرها بعذاب شديد.

بعض الناس حين يُذَكَّر بشكر النِّعَم يتبادر إلى فهمه النِّعَم الدنيوية فقط، مثل: نعمة الصحة والمال والأولاد ونحوها، ولا شك أن هذه نِعَم، وأن شكرها واجب، لكنْ أعظمُ منها وأحقُّ بالشكر النِّعَم الدينية، مثل: أن يُوَفَّق العبد لطاعة، أو يصرف عن معصية، أو يعصم من فتنة، أو يُوَفَّق لإدراك مواسم الخير الزمانية كشهر رمضان وعشر ذي الحجة، أو مواسم الخير المكانية كالمسجد الحرام.

فالمنة بهذه أبلغ، وشكرها أوجب، ومَن شكرها فإنه موعود بالزيادة، ومَن كفرها فإنه متوعد بعذاب شديد.

إن مِن شكر نعمة الله عليك بإدراك شهر رمضان أن تعترف بذلك، فتتذكر

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٩) ومسلم (١٠٧٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٧٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٧٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٦٨٢) وابن ماجه (١٦٤٢).

مَن حرموا هذه النعمة بأن وافتهم منيتهم؛ سواء كانوا شِيبًا أو شبابًا، أو من هم في عداد الأحياء لكنْ قيدتهم قيود العلل والأسقام والأمراض أو غيرها من القيود، وأنت تغدو وتروح طليقًا آمنًا معافى.

هذا أحد أركان شكر النعمة وهو الاعتراف بها.

وركن آخر: أن تنسبها إلى المنعم المتفضل سبحانه، فالأمر كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

والركن الثالث من أركان الشكر: أن تستثمر هذه النعمة فيما يحب الله وفيما يقرب إليه.

فمن اغتنم أيام هذا الشهر الكريم وساعاته، وعمرها بما يقرب إلى الله ﷻ فهذا من شكرها.

أما من فرط في هذا الموسم فجعله وقتًا للغفلة واللهو واللغو، نومٌ في النهار، وغفلةٌ وتفريط في الليل فهذا لم يشكر نعمة الله عليه.

ومِن تَضَاعُفِ نِعَم الله علينا بإدراك شهر رمضان أن الطاعات مع كونها مضاعفًا أجرها فإنها ميسرة في رمضان.

ومن أسباب ذلك: تصفيد مردة الشياطين، قال العلامة ابن رجب رحمه الله في كتابه «لطائف المعارف»: «وفي شهر رمضان يلطف الله بأمة محمد ﷺ، فَيَغُل فيه الشياطينَ ومردة الجن، حتى لا يقدروا على ما كانوا يقدرون عليه في غيره من تسويل الذنوب، ولهذا تَقِلُّ المعاصي في شهر رمضان في الأمة لذلك»، انتهى كلامه(١).

فحري بالمسلم أن يحرص غاية الحرص على اغتنام هذا الموسم الذي لا يدري هل يدركه مرة أخرى أم لا؟ بل لا يدري هل يتمه أم لا؟ وأن ينافس

---

(١) لطائف المعارف، المكتب الإسلامي، ص٣٢٣.

ويسابق إلى الخيرات، بالتبكير إلى الجُمَع والجماعات، وتلاوة كتاب الله في جميع الأوقات، والاستكثار من سائر القربات.

من أسباب الترقي في عبادة الله في رمضان

إن الناس في رمضان يتفاوتون:

منهم من يبدأ شَهْرَه بحماس وإقبال على الطاعة وتبكير إلى المساجد، ثم يتناقص حماسه هذا، فلا تمضي عليه بضعة أيام من رمضان إلا وقد عاد إلى ما كان عليه من الكسل.

ومن الناس من يترقى في رمضان من حَسَن إلى أحسن، فتراه مواظبًا على الطاعات، مستكثرًا من القربات، لا تزيده أيام الشهر إلا نشاطًا وإقبالًا.

فما تعليل ما تقدم؟

لعل السبب ـ والله تعالى أعلم ـ يعود إلى الباعث على الصيام وتلك الأعمال الصالحة، فمن كان صيامه وقيامه مجرد عادة اعتادها فالغالب أنه يبدأ شهره بقدر من النشاط والحماس، بسبب الوضع الجديد الذي غَيَّر الرَّتَابَة التي كان عليها، ولكل جديد لذة، لكن كلما تقدم الشهر ومضت أيامه قَلَّ أثر هذا العامل من عوامل نشاطه، وهكذا حتى يصبح كأنه يمارس عملًا رَتِيبًا، فحينئذٍ ينتابه الكسل والملل، وكلما تقدم الشهر ازداد مللًا وكسلًا، فإذا قربت نهاية الشهر وفيها ليلة القدر وإذا هو في حالة من الكسل، فتراه يُمضِي ليله ونهاره في ما لا طائل وراءه، كالتسكع في الأسواق، والاشتغال بما لا يَعْنِيه.

أما من كان صيامه وقيامه عن إيمان واحتساب فإن أعماله هذه تكون سببًا في زيادة إيمانه، فإذا ازداد إيمانه كان هذا سببًا في ازدياده من العمل الصالح، وهكذا فكلما تقدم الشهر ازداد إيمانًا وعملًا صالحًا، فإذا أتى أواخر الشهر وإذا هو على أحسن ما يكون من الجد في الطاعة والرغبة في الخير، فيكون حريًّا بإذن الله أن يكون في هذا الشهر من الفائزين، المدركين للأجر، الحائزين ما فيه من الفرص العظيمة.

ولذا كان حريًّا بالمسلم أن يتفطن لذلك القيد الوارد في قول النبي ﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»[(١)]، و«من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»[(٢)]، وهكذا قوله ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»[(٣)].

لكن ما معنى قوله إيمانًا واحتسابًا؟

قال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معنى قوله: «إيمانًا» أي: إيمانًا بالله، وبما أعده من الثواب للقائمين، ومعنى قوله: «احتسابًا» أي: طلبًا لثواب الله، لم يحمله على ذلك رياء ولا سمعة ولا طلب مال ولا جاه»، انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)].

أيها المسلم، اجعل هذا منهجًا لك في حياتك كلها، وفي عباداتك جميعها، أن تؤديها إيمانًا واحتسابًا.

وتَذَكَّر ـ بارك الله فيك ـ أن للعمل مع النية أحوالًا:

أحدها: أن العادة المباحة إذا قارنتها النيةُ الحسنة أصبحت عبادة، كالنوم والأكل ونحوهما إذا نوى بهما نية حسنة كالتقوي على طاعة الله صارت عبادة يؤجر ويثاب عليها، كما قال رسول الله ﷺ: «وفي بُضع أحدكم صدقة»[(٥)].

الحالة الثانية: أن العبادة إذا خلت من النية أصبحت عادة، ففاته الأجر.

حالة ثالثة: إذا خلت العبادة من النية الصالحة وحل محلها النية الفاسدة كقصد مراءاة المخلوقين ونحو ذلك أثم صاحبها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨) ومسلم (٧٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧) ومسلم (٧٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٠١) ومسلم (٧٦٠).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، دار الوطن، ٢٠/ ٢١٢.

(٥) أخرجه مسلم (١٠٠٦).

فيا أيها المسلم، لا بد من تحقيق التعبد لله في الصيام وسائر العبادات، وإلا أصبحت عادات رَتِيبة، فليس للمرء من عمله إلا ما نوى، كما قال رسول الله ﷺ في ذلك الحديث العظيم الجامع المانع: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[1].

وإن مما يعين على تحقيق التعبد وتكميله:

١ ـ تدبر أسماء الله الحسنى، فإن ذلك يورث خشية الله.

٢ ـ قراءة القرآن بالتدبر، قال الله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

٣ ـ محاسبة النفس، يعرف المرء بها قدر نفسه، فيطّلع على أخطائه وتقصيره، فيبادر بتصحيح ذلك وتعويض قصوره بالأعمال الصالحة، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨].

٤ ـ ومما يعين على تحقيق التعبد لله فيما تؤديه من الأعمال: استحضار ما ورد في ثوابها، فإذا تذكر العبد أن مَن عَمِل كذا أُعطي كذا من الأجر والثواب كان هذا محفزًا له أن يؤدي العمل على أتم وجه؛ ليفوز بالثواب الموعود به.

٥ ـ الدعاء: «اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحُسن عبادتك»[2].

أخي الكريم، كلما ابتعد الناس عن هدي الكتاب والسنة وقعوا في الجهل والضلال والظلمات.

فانظر ـ بارك الله فيك ـ إلى حال كثير من شعوب العالم الإسلامي، وما هم فيه من البُعد عن حقيقة الدين، وما هم فيه من تناقضات، حتى آل الحال بكثير

---

(١) أخرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٢٢).

منهم إلى أن يكتفي من الإسلام بالاسم دون الحقيقة، لـمَّا صاروا يمارسون عبادات خَلَت من النية أو ضعف فيها نية التقرب إلى الله ﷻ والتعبد له.

توجيهٌ حول تفطير الصائمين

من المظاهر الحسنة في مجتمعنا في السنوات الأخيرة: التسابقُ إلى تفطير الصائمين، وفي هذا العمل خير كثير بإذن الله.

ففيه تفطير الصائمين، و«من فطر صائمًا كان له مثل أجره»(١).

وفيه إحسان إلى المساكين، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وفيه تَأَلُّفٌ لقلوبٍ طالما شُحنت على مَن حولهم من أهل البلد؛ لأن واحدًا منهم أو أكثر ظلمه بتأخير راتبٍ أو المماطلة بأداء حق أو غير ذلك، «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا»(٢).

وفيه أوجه كثيرة من أوجه الخير والبر والإحسان.

لكن.. يفوت على بعضِ محبي الخير: حاجةُ أولئك الـمُفْطِرِين إلى أن يُفَادُوا في دينهم، وما في ذلك من الأجر العظيم.

دعوة لأئمة المساجد ولكل مسلم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

دعوة لأئمة المساجد ولكل مسلم أن يتعرضوا لنفحات ربهم في هذا الشهر الكريم(٣)، وأن يُكثروا من الدعاء، فالدعاء هو العبادة.

والدعاء قد تسلح به الأنبياء والصالحون.

---

(١) أخرجه الترمذي (٨٠٧) وابن ماجه (١٧٤٦).
(٢) أخرجه مسلم (٥٤).
(٣) أي: شهر رمضان.

○ فادعوا الله لأنفسكم ولوالديكم، أحياءً أو أمواتًا؛ بالمغفرة والرحمة والهداية والعفو والعافية والفوز بالجنة والنجاة من النار.

○ وادعوا الله لأزواجكم وذراريكم وسائر أهليكم، بمثل: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، اللهم أصلح لنا في ذرياتنا، اللهم أجرنا ووالدينا وأهلينا من النار.

○ وادعوا الله لأئمة المسلمين من الولاة والعلماء؛ أن يقيم الله بهم الدين، ويقويهم بالحق، وأن يُقَيِّض لهم البطانة الصالحة الناصحة.

○ وادعوا الله للمجاهدين في سبيله والداعين إليه والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر؛ أن يغفر الله لهم ذنوبهم وإسرافهم في أمرهم، وأن يثبت أقدامهم وينصرهم على عدو الله وعدوهم، وأن يجمع على الحق كلمتهم، وأن يجمع قلوبهم على طاعته، وأن يرزقهم الهدى والسداد، وأن يفتح عليهم من مواهبه، ويفتح لهم القلوب.

○ وادعوا الله للمستضعفين من المسلمين؛ أن ينجيهم ويهلك عدوهم، وأن يثبت قلوبهم على دينه، وأن يفقههم في الدين، وأن يستر عوراتهم ويؤمن روعاتهم، وأن يطعمهم من جوع، ويكسوهم من عُري.

○ وادعوا الله لشباب المسلمين ولنساء المسلمين؛ أن يهديهم الله، ويحبب إليهم الإيمان، ويزينه في قلوبهم، ويُكَرِّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، ويجعلهم من الراشدين، وأن يعيذهم من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

واحرصوا بارك الله فيكم على التأدب بالآداب الشرعية للدعاء، ومنها:

١ ـ صدق الله، والإخلاص له، والإيقان بالإجابة.

٢ ـ إطابة المطعم.

٣ ـ اختيار الجوامع من الدعاء وترك ما سوى ذلك.

٤ ـ الحرص ما أمكن على الدعاء بما ورد في الكتاب والسنة.

٥ ـ الحذر من التكلف والتقعر في العبارات والاعتداء في الدعاء.

٦ ـ ألا يطيل الإمام طولًا يشق على المأمومين؛ بل يخفف إلا أن يوافق مناسبةً يرجو أن تكون موطن إجابة الدعاء؛ لكن لا يَجعل الإطالة عادة له راتبة.

واعلم يا أيها المسلم أن الدعاء سبب للنصر على عدو الله وعدونا، وتَذَكَّر أنه حين يُفتح للمسلمين باب خير أو يُكف عنهم باب شر بسبب دعوة دعوتَها فإنه لا يزال يجري عليك أجر ذلك، فاجتهد بارك الله فيك ولا تحرم نفسك الخير.

مقترحات حول موضوعات الأحاديث خلال شهر رمضان

لا يخفى ما لِهَذا الشهر الكريم من المزايا، وخصوصًا في جانب الاهتمام بالمساجد وكثرة المرتادين لها أثناء الصلوات، وحضور مَن لا يحضر إلى المساجد إلا في رمضان كالنساء مثلًا، فلذلك ينبغي لكل إمام مسجد ـ وهو المسؤول الأول في مسجده ـ أن يستغل هذه الفرصة في أداء الأمانة الملقاة على عاتقه بتوليه لهذه الوظيفة الشريفة، كما أنها فرصة يؤدي الإمام أو مَن ينوب عنه زكاةَ عِلْمه، فيعلمه للناس، ويَسْلم من الوعيد الوارد في شأن من كتموا العلم.

هذا مع أن الإنسان مأجور في هذا كله، كما قال ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلًا واحد خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم»[(١)]، وقال ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا»[(٢)].

وبهذه المناسبة؛ إليك أيها الأخ الكريم بعضًا من المقترحات حول موضوعات الأحاديث خلال شهر رمضان:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠١) ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

❖ تنبيهات عامة حول إلقاء الموضوعات:

ينبغي مراعاة الملاحظات التالية في الأحاديث المطروحة:

١ ـ عدم تكرار الموضوعات.

٢ ـ التنويع في طرح الموضوعات، فمثلًا يومٌ في السيرة النبوية، ويوم في تفسير آية، ويوم في...

٣ ـ محاولة جدولة الموضوعات، وتوزيعها على الأيام منذ بداية الشهر.

٤ ـ محاولة تحديد وقت طَرْح الموضوع (٢٠ ـ ٢٥) دقيقة في العِشاء مثلًا، والتقيُّد بذلك حتى لا تطول الموضوعات طولًا مملًّا.

٥ ـ يلاحظ أن جماعة المسجد يتكاملون بعد صلاة العصر، لذا يُقترح أن يكون الحديث في كتب رمضان: مجالس شهر رمضان لابن عثيمين، المناهل الحسان لعبد العزيز السلمان...

٦ ـ محاولة استضافة بعض المشايخ والاستفادة من طلبة العلم لإلقاء بعض الدروس أو الموضوعات على الجماعة في المسجد.

٧ ـ يقترح وضع صندوق للفتاوى، وتخصيص يوم للإجابة على الأسئلة، وقراءة ما يتيسر من كتب الفتاوى (ابن باز، ابن جبرين، ابن عثيمين) في بعض الأيام.

❖ كتب ينبغي توفرها، وتفيد في الأحاديث:

١ ـ الضياء اللامع، ابن عثيمين.

٢ ـ الخطب المنبرية، صالح الفوزان.

٣ ـ موارد الظمآن، عبد العزيز السلمان.

٤ ـ منهاج المسلم، الجزائري.

٥ ـ مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي.

٦ ـ مجموعة صور من حياة الصحابة والتابعين، عبد الرحمن رأفت الباشا.

٧ ـ الرحيق المختوم في سيرة الرسول ﷺ، صفي الدين المباركفوري.

٨ ـ تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الوهاب.

٩ ـ حاشية كتاب التوحيد، ابن قاسم.

١٠ ـ زاد المعاد، ابن القيم.

١١ ـ تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، البسام.

١٢ ـ المختار من كنوز السنة النبوية، شرح أربعين حديثًا في أصول الدين، محمد بن عبد الله دراز.

١٣ ـ فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز.

١٤ ـ فتاوى الصيام، ابن جبرين ـ ابن عثيمين.

١٥ ـ الرياض النضرة، عبد الرحمن بن سعدي.

١٦ ـ جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي.

❖ الموضوعات المقترحة:

إليك سردًا لبعض الموضوعات المقترحة، مع محاولة اقتراح وتوضيح أماكن وجودها في بعض الكتب والإشارة إلى أرقام الصفحات ما أمكن:

أ ـ العقيدة:

١ ـ نعمة الإسلام، ووجوب القيام بشكرها.

٢ ـ شهادة ألا إله إلا الله معناها وشروطها.

- مجلة البحوث العلمية العدد (١٣) للشيخ صالح الفوزان.
- كتب التوحيد.
- معارج القبول، للحكمي.
- تيسير العزيز الحميد.
- الأجوبة المفيدة، الدوسري.

٣ ـ نواقض الإسلام العشرة لمحمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤ ـ بعض الأبواب من كتاب التوحيد.

○ حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم، ص٢٣٦ وما بعدها.

٥ ـ علامات الساعة الكبرى.

○ القيامة الصغرى، لعمر الأشقر.

٦ ـ عشرة أسباب تسقط معها العقوبة.

○ العقيدة الطحاوية، ص٣٠٢.

٧ ـ الشعوذة والسحر، حكم السحر، حكم إتيانهم وتصديقهم.

○ تذكير البشر بخطر الشعوذة والكهانة والسحر، للجار الله[١].

٨ ـ العين وسبل التوقي منها وعلاجها.

○ زاد المعاد.

○ إغاثة اللهفان، كلاهما لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢].

ب ـ الفقه:

١ ـ الطهارة:

أ ـ الوضوء.

ب ـ الغسل.

ت ـ التيمم.

ث ـ الحيض والنفاس.

---

(١) وانظر أيضًا: رسالةً بعنوان: السحر والعين والرقية منهما، للوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي ضمن كتاب: إضاءات مجموعٌ فيه رسائل ومحاضرات، ص١٣١ ـ ١٥٢.

(٢) وانظر أيضًا: رسالةً بعنوان: السحر والعين والرقية منهما، للوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي ضمن كتاب: إضاءات مجموعٌ فيه رسائل ومحاضرات، ص١٣١ ـ ١٥٢.

٢ ـ الصلاة:

أ ـ صفة صلاة رسول الله ﷺ مع الشرح الكافي.

- رسالة الشيخ بن باز.
- زاد المعاد.

ب ـ بعض الأخطاء المتكررة في الصلاة.

- رسالة الشيخ ابن جبرين.
- رسالة للإمام والمأمومين، للجارالله.

ت ـ من أحكام القيام: فضله، الصلاة بعد الوتر، مَن جاء بعد أن قُضيت الفريضة.

ث ـ خصائص يوم الجمعة وصلاة الجمعة.

- الضياء اللامع، الجزء الثاني.
- زاد لمعاد.

٣ ـ أحكام العيد:

- صفة صلاة العيد، وحكمها.
- التكبير، ومتى يبدأ، وما صيغته؟
- سنن يوم العيد.

صدقة الفطر: هل يلزم إخراجها في البلد الذي غربت عليه فيه شمس آخر يوم من رمضان؟ حكم من يخرجها عنه غيرُه كوالده مع ملكه لقيمتها...

٤ ـ الربا:

- تحريمه، خطره، صوره المنتشرة.

٥ ـ القمار وبعض صوره المنتشرة (الميسر).

٦ ـ الفتاوى، ويدخل فيها:

أ ـ الإجابة على أسئلة جماعة المسجد بعد عرضها على العلماء.

ب ـ القراءة في كتب الفتاوى:

○ فتاوى الشيخ ابن باز.

○ فتاوى ابن جبرين.

○ فتاوى ابن عثيمين.

ج ـ في الآداب والسلوك والإيمانيات:

١ ـ صفات السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال.

○ طريق الهجرتين، لابن القيم.

٢ ـ مجموعة موضوعات من كتاب واحات الإيمان.

٣ ـ الإرادة وضبط النفس.

○ من كتاب الأخلاق الإسلامية.

٤ ـ المحاسبة، التوبة، الرجاء، الصبر.

○ تهذيب مدارج السالكين، لابن القيم[١].

٥ ـ حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة.

○ رسالة الشيخ ابن عثيمين تصلح لعدة موضوعات.

٦ ـ حديث سمرة بن جندب الطويل: «من رأى منكم الليلة رؤيا»[٢]، مع بعض الشرح.

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم، أما تهذيبه؛ فقد قام عدد من المعاصرين بتهذيب الكتاب واختصاره، انظر مقدمة تحقيق مدارج السالكين، عطاءات العلم، ١/٧١. ولعل الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ أراد تهذيب عبد المنعم صالح العلي العزي؛ لكونه أشهر تلك التهذيبات وأقدمها.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٦).

٧ ـ حديث: «إني رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلًا من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه فرفع ملك الموت عنه...»[١].

○ الوابل الصيب، ص١٧٩.

٨ ـ الدعاء: فضله، وآدابه، والأوقات التي تتأكد فيها إجابته.

○ كتاب آداب الدعاء، حسين عوايشة.

٩ ـ صلاة الجماعة: أهميتها، فضلها وفوائدها، خطر التخلف عنها، الأسباب المعينة عليها.

○ الكبائر للذهبي.

○ رسالة للشيخ عبد العزيز بن باز.

○ أربح البضاعة في فوائد صلاة الجماعة، للجار الله.

○ جبر الكسر في الأسباب المعينة على أداء صلاة الفجر.

١٠ ـ كتاب: شرح (٥٠) حديثًا نبوية، لابن رجب الحنبلي (جامع العلوم والحكم).

○ حديث: «اتق الله...»، ص١٠٢ ـ ١٣٦.

○ حديث: «احفظ الله يحفظك...»، ص١١٦.

○ حديث: «القرآن حجة لك أو عليك»، ص١٨٥.

○ حديث: «وهل يكب الناس...»، ص٢١٠.

○ حديث: «لا تحاسدوا ولا تدابروا...»، ص٢٨٥.

١١ ـ آداب اللباس: الرجال ـ النساء.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال بلفظ آخر (ص٢٧٣)، وانظر: المستدرك على مجموع الفتاوى لابن تيمية، ١/ ٩٩، وانظر ـ أيضًا ـ كلام العلامة ابن القيم في الوابل الصيب، عطاءات العلم، ١/ ١٩٩ ـ ٢٠٥، وكلام محقق الكتاب في ١/ ٢٠٥.

١٢ ـ حقوق الزوجين:

○ حقوق دعت إليها الفطرة، لابن عثيمين.

١٣ ـ مجموعة أحاديث حول الجنة والنار والقبر والحشر، وتكون موزعة خلال الشهر.

د ـ القضايا الاجتماعية وشؤون المرأة:

١ ـ الدعوة إلى الله.

٢ ـ الحجاب: أدلة وجوبه، صيانةٌ للمرأة واحترامٌ لها.

○ رسالة الشيخ ابن باز.

○ أدلة وجوب الحجاب، لابن عثيمين.

٣ ـ دور المرأة: الدور الصحيح لها، محاولات أعداء الإسلام لإحلالها في غير محلها؛ توسلًا لإفسادها وإفساد المجتمع المسلم بها.

٤ ـ منكرات الأفراح:

○ منكرات الأفراح، للعبدلي الغامدي.

٥ ـ الاختلاط وخطورته.

○ ابن باز.

○ الضياء اللامع.

٦ ـ الخروج إلى الأسواق وآدابه.

٧ ـ عدم الاهتمام بأوضاع المسلمين، وعدم دعمهم والفرح بانتصارهم.

٨ ـ العقوبات في الإسلام، الزنا، القتل، السرقة...

٩ ـ تربية الأولاد، وأسباب صلاحهم، ومسؤولية الآباء تجاه أسرهم.

○ تربية الأولاد، لعبد الله علوان رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٠ ـ الخدم والخادمات والسائقون:

○ الضياء اللامع.

١١ ـ حقوق العمال.

هـ ـ السيرة والسير:

١ ـ اختيار مقاطع من كتاب الرحيق المختوم في سيرة الرسول ﷺ، ومن ذلك:

○ غزوة بدر.

○ غزوة الحديبية: ص ٣٧٨ ـ ٣٩٠.

○ فتح مكة: ص٤٤٣ ـ ٤٦٣.

○ غزوة حنين والطائف: ص٤٦٥ ـ ٤٧٦.

○ غزوة بني النضير: ص٣٣٠ ـ ٣٣٣.

○ غزوة بني قينقاع: ص٢٦٢ ـ ٢٦٧.

○ غزوة بني قريظة: ص٣٥٢ ـ ٣٥٧.

○ فتح خيبر: ص٤٠٨ ـ ٤٢٣.

٢ ـ دروس وعِظَات من غزوة تبوك، لأحمد محمد باشميل (سلسلة معارك الإسلام الفاصلة).

٣ ـ دراسة حياة بعض الأعلام المسلمين.

أ ـ قراءة دورية في كتاب: صور من حياة الصحابة أو صور من حياة التابعين، تأليف: عبد الرحمن الباشا، وتخصيص يوم في الأسبوع لذلك.

ب ـ حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

○ كتاب: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، للندوي، ص٢٣ ـ ٦٩.

ت ـ حياة شيخ الإسلام ابن تيمية.

ث ـ حياة العلامة ابن القيم.

دروس مقترحة للمسجد في شهر رمضان

١ ـ خطر الذنوب والمعاصي:

○ الجواب الكافي.

٢ ـ من صور التقصير في مرتبة الإحسان: التجرؤ على المعاصي، والقصد من هذا الموضوع: الدعوة إلى تحقيق الإحسان والسعي في ذلك، وعدم الاكتفاء بالدعوى هنا.

٣ ـ أسباب التلذذ بالطاعات:

○ تكميل الإخلاص، (كلام الشيخ تقي الدين).

○ عدم تحميل النفس ما لا تطيق، والأخذ من الأعمال قدر طاقة النفس.

○ مطالعة سير الصالحين.

○ تطهير القلب من آفاته.

○ انظر كتاب: «استنشاق نسيم الأنس[(١)]»، ص٧٢.

٤ ـ التحذير من الترف:

○ تفسير الآيات الواردة في ذم الترف والتحذير منه.

٥ ـ الإسراف والتبذير: عواقبه، وصور له.

---

(١) للحافظ ابن رجب، واسم الكتاب كاملًا: استنشاق نسيم الأُنس من نفحات رياض القدس، وقد أشار الحافظ ابن رجب إلى موضوع هذا الكتاب بقوله في المقدمة: «وقد استخرت الله تعالى في جمع ما ورد في الكتاب والسنة وكلام أعيان سلف الأمة ومن سلك سبيلهم من العارفين الأئمة، في محبة الله جل وعلا وعلاماتها وطرقها ولوازمها ومقتضياتها...».

٦ ـ ما بعد الموت: استعراض أحوال الإنسان من حين موته إلى دخوله الجنة أو النار.

○ من كتاب تحفة المودود.

٧ ـ حقيقة الإيمان: اعتقاد وقول وعمل.

٨ ـ حقيقة التوكل.

٩ ـ محبة النبي ﷺ.

١٠ ـ من شمائل النبي ﷺ.

١١ ـ المستقبل للإسلام.

١٢ ـ المنافقون: صفاتهم، خطرهم.

١٣ ـ التحذير من التشبه بالكافرين.

١٤ ـ من الكبائر: الأمن من مكر الله، واليأس من رحمة الله.

○ فتح المجيد.

○ وتفسير قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الأعراف: ٩٧] الآية من سورة الأعراف.

١٥ ـ طلب العلم: المقصود به، شرفه، فضل أهله، خطورة الجهل بأمور الدين.

١٦ ـ أسباب ضعف المسلمين، ومصادر قوتهم.

١٧ ـ الولاء والبراء.

١٨ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٩ ـ مفهوم العبادة في الإسلام.

٢٠ ـ ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣]، علاج بعض الظواهر، كتتبع الرُّخَص من غير نظر في الدليل إنما هوى، وكوصف مَن يحرص على القول

والإفتاء وفق ما جاءت به الأدلة بالتشدد، ومَن يتوسع في الترخيص من غير دليل بالوعي والسماحة والتيسير.

٢١ ـ خطر الفتوى بغير علم، ووجوب التحري في اختيار المفتي.

٢٢ ـ فضل «بسم الله الرحمن الرحيم»، ومعناها، وهل هي آية من القرآن أم ماذا؟

٢٣ ـ تفسير سورة الفاتحة، ومعرفة ما ورد في فضلها، وحكم قراءة المأموم لها خلف الإمام. وَجْهُ أهمية هذا الدرس: أنها ركن الصلاة، ومعرفة فضلها ومكانتها ومعانيها يعين على التدبر والخشوع.

٢٤ ـ تفسير آيات الصيام في سورة البقرة.

٢٥ ـ تفسير سورة القدر، ومعرفة الأقوال في تحديد ليلة القدر.

٢٦ ـ معرفة معاني أذكار الصلاة، وأثر ذلك في تحقيق الخشوع، كأذكار الاستفتاح، والركوع، والسجود، والتشهد. . .

○ دروس شرح بلوغ المرام، حديث ما بعد صلاة العصر، الشيخ محمد العثيمين.

٢٧ ـ مظاهر ضعف الإيمان، وأسباب ذلك، وعلاجه:

○ رسالة «التوضيح والبيان»، الشيخ عبد الرحمن السعدي.

٢٨ ـ أثر أكل الحرام والأموال المشتبهة (إطابة المطعم)، وصور ذلك.

٢٩ ـ نعمة الجوارح: عبودية كل جارحة، وكيفية شكرها، وأثر ذلك في حصول رضا الرب، وفي حفظ تلك النعمة.

٣٠ ـ الاستسلام لله:

○ أهميته ومكانته:

أ ـ سُمّي الإسلام إسلامًا لأنه يتضمن الاستسلام والانقياد والإذعان لله.

ب ـ وَصَف الله أنبياءه بذلك في عدة مواضع.

ت ـ أَمَر الله خليله بهذا.

ث ـ دعاء الخليل وابنه.

○ أمثلة لما يُستسلم له من دون الله أو مع الله مما يخالف الإسلام أو ينقص الإيمان:

أ ـ الهوى.

ب ـ العادات والتقاليد.

ت ـ الموضة.

ث ـ القوانين الوضعية.

ج ـ العقل وحقيقة اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠].

○ أمور تعين على تحقيق الاستسلام وتكميله:

أ ـ دراسة أسماء الله وصفاته.

ب ـ تَذَكّر نعم الله علينا الظاهرة والباطنة.

ت ـ تذكر المآل.

ث ـ معرفة ثواب الطاعات وعقوبات المعاصي.

٣١ ـ الهداية إلى الصراط المستقيم، وأسباب الثبات عليه، والتحرز من الصوارف.

٣٢ ـ شروط قبول الأعمال.

٣٣ ـ كتاب الله: النعمة علينا به، واجبنا تجاهه، آداب قراءته.

٣٤ ـ شرح حديث: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع»(١).

---

(١) أخرجه الدارمي في مسنده (٥٥٦).

٣٥ ـ النوافل والمستحبات:

○ الحث على اغتنامها، وعدم الزهد فيها.

○ نعمة الله علينا بها في رفعة الدرجات، وتكفير السيئات، وجبر نقص الفرائض.

○ التهاونُ فيها، وعدم الاهتمام بها قد يتمادى إلى التقصير في المفروضات.

○ عموم أبوابها، فمن أمثلتها: نوافل الصلاة، والصيام، والأذكار، والصدقات، وزيارة المقابر.

٣٦ ـ فضل الصدقة، وأفضل مصارفها.

٣٧ ـ المبادرة بالخيرات.

٣٨ ـ أولياء الله:

○ بِمَ تُنال ولاية الله؟

○ ثوابهم في الدنيا وفي الآخرة.

○ التحذير من إيذاء الصالحين، ومن صور هذا الإيذاء: إيذاء حَمَلة الدين والعلماء والدعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، بسخرية أو تَنَقّص أو غيرها.

○ وجوب إحسان الظن بالمسلمين عمومًا وبالصالحين خصوصًا.

٣٩ ـ الزواج: أهميته وفوائده وبركاته، التذكير به، آثار تأخيره، أسباب ذلك، بحث الولي عن الزوج الكفء لموليته بنتًا كانت أو أختًا؛ اقتداءً بالسلف الصالح في ذلك، والسعي في تيسيره، والتعاون على ذلك.

○ الزواج، لعبد العزيز المسند.

٤٠ ـ أسماء الله الحسنى:

○ أثر ذلك في زيادة الإيمان، تَعَبُّد الله بها، شرحٌ لبعض أسماء الله الحسنى.

٤١ ـ مصادر التلقي الصحيح، والمقصود من ذلك: قصر تلقي الأحكام الشرعية من الوجوب أو الحل أو الحرمة، وتلقي تقويم الأوضاع من الحسن أو القبيح، وتقويم الأفراد والجماعات باستقامة أو انحراف ـ على المصادر الصحيحة المستمدة من الأدلة المعتبرة.

٤٢ ـ الحكم بشرع الله.

٤٣ ـ أخطاء يقع فيها بعض الصائمين.

٤٤ ـ محاسن الدين الإسلامي.

٤٥ ـ يُسْر الدين: ذكر أدلة على ذلك، إيراد أمثلة، المفهوم الخاطئ لذلك، من ذلك جعله مطية لترك بعض ما يجب، أو ارتكاب بعض ما يحرم.

❖ **مَنْشَأ الفهم الخاطئ ليسر الدين:**

أ ـ الجهل.

ب ـ الهوى.

ت ـ الكيد للدين.

(يُدعم كل عنصر بأمثلة مناسبة).

٤٦ ـ سعة رحمة الله.

٤٧ ـ من أخبار الصالحين في العبادة.

٤٨ ـ الاعتكاف، وهَدْيُه ﷺ في العشر الأواخر من رمضان.

٤٩ ـ نماذج من حياة السلف في رمضان.

٥٠ ـ آفات اللسان وكيف عالجها الإسلام.

٥١ ـ أسباب العتق من النار.

٥٢ ـ عداوة الشيطان:

○ خطورته (من تفسير المعوذتين لابن القيم).

○ من طُرقه في الإغواء: التيئيس، التدرج، التسويف...

○ بِمَ يُعتصم من كيده؟ (حروز يَحفظ اللهُ العبدَ بها منه). وانظر: الأسباب التي يَعتصِم بها العبد من الشيطان، للجارالله، وفيها من مداخل الشيطان، ص٢٧.

٥٣ ـ فوائد غض البصر وآفات إطلاقه، وتُذْكر بعض المواطن والأمور التي يُحذر منها.

٥٤ ـ شرح دعاء القنوت: «اللهم اهدني فيمن هديت»[(١)].

٥٥ ـ حفظ الوقت.

٥٦ ـ تفاضل الأعمال.

طلاب المدارس مع الصيام

أولًا: حيث إن هذه أولُ سنة تقرر فيها الدراسة في رمضان[(٢)]، لذا فقد يجد البعض من الطلبة مشقةً في الجمع بين الدراسة والصوم، فلعل هذا يُعالَج بأمور؛ منها:

١ ـ التذكير بالأجر، واحتساب ما يجده من مشقة.

٢ ـ تذكر ما نحن فيه من وسائل سهلت أمور حياتنا؛ من أجهزة تكييف، ووسائل مواصلات، وغيرها.

٣ ـ مقارنة وضعه بغيره ممن هو دونه، فأنت في شبابك وقوّتك، وهناك مُسِنُّون بلغوا من العمر عتيًّا يصومون، فالمعونة تنزل من الله على قدر المؤونة ـ يعني: على قدر التعب ـ، بل إن هناك مَن يجوز لهم الفطر لكِبر سنهم، ومع هذا يأبون إلا أن يصوموا.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٢٥) والترمذي (٤٦٤) والنسائي (١٧٤٥) وابن ماجه (١١٧٨).

(٢) علق الوالد رَحِمَهُ اللهُ على هذا الموضع فقال: كتبتُ هذه الرسالة عام ١٤٠٧هـ.

كما أننا لم نكلَّف بأعمال شاقة ولا مطالب مرهقة، كل ما في الأمر تَرَدُّدٌ على المدرسة مدةَ سُويعات من اليوم، ولأيام محدودة من الشهر، والطريق ميسر، والمدارس مهيأة غالبًا.

٤ ـ من صفات الرجال: تحمُّل المشاق، والصبر على الشدة، فأين الرجولة إن لم يظهر أثرها هنا؟ فهل ترضى أن توصف بأنك شِبْه رجل، أو نصف رجل، أو لست برجل! إذن فحقق معنى رجولتك.

٥ ـ بيان حكم من أفطر يومًا من رمضان من غير عذر.

وحبذا لو عُقدت ندوة مسبقة قبيل رمضان أو أول أيام رمضان، يُنبَّه فيها إلى الأمور المهمة حول رمضان والصيام.

كما يُتوقع كثرة الأسئلة والاستفتاءات عن الصيام، فقد يحسن أن يخصص بعد صلاة الظهر مدة لا تطول يجاب فيها كل يوم أو يومين على ما يَرِد إلى صندوق الفتاوى.

ثانيًا: الوقت الحاصل ما بين الانصراف من المدرسة وصلاة العصر قد يغري بالنوم، وأغلب الطلبة إذا نام تلك الساعة يغلب أن يمتد نومه إلى قبيل المغرب، وهذا فيه تفويت للصلاة مع الجماعة، بل فيه تأخير الصلاة إلى وقت لا يجوز تأخيرها إليه.

عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقرها أربعًا، لا يذكر الله فيها إلا قليلًا» رواه الجماعة إلا البخاري وابن ماجه(١).

فحبذا لو حرص القائمون على المدارس أن يتريث وقت الانصراف من المدرسة يسيرًا، بحيث يكون وصول الطالب بيته مع الأذان، مما يشجعه على أن يصلي العصر في وقتها جماعة، ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما عن

(١) أخرجه مسلم (٦٢٢) وأبو داود (٤١٣) والترمذي (١٦٠) والنسائي (٥١١).

النبي ﷺ أنه قال: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وُتر أهله وماله»[(١)]، وفي صحيح البخاري عن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»[(٢)].

الرياضة في رمضان

حديثنا هنا لا نوجهه إلى من أَتْبَع نفسه هواها، ولم يعرف قيمة وقته، وإنما نوجهه إلى الشاب الذي أنعم الله عليه بأنفس نعمة، وأعطاه أثمن عطية، وتلكم هي نعمة الهداية والصلاح، إذ من العبث ومن الغبن والخسارة إمضاء ساعات عديدة من ليالي رمضان في اللعب.

ومن العجيب المؤسف، ومن التناقض أنك قد ترى مَن يعرف قيمة الوقت، فلا يعطي اللعب في غير رمضان من الوقت إلا فترة واحدة في الأسبوع أو فترتين إن كثرت، مع أن نفسه تهوى المزيد، لكنه يعرف قيمة وقته، فلا يبدده فيما لا طائل وراءه، لكنه إذا جاء رمضان نشط فيما كان مقتصدًا فيه، وأخذ اللعب جزءًا من وقته يوميًّا أو ما يقارب ذلك.

وهذا ـ والله إلا ما شاء الله ـ حرمان وغفلة عما ينبغي أن تُشغَل الأوقات به، ومَن فعل ذلك فما قَدَر رمضان قدره، ولا عرف له قيمته.

فما حُجة مَن يفعل ذلك من عقل أو نقل أو دليل صحيح؟

وما نصيب هذا الفعل من سنة النبي ﷺ؟

نعوذ بالله من الغفلة والحرمان.

ولمن يتبنى مثل تلك الظواهر أو يقرها بتبريرات؛ منها: الخوف على الشاب بأنه إن لم يُقَدَّم له ذلك أن يرتبط بمن لا خير فيهم ممن يُشبع له رغبته في اللعب المتواصل.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٢) ومسلم (٦٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٣).

وهذا مُبَرِّرٌ غير كافٍ؛ ذلك أن الشاب المتعقّل إذا وجد من يقنعه ويذكّره ويعينه على نفسه ويضرب له المثل والقدوة برسول الله ﷺ بادر إلى الاستجابة والامتثال، فالنفوس ـ وخاصة في سن الشباب ـ بحاجة إلى حَثٍّ وتذكير وأن تُعان على نفسها.

فإن شذ عن هذا من شذ فلم يقتنع فلا ينبغي أن يُضَيَّع الوقتُ على الحريص على الخير، ويتضرر بسبب غيره، بل حقه علينا أن نشجعه ونحاول رفعه إلى أعلى لا العكس.

كما أن من الأسباب العائدة إلى الشاب نفسه: قياسه نفسه على مَن حوله مِن عامة الناس، فكأنه يريد أن يجاريهم، ويفعل فعلهم أو قريبًا منه، وهذه نظرة ينبغي ألا تُقَرَّ، بل ينبغي أن يُغرَس في نفسه تميزه عن غيره برسوخ العقيدة، وعمق النظرة، وعلو الهمة، وأن ترفع له القدوة في نبينا محمد ﷺ وصحبه الكرام ومن تبعهم بإحسان.

لكن علاج تلك الظاهرة ـ إن صح أنها ظاهرة ـ لا يكون بفرض الرأي ولا بالعواطف والحماس المجرَّد، إنما يكون بالإقناع والتذكير وطَرْق الموضوع مرات متكررة بصور مختلفة، مرة بالتذكير بقيمة الوقت، ومرة بذكر الجنة ونعيمها وما يُوصِل إليها، وأنها لا تُنال بالأماني، ومرة بذكر نعمة الهداية ومستلزَماتها، وتميز الرجل الصالح بشخصيته ونظراته واهتماماته، ومرة بذكر هدي النبي ﷺ في القيام وفي رمضان، ومرة بتفسير سورة العصر، وما أشبه ذلك.

كما أنه يُحْذَر من أن يَتسبب علاجُ الخطأ بتوليد خطأ مقابِل، إذ لا يَنبغي أن يُتجاهل وضعُ الشاب، وقِصَرُ نظرته، ورغبتُه في اللهو واللعب والانطلاق، فلا مانع من إعطاء النفس حظها من الترفيه والترويح والتسلية المباحة، لكن المحذور التمادي في ذلك.

البدار.. البدار

كان الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا ما يُعلِّق هذه الورقة عند باب المسجد الذي يصلي فيه، قُبيل دخول العشر الأواخر من رمضان. وسترى صورة هذه الورقة في الملحق، إن شاء الله.

وهي من كتابة والدتي حفظها الله.

وأحسب أن الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أراد بنشر هذه الورقة الإحسانَ لزوجه.. فجزاهما الله خيرًا.

البدار.. البدار:

وا أسفاه على أيام معدودات قاربت أن تنتهي.

فلندرك يا إخوتي ما بقي؛ علَّنا نلحق بركب الفائزين.

فها هي ليلة القدر قد أقبلت، فهل من يقظة؟ وهل من عودة؟ وهل من توبة؟

أما آن لنا أن نطهر بيوتنا من أجهزة تبارز الله بالمعصية؟ اشتريناها بأموالنا ووضعناها في أعز مكان في منازلنا.

وها هم أولادنا يتحلَّقون حولها منذ نعومة أظفارهم، فدنست فطرتهم، وأذهبت حياءهم، ولعل قصص الانحراف والشذوذ في الشباب تقنعك بخطرها، بل والمؤلم أن سمومها لم يسلم منها الكهول، أما النساء فَلْتَبْكِ العيون عليهن دَمًا.

هيا يا أخي نستقبل ليلة القدر بقلوب منكسرة وعيون دامعة.

هيا نطهر بيوتنا من أجهزة الفساد والضلال، وَلْنَصْدُقِ التوبة؛ قبل أن تشهد علينا أسماعنا وأبصارنا، ونندم حين لا ينفع الندم.

أصحاب الهمم.. فُرَص:

كان الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُعلق ورقاتٍ في بعض الأماكن العامة، بمناسبة دخول فصل الشتاء؛ ورقتان بعنوان: «أصحاب الهمم»، وثالثة بعنوان: «فُرَص».

يفعل ذلك تذكيرًا للناس وحثًّا لهم على اغتنام نهار الشتاء بالصيام، وليله بالقيام.

إليك نصها، وسترى صورتها ـ إن شاء الله ـ في الملحق، آخر الكتاب.

في الأثر: «الشتاء ربيع المؤمن، طال ليله فقامه، وقصر نهاره فصامه»(١).

وفي الأثر الآخر: «الصيام في الشتاء الغنيمة الباردة»(٢).

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: ألا أدلكم على الغنيمة الباردة؟ الصيام في الشتاء(٣).

وكان عبيد بن عمير إذا جاء الشتاء قال: يا أهل القرآن! طال ليلكم لقراءتكم القرآن فاقرؤوا، وقصر النهار لصيامكم فصوموا(٤).

وداع رمضان.. ماذا بعد رمضان؟(٥)

يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١١]، وإن أعظم نِعَم الله علينا أن هدانا للإسلام، وأنزل علينا القرآن، وجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

هذا وإن من نِعَم الله العظيمة علينا أن بلغنا رمضان، يا لها من نعمةٍ ما أعظمها، وفرصةِ خيرٍ ما أثمنها، وهي كسائر النِّعَم موعود من شكرها بالزيادة، ومتوعد من كفرها بعذاب شديد.

---

(١) أخرجه أحمد (١١٧١٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٧٩٧) من طريق عامر بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال الترمذي: «هذا حديث مرسل، عامر بن مسعود لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم...».

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، (٨٥٣١).

(٤) انظر: لطائف المعارف، المكتب الإسلامي، ص٥٦٥.

(٥) تاريخ هذه الورقة: ٤/ ١٠/ ١٤٢٤هـ.

فتذكّر يا عبد الله ما مَنَّ اللهُ به عليك من إدراك هذا الشهر، وما يسر من الصيام والقيام وتلاوة القرآن، وما أسدى إليك من النِّعَم، من نِعَم الطعام والشراب والعافية والأمن، وما دفع عنك من صنوف البلايا والنقم.

اذكر هذا، وتذكّر قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

هذه مسألة، وثمة مسألة أخرى وهي أن المسلم يجتهد في فعل الطاعات، ثم يجتهد بدعاء الله بالقبول، ثم مع كل هذا يُعَلِّق نفسه برحمة الله وفضله، لا بعمله كثيرًا كان أو قليلًا، فيتوكل على الله لا على عمله ولا غيره من الأسباب، قال رسول الله ﷺ: «لن يُنْجِيَ أحدًا منكم عملُه»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة»، الحديث رواه البخاري(١)، وفي الدعاء المأثور: «اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت»(٢).

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل الصالح وإكماله وإتقانه، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله، ويخافون مِن رده، وهؤلاء هم الذين ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، روي عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

قال بعض السلف: كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم، انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ مختصرًا(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٣) ومسلم (٢٨١٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٩١).

(٣) انظر: لطائف المعارف، المكتب الإسلامي، ص٣٦٨ - ٣٦٩.

وثمة أمر ثالث لعلنا نتفطن له: إن من البشائر الحسنة أن يُتْبِعَ العبدُ الحسنةَ بالحسنة، فمن اجتهد في شهر رمضان ثم استمر على اجتهاده في الأعمال الصالحة فهذه بشرى حسنة، يُرجى أن هذه علامة لقبول عمله في رمضان.

أما من أعقب اجتهاده في رمضان تفريطًا وتقصيرًا وعودة إلى المعاصي فهذا يُخاف عليه.

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «إن كثيرًا من الناس تضيع أوقاتهم بعد العيد في السهرات والرقصات الشعبية واللهو واللعب، وربما تركوا أداء الصلوات في أوقاتها أو مع الجماعة، فكأنهم بذلك يريدون أن يمحو أثر رمضان من نفوسهم إن كان له فيها أثر، ويجددوا عهدهم مع الشيطان الذي قَلَّ تعاملهم معه في شهر رمضان، إن أولئك حَرِيُّون ألا يُقبل منهم رمضان؛ لأن من شروط صحة التوبة العزمَ على عدم العودة إلى الذنب بعدها، وهؤلاء تركوا الذنوب تركًا مؤقتًا ثم عادوا إليها، وهذا لا يُعتبر توبة؛ لأنهم إنما تركوها لعارض ثم عادوا إليها بعد زواله»، انتهى.

وأما المسألة الرابعة: فهي أنه من الصفات الحسنة المبادرة بالطاعات، وعدم التسويف فيها، فمن ذلك المبادرة بصيام الست من شوال، وإن كان المطلوب صيام ستة أيام من شوال ولو في أواخره لكن المبادرة بها أولى، ومثل هذا بل أولى منه المبادرة بالقضاء لمن عليه قضاء، وهكذا فالحزم محمودة عواقبه.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: «الأفضل أن يكون صيام ستة أيام بعد العيد مباشرة، وأن تكون متتابعة، كما نص على ذلك أهل العلم؛ لأن ذلك أبلغ في تحقيق الإتْباع الذي جاء في الحديث: «ثم أَتْبَعَه»، ولأن ذلك من السَّبْق إلى الخير الذي جاءت النصوص بالترغيب فيه والثناء على فاعله، ولأن ذلك من الحزم الذي هو مِن كمال العبد، فإن الفُرَص لا ينبغي أن تفوت؛ لأن المرء لا يدري ما يعرض له في ثاني الحال وآخر الأمر، وهذا ـ أعني:

المبادرة بالفعل وانتهاز الفُرَص - ينبغي أن يسير العبد عليه في جميع أموره متى تبين الصواب فيها»، انتهى كلامه رحمه الله من فتاوى أركان الإسلام(١).

إنه وإن انتهى رمضان فإن العمل الصالح من صيام وقيام وتلاوة وصدقات وغيرها لا ينتهي وقته ولله الحمد والمنة، وهذا - والله - من نِعَم الله علينا أن شَرع لنا عبادات نتعبد له بها، تقربنا إليه وتكون سببًا في زيادة حسناتنا وتكفير سيئاتنا.

وعمل المسلم لا ينتهي إلا بالموت، قال الله عز وجل: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

ومن نِعَم الله أيضًا: تتابع مواسم الخير، فبعد أن ينتهي شهر رمضان يأتي بعده شهر شوال وهو أول أشهر الحج، قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، أول هذه الأشهر شوال، وبعده ذو القَعدة وهو أول الأشهر الحُرُم، قال تعالى: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، وبعده ذو الحجة وفيه العشر، وتعلمُ ما ورد في شأنها وفضلها، وفيه يوم عرفة ويوم النحر، ثم بعده شهر الله المحرم.

قال ابن رجب رحمه الله: «وما من هذه المواسم الفاضلة موسم إلا ولله تعالى فيه وظيفة من وظائف طاعته، يُتقرب بها إليه، ولله فيه لطيفة من لطائف نفحاته، يصيب بها مَن يعود بفضله ورحمته عليه، فالسعيد مَن اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات، وتَقَرَّب فيها إلى مولاه بما فيها مِن وظائف الطاعات، فعسى أن تصيبَه نفحة من تلك النفَحات، فيسعدَ بها سعادةً يأمن بها بعدها مِن النار وما فيها من اللفحات»، انتهى من لطائف المعارف(٢).

إن من حُسن شرع الله أن شرع للمسلمين يومي عيد يُظهرون فيهما الفرح

---

(١) فتاوى أركان الإسلام، دار الثريا، ص٤٨٩.

(٢) لطائف المعارف، المكتب الإسلامي، ص٢٨.

والسرور، ويجددون نشاطهم، ويحمدون الله على نعمه، وهي من شعائر الدين، فهي مرتبطة بركني الصيام والحج، لكن كونهما يومي فرح وسرور لا يُسَوِّغ أن يُجعل هذا ذريعة للتساهل بالمعاصي من تبرج، أو اختلاط، أو تبذير وإسراف.

فإن من الناس مَن يذهب بزوجته وبنيه وبناته إلى أماكن يزدحم فيها الرجال والنساء، أو يكثر فيها النساء السافراتُ أو المبدياتُ زينتهن، أو يتردد في جنباتها الشباب المتسكعون، بل بعض الناس لا يجد غضاضة في حضور المهرجانات الغنائية، فيستمع لما حرم الله استماعه، أو يحضر مجالس بعض التافهين من المهرجين ونحوهم، والله ﷻ أثنى على الذين ﴿هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]، فكن منهم، رحمني الله وإياك.

يا عبد الله، إذا كنتَ في إجازة طويلة أو قصيرة فلا تقابل هذه النعمة بالكفران، بأن تُمضِي وقتك فيها فيما لا يرضي الله ﷻ.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الشرح: ٧]، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: أي إذا تفرغت من أشغالك، ولم يبقَ في قلبك ما يعوقه، فاجتهد في العبادة والدعاء، ولا تكن ممن إذا فرغوا لعبوا، وأعرضوا عن ربهم وعن ذكره، فتكون من الخاسرين، انتهى[(١)].

واعلم أن لكل فريق صفاتِه التي تميزه، فمن كان بعد تلك المواسم خيرًا منه قبلها فهذه علامة حسنة وبشرى خير، فَلْيحمد الله، وليستكثر من الخير، وليواظب على الطاعة، وليتجنب المعاصي ما صغر منها وما كبر.

أما مَن تَمُرّ عليه المواسم وتَمضي ولم يتغير من حاله شيء فلينتبه، وليحذر على نفسه.

فهذا الموسم الشريف الذي ودَّعَنا، ما حالك أيها المسلم بعده؟ هل ازددت بعده حبًّا لله ومراقبةً له في السر والعلن وحَسُن توكلك عليه؟

---

(١) انظر: تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، ص٩٢٩.

وصلاتك، هل ازددت حرصًا عليها وإتقانًا لها، ومواظبة على أدائها في وقتها مع جماعة المسلمين في المساجد؟

وهل تَصَحح ميزان علاقتك بالناس، فأصبحت تحب من يحبه الله قريبًا كان أم بعيدًا، وتبغض من يبغضه الله ولو كان من أعز الناس على نفسك؟

وهل توقَّدَتْ جمرةُ الغيرة على حرمات الله في قلبك، فأصبحت تبغض المعاصي وتنكر على من فعلها؛ امتثالًا لأمر الله؟

وهل ازددت عطفًا وبرًّا وإحسانًا إلى والديك وذوي قرابتك؟

أسئلة، وأسئلة كثيرة غيرها، حاسب نفسك، وقوِّم حالك على ضوء ذلك.

فإن وجدت خيرًا فاعلم أنه من فضل الله ومنته وتوفيقه، فاحمد الله، واسأل ربك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد.

وإن وجدت نفسك مقصرًا فبادر، واستدرك الأمر، فما زالت الفرصة متاحة، قبل أن يغلق الباب.

هذا، وإن من أسباب الإخفاق في هذا المجال أن يقارن المرء نفسه بالمقصرين، فحينذاك ينظر لنفسه نظرة رضا وارتياح، بل ربما نظر لنفسه نظرة عُجب وتَوَهّم الكمال، بينما المطلوب أن يقارن المرء نفسه في أمور الخير بالكُمَّل، كما قال الله ﷻ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

صيام أيام البِيض

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رياض الصالحين»(١): باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر، والأفضل صومها في الأيام البيض، وهي: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر.

---

(١) انظر: رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة، ص٣٦٠.

ثم ذكر جملة من الأحاديث؛ منها:

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: صيامِ ثلاثةِ أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام. متفق عليه.

٢ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله» متفق عليه.

٣ ـ وعن معاذة العدوية أنها سألت عائشة رضي الله عنها: أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟ قالت: نعم. فقلت: من أي الشهر كان يصوم؟ قالت: لم يكن يبالي من أي الشهر يصوم. رواه مسلم.

٤ ـ وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صمت من الشهر ثلاثًا فصم ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة» رواه الترمذي، وقال حديث حسن. وقال الشوكاني: «قال الحافظ: إسناده صحيح»[(١)].

٥ ـ وعن قتادة بن ملحان رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام أيام البيض: ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة» رواه أبو داود.

٦ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ لا يفطر أيام البيض في حضر ولا سفر» رواه النسائي بإسناد حسن[(٢)].

قال الشوكاني رحمه الله: وقد وقع الاتفاق بين العلماء على أنه يستحب أن تكون الثلاث في وسط الشهر[(٣)].

وقال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: فعندنا أمران:

الأمر الأول: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

---

(١) انظر: رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة، ص٣٦٠ ـ ٣٦١.

(٢) نيل الأوطار، دار الحديث، ٤/ ٣٠٠.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٤/ ٣٠٠.

الأمر الثاني: أنه ينبغي أن يكون الصيام في أيام البيض: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر.

فتعيينها في أيام البيض كتعين الصلاة في أول وقتها، يعني أفضل وقت للأيام الثلاثة هو أيام البيض، ولكن من صام الأيام الثلاثة في غير أيام البيض حصل على الأجر، وحصل له صيام الدهر(١).

هنيئًا للصائمين

هنيئًا للصائمين..

وأبشروا بفضل الله وثوابه..

فإن صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر، فمن صام من كل شهر ثلاثة أيام فكأنما صام الشهر كله، ولله الحمد على فضله وجوده وكرمه.

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد في المسند: «من صام يومًا ابتغاءَ وجه الله ﷻ بَعَّده الله من نار جهنم كبُعد غرابٍ طار وهو فرخٌ حتى مات هَرِمًا»(٢).

فالله الله في الثبات والاستمرار على الخير، فالموفق هو الذي يزداد خيرًا يومًا بعد يوم، يومُه خيرٌ من أمسه، وغَدُه خيرٌ من يومه.

اللهم ارزقنا العزيمة على الرشد، والغنيمة من كل بر.

أثر الحج في زيادة الإيمان

إن الله تعالى لا يشرع لعباده أمرًا أو نهيًا إلا لما يتضمنه من الحِكم والمنافع العظيمة، مما قد ندركه أو ندرك بعضه أو يخفى علينا إدراكه؛ لكننا نوقن بما يتضمنه من الحِكم العظيمة.

---

(١) انظر: الشرح الممتع، دار ابن الجوزي، ٦/ ٤٦٠ ـ ٤٦١.

(٢) أخرجه أحمد (١٠٨٠٨).

فالشارع لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عما مفسدته خالصة أو راجحة، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وكلما مَسَّتِ الحاجة إلى أمر وعَظُمَتْ قيمته كان إيجابه آكد، وكلما عَظُمَتْ مفسدته ومضرته كان تحريمه آكد.

ولذا فانظر إلى الآثار المترتبة على أكل الربا، ثم انظر إلى النصوص الواردة في تحريمه والوعيد على من يأكله.

وفي باب الأوامر فإن أعظم ما أمرنا الله به بعد توحيده هو إقام الصلاة، فمن فوائدها ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر: أن العبد المقيمَ لها المتممَ لأركانها وشروطها وخشوعها؛ يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتَقِلُّ أو تنعدم رغبته في الشر، فبالضرورة مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصد الصلاة وثمراتها.

وثَمَّ في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر، وهو ما اشتملت عليه من ذكر الله بالقلب واللسان والبدن، فإن الله تعالى إنما خلق العباد لعبادته، وأفضلُ عبادة تقع منهم الصلاةُ، وفيها من عبودية الجوارح كلها ما ليس في غيرها، ولهذا قال: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]»[١].

والزكاة وهي الركن الثالث، يقول الله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

---

(١) تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، ص٦٣٢.

والصيام، يقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

أما الحج فماذا فيه من الفوائد؟

انظر إلى أولئك المسلمين الذين يأتون من مشارق الأرض ومن مغاربها، من أقصى قارة آسيا أو من إفريقيا أو أوروبا أو غيرها، بذلوا من الأموال ما كانوا يعدونه لهذه المناسبة من سنوات، وواجهوا في الوصول إلى تلك الديار مشقاتٍ وعناءً، ثم لَاقوا جوًّا غير الذي أَلِفُوه، حتى إنك ترى بعضهم وقد صهرت الشمس بشراتهم!

فالرب الرحيم الحكيم العليم بمصالح عباده ما كان ليوجب هذا السفر لأجل فوائد يمكن تحقيقها مع بقائهم في بلادهم.

وقد يقول قائل: إن تلك الفوائد اجتماعُ المسلمين، وما يترتب على ذلك من منافع.

فأقول: هذه بعض منافع الحج.

إن أعظم منافع الحج ما يعود على توحيد العبد بالتصحيح والتكميل، وعلى إيمانه بالزيادة.

هذا، وإن الارتباط وثيقٌ بين فريضة الحج وشعائره وبين أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام خليل الرحمن ومُكَسِّر الأوثان ومِلَّتِه الحنيفية.

وقد وصفه الله تعالى بتكميل التوحيد، وبسلامة القلب من الشرك وكلِّ ما ينقص الإيمان، قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠ ـ ١٢٣].

❖ **فمن آثار الحج في تكميل التوحيد:**

١ ـ تحقيق التعبد.

٢ ـ تكميل الاستسلام لله.

٣ ـ لما حج النبي ﷺ قال: «اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة»[١]، فليحذر المسلم من هذين.

٤ ـ حينما تُلَبِّي تَدَبَّر هذا الذكر العظيم.

٥ ـ حينما تطوف بالبيت تبدأ باستلام الحجر، تقول: بسم الله والله أكبر، وكلما حاذيته قلت: الله أكبر.

٦ ـ وإذا صليت بعد الطواف تقرأ في الركعتين سُورَتَي الإخلاص.

٧ ـ وإذا وقفت على الصفا تبدأ بتوحيد الله وتكبيره.

٨ ـ وفي النحر تبدأ باسم الله.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: ١٦٢]، قال: «أي: ذبحي، وذلك لشرف هاتين العبادتين، وفضلهما، ودلالتهما على محبة الله تعالى وإخلاص الدين له والتقرب إليه بالقلب واللسان والجوارح، وبالذبح الذي هو بذل ما تحبه النفس من المال لما هو أحب إليها وهو الله تعالى، ومَن أخلص لله في صلاته ونسكه: استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله وأقواله»[٢].

خطبة جمعة توافق: يوم عاشوراء ودورة كأس العالم[٣]

في العاشر من شهر الله المحرم أنعم الله على عباد من عباده المؤمنين

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٨٩٠).

(٢) تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، ص٦٣٢.

(٣) تاريخ هذه الخطبة: ٨/ ١/ ١٤١٥هـ.

بالنصر والتوفيق والتأييد والتمكين، فنصرهم وأهلك عدوهم وشفى صدورهم منه، وجعل هلاكه آية للذين يخافون العذاب الأليم.

ذلكم النصر هو إنجاء الله موسى وقومَه، وإهلاك فرعون وقومِه، فقد كان في اليوم العاشر من شهر الله المحرم.

ففي الحديث أن النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون عاشوراء، فسُئلوا عن ذلك، فقالوا: هذا اليوم الذي أظفر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون، ونحن نصومه تعظيمًا له، فقال رسول الله ﷺ: «نحن أولى بموسى منكم، ثم أمر بصومه»(١)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ صام يوم عاشوراء، وأمر بصيامه» متفق عليه(٢).

فاغتنمْ هذا الموسم، صُم هذا اليوم؛ اقتداءً بنبيك ﷺ، واقرأ ما ورد في فضل صيامه، فعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن صيام يوم عاشوراء؟ فقال: «يكفر السنة الماضية» رواه مسلم(٣).

ما أكثرَ ذنوبنا، نحن نخطئ في الليل والنهار كما جاء ذلك في الحديث(٤)، فصيام هذا اليوم سبب لتكفيرها لمن صامه بإخلاص واحتساب، أما الكبائر فلا بد لها من توبة.

صُم هذا اليوم، وصم يومًا قبله أو بعده؛ مخالفةً لليهود كما أمر النبي ﷺ(٥).

ثم انظر ـ بارك الله فيك ـ إلى فائدة من فوائد هذا الحديث، وهي أن المناسبات التي يُهتم بها ويُحتفى بها وتَشْرَئِبُّ الأعناق لها إنما هي ما كان

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٤٣) ومسلم (١١٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٠٤) ومسلم (١١٣٠).

(٣) أخرجه مسلم (١١٦٢).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٥) أخرجه مسلم (١١٣٤).

متعلقًا بما يحبه الله، كانتصار المسلمين، وهلاك أعداء الله، أو إسلام كافر، أو اهتداء ضال، ونحو ذلك.

هذه وأمثالها هي التي يجب أن يكون فيها رضاك أو سخطك، بها تَهتم، ولها تتابع، وعليها تَحْرِص.

وهذا مرتبط بمحبتك لله، فعلى قدر محبتك لله يكون حبك لمن يحبه الله من الناس، ولما يحبه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة.

وبالعكس: فإن تعلق المرء بصغائر الأمور وسفاسفها وانشداده إلى العبث واللهو واللعب واللاعبين يجرح مروءته، ويقدح في عقله، ويدل على نقصٍ في إيمانه، فإن مَن عظَّم ما صغَّره الله أو صغَّر ما عظَّمه الله فإن هذا علامةً على نقص إيمانه.

اعلم أن محبة الله عبادة، بل هي أصل دين الإسلام، فبكمالها يكتمل، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان.

إن أصل التوحيد وروحه إخلاصُ المحبة لله وحده، فهي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكتمل محبة العبد لربه وتسبق محبته جميع المحاب، ويكون كل ما يحبه المرء تبعًا لمحبة الله التي بها سعادة العبد وفلاحه.

احذر أن تحب ما أبغض الله أو تبغض ما أحب الله، قال رسول الله ﷺ: «ثلاث مَن كنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: مَن كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»[١].

احذر أن تصرف شيئًا من محبتك لغير الله.

احذر أن يتعلق قلبك بلعبة أو لاعب أو فريق أو نحو ذلك، وتصرف لها

(١) أخرجه البخاري (٢١) ومسلم (٤٣).

من المحبة ما لا يجوز صرفه إلا لله، فإن هذا يقدح في توحيدك: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

إن ديننا العظيم كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه ولله الحمد، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ومن كماله أن أباح لنا الطيبات، وحرم الخبائث، أباح لنا تمتيع نفوسنا بالمتعة المباحة والترويح عنها.

لا بأس أن تمارس نوعًا من أنواع الرياضة المباحة، تُسَلِّي نفسك، وتقوّي بدنك، وتُجدد نشاطك، ما لم يترتب على ذلك فِعل محرم، أو تَرْك أمر واجب، وما لم يُكْثِر الإنسان من ذلك ويبالغ فيه.

لكن أن تنقلب الرياضة غايةً في نفسها، وكأن الإنسان خُلق للعبث، أو أن تكون سببًا للرضى والسخط؛ عليها يوالي ويعادي، من أجلها يحزن ومن أجلها يرضى.. لقد حصل بسببها نزاع بين أصدقاء متحابين وإخوة متآلفين، بل حصل طلاق وفراق، فأي عقل يقر هذا؟!

واللهِ إن العاقل ليترفع عن ذلك، ويعلم أن ذلك الفريق إن فاز أو هُزم فلا يترتب على ذلك شيء، لن تكسب أنت من ذلك ريالًا واحدًا، لن يتحرر شبر واحد من بلاد المسلمين المغتصبة، لن يُفَك أسير واحد من أُسارى المسلمين، لن يتحقق به مجد، فمجد الأمم والدول والأفراد لم يَبْنِه لاعبٌ بقدمه.

والعاقل يفكر بعقله لا بعقل غيره، لا يتأثر بالناس ولو كانوا كثرة كاثرة إذا كانوا على خطأ.





المدونة الثانية

مناسبات عائلية

لقاء الأسرة[1]

أيها الآباء والأعمام الكرام:

أيها الإخوة الأعزاء:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد:

فقد اقتضت حكمة الله ﷻ وهو الحكيم العليم أن يفاوت بين عباده، فجعل بعضهم غنيًّا وبعضهم فقيرًا، وبعضهم صحيحًا وبعضهم سقيمًا، ومن ذلك أن جعل بعضهم نسيبًا وبعضهم وضيعًا.

ولعل من التحدث بنعمة الله علينا أن نذكر ما آتى الله أسرتنا من ذِكر حسنٍ وسمعةٍ طيبة.

أيها الآباء، أيها الإخوة:

لا يخفى أن هذا الذكر الطيب والسمعة الحسنة إنما هما رصيد يستمتع به الخَلَف قد اكتنزه لهم سلفهم.

ثم إنهما كالمال المورّث إن لم يُحافَظ عليه ويُسْعَ في تنميته نَفِد وانتهى.

---

(١) تاريخ هذه الورقة: ٢٥/ ١٢/ ١٤١٧هـ.

أيها الآباء والإخوة:

إن الافتخار بمآثر السالفين له وجهان: وجهٌ جاهلي مذموم، ووجهٌ حسن محمود.

فأما المذموم: فهو الذي قال فيه النبي ﷺ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» رواه مسلم[(١)].

وقوله ﷺ: «لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحمُ جهنم، أو ليكونُنَّ أهون على الله من الجُعَل...، إنَّ الله أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية ـ يعني فخرها وتكبرها ونخوتها ـ، وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من التراب» رواه الترمذي[(٢)].

وأما المحمود منه: فهو ما كان فرحًا بما عمله السالفون من الأعمال الصالحة، ثم أثمر هذا الفرحُ السعيَ الجاد في التشبه بهم فيما عملوه من أعمال صالحة.

أيها الإخوة:

لا يخفاكم أن مجتمعنا يشهد نوعًا من الخلخلة بين الجيل الناشئ والجيل الذي قبله.

ولعل أحد أسبابه: أَخْذُ أفراد من الجيل الناشئ الأمورَ بنوع من قِلة المبالاة، وعدمِ النظر في العواقب والنتائج، فقد يتصرف أحدهم تصرفات تسيء إلى سمعته، وقد تتسع دائرة ذلك لتشمل أسرته كلها بل ربما عشيرته برمتها.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١١٦) والترمذي (٣٩٥٥).

آبائي وإخواني:

أغتنمُ هذه الفرصة الطيبة للقيام بأمرٍ أوجبه الله علينا جميعًا وهو التواصي بالحق، وإنّ أحق من نَصحتُ له هم أهلي وعشيرتي، فأُذَكِّر بما يلي:

١ ـ السعي في تحقيق التوحيد وتكميله، إذ هو الأساس وهو الأصل، وحَذَارِ من أن يزكي المرء نفسه، أو يظن أنه بلغ الغاية في هذا الأمر، فهذا خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدعو ربه: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل»[(١)].

لذا فَلْنسعَ في تكميل إخلاصنا لله وحده، وَلْنحذرْ من صرف أي عبادة لغيره سبحانه، وَلْنتوكل عليه وحده، ولا نحب غيره كما نحبه سبحانه، ولا نخاف من غيره كما نخافه سبحانه وتعالى.

٢ ـ الاهتمام الجاد بعمود الدين وأعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، ألا وهي الصلاة، فنقيمها كما أمر الله، وإقامتها يعني أداءها قائمة على أتم وجوهها، وذلك بفعل شروطها وأركانها وواجباتها، ومن ذلك أن تؤدى في وقتها جماعةً في المسجد.

وَلْنأمر بها أولادنا من حين أن يُتموا سبع سنين؛ عملًا بقول النبي ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»، رواه أبو داود[(٢)].

٣ ـ امتثال ما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه، ومن ذلك: غض البصر، وحفظ السمع، وكف اللسان عما حرم الله، ومن ذلك: اجتناب المكاسب المحرمة والمشتبهة، وأيضًا فمما أمرنا الله به: إعفاء اللحية، وعدم

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٦٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٦).

أخذ شيء منها، جاء ذلك في الأحاديث الصحيحة الصريحة عن رسول الله ﷺ، كقوله ﷺ: «وفروا اللحى»[(١)]، وقوله: «أوفوا اللحى»[(٢)]، وكقوله ﷺ: «أحفوا الشوارب، وأعفوا اللحى»[(٣)]، وغيرها من الأحاديث الثابتة.

٤ ـ الاعتناءُ بتربية الأولاد، وحسنُ تنشئتهم؛ قيامًا بحق الأمانة، وتجنيبُهم أسباب الشر والانحراف، سواء ما تبثه بعض وسائل الإعلام أو غيرها.

٥ ـ القيام بمقتضى القوامة التي جعلها الله للرجال على النساء، والحذر من إفلات الزمام أو ترك الحبل على الغارب.

هذا، وبالله التوفيق، وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

لقاء الأسرة[(٤)]

إن في تعاقبِ الليل والنهار وتَصَرُّمِ الشهور والأعوام مَدْعَاةً لمحاسبة النفس ومراجعة الحال.

وإذا كان أحدنا يتطلع مع تقدم الزمن وتَجَدد السنين إلى مزيد من الترقيات والعلاوات، أو الرُّتَب والشهادات، أو ازدياد الأرصدة والممتلكات؛ فليكن هكذا تطلعنا بل فوق ذلك إلى ما يقربنا إلى الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحشر: ١٨].

وإن من أسباب توفيق العبد، ومن عناوين سعادته: أن يحاسب نفسه، ويراجع واقعه، فينظر أفي زيادة هو أو نقصان؟

○ فلينظر أحدنا: هل يزداد حبًّا لله ﷻ وتعظيمًا له، ومراقبةً له في السر والعلن، وهل حَسُن توكله على الله ﷻ؟

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٩٣) ومسلم (٢٥٩).

(٤) تاريخ هذه الورقة: ٦/ ١/ ١٤٢٥هـ.

○ وهل ازددتَ حبًّا لرسول الله ﷺ واتباعًا لسنته ظاهرًا وباطنًا، في مظهرك ومخبرك؟ أم أنك ممن يقصِّر في ذلك؟ ثم يُسَوِّغُ لنفسه التقصير بحجج داحضة، كأنْ يَصِف شيئًا من أحكام الدين بالقشور أو الشكليات أو نحو ذلك.

○ وصلاتُكَ: هل ازددتَ حرصًا عليها وإتقانًا لها، ومواظبة على أدائها في وقتها مع جماعة المسلمين في المساجد؟

○ وهل تَصَحَّحَ ميزان علاقتك بالناس، فأصبحتَ تحب من يحبه الله، قريبًا كان أو بعيدًا، وتبغض من يبغضه الله، ولو كان من أقرب الناس إليك؟

○ وهل تَوَقَّدَتْ جمرةُ الغيرة على حرمات الله في قلبك، فأصبحت تبغض المعاصي وتنكر على مَن فعلها؛ امتثالًا لأمر الله؟

○ وهل ازددت عطفًا وبرًّا وإحسانًا إلى والديك وذوي قرابتك؟

أسئلةٌ، وأسئلةٌ كثيرة غيرها، حاسب نفسك، وقَوِّم حالك على ضوء ذلك.

فإن وجدتَ خيرًا فاعلم أنه من فضل الله ومِنَّتِهِ وتوفيقه، فاحمد الله، واسأله الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد.

وإن وجدتَ نفسك مقصرًا فبادر واستدرك الأمر، فما زالت الفرص متاحة قبل أن يُغلَق الباب.

وأختم: بأن أُذكّر بأن من أسباب الإخفاق في هذا المجال: أن يقارن المرء نفسه بالمقصرين، فحينذاك ينظر إلى نفسه نظرةَ رضا وارتياح، بل ربما نظر إلى نفسه نظرةَ عُجْب وتَوَهُّم الكمال.

بينما المطلوب أن يقارن المرء نفسه في أمور الخير بالكُمَّل، كما قال الله ﷻ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

لقاء الأسرة[١]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ومساكم الله بالخير، وشكر الله لكم جميعًا، والمنظمين والمرتبين جزاهم الله عنا جميعًا خيرًا، ومن لَبَّى الدعوة وحضر؛ قيامًا بحق الرحم: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿... أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ﴾ [الرعد: ٢١ ـ ٢٣].

ولا يفوتني أن أشكر لكم جميعًا اهتمامكم وجهدكم ومساعيكم في شأن مُحَدِّثكم، وأبشركم وأطمئنكم أن أمورنا طيبة جدًّا ولله الحمد، والأوضاع أحسنُ وفوقَ ما تتصورون ولله الحمد.

وأختم مشاركتي: بأن أُذكّر ـ بارك الله فيكم ـ بالغاية التي خلق الله الخلق لها، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَلْنحرص على الصلاة، بإقامتها كما أمر الله، وَلْنُؤَدِّها في بيوت الله كما أمر الله، وَلْنأمر بها أبناءنا وبناتنا، وَلْنَهْتَمَّ بها، ونعظمْها كما عظمها الله.

ولنحذر من الفتن؛ فتن الشبهات وفتن الشهوات، لِنَحذرْها على أنفسنا وَلْنجنبها من تحت أيدينا، وَلْنجنبهم أسبابها ومواطنها.

وَلْنستعدَّ لما أمامنا، وأبشروا وأملوا، فإن الله ﷻ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وأستودع الله دينكم وأماناتكم وخواتيم أعمالكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) تاريخ هذه الورقة: ١٤٣٨هـ.

لقاء الأسرة[(١)]

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، أما بعد:

فشكر الله لكم جميعًا، للمنظمين، والداعين، والمجيبي الدعوة، وخاصة مَن قَدِم من خارج عُنيزة، وأسأل الله أن يجعلني وإياكم من الذين يَصِلون ما أمر الله به أن يُوصَل.

تَبَادَر إلى الذاكرة موقف بسيط لكنه أثار لديَّ بعض المعاني.

تقريبًا عام (١٣٩٤هـ) طلب مني والدي ـ رحمه الله ووالدتي ووالدينا جميعًا وجميع المسلمين ـ أن أشتري العيش (القمح)، فذهبت إلى بَاعَة الحبوب في «المقيبرة»، فكان البائع الذي وقفتُ عليه ـ عن غير تقصد له عن غيره ـ يعرف أني من «القاضي»، كان سَكَنُه قريبًا من سكننا، وكان مُسِنًّا، وعنده في محله مجموعة من أصحابه، واسمه أبو عبد الكريم البواردي، فلما وقفت عليه وسلمت رد السلام باحتفاء، وقال لمن عنده ـ ورفع صوته ـ: هذا من «القَوَاضَى»، والنّعم، بَيَّضوا وجيه أهل نجد بالغربة، انتهى.

الناس إلى وقت قريب كان الشخص يُقَوَّم بأن يُنسب إلى أسرته، وأبلغ من هذا أن الخاطب إذا تقدم إليهم قالوا: والنّعم، هذا من الحَمُولة الفلانية، أبوه فلان، وأمه فلانة، أو عكس ذلك، ومعيار التقويم هذا كان يصيب في كثير من الأحيان، وذلك أنَّ حُسن السيرة وما يتبعه من حُسن السمعة كان يتسلسل، يحمله الأبناء عن الآباء، وهكذا، فيتسلسل من جيل إلى الجيل الذي يليه.

لكن الآن المشاهَد ـ وللأسف ـ خلاف ذلك في كثير من الأُسَر.

والسؤال الذي أحببتُ أن أطرحه ليتأمله الجميع هو: نحن ـ عائلة

---

(١) تاريخ هذه الورقة: ٢٨/٦/١٤٣٩هـ.

القاضي ـ كيف نحافظ على مكتسباتنا ـ إن صح التعبير ـ، وما ورَّثه أسلافُنا لنا من سمعة طيبة؟

أقول: لِيَتدبر كلٌّ منا هذا السؤال؛ أَمَلًا أن نكون نحن وأبناؤنا سببًا في اتصال السلسلة لا العكس.

ولعلي أُورد بعض ما يحضرني من الأسباب:

١ ـ الحرص على ترابط الأسرة الصغيرة ـ الوالدين وأبنائهم وبناتهم ـ، ثم الترابط بين الدائرة الثانية ـ الأعمام والعمات وبنيهم ـ، وهكذا وهكذا، ومن ذلك: الحرص على مثل هذا اللقاء؛ لأن مَن يستحضر أنه ينتسب إلى الأسرة الفلانية يستشعر أنَّ عليه التزامًا أدبيًّا بألا يخرج عن سَمْتِها، مما يجعله يأنف من المواقف أو التصرفات التي تُنافي ذلك، فيكون هذا وَازِعًا داعمًا ومعززًا للوازع الذي هو الأساس والأصل وهو وَازِعُ الدين وأحكام الشرع، بخلاف من انقطع عن أسرته، فتجده كما يقال: يغرد خارج السِّرب.

٢ ـ التناصح والتعاون على البر والتقوى، وعدمُ ترك المقصر والمخطئ، بل يُنَبَّه على خطئه ويُرشَد ويوجَّه، وهذا من أهم الأسباب؛ لأنه إذا سُكت عن المقصر تمادى الخرق واتسعتْ رقعته، ومن ثَمَّ يصعب العلاج.

وعلى أي حال فأساس هذا الموضوع وأصله: أن يمتثل كل فرد ما أمره الله به؛ فِعْلًا للأوامر، وتَرْكًا للنواهي، ويربي مَن تحت يده على هذا، ورأسُ ذلك وأوله وأعظم ما يُحرص عليه ـ بعد توحيد الله ـ الصلاةُ، قال الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وقال رسول الله ﷺ: «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته»[(١)].

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩).

وختامًا: ونحن نحرص ونتواصى أن يبقى لأسرتنا ذكرُها الحسن وسمعتها الطيبة، ونحذر أن نكون سببًا في انقطاع السلسلة، لِنَحذر غايةَ الحذر أن يشوب مَسْعَانا هذا مقصدٌ من مقاصد التعالي أو الترفع أو التكبر أو كذلك نوازع الحمية والعصبية الذميمة، ففي الأثر: «ليس منا من دعا إلى عصبية»[(١)]، وروى أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله ﷻ قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية ـ يعني: فخرها وتكبرها ونخوتها ـ، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، لَيَدَعَنَّ رجالٌ فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النَّتَن»[(٢)].

هذه خواطر في النفس كما أسلفتُ، أَمَّلْتُ أن يكون ما ذُكر وقصةُ أبي عبد الكريم البواردي رحمه الله سببًا لاستحضار ذلك المعنى، ومن ثَمَّ كلٌّ يسعى حِيَالَهُ بما يوفقه الله له.

تقبل الله مني ومنكم، وسددنا ووفقنا جميعًا لما يحبه ويرضاه، وثبتنا على دينه، وأحسن لنا الخاتمة ووالدينا وأهلينا وأحبتنا وإخواننا المسلمين.

لقاء الأسرة[(٣)]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فأشكر للمنظمين مسعاهم، كما أشكر للمستضيفين.

وأشكر للحاضرين حضورهم، تقبل الله مسعاهم، وكتبه في الأعمال الصالحة، وزادنا جميعًا هدى وتقى وتوفيقًا.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٢١) مرفوعا.

(٢) أخرجه أبو داود (٥١١٦) والترمذي (٣٩٥٥).

(٣) تاريخ هذه الورقة: ٢٤/٦/١٤٤٠هـ.

أيها الإخوة، هذا الاجتماع نرجو أنه من الأعمال الصالحة، لكن إنما تحصل بركته وخيره وثمرته بامتثال هدي نبينا ﷺ وتوجيهه في مثل قوله ﷺ: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة»(١)، قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رواه أبو داود بإسناد صحيح(٢).

ولهذا وتحقيقًا للتواصي بالحق الذي أُمرنا به: أُذَكِّر بأن سعادة العبد وكماله إنما هو بتحقيق الغاية التي خلقه الله لها، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وأن يكون ذلك دائمًا نصب عينيه.

وأعظم نِعَم الله علينا: أنه هدانا للإسلام، هذا الدين العظيم الذي لا حصر لفضائله، ومن أَجَلِّها أنَّ مَن مات عليه فإن مآله إلى الجنة برحمة الله.

وبالمناسبة فأحد الكافرين لما علم بهذه المنقبة كانت سببًا لإسلامه، فقد حدثني زميل لنا ـ كان عندنا هنا في الـمَلز ـ أن له أصدقاء ثلاثة في بلاده، مسلمان وكافر نصراني من الأقباط، وكانوا شبابًا عزابًا يجتمعون كل ليلة، وككثير من الغافلين مجالسُهم لغوٌ وضياعُ وقتٍ وغفلةٌ، بل لا تسلم أحيانًا من كبائر؛ من شرب المسكر ولعب ميسر أو غيرهما.

فمرة تمادى بأحدهم المزح وتَفوَّه بكلمة فيها قدح بجانب الدين أو إحدى فرائضه، فقال له صاحبه: (رجاءً لا تخربها مرة! خل لنا أَمَل في الجنة).

وكان هذا بين المسلمَيْن، والنصراني يستمع، فاستغرب أنهما على ما هما عليه من حال ومع هذا يُؤَمِّلان في الجنة، وأَسَرَّ هذا في نفسه، وقال أيضًا في نفسه: (والله هذا دين حلو إن كان الأمر كذلك).

وذات يوم كان ذلك النصراني يستمع إلى برنامج في التلفاز، ووافق أن

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٥٥).

(٢) رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة، ص٢٦٩.

المتحدث كان يقرر هذا المعنى، وأن من مات على (الإسلام/التوحيد) ولم يأتِ بما يَنْقُضُه فإن مآله برحمة الله إلى الجنة.

فازداد حبًّا للإسلام، فأصبح في تفكير وصراع مع نفسه، حتى شرح الله صدره للإسلام، فأسلم ولله الحمد.

ولما أسلم صار يكثر من الصلاة، فوجد فيها انشراحًا وسعادة، فقال في نفسه: كنت أجالس صاحبيَّ أريد السعادة، الآن وجدتها في طاعة الله، فما حاجتي للجلوس معهم؟

فانقطع عنهم، كل هذا وصاحباه لا يعلمان عن إسلامه.

فلما فقداه طلباه، فلما علم صاحبه الذي تواصل معه عن إسلامه وعن سبب انقطاعه عنهم وزهده في مجلسهم كانت هذه بمثابة الصدمة، فعاد على نفسه بالعتاب، وقال في نفسه: أنا وأنا مسلم أَولى بالعودة إلى الله والتماس السعادة بطاعته تعالى، فاستقام ولله الحمد، وحسنت أحواله.

ثم هكذا ولله الحمد صاحبهم الثالث.

حدثني بها أحد زملائنا، وهم أصحاب له يعرفهم شخصيًّا.

المقصود: حَمْدُ الله على نعمة الإسلام، وأنَّ مَن مات عليه ولم يأتِ بما يَنْقُضُه ويخرجه منه فإن مآله إلى الجنة برحمة الله.

ولكن لا يخفى أن الله جعل الدنيا مضمارًا للتنافس، ونَادَى بنا إلى المسابقة والمسارعة إلى الخير وإلى التنافس في ذلك: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]، ونحوها.

ومن أسماء يوم القيامة: يوم الحسرة، ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ﴾ [مريم: ٣٩]، وأعظم الناس يومَذاك حسرةً الكافرون، ثم المنهمكون في الغفلة والكبائر والموبقات.

لكن حتى الصالح قد يناله ما يناله من حسرة:

لِمَ عملتُ كذا؟

لِمَ لَمْ أستكثر من الخير؟

لِمَ فرّطت في فرص خير كانت متاحة لي؟

لِمَ... لِمَ...

وأعظم أسباب الفوز والسبق ـ بعد تحقيق التوحيد ـ: الصلاة، اعتناءً بالفرائض واستكثارًا من النوافل.

اللهم ألهمنا رشدنا، وأعذنا من شرور أنفسنا، اللهم إنا نسألك العزيمة على الرشد، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك، اللهم اجعلنا مقيمين للصلاة ووالدينا وأهلينا وعشيرتنا وإخواننا المسلمين.

أكرر شكري للجميع، اللجنة المنظمة على ما أتاحوا من وقت، ولكم استماعكم.

وأستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم.

لقاء الأسرة

آبائي الغالين:

أعمامي الكرام:

إخواني المحترمين:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعدُ:

فاغتنامًا لهذا الجمع الطيب، وامتثالًا لأمر الله ﷻ في قوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]؛ فإني أُذكّر بموقف لا بد من المرور به، لا يتجاوزه غني أو فقير، شريف أو وضيع، بَرٌّ أو فاجر، ذكر أو أنثى، موقف يترتب عليه النجاة الحقة، أو الهلاك الحقيقي.

ذلك هو نصب الموازين ووزن الأعمال.

يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨ ـ ٩].

لذا كان حريًّا بالموفَّق أن يجعل هذا الموقف دائمًا نصب عينيه، وأن يتعرف على أسباب تثقيل الموازين فيفعلها، وعلى أسباب تخفيفها فيتجنبها.

١ ـ إن من أسباب تثقيل الموازين فعلَ الطاعات عمومًا، فكل طاعة وقُربة سبب في تثقيل الميزان، قال الله ﷻ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]، خاصةً الفرائض، قال رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه»(١).

ومن أهم الفرائض بل أهمُها ـ بعد توحيد الله ﷻ ـ: الصلاةُ التي هي عمود الدين، وهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فإن صلحت صلح له سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله، كما جاء ذلك في الحديث(٢)، والواجب إقامتها كما أمر الله تعالى في وقتها جماعةً في المسجد.

٢ ـ ومن أسباب تثقيل الموازين: تكميل الإخلاص لله ﷻ، فالعمل بدون إخلاص يُرَد ولا يُقبل، لكن الإخلاص يتفاوت، فكلما كمل الإخلاص كان العمل أكثر أجرًا وأثقل في الميزان، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «سبق درهم مئة ألف درهم»(٣).

٣ ـ حُسن الخلق، قال رسول الله ﷺ: «ما من شيء أثقل في ميزان

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).
(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١٨٥٩).
(٣) أخرجه النسائي (٢٥٢٧).

المؤمن يوم القيامة من حُسن الخلق، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء»[١] رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح[٢].

وروي أيضًا عنه ﷺ أنه قال: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا، وخيركم خيركم لنسائهم»[٣]، وروي أيضًا عنه ﷺ أنه سُئل عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله، وحُسن الخُلق»، وسُئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار؟ فقال: «الفم والفرج»[٤].

❖ أما ما يخفف الموازين ـ عياذًا بالله من ذلك ـ، فمنها:

١ ـ المعاصي عمومًا، فمن يعمل منها مثقال ذرة فإنها تسطر في صحيفته، وتكون سببًا في تخفيف موازينه، قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٨].

٢ ـ التساهل بالصغائر، فبعض الناس يتورع عن الكبائر والموبقات، لكنه يتساهل بالصغائر حتى تهلكه، لأجل هذا فقد حَذّر النبي ﷺ من ذلك، ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «إياكم ومحقَّرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه، كرجل كان بأرض فلاة فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل يجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا من ذلك سوادًا ـ أي حَطبًا كثيرًا ـ وأججوا نارًا فأنضجوا ما فيها»[٥]، انظر صحيح الجامع[٦].

ومن أمثلة هذا: مَن إذا أُمر بواجب أو نُهِي عن محرم قال: إذا لم يَبْقَ عليَّ إلا هذا فأنا بخير، وأنا خير ممن يعملون كذا وكذا، وأنا ولله الحمد

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٢).
(٢) رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة، ص٢١٥.
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢) والترمذي (١١٦٢).
(٤) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤) وابن ماجه (٤٢٤٧).
(٥) أخرجه أحمد (٣٨١٨).
(٦) صحيح الجامع الصغير للألباني (٢٦٨٧).

نيتي طيبة، والإيمان في القلب، واهتموا بالجوهر لا بالمظهر، ولا تركزوا على القشور والشكليات.

ونحو هذه العبارات التي تصدر عن جهل، أو عن رغبة في اتباع الهوى، وترك ما وجب عليه.

٣ ـ انتهاك محارم الله حال الغَيبة عن الناس.

ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «لأَعْلَمَنَّ أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله هباءً منثورًا، أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»[١]، قال في صحيح الجامع: «صحيح»[٢].

٤ ـ البغي على الناس والتعدي عليهم.

روى مسلم عن النبي ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس؟» قالو: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال ﷺ: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا؛ فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[٣].

موضوعات يُقترَح طَرْقُها في اللقاء العائلي

هذه الموضوعات مُقْتَرَحٌ طَرْقُها في اللقاء العائلي أو في مجلة العائلة:

١ ـ الاستسلام لله، (من شروط لا إله إلا الله: الانقياد، والحذر من تقديم العقل على ما جاء به الشرع).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٥).

(٢) صحيح الجامع الصغير للألباني (٥٠٢٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

٢ ـ حقيقة الإيمان، وتعريفه عند السلف.

٣ ـ التحذير من الفتن.

٤ ـ الصلاة.

٥ ـ اليوم الآخر.

٦ ـ تربية الأولاد.

٧ ـ محبة الله عَزَّ وَجَلَّ، والحب فيه والبغض فيه.

٨ ـ من شؤون المرأة: الحجاب...

٩ ـ التحذير من مكايد أعداء الدين.





المدونة الثالثة

مناسبات متنوعة

خطبة جمعة: توافق أيام امتحانات نهاية الفصل الدراسي(1)

كتب الله ﷻ الفناء على كل أهل هذه الدنيا، قال الله ﷻ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧].

لكن ما السبب في أن بعض من يموتون يَحزن الناس لفقدهم حزنًا شديدًا، ويتألمون ألـمًا عظيمًا ويتمنون لو افتدوهم بأموالهم؛ بل ربما بأولادهم وأنفسهم؟

لعل السبب ـ أو أحد الأسباب ـ أن أولئك الذين حزن الناس لفقدهم كانوا ذوي همم عالية، وعزائم ماضية، قادتهم هممهم إلى معالي الأمور، وساعدهم قوة عزائمهم، فتغلبوا على العجز والفتور، فمن ثَمَّ تَبَوَّؤُوا مكانةً في الصدور.

لكن ما المقاصد المحمودة وما الطموحات النبيلة؟

في هذه المسألة يخطئ كثير من الناس أخطاء بالغة، فقد استقر في أذهان كثير من الناس أن وصف الطموح يطلق على مَن كان يسعى إلى أن ينافس كبار التجار، أو يسعى للوصول إلى مرتبة وظيفية متقدمة، أو يفكر صباح مساء ليكون من المعروفين المشتهرين على جميع الألسنة.

وهذه وأمثالها كلها لا تَخرج عن وصفها مطالب دنيوية، ورغبات

---

(1) تاريخ هذه الخطبة: ٢٤/ ١٠/ ١٤٢١هـ.

شهوانية، لا تستحق أن تُسمى طموحات محمودة يوصف صاحبها بكونه ذا همة عالية؛ اللهم إلا أن يكون ما تمناها إلا ليسخرها فيما يرضي الله ﷻ.

إنَّ علوَّ الهمة مَنُوطٌ بكونه مرتبطًا بالمستقبل.

إنَّ المرء لا يسمى ذا همة عالية إلا إذا كان يخطط تخطيطًا دؤوبًا لمستقبله، ما الذي ينفعه في المستقبل؟ وما الذي يضره؟

وأي مستقبل ذاك الذي يجب أن يُستعد لأجله؟

إنه ليس المراد أن ينشغل قلب المرء برزق قد كتبه الله له وهو آتيه لا محالة، وإن كان مرادًا منه بذلُ الأسباب والسعيُ في كسب الحلال، وفي الحديث: «إن روح القدس نفث في رُوعِي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»(١).

إن المستقبل الحقيقي المراد التخطيط له والاستعداد لأجله: هو الدار الآخرة، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

إذا كان الآباء في مثل هذه الأيام يتحمسون لامتحانات أولادهم حماسًا بالغًا، ويُسَخِّرون جميع إمكانياتهم لها، ويبذلون وقتهم وأموالهم وراحتهم من أجل توفير الأسباب لمذاكرتهم ومن ثَمَّ نجاحهم، فلماذا لا يبذل كثير منهم مثل هذا الجهد من أجل حَثِّ أولادهم على الصلاة وتربيتهم عليها؟

وهل هم صادقون إذا اعتذروا عن تقصير أولادهم في الصلاة بقولهم: أمرناهم فلم يستجيبوا لنا؟

أم أنهم ما تحمسوا الحماس الكافي، وإنما هي كلمات يلقيها أحدهم على ابنه أو ابنته، ويظن أن كل ما عليه من واجب قد أداه؟

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢١١٦٧ ط. التأصيل) بدون ذكر الأجل.

وهل من علو الهمة أن يحرص الأب على نجاح ابنه في امتحانات الدراسة، ويخفق في أداء عمود الدين وأعظم أركانه بعد الشهادتين؟

هناك وصف آخر يتضح به علو الهمة أو دنوها:

مَن لم يَغَرْ على عرضه ومحارمه، ولم يَقُم بحق القوامة، حيث قال الله ﷻ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]، ولم يُؤَدِّ الأمانة، حيث قال النبي ﷺ: «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته»(١).

فترى أهله يذهبون ويجيئون، ويغدون ويروحون، دون ضبط منه لتصرفاتهم تلك، بل ربما ذهبوا وحدهم، والمرأة مهما كان من دينها وعقلها بل وسنها إذا فرَّط وليُّها في رعايتها ومراقبتها تعرضت للفتنة، تَفْتِن أو تُفْتَن.

إننا ما زلنا بين حين وآخر نسمع عن فتاة من الفتيات أو عائلة من العوائل تُعُرِّض لها أو اعْتُدِي عليها.

فهل يستمر بعض الناس في غفلته وتفريطه حتى يُصاب في عرضه، نسأل الله العافية؟

أَوَليس السعيد من وُعِظ في غيره؟

قال الله ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

مَن كان يتأثر بكل ما يُسمع، ويَروج عليه كل ما يُعْرَض عليه، فتراه لا يسمع عن أسواق يقال إن فيها تخفيضًا، أو مهرجانًا يقال إن فيه ترويحًا، أو موقعًا يوصف بأن فيه تراثًا إلا ذهب إليه مهرولًا.

ولا يكتفي بهذا، بل ويَدَعُ زوجته وبناته يذهبون وربما سبقوه؛ متعذرًا

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩).

بأنهن في وَسَطٍ نسائي، ولو أهمه حقًّا عِرضه لتنبه لما يكتنف تلك الأماكن من مفاسد؛ منها ما لا تسلم منه من الاحتكاك بالرجال بصورة من الصور.

ولو لم يأتِ أهلَه من المفاسد إلا رؤيتُهن لتلك الحشود من النساء ممن تختلف مشاربهن، وما هن عليه من التفريط في اللباس، وعدم التحشم في هيئاتهن، وما يَجُرّ ذلك على أهله من تقليل الحياء والتأثر بهن؛ لكان كافيًا في منعهم من الذهاب إليها.

الإجازة ربح أو خسارة[(١)]

في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيمَ فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن جسمه فيمَ أبلاه»[(٢)]، قال في صحيح الجامع: صحيح رواه الترمذي عن أبي برزة رضي الله عنه[(٣)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيمَ أفناه، وعن شبابه فيمَ أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وماذا عمل فيما علم»[(٤)]، قال في صحيح الجامع: حسن رواه الترمذي[(٥)].

إن مما هو متقررٌ عند المسلم الفَطِنِ قيمةَ الوقتِ وشأنَه، وأنه عُمُرُ الإنسان، وأنه محل الربح والخسارة، وأنه سيحاسب عليه.

وكلما كان المرءُ أكثرَ فطنةً ويقظةً عرف قيمة الوقت، واجتهد في ألا يَمضي إلا فيما يُقَرِّبُ إلى الله تعالى، وحاسب نفسه على أوقاته.

---

(١) تاريخ هذه الورقة: ١٨/ ٣/ ١٤٢٢هـ.
(٢) أخرجه الترمذي (٢٤١٧).
(٣) انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني (٧٣٠٠).
(٤) أخرجه الترمذي (٢٤١٦).
(٥) انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني (٧٢٩٩).

❖ مفهوم الإجازة وما تعنيه:

ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض الناس بل كثير منهم النظرُ إلى الإجازة وكأنها ليست من الأوقات التي يُطلب من المسلم حفظُها، وسيحاسب على ساعاتها ودقائقها، انظروا إلى الحديث، هل خص وقتًا دون وقت أو أنه عام؟ بل إنه عام.

والكثرة الكاثرة من الناس يضيعون أوقاتهم فيما لا يفيدهم، بل فيما يُبْعِدُهم عن ربهم، وقِلَّةٌ من الناس هم الناجون من الخُسر.

❖ أسباب الربح:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

إذن هذه السورة الموجزة العظيمة ـ وكل كلام الله عظيم ـ قد اختصرت الموضوع، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو تدبر الناس هذه السورةَ لَكَفَتْهُم»[(١)].

وقال ابن كثير أيضًا: «ذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الله بن حصن، قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يتفرقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها، ثم يسلم أحدهما على الآخر»[(٢)].

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه السورة: «الخَسَار مراتب متعددة متفاوتة:

قد يكون خسارًا مطلقًا، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم.

---

(١) تفسير ابن كثير، دار طيبة، ١/ ٢٠٣.

(٢) تفسير ابن كثير، دار طيبة، ٨/ ٤٧٩.

وقد يكون خسارًا من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات:

الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به.

والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده، الواجبة والمستحبة.

والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضًا بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه.

والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.

فبالأمرين الأولين يُكمل العبد نفسه، وبالأمرين الأخيرين يُكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة يكون العبد قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم»(١).

❖ صور من الخسارة:

١ ـ السهر الذي يترتب عليه التأخر عن صلاة الفجر أو أن تُؤَدَّى بكسل.

٢ ـ تزجية الوقت فيما لا يفيد.

٣ ـ إهمال الأولاد.

٤ ـ ترك النساء يخرجن متى شئن، أين شئن، كيف شئن.

٥ ـ السفر للسياحة أو بحجة تعلم اللغة.

❖ موعظة من كلام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في لطائف المعارف ـ في المقدمة ـ:

«روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن مجاهد قال: ما من يوم إلا يقول:

---

(١) تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، ص٩٣٤.

ابنَ آدم، قد دخلتُ عليك اليوم، ولن أرجع إليك بعد اليوم، فانظر ماذا تعمل فِيَّ، فإذا انقضى طواه، ثم يختم عليه، فلا يفك حتى يكون الله هو الذي يفض ذلك الخاتم يوم القيامة، ويقول اليوم حين ينقضي: الحمد لله الذي أراحني من الدنيا وأهلها، ولا ليلة تدخل على الناس إلا قالت كذلك.

وبإسناده عن مالك بن دينار قال: كان عيسى عليه السلام يقول: إن هذا الليل والنهار خزانتان، فانظروا ما تضعون فيهما، وكان يقول: اعملوا الليل لما خُلق له، واعملوا النهار لما خُلق له.

وعن الحسن قال: ليس يوم يأتي من أيام الدنيا إلا يتكلم يقول: يا أيها الناس، إني يوم جديد، وإني على ما يُعمل فِيَّ شهيد، وإني لو قد غربتِ الشمس لم أرجع إليكم إلى يوم القيامة.

وعنه أنه كان يقول: يا ابن آدم، اليومُ ضيفك، والضيف مرتحل، يحمدك أو يذمك، وكذلك الليلة.

وبإسناده عن بكر المزني أنه قال: ما من يوم أخرجه الله إلى أهل الدنيا إلا ينادي: ابنَ آدم، اغتنمني لعله لا يوم لك بعدي، ولا ليلة إلا تنادي: ابنَ آدم، اغتنمني لعله لا ليلة لك بعدي.

وعن عمر بن ذر أنه كان يقول: اعملوا لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده، فإن المغبون مَن غُبن خير الليل والنهار، والمحروم من حرم خيرهما، إنما جعلا سبيلًا للمؤمنين إلى طاعة ربهم، ووبالًا على الآخرين للغفلة عن أنفسهم، فأحيوا لله أنفسكم بذكره، فإنما تحيا القلوب بذكر الله عز وجل»[1].

❖ حديث «يتقارب الزمان»:

روى البخاري في صحيحه في كتاب الفتن، باب ظهور الفتن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يتقارب الزمان، ويَنْقُص

---

(١) لطائف المعارف، المكتب الإسلامي، ص٢٩ ـ ٣٠.

العمل، ويُلقى الشُّحُّ، وتظهر الفتن، ويكثر الهَرْج»، قالوا: يا رسول الله، أَيُّمَ هو؟ قال: «القتلُ القتلُ»[(١)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح في شرح هذا الحديث: «والواقع أن الصفات المذكورة وُجدت مباديها من عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم صارت تكثر في بعض الأماكن دون بعض، والذي يعقبه قيام الساعة استحكام ذلك»[(٢)]، يعني: لا يبقى مما يقابله إلا النادر.

ثم قال في شرح قوله: «يتقارب الزمان»: فالذي تضمنه الحديث قد وجد في زماننا هذا، فإنا نجد من سرعة مر الأيام ما لم نكن نجده في العصر الذي قبل عصرنا هذا، والحق أن المراد نزعُ البركة من كل شيء حتى من الزمان، وذلك من علامات قرب الساعة، قال النووي ـ تبعًا لعياضٍ وغيره ـ: المراد بقِصره عدم البركة فيه، وأن اليوم مثلًا يصير الانتفاع به بقدر الانتفاع بالساعة الواحدة، قالوا: وهذا أظهر وأكثر فائدة وأوفق لبقية الأحاديث[(٣)].

قال فضيلة العلامة الشيخ عبد الرحمن البراك ـ حفظه الله ـ: لفظة «تقارب» فيها معنى التسارع، تمر الأيام والليالي على الناس بسرعة، وقد يقال: إنه يعود إلى نزع البركة، أما تفسير تقارب الزمان بالقِصر فليس واضحًا.

❖ كلام الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسير آية سورة الشرح:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَمَر اللهُ رسولَه أصلًا والمؤمنين تبعًا بشكره والقيام بواجب نِعَمه، فقال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الشرح: ٧]؛ أي: إذا تفرغت من أشغالك، ولم يَبْقَ في قلبك ما يعوقه، فاجتهد في العبادة والدعاء.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وَحْدَهُ ﴿فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٨]؛ أي: أعظم الرغبة في إجابة دعائك وقبول عباداتك.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٦١) ومسلم (١٥٧).

(٢) فتح الباري لابن حجر، دار المعرفة، ١٣/١٦.

(٣) انظر: المرجع السابق، ١٣/١٦ ـ ١٧.

ولا تكن ممن إذا فرغوا وتفرغوا لعبوا وأعرضوا عن ربهم وعن ذكره، فتكون من الخاسرين»[(١)].

كلمة بمناسبة بداية الفصل الدراسي

بحول الله ومشيئته يستقبل الطلاب وأولياء أمورهم فصلًا دراسيًّا جديدًا.

اللهم اجعله موسم خير وبركة، وارزقنا فيه العلم النافع والعمل الصالح.

بمناسبة خَتم العطلة النصفية فإن بعض الناس يفهم الإجازة بأنها تَمْضِيَة الوقت، أيًّا ما كان شكل هذه التَّمْضِية.

ولا شك أن هذا الفهم خلاف الصواب، فالمسلم يَعرف أنه سيُسأل عن وقته كله، سواء كان في عمل أو دراسة أو كان في إجازة، «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم وضعه، وعن علمه ماذا عمل فيه»[(٢)].

وأيضًا لا يعني ذلك أن يَحرم المرءُ نفسَه من حقها في الترويح، فإن لنفسك عليك حقًّا، لكن المقصود أن يراقب المسلم ربه ويتقيه في كل أحيانه؛ في فترات عمله، ووقت عطلته، وفي جِدّه وترويحه، وفي علانيته وسره.

فلا يعني الترويح والتسلية أن يُسوِّغ المرءُ لنفسه السهر الذي يُفَوِّت صلاة الفجر مثلًا، أو حضورَ المجالس التي يُتحدث فيها بغيبة أحد، ولو لم تتحدث أنت، فمن استمع للغيبة دون إنكارها فقد شارك المغتابين.

فمَن أَحْسَن فيما مضى فليحمد الله، ومن أخطأ ـ وكلنا خَطَّاء ـ فليستغفر الله وليتب إليه، فإن الله غفور رحيم.

ثم يا أولياء أمور الطلبة، اتقوا الله فيما استُرعيتم عليه، وراقبوا من تحت أيديكم، فإنها أمانة ستُسألون عنها، «إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه،

---

(١) تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، ص٩٢٩.

(٢) أخرجه الدارمي في مسنده (٥٥٦).

أحفظ ذلك أم ضيع؟»[(١)]، فأدبوهم بأدب الإسلام، مُرُوهم بأداء الصلاة مع جماعة المسلمين في المساجد، وانظروا من يصاحبون، ولا تغرنكم الأماني، أو تنشغلوا عنهم بحجة عدم تفرغكم لهم، فقد تفوت الفرصة، ثم تندم حين لا ينفع الندم.

واحرصوا على تعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وخاصةً كتاب الله، حببوه إلى نفوسهم، وشجعوهم على دوام صلتهم به، حفظًا وتلاوة وتدبرًا وعملًا.

وعلى تَعَلُّم أحكام دينهم، فإن الممارس للتعليم يرى من أبنائنا مَن تجاوز سن البلوغ وهو يجهل بعض الأحكام التي لا يَسَعُ المسلمَ الجهلُ بها مع أنه قد دَرَسَها؛ لكن لأنه لم يُتَابَع فيها ولم يُطْمَأَنَّ إلى فهمه لها لم يَسْتَفِد مما درسه، خاصةً ما كان قد درسه في صغره قبل مجيء حاجته إليه، كأحكام الغُسل ونحوه.

ويا إخواني الطلبة، استعينوا بالله في تعلمكم، وفي شؤونكم كلها، وأخلصوا لله، تقبل الله أعمالكم، وبارك لكم فيها.

وابتدروا الأوقات، واحذروا التسويف.

كلمة بمناسبة الأمطار

إن نِعَم الله إن تُعَدَّ فلا تحصى، ومنها: إنزال المطر، قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٠ ـ ١١].

وكما هو نعمة فهو آية كما في الآية السابقة، وكما في قوله ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤].

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩١٢٩).

والمؤمن يعبد ربه بالمحبة والخوف والرجاء، إن وُفِّق لطاعة فرح واستبشر وسَرَّته حسنته، ورجا أن تُقبل، وخاف أن ترد.

وإن وقع في معصية خاف أن تبعده معصيته عن ربه، ورجا أن يقبل الله توبته.

وإن أصابته سراء حَمِد الله عليها، وحَذِر أن يكون ابتلاءً.

وإن أصابته ضراء صبر، وخاف أن تكون بسبب ما كسبته يداه، ورجا أن يُؤْجَر بالصبر.

وهكذا هو بين الخوف والرجاء.

وقد رزقنا الله في هذا العام أمطارًا ما أَلِفْناها ولا عَهِدْناها في بلدنا هذا منذ سنوات كثيرة.

فَلْنحمد الله على ما رزقنا، وندعوه أن يجعله صيبًا نافعًا.

ونخاف أن يكون ذلك استدراجًا، ففي الحديث عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج» رواه الإمام أحمد(١).

وإذا نظرنا في أحوالنا وإذا نحن حَقِيقُون بالخوف، فانظر إلى الفئام من المسلمين الذين تشبهوا بصفات المنافقين، وتركوا أداء الصلاة في المساجد.

بل انظر إلى مَن تلبَّس بما هو أخطر من ذلك وأنكى، وهو تأخير الصلاة عن وقتها، لغير عذر.

أليس هذا أكبر من كبيرة الزنا وشرب الخمر وتعاطي المخدرات؟

حيث إن تأخير الصلاة عن وقتها لغير عذر يُخشى أن يُخرِج صاحبَه من الملة.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٣١١)، وانظره في صحيح الجامع الصغير للألباني (٥٦١).

إلى غير ذلك من الذنوب المتفشية المستعلنة، لكن لو لم يوجد إلا التقصير في عمود الدين وركنه الأعظم بعد الشهادتين لكان كافيًا.

فلعل أئمة المساجد وخطباء الجمعة يُحَذِّرون الناس وينبهونهم من الغفلة، فما أخذ الله قومًا إلا عند نعمتهم وغرتهم.

وَلْيُسْتَفَد من كتاب التوحيد وأحد شروحه: باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ﴾ [الأعراف: ٩٩].

المؤتمر الدولي للسكان والتنمية(١)

حينما امتنَّ الله على البشرية ببعثة محمد ﷺ تجددت العداوة لهذا الدين، وازدادت حدة الصراع ضراوةً.

وضمت جهة الباطل أنواعًا متنافرة من الأشخاص والاتجاهات، يجمعها رابط واحد هو العداوة لهذا الدين.

ولقد اتخذ أعداء الدين عدة أساليب لحربه:

أحدها: الأسلوب القتالي السافر.

ومنها: أسلوب تفريق الصف وتمزيق الوحدة، بأن يُدَسَّ مَن يتظاهر بأنه منهم حتى يفرق كلمتهم، أو يتبنوا بعض ضعاف النفوس ليحقق لهم مآربهم، على حد قول القائل: لا يقطع الشجرة إلا بعض أغصانها.

وإن من الأساليب الخطيرة الماكرة المدمرة التي نهجها أعداء الإسلام في حربهم المسلمين صرفَهم عن أخلاقهم الفاضلة، وعاداتهم الحميدة التي يسيرون فيها على ضوء ما جاء في كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، وتزهيدَهم فيها، ووَصْفَها بأوصافٍ منفرة، والتحبيبَ إلى نفوسهم أخلاق أعدائهم، ووَصْفَها بما يزينها في النفوس ويحسنها في الأذهان.

---

(١) تاريخ هذه الورقة: ٢٦/ ٣/ ١٤١٥ه‍، وسيأتي التعريف ـ قريبًا ـ بهذا المؤتمر، إجمالًا.

ولَئِن كان الغزو العسكري لبلدان المسلمين فيه خطر كبير، حينما يُقتل رجالهم، ويُعتدى على نسائهم، وتغتصب أراضيهم، لئن كان ذلك خطرًا كبيرًا فأخطر منه أن يُغْزَوا في أخلاقهم.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولهذا ـ أعني حربهم في أخلاقهم ـ صور:

١ ـ أن يزينوا في نفوسهم التشبه بالكافرين فيما اختصوا به، في طريقة الأكل أو اللبس أو التحية أو غير ذلك من أنماط الحياة.

ولا يعني ذلك عدم الاستفادة مما عند الكافرين من أمور مفيدة، لا، وإنما المقصود التشبه بهم فيما اختصوا به، وكان من عاداتهم التي عرفوا وتميزوا بها.

ولقد حذر الشارع الحكيم من التشبه بالكافرين تحذيرًا بليغًا؛ من ذلك قوله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»[(١)].

وهذا ـ والله أعلم ـ لأن التشبه في الظاهر يكسر تميز المسلم عن غيره، واعتزازه بدينه، ويُعتبر خطوة أولى تُهَيِّئُهُ لِأَنْ يُقَدِّم تنازلًا ثانيًا وثالثًا حتى يؤول به الأمر إلى أن يَهُون عليه أمر دينه.

فتميز المسلم عن غيره بمثابة سياج يحفظ عقيدته، فإذا كُسر هذا السياج فما أسرع أن يوصَل إلى ما بداخله.

ومن أمثلة حرص الشارع الحكيم على أن نتميز عن غيرنا، وتحريمه التشبه بالكافرين: حَثُّه الصائم على السحور؛ مخالفةً لأهل الكتاب، قال ﷺ: «فَصْلُ ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أَكْلَةُ السَّحَر»[(٢)].

ومن ذلك: الحث على الصلاة بالنعلين؛ مخالفةً لليهود، وهذا إن أُمِن

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٩٦).

تلويث المصَلَّى، قال ﷺ: «خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم»(١).

ومن ذلك: النهي عن السلام بالإشارة، قال ﷺ: «لا تسلموا تسليم اليهود والنصارى، فإن تسليمهم بالأكف والرؤوس والإشارة»(٢)، حتى إنك إن احتجت إلى ذلك ـ كأن تسلم على بعيد لا يسمع صوتك أو أصم ـ فإنك تقرن مع الإشارة التلفظ بالسلام؛ خروجًا من المشابهة لليهود.

ومن ذلك: أن المشركين كانوا في الحج يُفِيضُون من مزدلفة إلى منى بعد أن تطلع الشمس، فأمر النبي ﷺ بمخالفتهم والإسراع بالإفاضة حينما يسفر جدًّا، ومبادرة طلوع الشمس(٣).

ومن ذلك: قوله ﷺ: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم»(٤).

ومن ذلك: قوله ﷺ: «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله» رواه مسلم(٥).

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة.

فهذه صورة من صور حرب أعدائنا لنا في أخلاقنا.

٢ ـ ومن الصور أيضًا: دعوتهم إلى تحريم الحلال أو تحليل الحرام.

وهذا أمرٌ غايةٌ في الخطورة، فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]،

---

(١) أخرجه أبو داود (٦٥٢).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠١٠٠).

(٣) أخرج البخاري (١٦٨٤) أن عمر رضي الله عنه قال: «إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس، ويقولون: أشرق ثبير، وأن النبي ﷺ خالفهم، ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس».

(٤) أخرجه البخاري (٥٨٩٩) ومسلم (٢١٠٣).

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٢٠).

فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، قال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟» فقلت: بلى، قال: «فتلك عبادتهم»(١).

وقد بلغ تأثر بعض المسلمين بمكائد أعدائهم أنهم لا يستنكرون كثيرًا ممارسة الزنا إذا لم يكن بإكراه، لكن يستنكرون ويستفظعون أن يتزوج الرجل مثنى وثلاث ورباع بطريق شرعي مباح، فأي تأثر بأعدائنا فوق هذا؟!

٣ ـ ومن صور حرب أعدائنا لنا في أخلاقنا: إضعاف الحياء في النفوس(٢).

والحياء شعبة من شعب الإيمان، قال ﷺ: «الحياء خير كله أو الحياء كله خير»(٣)، «الحياء لا يأتي إلا بخير»(٤).

فلا واللهِ ما في العيشِ خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهبَ الحياءُ
يعيشُ المرءُ ما استحيا بخيرٍ ويبقى العودُ ما بقيَ اللحاءُ

وكشاهد على هذا ـ أعني ضعف الحياء ـ فانظر إلى أولئك النساء اللاتي يزاحمن الرجال في الأسواق والأماكن العامة، أو اللاتي يتنزهن على جوانب الطرقات أمام عين كل غادٍ ورائح.

أين حياؤهن؟

وأين غيرة محارمهن؟

وهذا ـ أعني الغيرة ـ شعبة من شعب الإيمان، فكيف تَغُرُّه نفسه أن يسمح لامرأته أن تَخرج سافرة متزينة؟!

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) بلفظ آخر، والحديث بهذا اللفظ ذكره ابن تيمية في الإيمان، المكتب الإسلامي، ١/٥٨.
(٢) للوالد رحمه الله رسالة مختصرة بعنوان: الغيرة والحياء، يَحسن الرجوع إليها، وهي ضمن كتاب: إضاءات مجموع فيه رسائل ومحاضرات، ص١٦٠ ـ ١٦٧.
(٣) أخرجه مسلم (٣٧).
(٤) أخرجه البخاري (٦١١٧) ومسلم (٣٧).

إن الغيرة خُلق من أخلاق العرب التي أقرهم عليها الإسلام وزادها مكانة، قال ﷺ: «لا أحد أغير من الله»(١)، «يا أمة محمد، ما أحدٌ أغير من الله»(٢)، «أتعجبون من غيرة سعد! فوالله لأنا أغير منه، والله أغير مني»(٣).

بل إن هذه الصفة توجد في بعض الحيوانات العجماوات.

(٤)قال الشيخ محمد العثيمين حفظه الله: «قال النبي ﷺ: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة»، إن كثرة الأولاد عز للأمة، وليس فيه تضييق للرزق، فإن الله تعالى قال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وكلما كثرت الأمة فتح الله لها أبوابًا من الرزق، بشرط أن تَصدق اللهَ في التوكل عليه.

أما هذه الأمم الكثيرة التي تعاني من الجوع، فهؤلاء ليس عندهم صدق في التوكل على الله، وإلا فلو صدقوا الله لَهَيَّأ الله لهم الرزق.

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خِمَاصًا، وتروح بِطَانًا».

خِمَاصًا: جائعة، وبِطَانًا: مملوئة البطون.

فكثرة الأمة لا شك أنه عز وهيبة لها.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٣٧) ومسلم (٢٧٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٢١) ومسلم (٩٠١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٤٦) ومسلم (١٤٩٩).

(٤) من هنا إلى الآخِر تَعَرَّض الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ للموضوع المذكور في العنوان، وهو المؤتمر الدولي للسكان والتنمية، وهذا المؤتمر له مآربُ جديرةٌ بأنْ يُتَنَبَّهَ لها، فمن أهم قضايا هذا المؤتمر: مواجهة الزيادة السكانية! ولذا كان النقل عن الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وما بعده متجهًا إلى هذه القضية ـ كما سترى إن شاء الله ـ. والأهم هو النظر في الأساليب التي اعتمدها المؤتمر لمواجهة الزيادة السكانية! اقرأ ما كُتب حول هذا المؤتمر ـ إن شئتَ ـ؛ لتكون منه على بصيرة..

وما يحاوله أعداء المسلمين اليوم من تقليل النسل للمسلمين فهو خطة خبيثة ماكرة، يريدون أن يقضوا على المسلمين بأي وسيلة.

إن رزق الله لا نفاد له، قال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١]، وقال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١].

انظروا إلى شعيب ماذا قال لقومه: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]، فجعلها نعمة يذكّر بها».

٤ ـ ومن مكائدهم: التنفير من الزواج، وتأخير سِنه.

خطبة: بمناسبة غلاء الأسعار

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله إلا هو إنْ كنتُ لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ـ أي: يسقط على الأرض من شدة الجوع ـ، وإن كنتُ لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدتُ يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر بي النبي ﷺ فتبسم حين رآني[(١)]، وعرف ما في وجهي وما في نفسي، ثم قال: «أبا هر» ـ ناداه بهذه الصفة إيناسًا له وملاطفة ـ، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «اِلحق» ومضى فاتبعته، ـ ولم يكن في بيت النبي ﷺ شيء من الطعام، لكنه لما رأى ما بأبي هريرة رضي الله عنه من الجوع رَحِمَه وأشفق عليه ورجا أن يرزقه الله، وهذا من حسن الظن بالله المطلوب من المسلم ـ.

قال أبو هريرة: ومضى، فتبعته، فدخل، فاستأذنتُ فأُذن لي، فدخلتُ، فوجد لبنًا في قدح ـ القدح: إناء يشرب به أكبر من الكوب بقليل ـ، فقال: «من أين هذا اللبن؟» قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة.

---

(١) اختصر الوالد رحمه الله الحديث، وتمامه ـ كما في صحيح البخاري ـ: ولقد قعدتُ يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ، فتبسم حين رآني. . .إلخ.

انظر لـمَّا أحسن النبي ﷺ ظنَّه بربه حقق الله ظنه فيه، وفي الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي عبدي ما شاء»(١).

قال: «أبا هر» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «اِلحق إلى أهل الصفة فادْعُهم لي»، قال: وأهل الصفة أضياف على الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها وأشركهم فيها.

فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى يبلغني من هذا اللبن؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُدٌّ، فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا واستأذنوا فأُذن لهم، وأخذوا مجالسهم في البيت.

قال: «يا أبا هر»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «خذ فأعطِهم»، قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدح، فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدح، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إليَّ فتبسم، فقال: «أبا هر» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «بقيت أنا وأنت» قلت: صدقت يا رسول الله، قال: «اُقْعُد فاشرب» فقعدت فشربت، فقال: «اشرب» فشربت، فما زال يقول: «اشرب» حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكًا، قال: «فأَرِني» فأعطيته القدح، فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة» رواه البخاري(٢).

أيُّ جانب نتناوله من جوانب هذه القصة التي أطلعتنا على صفحات من صفحات الجيل الأول، وأرتنا نموذجًا من حياتهم؟

أَنَتَعَرّض لِجِدِّ الصحابة وصبرهم وزهدهم في الدنيا؟

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٠١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٥٢).

فهذا أبو هريرة ﵁ تلميذُ النبوة النجيب، الذي ترك أهله ووطنه، وجاء مهاجرًا إلى الله ورسوله، طامعًا في صحبة النبي ﷺ والأخذ عنه، وهو الذي يقول: «كنت أتبع النبي ﷺ على ملء بطني»[(١)]، يعني: أنه زهد في الدنيا ولم يشتغل بشيء منها، وآثر خدمة النبي ﷺ مقتنعًا بما يسد جوعه؛ رغبةً في ملازمة النبي ﷺ وسماع الحديث، ذلك أنه أدرك بِبُعْد نظره وفراسته أن الدنيا إن فاتت في وقت فإنها تُعَوَّض في وقت آخر، أما النبي ﷺ فإن فات ومضى فلا يمكن أن يجد بديلًا عنه.

ولذا فانظر كيف حفظ عن النبي ﷺ ما حفظ، ونقل إلينا ما لم ينقله غيره من الصحابة، مع أنه لم يَقْدَم على النبي ﷺ إلا في غزوة خيبر، جزاه الله عنا وعن سنة نبيه ﷺ وعن دين الإسلام خير الجزاء وجميعَ صحابة رسول الله ﷺ.

هذا جانب في هذه القصة.

أم نَتَعَرّض لحُسن خُلُق النبي ﷺ، وإحسانه الظنَّ بربه، وإيثار غيره على نفسه وقت المسغبة والجوع والحاجة؟

أم نَتَعَرّض لهذه المعجزة التي قَيَّضَها الله لنبيه ﷺ، فأنزل البركة في كمية يسيرة من اللبن جَرَتِ العادة أنها تروي شخصًا واحدًا؟

على أي حال وأيًّا ما كان الجانب الذي نطرقه من هذه القصة، أقول: ليست المصيبة أن يُصاب المرء في دنياه، لكن المصيبة على الحقيقة أن يُصاب في دينه، ولهذا ففي الدعاء المأثور عن النبي ﷺ: «ولا تجعل مصيبتنا في ديننا»[(٢)].

ومع هذا فهذه الشريعة الكاملة الحكيمة لم تُهمل شؤون الدنيا وحاجة الإنسان إليها، بل جاءت بما هو غاية في التوازن، فلم تترك المرء يتكالب على الدنيا ويُقْبِل بِكُلِّيَّتِه عليها، فتستهويه لذتها، ويبهره بَرِيقُها، فيغفل عما خُلق له، وينسى ما أمامه.

---

(١) أخرجه أحمد (٧٢٧٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢).

ولم تُهمل حاجة الإنسان وما في نفسه من التطلع إلى المُتَع المباحة.

قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء: ٥]، وقد بلغ الاحتفاء بهذا الجانب أنَّ من قُتل دون ماله فهو شهيد، فهو التوازن غاية التوازن.

وبمناسبة ارتفاع أسعار بعض السلع فإني أطرح حديثي هذا مُذكِّرًا ببعض الأمور:

أحدها: يقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

الثاني: أن حكمة الله ﷻ اقتضت أن يبتلي عباده بالشر والخير: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]؛ ليظهر مَن الذي يعبد الله في السراء والضراء، والرخاء والشدة.

الثالث: أن العبد دائمًا يكون بين الخوف والرجاء، فإذا حصل له ما يحب رجا أن يكون ذلك عونًا له على الطاعة.

الرابع: اعرِف سنة الله في الأولين والآخرين: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١].

الخامس: تَفَادَ وادفع ما هو أكبر مما حصل، فالذي حصل هو شيء يسير، إن تُبْنا وأَنَبْنَا ورجعنا إلى الله فأبشر بتَحَسُّن الحال، وإلا فما حصل إنما هو نذير ومقدمات لأمور لا يعلم مَداها إلا الله ﷻ، وخذ العبرة ممن حولنا.

السادس: احذر أن تكون ممن قال الله فيهم: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، أو كمن قال الله فيهم: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

السابع: مِن أَهَمِّ الدروس التوكل على الله في حصول الرزق وفي

المباركة فيه، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَـٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [فاطر: ٣].

الثامن: لا تنشغل بنفسك وتنسَ المعوزين المعدمين، ﴿قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ﴿ذِى مَسۡغَبَةٍ﴾ [البلد: ١٤].

التاسع: ما بالنا تأثرنا كل هذا التأثر لما مُسَّت دنيانا، ونحن نصاب في ديننا فلا نتأثر كثيرًا: (البث الفضائي، الربا، الغناء، الصلاة، إخواننا المسلمون).

العاشر: دعوة إلى إصلاح الحال.

واعلم أن أعظم ما يُدفع به الهلاك التوبةُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، والأمرُ بالمعروف، ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ﴾ [هود: ١١٦].

المعاصي أَعدى الأعداء

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فإن الله يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

إن المعاصي أعدى أعداء الإنسان، وما فات العبدَ من خير أو أصابه نقص في دينه أو دنياه إلا بسبب ذنوبه.

قال الله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ٣٠﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

ومن فضل الله على عباده وإحسانه إليهم ومن رحمته ولطفه بهم أنه لا يعاجل عباده بالعقوبات، بل يمهلهم، ويحلم عليهم، ويرسل إليهم النذر، فإذا لم ينيبوا

مع هذا كله، وقد أعذر إليهم ربهم كما في الحديث: «لا أحد أحب إليه العذر من الله»[١]، فحينئذ يستوجبون على أنفسهم سخط الله وعقوباته.

وتدبر هذه الآيات التي كانت تَوْجَل منها قلوب أهل العلم والخشية؛ آيات سورة الأنعام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٢ ـ ٤٥].

ومثل هذا الاعتداء الذي وُجّه لبلادنا، ما حالنا حِيَاله؟

إنْ تَرَتَّب عليه عودةٌ إلى الله، ومحاسبةٌ لأنفسنا، ومراجعةٌ لأوضاعنا، وإصلاحٌ لخللنا وتقصيرنا في حق ربنا، فلنبشر بالخير وبمزيد من الحفظ.

وإن بَقِينا في غفلتنا وتقصيرنا، ونسبنا الحفظَ للأسباب المادية، ورَكَنَّا إليها، كمن قال الله عنه: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [القصص: ٧٨]، وكنَّا ممن قال الله فيهم: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، ولم نُدرك أن هذه إنما هي نُذُر ومقدمات واختبار للعباد؛ فقد جنينا على أنفسنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فلنلتمس العلاج الجذري لهذه المخاوف والتهديدات كلها، وذلك بصدق العودة إلى الله.

والحمد لله، ربنا أرحم الراحمين، الرحمن الرحيم، الرؤوف اللطيف، ما جعل علينا في الدين من حرج، وما كلفنا بشيء لا نطيقه، لكنه سبحانه جعل هذه الدار دار ابتلاء ومجاهدة، واقتضت حكمته سبحانه أن تُحَفَّ الجنةُ بالمكاره، والنارُ بالشهوات؛ ليبلونا أينا أحسن عملًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٦) ومسلم (١٤٩٩).

فنسأل الله أن يوفقنا ويعيننا على ما خَلَقَنا له وهو عبادته، ورأس ذلك توحيده، والإخلاص له، والتوكل عليه، وحبه، والحب فيه والبغض فيه.

ومن الحب في الله والبغض في الله: عدم موالاة الكفار والركون إليهم، وعدمُ التشبه بهم، كالتوقيت بتاريخهم الميلادي أو غيرها من العادات التي اختُصوا بها.

كما نسأله سبحانه وتعالى أن يوقظ قلوبنا، فنصلح صلاتنا، فنقيمها كما أمر الله في مواقيتها، جماعة مع المسلمين، فإنها عمود الدين، وأعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وأن نطيب مكاسبنا، ونعطي كل ذي حق حقه، وأولهم وأولاهم: الوالدان والزوجات وذوو الرحم والجيران، وأن نجتنب ما نُهينا عنه، كالاختلاط، والسفور، وحلق اللحى، وإسبال الثياب، وإطلاق النظر، وغيرها مما تَعَبَّدَنا الله بتركه، وألا ننسى المحاويج، ونكرم النعمة فإنها كما جاء في الأثر المرفوع: «قَلَّ ما نفرتْ عن أهل بيت فكادت أن ترجع إليهم»[(١)].

ولنلتمس حِفْظ الله، وتوسيع الرزق، وتحسين الأوضاع بامتثال أمر الله فيمن عندنا من ضَعَفَة، روى البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»[(٢)]، وفي رواية: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم»[(٣)].

مقترحات لأهل العلم والخطباء والدعاة وسائر المصلحين

حيث يمر المسلمون هذه الأيام بأحداث جِسام، لها ـ والله أعلم ـ ما بعدها، فهذه مقترحاتٌ يُذَكَّر بها أهل العلم والخطباء والدعاة وسائر المصلحين وعامة الناس؛ نصحًا لهم وتعاونًا على البر والتقوى:

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٣٤٣).
(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٦).
(٣) أخرجه النسائي (٣١٧٨).

١ ـ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠]، فلا يُخاف علينا أكثر من ذنوبنا، إذن فلْيُبادر بالتوبة.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، فالتوكل على الله أعظم سبب لأنْ يُكفى العبد ما أهمه من أمور دينه ودنياه.

جاء في «نزهة الفضلاء»: قال أبو تراب: سمعت حاتمًا يقول: لي أربع نسوة وتسعة أولاد، ما طمع شيطان أن يوسوس لي في أرزاقهم(١).

٣ ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، فالتوحيد سبب الأمن، كما أن الشرك سبب الخوف مهما توافرت للعبد أسباب الأمن والاطمئنان، قال تعالى: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٥١].

٤ ـ الدعاء سلاح عظيم تسلح به الأنبياء والصالحون، فليُجتهد فيه، وَلْيُحث الناس عليه؛ خاصة كبار السن، ومن يُرجى فيهم الصلاح، قال رسول الله ﷺ: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»(٢)، وفي رواية: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم»(٣).

٥ ـ قال رسول الله ﷺ: «احفظ الله يحفظك»(٤)، فمن حفظ الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه حفظه الله في نفسه وأهله وعرضه وماله.

٦ ـ بالشكر تحفظ النعم بل تُزاد، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن

---

(١) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعام النبلاء، دار الأندلس، ص٨٤٨. وحاتم هو: حاتم الأصم، أحد العلماء الزهاد الوُعَّاظ، له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحكمة، كما قال الذهبي في السِّيَر.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٦).

(٣) أخرجه النسائي (٣١٧٨).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، ولْيُحذر من الإسراف والترف، ومن حياة اللهو والعبث.

٧ ـ الاجتهاد في العبادات سبب لتثبيت العبد ولتوفيقه إلى الصواب وأن يُحفظ من الفتن، بخلاف الغافل المقصّر فإنه يُخاف عليه أن تَزِلَّ قدمه وتُضله الفتن، كما أن للعبادة وقت الفتن شأنًا وفضلًا، قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال فِتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بِعَرَضٍ من الدنيا»[(١)]، وقال ﷺ: «العبادة في الهرج كالهجرة إليّ» رواه مسلم[(٢)]، وخرجه الإمام أحمد ولفظه: «العبادة في الفتنة كالهجرة إليّ»[(٣)].

قال ابن رجب رحمه الله: «وسبب ذلك: أن الناس في زمن الفتن يتبعون أهواءهم، ولا يرجعون إلى دين، فيكون حالهم شبيهًا بحال الجاهلية، فإذا انفرد مِن بينهم مَن يتمسك بدينه ويعبد ربه ويتبع مراضيه ويجتنب مساخطه، كان بمنزلة مَن هاجر مِن بين أهل الجاهلية إلى رسول الله ﷺ مؤمنًا به، متبعًا لأوامره، مجتنبًا نواهيه»، انتهى من لطائف المعارف[(٤)].

٨ ـ للنصر أسباب؛ منها:

أ ـ ما تضمنه قول الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١ ـ ٤٢].

ب ـ الصبر، قال رسول الله ﷺ: «واعلم أن النصر مع الصبر»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (١١٨).
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٨).
(٣) أخرجه أحمد (٢٠٣١١).
(٤) لطائف المعارف، المكتب الإسلامي، ص٢٣٨.
(٥) أخرجه أحمد (٢٨٠٣).

ت ـ العدل، قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام، وقد قال النبي ﷺ: «ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم»»، انتهى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١).

فَلْيتخلص العبد من مظالم العباد، وَلْيَرُد إلى أصحاب الحقوق حقوقهم؛ خاصة المستضعفين كالخدم والعمال ونحوهم.

٩ ـ من المهم أن يدرك المرء سبب عداوة أعدائنا لنا، وأن يعرف هدفهم وغايتهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فلا تكفيهم التنازلات مهما كثرت وعظمت إلا أن يرتد المسلمون عن دينهم.

فالظن أن حربهم لنا لمجرد دوافع اقتصادية أو أهداف توسعية تَهْوِينٌ لشأن المعركة، وهو أمرٌ يَفرح به العدو(٢).

١٠ ـ لتسليط العدو أسباب؛ منها: معاداة أولياء الله، قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب» رواه البخاري(٣). ومنها:

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ص٢٩.

(٢) جاء في التعليق على آية المائدة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ٥٩﴾، ما نصه: «ثم يربي القرآنُ وعيَ المسلم بحقيقة أعدائه وحقيقة المعركة التي يخوضها معهم ويخوضونها معه، إنها معركة العقيدة، فالعقيدة هي القضية القائمة بين المسلم وكل أعدائه، وهم يعادونه لعقيدته ودينه، قبل أي شيء آخر، وهم يعادونه هذا العِدَاء الذي لا يَهدأ لأنهم هم فاسقون عن دين الله، ومن ثَمَّ يكرهون كلَّ من يستقيم على دين الله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ٥٩﴾، فهذه هي العقدة، وهذه هي الدوافع الأصيلة!».

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

أكل الربا، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩]، وعمومًا فإن سبب التسليط: الذنوب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والذي شاهدناه نحن وغيرنا وعرفناه بالتجارب أنه ما ظهرت المعازف وآلات اللهو في قوم وَفَشَتْ فيهم واشتغلوا بها إلا سَلط الله عليهم العدو، وبُلوا بالقحط والجدب وولاة السوء» اهـ. مدارج السالكين(١).

١١ ـ من أخطر الأدواء وأفتك الأمراض: التفرقُ، فلْيُسعَ إلى كل ما مِن شأنه جَمْع الكلمة، قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا»(٢)، ولذلك أسباب؛ منها: الرجوع إلى أهل العلم والصدور عن رأيهم ومشورتهم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

١٢ ـ من الأحداث المتكررة في التاريخ: مواقف المنافقين إذا حضر العدو وكانت الريح له، فإنهم يوالونه ويُعِينونه على المسلمين، ويدلونه على نقاط الضعف فيهم، وأيضًا يغتنمون انشغال المصلحين، فيقررون أوضاعًا وقرارات تخالف الشرع، وذلك مما يوجب الحذر منهم، وفضحَهم، وتحصينَ الناس من كيدهم.

١٣ ـ على كل مسلم أن يقوم بواجبه من الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يَنتبه إلى ألا يكون الانشغال بالأهم مَدعاةً لترك المهم.



(١) مدارج السالكين، دار عطاءات العلم، ٢/ ١٦٠.
(٢) أخرجه مسلم (٥٤).



المدونة الرابعة
خُلاصات ومُلَخَّصات

خلاصات من كتاب الوابل الصيب لابن القيم

١ ـ تكون السعادة بثلاثة أمور:

١ ـ الشكر.

٢ ـ الصبر.

٣ ـ التوبة.

٢ ـ أركان الشكر:

١ ـ الاعتراف بها باطنًا.

٢ ـ التحدث بها ظاهرًا.

٣ ـ تصريفها في مرضاة مُسْدِيها ومُوْلِيها ومُعْطِيها.

٤ ـ قد يضاف رابع: الشعور بالتقصير.

٣ ـ الصبر حبس النفس عن التسخط على المقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم، وشق الثياب، ونحوهما.

فمدار الصبر على تلك الأركان السابقة، فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحةً.

٤ ـ لله على العبد عبودية في الضراء كما أن له عليه عبودية في السراء، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون، والشأن إعطاء العبودية في المكاره، ففيها تتفاوت مراتب العباد.

فمَن قام بالعبودية في الحالتين ـ فيما يحب وفيما يكره ـ فهذا الذي يتناوله قول الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، فالكفاية التامة مع العبودية التامة.

وهؤلاء هم الذين لا يكون للشيطان عليهم سلطان، ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

٥ ـ مداخل يدخل منها الشيطان على العبد:

١ ـ الغفلة.

٢ ـ الشهوة.

٣ ـ الغضب.

٦ ـ إذا أراد الله بعبده خيرًا فتح له من أبواب الذل والانكسار وصدق اللجأ ودوام التضرع والتقرب إليه ما تكون به تلك السيئة سببَ خير عليه.

خلاصات من كتاب الوصية الصغرى «اتق الله حيثما كنت»

لشيخ الإسلام ابن تيمية

١ ـ أنفع وصية: وصيةُ الله لمن عقلها: ﴿أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

٢ ـ وصية النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه، وقد كان ذا حَظْوَة لدى النبي ﷺ، يُحشر أمام العلماء برتوة ـ بخطوة ـ، أي: يتقدمهم، وهو أعلم الأمة بالحلال والحرام، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول عنه ـ عن معاذ رضي الله عنه ـ: إنه كان أُمَّةً، ولم يكُ من المشركين.

٣ ـ ينبغي أن تكون الحسنات من جنس السيئات، فإنه أبلغ في محوها.

٤ ـ الذنوب يزول موجَبُها بأشياء:

١ ـ التوبة.

٢ ـ الاستغفار ولو من غير توبة، فقد يَغفر الله له إجابةً لدعائه وإن لم يتب، فإذا اجتمعت التوبة والاستغفار فهو الكمال.

٣ ـ الأعمال الصالحة.

٤ ـ المصائب المكفِّرة.

٥ ـ «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة» هذا في حق الله، وفي حق العبد: «وخَالِقِ الناسَ بخُلق حسن»، الخُلق الحسن الذي وُصف به النبي ﷺ هو الدِّين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقًا، وهو تأويل القرآن، وحقيقته المبادرة إلى امتثال ما يحبه الله بطيب نفس وانشراح.

٦ ـ التقوى الدين كله.

٧ ـ يَنْبُوع الخير وأصله: إخلاص العبد لربه واستعانته به، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ١٧]، بحيث يقطع العبد تعلق قلبه بالمخلوقين؛ انتفاعًا بهم، أو عملًا لأجلهم، ويجعل هِمَّتَهُ ربَّه تعالى.

٨ ـ أفضل الأعمال يختلف بحسب الأشخاص والأحوال، ولكن مما هو كالـمُجمع عليه: أن ملازمة ذكر الله أفضلُ ما شَغل العبد به نفسه، وأفضل الذكر: لا إله إلا الله.

٩ ـ أرجح المكاسب: التوكل على الله، والثقة بكفايته، وحسن الظن به.

ملخص عن الاستقامة

١ ـ الآيات الواردة في الاستقامة:

١ ـ سورة الفاتحة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

٢ ـ سورة يونس: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩].

٣ ـ سورة هود: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢].

٤ ـ سورة الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

٥ ـ سورة فصلت: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠].

٦ ـ سورة الشورى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [الشورى: ١٥].

٧ ـ سورة الأحقاف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [الأحقاف: ١٣].

٢ ـ روى أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠] الآية، فقال: «قد قالها الناس ثم كفر أكثرهم، فمن مات عليها فهو ممن استقام»[(١)].

٣ ـ أقوال السلف في تفسير ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾[(٢)]:

١ ـ قال أبو بكر رضي الله عنه: «لم يشركوا به شيئًا»، وعنه قال: «لم يلتفتوا إلى إلهٍ غيره».

٢ ـ قال عمر رضي الله عنه: «لم يروغوا روغان الثعالب».

٤ ـ تعريف الاستقامة: سلوك الطريق المستقيم، ويشمل ذلك: فعل الطاعات كلها، وترك المنهيات.

٥ ـ أمور تعين على الاستقامة والزيادة منها:

١ ـ حفظ القلب وتنقيته من شوائب الشرك، وتحقيق شروط لا إله إلا الله، وخاصة اليقين.

٢ ـ شكر الله على نعمة الإيمان.

٣ ـ عدم تحميل النفس ما لا تطيق.

٤ ـ الحرص على ما يزيد إيمانه، والمجاهدة.

٥ ـ طلب العلم النافع.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره، دار هجر، ٢٠/ ٤٢٢.
(٢) انظر: تفسير ابن رجب الحنبلي، دار العاصمة، ٢/ ٢٦١.

٦ ـ كثرة التوبة والاستغفار، ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾ [فصلت: ٦]؛ جبرًا لقصوره في الاستقامة، قال ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا»[١]، ونفيًا للعُجب.

٧ ـ الصبر عليها.

٨ ـ الدعاء.

٩ ـ التواصي.

١٠ ـ تحقيق التقوى.

١١ ـ حفظ اللسان.

٦ ـ من ثمرات الاستقامة:

١ ـ ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]، ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ [فصلت: ٣٠].

٢ ـ الثبات عند السؤال.

٣ ـ وعلى الصراط: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

٧ ـ قال الله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، سلوك الطريق المستقيم بأمور:

١ ـ العلم النافع.

٢ ـ الإرادة للعمل بما يعلم.

٣ ـ القدرة على العمل بما يريد، ولا تتم إلا بمعونة الله.

٨ ـ أخطاء تهدد الاستقامة: الرياء، والسمعة.

٩ ـ راجع تفسير آية هود: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢].

١٠ ـ يحسن ربط الدرس بالواقع.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٧٧).

خلاصة من رسالة للعلامة ابن رجب في «معاملة الظالم السارق»

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهذا مُخْتَصر فيما روي عن أهل المعرفة والحقائق في معاملة الظالم السارق(١).

قد روي عن النبي ﷺ أنه نهى عن سب السارق والدعاء عليه، خرّج أبو داود من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها سُرِقت ملْحفةٌ لها، فجعلت تدعو على من سرقها، فجعل النبي ﷺ يقول لها: «لا تُسَبِّخِي عنه»، قال أبو داود: «لا تُسَبِّخِي» يعني: لا تخففي.

والمراد: أن من ذهب ماله بسرقة ونحوها فإن ذهابه من جملة المصائب الدنيوية، والمصائب كلها كفارات للذنوب، والصبر عليها يحصّل للصابر الأجر الجزيل.

وفي حصول الأجر له على مجرد المصيبة خلافٌ مشهورٌ بين العلماء.

فإن دعا المظلوم على ظالمه في الدنيا فقد استوفى منه بدعائه بعض حقه.

وخرج الترمذي من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال: «من دعا على مَن ظلمه فقد انتصر».

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بلغني أن الرجل ليُظلم بمظلمة، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه حتى يستوفي حقه، ويكون للظالم الفضلُ عليه.

وخرّج مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا».

---

(١) علق الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا بقوله: لعل صوابها: الظالم والسارق. انتهى تعليق الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
أقول: في كتاب: الأثبات في مخطوطات الأئمة: شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن رجب، للشيخ د. علي بن عبد العزيز الشبل، جاءت تسمية هذا الكتاب بدون حرف الواو. وكذلك في مقدمة ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق الشيخ عبد الرحمن العثيمين.

فإن دعا على من ظلمه بالعدل جاز، وكان مستوفيًا لبعض حقه منه، وإن اعتدى عليه في دعائه لم يَجُزْ.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨]، قال: لا يحب أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلومًا، فإنه قد رُخِّص له أن يدعو على مَن ظلمه، وذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾، ومَن صبر فهو خير.

وقال الحسن: قد أرخص له أن يدعو على من ظلم من غير أن يعتدي عليه.

وقيل لبعض السلف الصالح: إن فلانًا يقع فيك، قال: لأغيظن مَن أمره، يغفر الله لي وله، قيل: مَن أمره؟ قال: الشيطان.

وقال الحجاج بن الفُرافِصة: بَلَغَنا أن في بعض الكتب: من استغفر لظالمه فقد هزم الشيطان.

وقال الفضيل بن عياض: حسناتك من عدوك أكثر منها من صديقك، إن عدوك يغتابك، فيدفع إليك حسناته الليل والنهار، فلا ترضى إذا ذُكر بين يديك تقول[1]: اللهم أهلكه، لا، بل ادْعُ الله له: اللهم أصلحه، اللهم راجع به، فيكون الله يعطيك أجر ما دعوت، فإن مَن قال لرجل: اللهم أهلكه، فقد أعطى الشيطان سؤله؛ لأن الشيطان إنما يدور منذ خلق الله آدم على هلاك الخَلق.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتي برجل قد شرب، فقال: «اضربوه»، فضربوه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا هكذا، لا تُعِينوا الشيطان عليه»، خرّجه أبو داود، وعنده: «ولكن قولوا: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه».

---

(١) هكذا في رسالة «معاملة الظالم السارق»، وفي حلية الأولياء، مطبعة السعادة، ٨/ ٩٧: «فلا ترضَ إذا ذكر بين يديك أن تقول...».

أدعية مختارة:

هذه أدعية مختارة[١] يُدعى بها في الساعات التي يُرجى فيها إجابةُ الدعاء وفي سائر الأوقات، فإن بعض الناس يَقْصُر دعاءَه على الساعات التي يتأكد فضلها على غيرها، وهذا يفوّت على نفسه خيرًا كثيرًا، فإن الأَولى أن يلهج بالدعاء في كل حين، ويزداد ويكثر في الساعات الفاضلة، وأيضًا يدعى بهذه الدعوات في الصلاة:

١ ـ اللهم ابسط عليَّ من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك.

٢ ـ اللهم إني أسألك مرافقة نبيك ﷺ في أعلى جنة الخلد.

٣ ـ اللهم أصلح لي في ذريتي.

٤ ـ اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

٥ ـ اللهم إني أعوذ بك من صاحب السوء، ومن جار السوء، في دار المقامة.

٦ ـ اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا.

٧ ـ اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد.

٨ ـ اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم.

٩ ـ اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

---

(١) انظر للفائدة: كتاب خِتام السنين، للوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ص١٤٨ وما بعدها، ففيه ذِكر لعددٍ من هذه الأدعية، وتخريجٌ لها، وتعليق على بعضها.

تنبيه: سبق نَشر مجموعٍ لطيف بعنوان: (أدعية مأثورة)، للوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حوى (٤٥) دعاءً، جُمِعت تلك الأدعية من كلمات ألقاها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا العنوان (أدعية مأثورة)، وضُمَّ إليها أدعيةٌ أخرى حَثَّ عليها الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مناسبات أخرى.. وبعد ذلك؛ وجدت هذه الورقة: (أدعية مختارة)، بخط الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد حوت دعواتٍ تُشَابِه تلك الدعوات، وعددها قريب من ذلك العدد.

١٠ ـ اللهم إني أعوذ بك من القسوة والغفلة.

١١ ـ اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغًا لي فيما تحب.

١٢ ـ اللهم إني أسألك من فضلك العظيم.

١٣ ـ اللهم زدني ولا تنقصني.

١٤ ـ اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

١٥ ـ اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك.

١٦ ـ يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك.

١٧ ـ اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك.

١٨ ـ اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك.

١٩ ـ اللهم إني أسألك الدرجات العُلا من الجنة.

٢٠ ـ ربي ارحم والدَيَّ كما ربياني صغيرًا.

٢١ ـ اللهم إني أسألك قلبًا سليمًا.

٢٢ ـ اللهم اجعلني مقيم الصلاة.

٢٣ ـ اللهم إني أسألك من الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله.

٢٤ ـ اللهم أصلح لي ديني ودنياي وآخرتي وأصلح لي شأني كله.

٢٥ ـ اللهم رحمتك أرجو، فلا تَكِلْني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت.

٢٦ ـ أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق.

٢٧ ـ اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت.

٢٨ ـ اللهم ألهمني رشدي، وأعذني من شر نفسي.

٢٩ ـ اللهم اهدني وسددني.

٣٠ ـ اللهم افتح لي أبواب فضلك، وافتح لي أبواب رحمتك.

٣١ ـ اللهم حقق إيماني.

٣٢ ـ اللهم زدني إيمانًا ويقينًا وفقهًا.

٣٣ ـ اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

٣٤ ـ اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني.

٣٥ ـ اللهم إني أعوذ بك أن أَضِل أو أُضَل، أو أَزِل أو أُزَل، أو أَظلِم أو أُظلَم، أو أَجهل أو يُجهل عليَّ.

٣٦ ـ اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك.

٣٧ ـ اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك.

٣٨ ـ اللهم فقهني في الدين، وعلمني التأويل.

٣٩ ـ اللهم علمني الكتاب والحكمة.

٤٠ ـ اللهم إني أسألك حُسن الظن بك، وصدق التوكل عليك.

٤١ ـ اللهم اجعلني من السابقين المقرَّبين.

٤٢ ـ اللهم اجعلني من الموقنين.

٤٣ ـ اللهم أصلح أحوالنا وأحوال المسلمين.

٤٤ ـ اللهم ارفع وادفع عنا الفتن.

من آداب الدعاء

إن من نعم الله علينا أنْ شرع لنا أن ندعوه وحده لا شريك له، ورَغَّبَنا في هذا، ووعدنا أن يجيب دعوة الداعي إذا دعاه.

فالعبد كلما كان كثير الدعاء لربه، يُنْزِل حاجاته في كل ما مر به، كلما نابته نائبة بادر إلى دعاء ربه، دل هذا على كمال عبوديته لربه، وحبه له، وثقته فيه، وإيمانه بأن ربه رحيم غني كريم قريب مجيب.

فمن ثَمَّ كان الدعاء هو العبادة، قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»[١].

ومن كمال ربنا وعظمته وغناه أنه يحب من يدعوه، بل يحب الملحين في الدعاء، ويغضب على من لا يدعوه.

لكن مع كل ما تقدم فكثير من الناس يُقَصّر، ويُفَوّت على نفسه هذا الخير العظيم.

ومن أسباب ذلك كيد الشيطان، حين يُيَئِّس العبد من إجابة دعائه، ويُذَكِّره بالسيء من عمله، فيجعل ذلك حاجزًا بين العبد وبين ربه.

ينضاف إلى ذلك خطأ بعض الناس في فهم ما يَسمع من شروط إجابة الدعاء، فحين يقرأ أو يسمع أن من أسباب إجابة الدعاء إطابة المطعم، والتخلص من الذنوب، ونحو ذلك، فكأنه يفهم من هذا أنه لن يستجاب دعاؤه حتى يتصف تمامًا بهذه الصفات، بمعنى أن خوفه من ذنوبه وتقصيره صار سببًا في تركه الدعاء.

وهنا يقال إن العبد يجب أن يَجمع بين حالين: الخوف من الله،

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٢٩٦٩) وابن ماجه (٣٨٢٨).

ورجائه، بل إن العبادة لا تكون عبادة صحيحة حتى يجمع فيها بين محبة الله وخوفه ورجائه.

لكن يُنتبه إلى أن الخوف المحمود هو الذي يقترن به الرجاء، فهو الخوف الذي يكون محفزًا لصاحبه على أن يُصلح حاله بالتوبة من الذنوب، والاستكثار من العمل الصالح.

أما الخوف الذي يترتب عليه ترك عمل صالح؛ يَأْسًا من أن يُتقبل منه، فهذا كيد من الشيطان؛ ليقطع العبد عن ربه ويبعده عنه.

فأَحْسِن الظن بربك، وادعه وأنت مُوْقِن بالإجابة، قال رسول الله ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافلٍ لَاهٍ»[(١)].

إن للدعاء آدابًا واجبة أو مستحبة، فاحرص على الإتيان بها:

○ **فمنها بل أولها:** الإخلاص لله، فالدعاء شأنه شأن سائر العبادات، لا يقبله الله إلا بالإخلاص، قال الله ﷻ: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

○ **ومن آداب الدعاء:** أن يختار الأدعية التي تجمع مطالب كثيرة؛ اقتداء بالنبي ﷺ، فقد كان يستحب الجوامع من الدعاء، ويَدَعُ ما سوى ذلك.

ومن أمثلة هذه الأدعية الجامعة:

ـ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، قال أنس رضي الله عنه كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار» رواه البخاري ومسلم[(٢)].

ـ ومن الأدعية الجوامع قوله ﷺ: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٨٩) ومسلم (٢٦٩٠).

أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر» رواه مسلم(١).

- وعن أبي أمامة ﵁ قال: دعا رسول الله ﷺ بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئًا، قلنا: يا رسول الله، دعوتَ بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئًا، فقال: «ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله؟ تقول: اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ﷺ، وأنت المستعان، وعليك البلاغ، ولا حول ولا قوة إلا بالله» رواه الترمذي(٢).

○ **ومن آداب الدعاء:** تحري أوقات الإجابة، كالثلث الأخير من الليل، وبين الأذان والإقامة، وآخر ساعة من يوم الجمعة، وحال السجود، ففي الحديث عن النبي ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»(٣)، وفي حديث آخر: «وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فَقَمِنٌ أن يُستجاب لكم»(٤)، قَمِنٌ: أي حَرِيٌّ وجدير أن يُستجاب لكم.

لكن لا يُفهم مما تقدم ألا تدعو إلا في هذه الأوقات، هذا فهم خاطئ، بل ادع ربك في كل حين، لكن خُصَّ الأوقات التي يُتحرى فيها إجابة الدعاء بمزيد اجتهاد واعتناء.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٢١)، وقال: حديث حسن غريب، وأخرجه ابن ماجه بلفظ: «اللهم إني أسألك من الخير كله، عاجله وآجله، ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله، عاجله وآجله، ما علمتُ منه وما لم أعلم، اللهم إني أسألك من خير ما سألك به عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك، اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرًا»، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

(٣) أخرجه مسلم (٤٨٢).

(٤) أخرجه مسلم (٤٧٩).

○ **ومن آداب الدعاء:** أن تَعْلُوَ همتُك وتَعْظُمَ رغبتُك، فكلما كان طلبك عظيمًا دل ذلك على ثقتك بالله وإيمانك بأنه غني كريم لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

فأَعْظِم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه، كما جاء ذلك عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح(١).

وكما تُعْظِم رغبتك فتسأله تعالى أن يغفر ذنبك كله، وأن يجعلك من أهل جنة الفردوس، وأن يرزقك لذة النظر إلى وجهه، ونحو ذلك من المطالب العالية، فاسأله حاجاتك كلها، كما روي في الحديث: «لِيَسْأل أحدكم ربه حاجته، حتى يسأله الملح، وحتى يسأله شسع نعله إذا انقطع»(٢).

إن الدعاء سلاح تَسَلَّح به الأنبياء والصالحون فيما ينوبهم من شؤون دينهم ودنياهم، فخُذ بنصيبك منه، واقرأ هذه القصة التي ذكرها النبي ﷺ (قصة الغلام والملك والراهب)(٣) تَرَ فيها شأن الدعاء، وكيف كان الصالحون يفزعون إليه(٤).

اقتراحات تتعلق بحفظ القرآن

١ ـ اعرف شرف كتاب الله وفضل حفظه.

٢ ـ تعاهد ما حفظته، قال ﷺ: «تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تَفَصِّيًا من الإبل في عقلها»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٠٤).

(٣) انظر: صحيح الإمام مسلم، الحديث رقم: (٣٠٠٥).

(٤) تَعَرَّض الوالد رحمه الله لعدد من جوانب هذه القصة ـ قصةِ أصحاب الأخدود ـ، وذلك في كتاب إضاءات مجموعٌ فيه رسائل ومحاضرات، ص٢٨٩ ـ ٣٠٥، فارجع إليه للاستزادة من الفائدة.

(٥) أخرجه البخاري (٥٠٣٣) ومسلم (٧٩١).

٣ ـ بَكِّر إلى الجمعة وإلى الصلوات الخمس، وردد ما حفظته.

٤ ـ خصص يومًا في الأسبوع للمراجعة.

٥ ـ اقرأ ما حفظته في النوافل وفي صلاة الليل.

الصدقة

١ ـ ما ورد في فضلها.

٢ ـ من مجالاتها:

١ ـ الفقراء والمساكين من الأرامل والأيتام والوافدين للعمل أو الدراسة.

٢ ـ إطعام الجيران والأصحاب والإخوان، وهي لهم هدية، وتَحَبُّبٌ إلى قلوبهم.

٣ ـ من فوائدها وآثارها:

١ ـ مِن شكر النعمة، فهي سبب للزيادة.

٢ ـ تأليف قلوب المستضعفين، وإزالة ما في نفوسهم على إخوانهم الأغنياء.

٣ ـ معونة لطالب العلم الوافد أن يدعو إلى الإسلام إذا رجع إلى بلده، أو على الأقل ألا يقف في وجه الخير أو يساند الشر.

٤ ـ التهادي بين الجيران والأقارب سبب للتآلف والتحاب، فهو سبب لتحقيق الإيمان الذي هو سبب دخول الجنة.

٤ ـ تنبيهات:

١ ـ لا يقتصر التصدق على الأغنياء والموسرين، «اتقوا النار ولو بشق تمرة»[(١)]، «إن الله ليدخل بلقمةِ الخبز وقبضةِ التمر ومثلِه مما ينتفع به المسكين ثلاثةً الجنةَ: رَبَّ المال الآمر به، والزوجة تصلحه، والخادم الذي يناوله

(١) أخرجه البخاري (١٤١٧) ومسلم (١٠١٦).

المسكين»[١]، «الخازن المسلم الأمين الذي ينفذ ما أمر به، كاملًا موفرًا، طيبًا به نفسه، فيدفعه إلى الذي أمر له به أحدُ المتصدقَيْن»[٢].

٢ ـ دعِ السلبية والكسل، وابحث واسأل عن المحتاجين وتَحَرَّ، فهم كثير.

٣ ـ كن سبب خير على نفسك وأهلك وجيرانك ومعارفك، بِحَثِّهم على الصدقة.

٤ ـ عَوِّد نفسك وأهلك ألا تَحقر شيئًا من المعروف، فأَخْرِج مما في البيت من طعام أو فاكهة أو خُضرة أو لباس أو غيره مما تيسر، بالإضافة إلى الإنفاق مما تحب.

الجدية في الشخصية المسلمة

١ ـ ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ [مريم: ١٢]، ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

٢ ـ مظاهر الجدية.

٣ ـ مظاهر التقصير؛ منها:

١ ـ التقصير في تربية الأهل.

٢ ـ إضاعة الوقت أو تَزْجِيَتُه فيما يَقِلّ نفعه، وصرف الساعات الطويلة فيما يمكن اختصاره.

٣ ـ تَلَمّس الرُّخَص في ترك العمل الصالح، كالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعلم العلم وتعليمه.

٤ ـ المبالغة في الاهتمام بالمظاهر وأمور الدنيا: الطعام، واللباس، والمسكن، والمركب.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٥٣٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٣٨) ومسلم (١٠٢٣).

٥ ـ التفريط في الأحكام الشرعية؛ بترك الواجبات والمستحبات، والوقوع في المحرمات والمكروهات: صلاة الجماعة، إعفاء اللحية، تشمير الثوب، السنن الراتبة والوتر، الاختلاط، سماع المعازف، إطلاق النظر، التفريط في رد الودائع، التسويف في التوبة.

٦ ـ الانشغال بالمفضول عن الفاضل، أو بالمباح عن المستحب.

٧ ـ كثرة الجدال فيما لا يُحتاج إليه أو ما يَقِلّ نفعه.

٤ ـ الأسباب؛ منها:

١ ـ الالتهاء بالدنيا (الاغترار بها).

٢ ـ الصحبة: قال ﷺ: «الرجل على دين خليله»[(١)].

٣ ـ قياس المرء نفسَه على المقصرين.

٥ ـ العلاج:

١ ـ تَذَكُّر الغايةِ التي خُلق لها، والمصيرِ الذي هو صائر إليه، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

٢ ـ قراءة القرآن بالتدبر، والعمل بما فيه.

٣ ـ دراسة سيرة النبي ﷺ، ومطالعة سِيَر الصحابة رضي الله عنهم والصالحين.

الأسباب الجالبة للتحابّ بين المسلمين

١ ـ أهمية هذه المسألة[(٢)]:

١ ـ قوله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨).

(٢) انظر للاستزادة: محاضرة بعنوان: سلامة الصدر من الغل والحسد، ضمن كتاب: إضاءات مجموع فيه رسائل ومحاضرات، للوالد رحمه الله، ص٢٠٢ ـ ٢١٩، ففي تلك المحاضرة تَعَرُّضٌ لهذه المسألة وذِكرٌ لمسائلَ مهمةٍ أخرى.

(٣) أخرجه مسلم (٥٤).

٢ ـ قول عمر رضي الله عنه: «فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس»[١].

٢ ـ من الأسباب الجالبة للتحاب بين المسلمين:

١ ـ الإعلام بالمحبة: قال رجل: يا رسول الله، إني أحب فلانًا، فقال رسول الله ﷺ: «فأعلمته؟»[٢].

٢ ـ التهادي: قال رسول الله ﷺ: «تهادوا تحابوا» رواه البخاري في الأدب المفرد[٣].

٣ ـ التزاور: قال رسول الله ﷺ: «زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا» رواه البزار والطبراني والبيهقي[٤].

٤ ـ بذل المال: قال الله تعالى في الحديث القدسي: «وَجَبَتْ محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ»[٥]، وفي الحديث الآخر: «فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ»[٦].

درجات بذل المال على ثلاث مراتب[٧]:

ـ أهونها المساهمة في المال.

ـ وأوسطها المواساة.

ـ تقديم الأخ على النفس، وهذه رتبة الصِّدِّيقين ومنتهى درجات المتاحبين، وتسمى: درجة الإيثار.

---

(١) البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ٩/ ٦١٤.

(٢) أخرجه أحمد (١٢٥١٤) وأبو يعلى في مسنده (٣٤٤٢).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤).

(٤) أخرجه البزار في مسنده (٣٩٦٣)، والطبراني في المعجم الأوسط (١٧٥٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٠١٥).

(٥) أخرجه مالك في موطئه (٣٥٠٧ ط. الأعظمي).

(٦) أخرجه مسلم (٢٣١٣).

(٧) انظر: التبصرة لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، ٢/ ٢٧٧.

٥ ـ ترك الذنوب: قال ﷺ: «ما تواد اثنان في الله جل وعز أو في الإسلام فَيُفَرَّق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما»(١)، صححه الألباني بمجموع طرقه في الأحاديث الصحيحة(٢).

قال صاحب فيض القدير: «إذا وجدت من إخوانك جفاءً فتب إلى الله فإنك أحدثت ذنبًا، وإذا وجدت منهم زيادة وُدٍّ فذلك لطاعة أحدثتها، فاشكر الله تعالى»(٣).

٦ ـ إفشاء السلام: قال ﷺ: «أَوَلَا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»(٤).

٧ ـ السؤال عن أحواله وتَفَقُّدُها وقضاء حوائجه.

٨ ـ عدمُ احتقار الإخوان، وإظهارُ الإجلال والاحتفاء، ومن ذلك: أن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما أمَّره النبي ﷺ في غزوة ذات السلاسل أتى النبي ﷺ فقال: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، فقال: من الرجال؟ قال: «أبوها»، قال: ثم من؟ قال: «ثم عمر بن الخطاب»، فعد رجالًا(٥).

٩ ـ النصيحة: قال ﷺ: «ثلاث لا يُغِلُّ عليهن قلبُ مسلم أبدًا: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٠١).
(٢) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، ٢/ ٢٣١.
(٣) فيض القدير للمناوي، المكتبة التجارية الكبرى، ٥/ ٤٣٧، والعبارة منسوبة للمزني، ولعله التابعي المعروف: بكر بن عبد الله المزني.
(٤) أخرجه مسلم (٥٤).
(٥) أخرجه البخاري (٣٦٦٢) ومسلم (٢٣٨٤).
(٦) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨) وابن ماجه (٣٠٥٦) وأحمد (٢١٥٩٠).

قال ابن تيمية رحمه الله: «أعظم ما عُبد الله به نصيحة خلقه»[(١)].

ويقول ابن القيم رحمه الله: «وهذا نهاية الكمال، فإن الكمال أن يكون الشخص كاملًا في نفسه، مكملًا لغيره»[(٢)].

١٠ ـ مُلَاقَاة أخيك بوجه طلق.

١١ ـ البُعد عن الظن السيئ، والبُعد عن مواطن التهم.

١٢ ـ وهو أهمها: السعي فيما يوصل إلى محبة الله.

١٣ ـ مراعاة آداب المزاح، وتقليلُ الكلام.

١٤ ـ تسوية صفوف الصلاة.

٣ ـ احتراز: الحرص على أن يكون ذلك لله لا للنفس.

حسن الظن بالمسلم وإساءة الظن بغيره[(٣)]

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[(٤)].

ـ **الظن المأمور باجتنابه هو:** التهمة التي لا سبب لها يوجبها.

ـ **ما يميز الظنون المطلوب اجتنابها أو الذي لا يجوز إساءة الظن به:** كل ما لم تعرف له أمارةً صحيحة وسببًا ظاهرًا؛ كان سببًا حرامًا واجبَ الاجتناب، وخاصة إذا كان المظنون به مشهودًا منه الستر والصلاح، بخلاف مَن اشتهر بتعاطي الرِّيَب والمجاهرة بالخبائث.

---

(١) مجموع الفتاوى، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٨/ ٦١٥.
(٢) مفتاح دار السعادة، دار عطاءات العلم، ١/ ١٥٣.
(٣) تاريخ هذه الورقة: ١٣/ ٢/ ١٤٠٧هـ.
(٤) أخرجه البخاري (٦٧٢٤) ومسلم (٢٥٦٣).

ـ **حكم إساءة الظن بالفاسق**: نَقَل القرطبي عن المهدوي عن أكثر العلماء أنه لا حرج بظن القبيح بمن ظاهره قبيح(١).

قال ابن هبيرة: لا يحل واللهِ إحسان الظن بمن ترفض، ولا بمن خالف الشرع في حال(٢).

❖ حالات الظن:

١ ـ حالةٌ تُعرَف وتقوى بوجه من وجوه الأدلة، فيجوز الحكم بها.

٢ ـ أن يقع في النفس شيء من غير دلالة، فلا يكون أولى من ضده، فهذا هو الشك، فلا يجوز الحكم به، وهو المنهي عنه.

روى الطبراني عن حارثة بن النعمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لازمات لأمتي: الطِّيَرة، والحسد، وسوء الظن»، فقال رجل: ما يذهبهن يا رسول الله ممن هو فيه؟ قال ﷺ: «إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامضِ»(٣).

ـ سوء الظن يفسد المؤمنين، قال ﷺ: «ولا تؤمنوا حتى تحابوا»(٤).

ـ إحسان الظن من اتباع السنة، كما قال ذلك الصحابي رضي الله عنه: «غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًّا، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه»(٥)، وقال ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضمضم؟»، قالوا: ومن أبو ضمضم؟ قال: «رجل فيمن كان من قبلكم كان إذا أصبح قال:

---

(١) انظر: تفسير القرطبي، دار الكتب المصرية، ١٦/ ٣٣٢.

(٢) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية، دار عالم الكتب، ١/ ٤٥.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية، ٣/ ٢٢٨/ ٣٢٢٧.

(٤) أخرجه مسلم (٥٤).

(٥) أخرجه أحمد (١٢٦٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة الرجل الذي قال فيه النبي ﷺ: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، وما قال له عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك»[١]، وقال ﷺ: «لا يُبَلِّغني أحد من أصحابي عن أحد شيئًا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»[٢].

وقد يؤخذ من الحديث الأخير: أن على المربي الإعراضَ عن التفتيش في دقائق المتربي وتصرفاته وتتبع هفواته، لكن ما كان من قَبِيل معرفة قدراته واستعداداته وما يُصلحه وما يَصلح له فهذا تفيد معرفته في إفادة المتربي، والله أعلم.

حسن الخاتمة

من أسباب حسن الخاتمة:

١ ـ المجاهدة والاجتهاد في الطاعات.

٢ ـ الدعاء.

٣ ـ الخواتيم ميراث السوابق[٣].

٤ ـ طبّق قاعدة: الجزاء من جنس العمل، قال العلماء: إنَّ أَكْل الربا مُجَرَّب لسوء الخاتمة[٤].

بر الوالدين

❖ الأدلة:

○ قال ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فَلْيَصِلْ رَحِمَه» متفق عليه[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٨٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٦٠) والترمذي (٣٨٩٦).

(٣) ذكر ذلك الحافظُ ابن رجب في جامع العلوم والحكم، في شرح الحديث الرابع، فارجع إليه، فإنه مفيد جدًّا!

(٤) عزا المناويُّ هذه المقولةَ للعلامة ابن دقيق العيد. انظر: فيض القدير ١/١٥٣.

(٥) أخرجه البخاري (٥٩٨٦) ومسلم (٢٥٥٧).

○ قال ﷺ: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»[(١)]، وفي رواية: «ففيهما فجاهد»[(٢)].

❖ تفصيل حقوقهما:

○ الدعاء لهما وخاصة الاستغفار.

○ إكرام صديقهما.

○ إسعادهما بالتودد والتلطف مع إخوته.

○ ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦].

○ استحسان رأيهما.

○ الهدية.

○ النفقة.

❖ تنبيهات:

○ لا يكفي انتفاء العقوق، بل المزيد من اللطف.

○ أَكْرِه نفسك وجاهدها وطَوِّعْها في التلطف لهما.

○ ما ثبت من خُلقٍ حَسن وحقٍّ للمسلم فهو في حق الوالدين أثبت وأحق وأولى، كالكلمة الطيبة، والتبسم في الوجه، والهدية، والساعي على الأرملة والمسكين.

○ لا تستقل أبدًا ولا تستصغر شأن الكلمة الطيبة، فعن طلحة بن معاوية السلمي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إني أريد الجهاد في سبيل الله، قال: «أمك حية؟» قلت: نعم، قال: «الزم رجلها فَثَمَّ الجنة» رواه الطبراني[(٣)]، وحسنه الألباني[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٧٨١)، والطبراني في المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية، ٨/ ٣١١/ ٨١٦٢.

(٤) انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني (١٢٤٨).

والمراد بقوله: «الزم رجلها...»؛ الخضوع لها والاقتراب منها ومراعاتها، فهناك الجنة، وبسبب مراعاتها تَحْظَى بِرِضى الله.

وقال ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم»[(١)]، وقال ﷺ: «ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر»[(٢)]، كلاهما في صحيح الجامع[(٣)].

وقال ﷺ: «رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين»[(٤)]، انظر: صحيح الجامع[(٥)].

ـ من حقوقهما بعد الوفاة: الصدقة، الحج، العمرة... (فتاوى ابن باز)[(٦)].

❖ **من ثمرات برهما:**

- رضا الله.
- إجابة الدعاء.
- بر الأبناء.
- دخول الجنة.

الغفلة[(٧)]

١ ـ خطرها:

أ ـ تُبعد عن الله.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٣٦) والترمذي (١٩٠٥) وابن ماجه (٣٨٦٢).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، (٦٣٩٢).

(٣) انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني (٣٠٣١، ٣٠٣٢).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، مكتبة الرشد، (٧٤٤٥).

(٥) للألباني (٣٥٠٧).

(٦) انظر: فتاوى نور على الدرب، نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ١٤/ ١٩٥.

(٧) ضممتُ إلى هذه الورقة «الغفلة» كلامًا للوالد رحمه الله عن الغفلة أيضًا، ذَكره في مناسبة أخرى، فارجع إلى كتاب «أنوار القدوة»، ص٨٧، إن شئتَ؛ لمعرفة تلك المناسبة!

ب ـ تُخفف الموازين.

ت ـ تُقَسِّي القلب، وأبعدُ ما يكون عن الله القلبُ القاسي ـ نسأل الله العافية ـ، لذلك جاء في الدعاء: «وأسألك قلبًا خاشعًا»(١).

ث ـ من أبواب الشيطان، هي والغضب والشهوة.

٢ ـ أقسامها:

أ ـ جزئية: عن بعض الطاعات.

ب ـ وكلية.

٣ ـ تعريفها:

○ تأتي بمعنى الجهل: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس: ٦].

○ وتأتي بمعنى الترك والنسيان: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

٤ ـ آثارها:

أ ـ فعل المعاصي وترك الطاعات.

ب ـ منع إجابة الدعاء: «واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافلٍ لَاهٍ»(٢).

ت ـ فوات كثير من فرص الخير الدائمة أو العارضة، الزمنية أو المكانية.

ث ـ المعيشة الضنك.

ج ـ القسوة.

---

(١) انظر: المغني عن حمل الأسفار، دار ابن حزم، ص٣٧٩.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩).

٥ ـ أنواع الغفلة:

أ ـ الغفلة عن معرفة الله ﷻ وقدره وجلاله وما ينبغي له. ومن ذلك أن يغار على حظوظ نفسه أكثر من غيرته لله.

ب ـ الغفلة عن آيات الله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] الآية، ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

ت ـ الغفلة عن أسماء الله وصفاته (وآثارها)، فكما أنه الـمُعِز فهو الـمُذِل، وكما أنه الرافع فهو الخافض، وهكذا. ورَبْط تسلط الأعداء، والظواهر الكونية، ونسبة النِّعَم إلى الـمُنْعم[(١)].

ث ـ الغفلة عن سنن الله في خلقه، والغفلة عن سنن الله في الظالمين.

ج ـ الغفلة عن الموت.

ح ـ الغفلة عن الدار الآخرة (وهي أعم مما قبلها).

خ ـ الغفلة عن أداء العبادة على وجهها؛ في تكميل الإخلاص لله فيها، وألا يكون لغيره فيها نصيب، وفي تكميل التعبد لله بها، وألا تكون مُجَامَلَة لخواطر البشر، ونحو ذلك.

د ـ الغفلة عن الاهتمام بأمور المسلمين.

٦ ـ علاجها:

- معرفة خطرها.
- تَعَلُّم العلم.
- كثرة الذكر، ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

---

(١) أي: الغفلة عن ربط تسلط الأعداء بمسبِّباتها، والغفلة عن أسباب الظواهر الكونية، والغفلة عن نسبة النِّعَم إلى الـمُنْعم.

○ الحذر مما يُفسد القلب؛ من فضول الكلام والنظر والأكل والنوم والخلطة.

○ مجالسة الأخيار (باعتدال)، والبُعد عن الغافلين.

سؤال: من ابتلي بمجالسة واحد من هؤلاء الغافلين سواء كان مجلسًا عارضًا أو متكررًا؟

الجواب: ما يجامل على حساب دينه، يمكن تَجنُّبه بأسلوب لَبِق.

○ الدعاء والتضرع إلى الله، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] الآيات، ومن هذه الأدعية المأثورة: «اللهم إني أسألك قلبًا سليمًا»[١]، «اللهم إني أعوذ بك من القسوة والغفلة»[٢]، وأعم منه: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك حسن عبادتك»[٣]، وأعظم منها جميعًا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٥ ـ ٧].

العنوسة

من أسباب زواج البنات:

١ ـ حُسن تربيتهن.

٢ ـ عدم الإصرار والتَّصَلُّب على أن تُكمل دراستها.

٣ ـ يَتأكد عدمُ التعنت في الشروط في حق أول بنت تُخطب، باعتبار أنها أول تجربة للوالدين.

٤ ـ تَمَنِّيكَ الخيرَ لإخوانك المسلمين وبنيهم وبناتهم، والدعاءُ لهم ولمن لم يتزوج.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٠٧) والنسائي (١٣٠٤).

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء (١٣٤٣).

(٣) أخرجه أبو داود (١٥٢٢) ومسلم (١٣٠٣).

٥ ـ مراعاة الحكمة في التعامل مع الخاطب.

٦ ـ التماس الرجال الأكفاء، وعرضُها عليهم بواسطة أو بدونها، كما عرض عمر رضي الله عنه حفصة رضي الله عنها[١]، وقصة سعيد بن المسيب رحمه الله كما في السِّيَر[٢].

وأصل هذه المسألة قول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤].



---

(١) قصة عرض عمر رضي الله عنه ابنته حفصة رضي الله عنها على عثمان وأبي بكر رضي الله عنهما أخرجها البخاري (٤٠٠٥).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ٤/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤.



المدونة الخامسة

كتابات متنوعة

بُعْد نظر.. مكانة الصلاة

أخي القارئ، أدعوك لتتأمل معركة خاضها أحد الشُّبَّان، كانت معركة حازمة بكل ما تعنيه هذه الكلمة، لا أعني أنه كان يترتب عليها أن ينتصر أو يهزم، أو أن يَقتل أو يُقتل، لا، بل كان شأنها أَبْعَدَ من هذا بكثير.

ساحة المعركة: مَضَارِبُ قبيلة أسلم.

وذلكم الشاب: هو ربيعة بن مالك.

والمعركة التي تعرض لها: صراع شديد داخل نفسه بين الاستجابة لذلك الدين الجديد الذي كان مُحارَبًا بالأسلحة المادية والنفسية، أو البقاء على دين الآباء والأجداد، في بيئة كان كبارها وصغارها يتعصبون لما كان عليه أسلافهم.

ولكن لما كان ذلك الصراع قد دار لدى ذي نفس أَبِيَّة، وشخصية قوية، وذي نَظَر فاحص يميز الغَثَّ من السمين، لذا؛ لم تمنعه حداثة سِنه، ولا سطوة العادات السائدة، ولا خوف تهديد المهددين أو سخريات الساخرين؛ لقد انشرح صدره للحق، وعزم على الدخول في دين الله، فشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

ثم دعاه صِدق إيمانه إلى مفارقة أهله وعشيرته ومَرْتع صباه، فخرج مهاجرًا إلى الله ورسوله ﷺ.

ولما وصل إلى المدينة دخلها شابًّا فقيرًا غريبًا لا أهل له ولا مال

ولا بيت، فكان يأوي إلى صُفَّة كانت في المسجد، وجعل هَمَّه وشُغله مرافقةَ النبي ﷺ وخدمته وملازمته حضرًا وسفرًا.

ومرةً قال له النبي ﷺ: «سَلْ»، فما تُراه سيَسأل وهو الشاب الفقير الغريب الأعزب؟!

أظن لو أن أحدنا كان في مكانه لقال: حاجتي بيت فسيح أسكنه، ومركب وطيء أركبه، وأثاث فاخر أقتنيه، ومال وفير أدخره، وزوجة حسناء أسكن إليها.

هذه فيما أَحْسِب رغبات كثير منا.

فما كان جواب أبي فراس ربيعة بن مالك الأسلمي رضي الله عنه؟ لقد كان جوابه للنبي ﷺ أن قال: أسألك مرافقتك في الجنة.

الله أكبر! هذا ـ والله ـ الطموح، وهذا هو بُعْدُ النظر، وهذا هو التخطيط الحقيقي للمستقبل.

أما ما دون ذلك المطلب فهو مُتَعٌ لها عقابيلها وتَبِعَاتها، ثم ما أسرع ما تنقضي لذتها وبهجتها.

فقال له النبي ﷺ: «أوْ غيرَ ذلك؟»، فقال: هو ذلك، قال ﷺ: «فَأَعِنِّي على نفسك بكثرة السجود» رواه مسلم[(١)].

أخي القارئ:

أنتقل بك إلى وقفة في هذه القصة، وهي مكانة الصلاة وأثرها في إيصال العبد إلى المنازل العُلى والدرجات الرفيعة.

كما أن من فوائدها ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وهذه الفائدة تمس الحاجة إليها دائمًا؛ خاصة في مثل زماننا هذا، حيث كثرت الفتن، وتنوعت أسباب الشر،

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).

وسَهُل الوصول إليها، فإذا لم يكن لدى المرء وازع من خوف الله ومراقبته زَلَّ وانحرف، والصلاة من أهم فوائدها أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

هذا، وإن للصلاة شأنًا ليس لغيرها من العبادات، يكفي من ذلك أنها العبادة الوحيدة التي يكفر من تركها كما جاء ذلك في الحديث(١).

ولعل من المهم هنا التنبيهَ على أن الله تعالى افترض على عباده إقامة الصلاة، لا مجرد فعلها على أيّ وجه حصل.

وهذا ـ أي إقامتها ـ يعني أن تؤدَّى قائمة على أتم وجوهها، وذلك بفعل شروطها وأركانها وواجباتها، وأن تؤدى جماعة في المسجد في حق الرجال.

وأمرٌ آخر، وهو وجوب التعاون بين أفراد الأسرة على إقامتها، فالله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، ويقول تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [طه: ١٣٢]، ويقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، فيؤمر بها كل من بلغ سبع سنين فصاعدًا، قال رسول الله ﷺ: «مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع» حديث حسن، رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم(٢).

وجوب إعفاء اللحية

قال الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله معلقًا على قوله ﷻ: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤]، قال: هذه الآية الكريمة بضميمة آية الأنعام إليها تدل على لزوم إعفاء اللحية، فهي دليل قرآنيٌّ على إعفاء اللحية وعدم حلقها.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢١) والنسائي (٤٦٣) وابن ماجه (١٠٧٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٦) وأحمد (٦٧٥٦) والحاكم في المستدرك (٧٢٤ ط. المنهاج القويم).

وآية الأنعام المذكورة هي قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ﴾ [الأنعام: ٨٤]، ثم إنه تعالى قال بعد أن عَدَّ الأنبياء الكرام المذكورين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فدل ذلك على أن هارون من الأنبياء الذين أُمر نبينا ﷺ بالاقتداء بهم، وأَمْرُه ﷺ بذلك أَمْرٌ لنا؛ لأن أمر القدوة أمر لأتباعه.

فإذا علمتَ بذلك تبين لك من ذلك بإيضاح أن إعفاء اللحية من السمت الذي أُمرنا به في القرآن العظيم، وأنه كان سمتَ الرُّسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم...

وقد كان ﷺ كَثَّ اللحية، وهو أجمل الخَلق وأحسنهم صورة.

والرجال الذين أخذوا كنوز كسرى وقيصر ودانت لهم مشارق الأرض ومغاربها ليس فيهم حالق.

نرجو الله أن يرينا وإخواننا المؤمنين الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه.

أما الأحاديث النبوية الدالة على إعفاء اللحية فلسنا بحاجة إلى ذِكرها؛ لشهرتها بين الناس، وكثرة الرسائل المؤلفة في ذلك[1]. انتهى كلام الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ.

التحذير من مخالفة أمر الله في اللباس والزينة

ما يحصل من الفتن في المجتمعات التي ابتعدت عن شرع الله، وما يصيبهم من ألوان العذاب الأليم إنما هو نتيجة لمخالفتهم أوامر الله، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ومن أمثلة تلك الفتن وذلك العذاب الأليم: تردي العلاقات الأسرية

---

(١) انظر: أضواء البيان، دار عطاءات العلم، ٤/ ٦٣٠ ـ ٦٣١.

وفقدان الثقة بين الزوجين، فَبَدَل أن تكون العلاقة بين الزوجين مودةً ورحمة كما قال الله ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، فبدل ذلك حَلَّ الجفاء والنُّفرة، وبدلًا من كون الزوجة سكنًا تَسكن إليها نَفْسُ الزوج وقلبُه، ويجد كل واحد منهما عند الآخر الراحة والطمأنينة كما قال ﷻ: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، بَدَل ذلك حل الشِّقاق والخصومات، حتى إن كثيرًا من الناس إذا دخل بيته تجددت أحزانه.

كذلك ما يحصل من وقوع أحدهما في الفاحشة ـ مما يسمى الخيانة الزوجية ـ أثرٌ من آثار مخالفة أوامر الله.

وعلى وجه الإجمال فما يصيب المرء من مصيبة فإنما هو بسبب ذنوبه، قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

ومن القواعد المطّردة في الثواب والعقاب: أن الجزاء من جنس العمل، وهذا من تمام عدل الله ﷻ؛ أن يجازي المحسن أو المسيء بجزاءٍ يُمَاثِل فعله الحسن والسيئ، كما أن فيه حثًّا للعباد وتذكيرًا، ذلك أن مَن كانت له حاجة إلى الله فليطلبها بعمل صالح مِن جنس حاجته يتوسل به إلى الله، مثل مَن حاجته شفاءُ ابنه مِن مرض أَلَمَّ به، فيتوسل إلى الله ﷻ بالإحسان إلى أيتام المسلمين.

وفيها تذكير، ذلك أن مَن أصيب بمصيبة فإن كان ذا قلب حيٍّ راجع نفسه ونظر: ما التقصير الذي بسببه حصلتْ عليه تلك المصيبة؟

نَخْلُص من هذا إلى تحذير تلك المرأة التي خالفت شرع الله في لباسها أو زينتها أو بكثرة خروجها من بيتها لغير حاجة، فلتحذر أن تعاقَب بعقوبة لا تستطيع لها دفعًا.

فإن كان الباعث لها على استعمال تلك الهيئة المحرَّمة طلبَ الزينة فلتخشَ أن تُعاقَب بِتَشْوِيهٍ لا تستطيع له علاجًا.

وإن كان قصدها أن تَبرز بين مثيلاتها وتتفوق عليهن بما يَجذب الأنظار، فلتخشَ أن يُوقِع الله في قلوب الناس النُّفرة منها وكراهيتها واستثقالها.

ومن الآثار الخطيرة التي ينبغي أن تكون نصب عين المرأة المسلمة: أنها بسلوكها هذا المسلك تكون رائدةً في طريق إسقاط الحجاب ولو لم تقصد ذلك، ولو لم يحصل ذلك في وقت قريب، فإنها بمثابة من نَحَتَ الجدار وأسقط منه لَبِنَة واحدة فقط أو جزءًا منها، فمع توالي هذا النحت يسقط.

فلتتقِ الله ربها أنْ تلقاه وقد سَنَّت سنةً سيئة تتحمل وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

وهناك أسباب وراء نُشُوءِ هذه المخالفات:

فأصل هذه الأسباب وأولها: ضعف الإيمان وضعف التوحيد، فإذا علمنا أن من شروط لا إله إلا الله السبعة المحبةَ، محبة كلمة التوحيد وما تدل عليه من توحيد الله وطاعته، ومحبة ما يحبه الله من الأشخاص والأعمال والأزمنة والأمكنة، وبغض ما يُضاد معناها من الكفر والفسوق والعصيان، وبغض ما يُبغضه الله من الأشخاص والأعمال والأمكنة، إذا علمنا ذلك أدركنا أيَّ تفريط وقعت فيه تلك المخالِفة.

كذلك إذا علمنا أن من شروط لا إله إلا الله الانقيادَ، الانقياد لما تقتضيه كلمة التوحيد وتستلزمه مِن فعل الواجبات وترك المنهيات، فمَن قالها ولم يَقُم بمقتضاها فقد خالف قولَه فعلُه.

إذا علمنا ذلك أدركنا التقصير البالغ والتفريط البيِّن لدى أولئك المخالِفات.

وهذه قاعدة مطّردة: أن التقصير في الفروع إنما سببه ضعفٌ ونقصٌ في الأصول، ولهذا كان المنهج الصحيح في معالجة الانحرافات الاعتناءَ بالأصل ومعالجته.

وهناك سبب جوهري كان من أثره أن سقط الحجاب في بلدان كانت تتمسك به وتحافظ عليه، ألا وهو أن الحجاب تَحوّل من كونه عبادة إلى كونه

عادة يرثها جيل من الجيل الذي قبله، وهذا انحراف خطير، فالعبادات ترتبط بأمر الله ونهيه، ويترتب عليها رضا الله وسخطُه، أما العادات فهي أمور يَتعارف عليها الناس، وغيرُ مُسْتَنْكَر أن تختفي عادة ويَحِلَّ محلَّها أخرى، وإنِ استُنكِر زوالُها من قِبَل فئة في المجتمع ككبار السن، فما أسرع ما يزول هذا الاستنكار ويحل محله الإِلْفُ والإقرار لتلك العادة الجديدة.

وثمة أسباب أخرى: أحدها الافتتان بالدنيا، وقد حذّر النبي ﷺ أمته من ذلك تحذيرًا بليغًا، وقد خافه على خيار الأمة وهم الصحابة ﵃، فما الظن بمن دونهم؟ ففي الحديث المتفق عليه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن مما أخاف عليكم بعدي ما يُفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»(١)، وقوله ﷺ: «فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على مَن كان قبلكم» الحديث، متفق عليه(٢).

ومن الأسباب أيضًا: وفرة المال بيد بعض النساء، مع كون القوامة والإنفاق من واجبات الرجل، فهذا مما قد يغريها بصرفه فيما لا حاجة إليه.

ومن الأسباب المهمة: تفريط قيِّم الأسرة في القيام بما اؤتمن عليه، إما غفلةً وتفريطًا، وإما مبالغة في الثقة وحُسن الظن.

والذي ينبغي إدراكه هنا أن المرء ذكرًا كان أو أنثى غير معصوم من الزلل، فإذا مُنح الثقة المطلقة فإن هذا قد يكون مَدْخَلًا لشياطين الجن أو الإنس في أن يَسْتجروا ويستزلوا قدمه إلى مواقع المعصية.

ويحضرني في هذا المقام حادثةٌ فيها عبرة: ذلك أن إحدى جهات الضبط الميداني ضبطوا فتى وفتاة في حالة خلوة محرمة، أما الفتى فقد أجروا في حقه الإجراء اللازم، وأما الفتاة فبعد إعادة النظر في شأنها وتداول الرأي

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٥) ومسلم (١٠٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠١٥) ومسلم (٢٩٦١).

حولها رأوا أن من المصلحة استدعاءَ ولي أمرها وأَخْذَ التعهد المشدد عليها وعليه بالمحافظة عليها وحسن تربيتها.

وحينما اتصلوا بالأب وأخبروه أن ابنته عندهم وطلبوا منه الحضور، أجابهم بعبارة مقتضبة: (ابنتي في غرفتها تُذاكر، أخطأتم في الرقم)، وبادر بوضع سماعة الهاتف.

وهكذا كان جوابه لما أعادوا عليه الاتصال، وفي المرة الثالثة قالوا له: (اذهب إلى غرفة ابنتك، وتأكد من وجودها)، فحينئذ داخَلَه شيء من الشك والقلق، فذهب إلى غرفتها ليعود باكيًا، فالغرفة كانت مغلقة دون أن يكون فيها أحد.

أما العلاج فيكون بأمور:

أولها: السعي فيما يُرسخ التوحيد ويحققه في القلب.

الثاني: القيام بواجب النصيحة والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومراعاة الحكمة في ذلك، وهذا من أهم الأسباب في زوال المنكرات أو تقليلها.

الثالث: نشر العلم وبث المواعظ، فإن الله يحيي بها القلب الميت كما يحيي الأرض بالغيث، والمراد بالعلم: علم الكتاب والسنة وما استُمد منهما.

الرابع: المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل[(١)]، فَلْيُحذر من مجالسة أهل الدنيا المفتونين فيها، وَلْتَلْتَمِسِ المرأة العاقلة الجليسات الصالحات اللاتي يُنْزِلْنَ الأمور منزلتها.

الخامس: إذا ابتلاكِ الله أيتها المسلمة بمال فأنفقيه فيما تحمدين عاقبته مما يقربكِ إلى الله.

---

(١) أخرج أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨) عن النبي ﷺ أنه قال: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل».

فإنَّ تَوَفُّر المال في اليد قد يُغري بصرفه فيما لا يفيد، ولن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: أحدها عن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم وضعه؟[(١)]، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «إنَّ لكل أمة فتنةً، وفتنة أمتي المال»[(٢)].

السادس: اجعلي همتكِ عالية، وتَرَفَّعي عن سفاسف الأمور، فإن الاهتمامات الصغيرة علامة على دُنُوِّ هِمة صاحبها، (وكل إناء بما فيه ينضح)، وأعلى الهمم وأغلى الأماني طلب مرضاة الله ﷻ، والسعي فيما يقرّب إلى الجنة.

السابع: اعرفي قدر الدنيا، وأكثري ذِكْر هَاذِم اللذات، فإنه ما ذُكر في كثير إلا قَلَّلَه، ولا قليل إلا كثَّره.

وأخيرًا: احفظي أيتها المسلمة وصيتي هذه:

اعلمي أن معركةَ الحجاب قديمة، ومحاولةَ إسقاطه ليست وليدة يومنا هذا، وفي كل جولة مضت كان العدو يرجع خاسئًا وهو حسير.

والآن وقد وصل الدور إليكِ، وأمسكتِ اللواء بيدكِ، فاحذري أن تكون الهزيمة بسببك، وأن يكون انتصار العدو في عهدك، فجاهدي لتظل راية الحق خفاقة ولواء الحشمة والعفاف مرفوعًا كما جاهد من قَبلكِ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧][(٣)].

الانتكاس في اللباس

جعل الله هذه الدنيا دار ابتلاء؛ ليظهر مَن يقدم طاعة الله، ومن يُؤْثِر هوى نفسه وشهواتِها على مُراد الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ

---

(١) أخرجه الدارمي في مسنده (٥٥٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٣٦).

(٣) انظر للاستزادة: رسالةً بعنوان: خطوات إلى حياة طيبة، للوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي ضمن كتاب: إضاءات مجموعٌ فيه رسائل ومحاضرات، ص٧٧ ـ ١٣٠.

زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، فما على الأرض من طعام وشراب ولباس ونقود مجالٌ للاختبار، مَن الذي يطلب تلك الأشياء من حِلها ويضعها في حقها؟ ومَن يتبع هواه ولو خالف شرع الله؟

واللباس كما أنه من مجالات الاختبار والابتلاء، فهو قَبل ذلك نعمة امتن الله بها على بني آدم، قال الله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ [الأعراف: ٢٦].

فَسَتْرُ السَّوْآتِ مِن مِنَنِ الله على البشر، فهو الموافق للفطرة السوية، وبه يُحقِّق الإنسانُ إنسانيته، ويتميز عن عالم الحيوانات.

لكن قد تنتكس فِطَر بعض الناس، فيتزينون بترك الزينة، وهذا حاصل بشكل عريض في المجتمعات الغربية وبعض المجتمعات الشرقية، حيث يَصْدق عليهم حقًّا وصف الانتكاس والانقلاب، وكأنهم ـ والله أعلم ـ من أولئك الذين يعاقَبون يوم القيامة بأن يمشوا مكبين على وجوههم، قال الله ﷻ: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الملك: ٢٢].

وقد يحصل من بعض المسلمين ـ رجالٍ أو نساءٍ ـ أن يشابهوا أولئك المنتكسين؛ حبًّا لهم وإعجابًا بصنيعهم، أو موافقة دون تعمد وتقصد، وعلى كل الأحوال فالذم مُتوجِّه إليهم.

وهذا التقصير في الالتزام بما أمر الله فيما يتعلق باللباس له أسباب غير ما تقدم، كما أنه يرتبط بعدة جهات؛ منها: وسائل الإعلام، ودُور التعليم.

لكن لعل الحديث يتركز على أحد هذه الأسباب، وهو من أهمها؛ بل ربما كان أهمها على الإطلاق، ألا وهو دَور رب الأسرة وقيّمها.

ولعله غني عن الذِّكر إثباتُ ذلك والبَرْهنة عليه.

من أجل هذا فإننا نُذَكِّر الأب وكل قَيِّم على أسرته أن يقوم بالأمانة التي اؤتمن عليها، مُذَكِّرِينَه بقول النبي ﷺ: «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله، وهو مسؤول عن رعيته»

الحديث[(١)]، وبقوله ﷺ: «إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» رواه النسائي وابن حبان[(٢)].

كما نُذَكِّره أن الأولاد ـ بنين أو بنات ـ نعمة عظيمة، وحق النعم أن تُشكر، وقد وعد الله الشاكر بالزيادة، كما أوعد من كفرها بالعذاب الشديد، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

ومن أعظم ما تشكر به هذه النعمة: حُسن تربيتهم، فاحذر يا أيها الأب من عاقبة كفرانها، فقد تفقدهم بحادث أو مرض أو نحوهما.

وقد لا تفقدهم بأشخاصهم لكن تفقد برهم ونفعهم، فيكونون وبالًا عليك، ومدعاةَ نكدٍ وشقاء.

وَلْنُحاور الأب المقصّر من خلال النقاط التالية:

- قد يعتذر بأن ابنته التي لبست ذلك اللباس غير المحتشم صغيرة.

○ فنقول: مَن شَبَّ على شيء شاب عليه، واسمع قول الشاعر:

إنَّ الغُصونَ إذا عَدَّلْتَها اعتدَلَتْ ... ولا تَلِينُ إذا كانتْ مِنَ الخشبِ

- أو يعتذر بأنها تلبسه بين النساء وعند المحارم.

○ فنقول: هذه من خطوات الشيطان، إذ من مكائده أن يُوقِع العبدَ في الكبائر والموبقات عن طريق البَدْءِ بما يراه صغيرًا ويسيرًا، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ﴾ [النور: ٢١].

- وقد يقول: لا أريد أن أكسر خواطرهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩١٢٩)، وابن حبان في الصحيح (٥١٠٣).

○ فنقول: اعلم أن سعادتك وسعادتهم في امتثال أمر الله، لا تُنَال السعادة بغير هذا.

ـ وقد تكون حُجَّته أنهم يشترون هذه الأشياء دون علمه، فما تَعَوَّد أن يتابعهم فيما يشترون وفيما يلبسون.

○ فنقول: هذا تفريط في القيام بالأمانة، واعلم أنك ستُسأل عما استُرْعِيت عليه.

ـ وقد يبرر آخرون موقفهم بقولهم إن السيل جارف، ولا نستطيع أن نسبح عكس التيار.

○ وإلى أمثال هؤلاء نقول: بمثل هذه المواقف المتخاذلة عَمَّ الفساد بلاد المسلمين، أين رجولتكم؟ بل أين الإيمان والغيرة؟!

أيها الأب، ليكن هذان الـمَعْنَيَان على بالك:

١ ـ إنه بِسُكوتك إن سَكَتَّ وإقرارِكَ مَن تحت ولايتك على تفريطها وتقصيرها في الاحتشام تكون قد ساهمت في مسيرة التعري.

٢ ـ انظر إلى مَن حولنا، كيف تحولت مجتمعاتهم من مجتمعات إسلامية محافظة إلى ما هي عليه من تبذل وتفسخ؟ فهل تظن أن هذا حصل دفعة واحدة؟ ألم تفكر كيف تحولت من مجتمعات محافظة إلى ما هي عليه الآن؟

لقد بدأ مشوار التعري عندهم بخطوات ما كان الناس يظنون أنها ستبلغ ما بلغت، بدأها أناس بقصد الإفساد والكيد للدين، وعاونهم على ذلك آخرون فيهم خير وصلاح عن غير قصد منهم ولا رغبة في الشر؛ لكنهم تباسطوا الأمر، وقالوا كما يقول بعض الآباء الآن: الدنيا بخير، ونحن أهل العقيدة، وهذه الأمور يسيرة، ولن تنقلب الدنيا بمجرد أن ابنتي أو زوجتي لبست لباسًا عليه بعض الملاحظات... وما أشبه هذه المقولات.

وأخيرًا: أَعْرِضُ عليك هذه القصة التي حدثني بها واحدٌ من طلبة العلم المصلحين ـ أحسبه والله حسيبه ـ، حيث سافر إلى أحد البلدان التي كانت مكانًا

يُطلب فيه العلم وخرَّجت عِلمًا، وكان سفره يتعلق ببحثٍ علمي كان يشتغل به، وهناك نزل ضيفًا على واحد من خيار أهل البلد ذي عِلم وذي صلاح، يقول: فبينما أنا في منزله نتحدث سويًّا وجهه إليَّ وظهره إلى باب الغرفة، إذا بفتاتين على هيئة قبيحة من التفسخ تدخلان البيت، ففزعت من ذلك وقطعتُ الحديث وصحتُ منبهًا له قائلًا: البنات! دخلوا بيتك! فالتفت، فلما رآهما طأطأ رأسه، وهملت دموعه، وقال: هما أُختاي! ولو قلت لهما شيئًا لَرَفعتا سماعة الهاتف على مخفر الشرطة، وحينذاك لا يَعلم ما سيحصل لي إلا الله ﷻ!.

العباءات الملونة

المقصود من العباءة: التستر والاحتشام وصرف أنظار الرجال الأجانب عن لابستها، فإذا حصلت مخالفة لأحد هذه المقاصد فإنها تعتبر من العباءات المنهيّ عنها.

فإذا صارت تُضْفي على لابستها قدرًا من الزينة وصارت سببًا لجلب الأنظار صارت منهيًّا عنها، أيًّا ما كان سبب ذلك؛ لكونها تُلبس على الكتف، أو كونها مُخصّرة، أو لوجود أيّ سبب غير هذا.

وأنا أعلم أن المسألة تحتاج مجاهدة وصبرًا، فإذا رأتِ المرأة مَن حولها يلبسنْ ما شِئْنَ فيضفي عليهن ذلك جمالًا وأناقة و...، فإن نفسها تدعوها لأنْ تفعل مثلهن ولو لم يكن مثلهن تمامًا.

فمن هنا يظهر أثر التقوى والخوف من الله، ومَن الذي يحبه حقًّا فيُقَدِّم رضاه على هوى نفسه.

والحياة إنما هي ميدان للاختبار: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢] الآية.

والسعيد ـ والله ـ من يتقي الله، وينتصر على هوى نفسه، هذا هو المغبوط، فإن تقوى الله سبب لكل خير في الدنيا والآخرة، فمن أراد السعادة

وزوال الهموم، ومن أراد التوفيق وتيسير أموره، ومن أراد السعة في الرزق والصحة في البدن ومحبة الناس له؛ فعليه بتقوى الله.

وأسأل الله أن يجعلنا جميعًا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وأَزُفُّ بشرى لمن كان واقعًا في بعض الأخطاء أو المخالفات، سواء كانت تتعلق باللباس عمومًا أو غير ذلك، ثم لم يخرج رمضان إلا وقد أصلح خطأه؛ بأنه يُرجى أن تكون هذه بِشَارةً له وعلامةً بأنه من المقبولين في هذا الشهر(١).

مساوئ الخمر

من محاسن ديننا احتفاؤُه واهتمامه بمكارم الأخلاق، قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»(٢)، والحثُّ على معالي الأمور، وذمُّ سفسافها.

ومن هذه السفاسف: شرب الخمر.

❖ من مساوئها:

١ ـ توقع العداوة والبغضاء.

٢ ـ تصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

٣ ـ تَغطية العقل وإذهابه، والعقل أشرف شيء في الإنسان، ميز الله به الإنسان عن الحيوانات والجمادات، فإذا أذهبت الخمر عقله نزل بنفسه إلى منزلة الحيوانات، وشَابَهَ المجانين في تصرفاته التي كان يأنف منها وقت صَحْوه.

٤ ـ المضار الاجتماعية، حيث يؤذي غيره بأنواع من الإيذاء، فقد يعتدي على مال غيره، وقد يقتل أحيانًا، بل قد يزني؛ بل قد يزني بأحد محارمه! وأحيانًا يُطَلِّق امرأته، وتصرفاته هذه يُدان بها ويحاسب عليها إذا أفاق، فطلاقه يقع، وإن قتل فإنه يُقتص منه.

---

(١) تاريخ هذه الورقة: ليلة ٢٩/ ٩/ ١٤٢٤هـ.

(٢) أخرجه أحمد (٨٩٥٢).

٥ ـ المضار المالية.

٦ ـ المضار الصحية، فقد ثبت بما لا يدع مجالًا للشك ما يترتب على شربها من الأمراض الكثيرة العقلية والعصبية والباطنية، كَتَلَيُّف الكبد، وتسمم عضلة القلب، والعمى، والصرع.

❖ أحاديث في تحريمها:

○ «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام»[(١)].

○ «لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»[(٢)].

○ «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر»[(٣)].

○ «أتاني جبريل فقال: يا محمد، إن الله ﷻ لعن الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومبتاعها، وساقيها، ومستقيها»[(٤)].

○ «كل مسكر حرام، إن على الله ﷻ عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال»، قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «عَرَق أهل النار ـ أو عصارة أهل النار ـ» رواه مسلم[(٥)].

❖ القليل منه:

○ «كل مسكر حرام، وما أسكر الفَرَق منه فملء الكف منه حرام»[(٦)].

○ «ما أسكر كثيره فقليله حرام»[(٧)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٠٣).
(٢) أخرجه البخاري (٥٥٧٨) ومسلم (٥٧).
(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٨٦).
(٤) أخرجه أحمد (٢٨٩٧).
(٥) أخرجه مسلم (٢٠٠٢).
(٦) أخرجه أبو داود (٣٦٨١) والترمذي (١٨٦٥) والنسائي (٥٦٠٧) وابن ماجه (٣٣٩٣).
(٧) أخرجه أبو داود (٣٦٨٧) والترمذي (١٨٦٦).

التدخين

بدايته، المواد السامة فيه، تأثيره، حُكمه، علاجه

إن كثيرًا من العلماء والباحثين قد تكلموا في التدخين؛ في حكمه وآثاره ونقاط أخرى عنه.

وهذه الرسالة تحتوي نقولًا عن بعض كلام هؤلاء، ولم أذكر المصادر غالبًا للاختصار.

بداية التدخين

في القرن الخامس عشر (الميلادي) عندما قام كولمبوس باكتشاف أمريكا ـ وهو يظن أنه قد وصل إلى الهند ـ قَدَّم له سكانها الغليون ذي الشرفتين لكي يجرب بنفسه التدخين.

وانتقلت بعد ذلك عادة التدخين إلى أوروبا بواسطة التجار الذين امتلكوا مزارع شاسعة للتبغ في أمريكا.

ولم تأتِ نهاية القرن السادس عشر (الميلادي) إلا وقد كانت أوروبا قد أُغرمت باستخدام التبغ بطرق مختلفة.

ولم يكن تدخين السجائر معروفًا إلا في نهاية القرن التاسع عشر حيث أُغرم به الروس أولًا، ثم تبعهم بعد ذلك الإنجليز والفرنسيون، وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي اكتسحت موجة تدخين السجائر أوروبا وأمريكا، حيث بدأ تصنيع السجائر آليًّا.

ويبلغ اليوم ما تنتجه الولايات المتحدة الأمريكية فقط من السجائر: بليون سيجارة سنويًّا!

كما أن مجموع ما ينتج من السجائر هو بمعدل سيجارتين لكل شخص على ظهر الأرض يوميًّا، أو ستة بلايين سيجارة كل يوم!

المواد السامة في التبغ

في التبغ تسعة عشر نوعًا من السموم؛ منها:

١ ـ النيكوتين:

وهو أهمها وأخطرها، وهو منسوب إلى جان نيكوت سفير فرنسا في البرتغال، والذي أدخل التبغ لأول مرة إلى فرنسا.

والنيكوتين من أخطر السموم التي عرفتها البشرية في عصورها كلها، إذ تكفي كمية ضئيلة جدًّا ـ وهي مليجرام (٠,٠٠٠٠٠١) كجم ـ لقتل إنسان في أوج صحته إذا أُعطيت له هذه الكمية بالوريد، ومن المعلوم أن كل سيجارة تحتوي على مليجرام واحد في أخف السجائر، وعلى ثلاثة مليجرامات في أشدها.

وأغلب السجائر المصدرة من أوروبا وأمريكا إلى ما يسمى بالبلاد النامية وإلى بلادنا تحتوي على ثلاثة مليجرامات.

أما في أمريكا وبعض الدول فتُجبر المصانع ويفرض عليها تقليل نسبة النيكوتين إلى نسبة منخفضة في السجائر التي تباع محليًّا، وتنعدم الرقابة على السجائر المصدرة.

إن النيكوتين هو المادة المسببة للإدمان، ويُعتبر هو المتسبب الأول في زيادة جلطات القلب وتصلب الشرايين وانسدادها لدى المدخنين.

٢ ـ أول أكسيد الكربون:

وخطورة هذا الغاز السام الذي يستنشقه المدخن تكمن في أنه يتحد بخضاب الدم (الهيموجلوبين) الذي يحمل الأوكسجين الضروري لإطلاق الطاقة في الجسم، وينتج عن ذلك نقص شديد في كمية الأوكسجين الموجودة في الدم.

وللعلم فإن تدخين عشرين سيجارة يوميًّا يُفقِد المدخن عشرين في المئة

من دمه[١]، إذ يصبح ذلك الدم (الهيموجلوبين) لا يؤدي وظيفته الأساسية، وهي نقل الأكسجين.

وَلَكَأَنَّمَا فقد المدخن بذلك خُمس دمه بسبب هذه العادة السيئة!

٣ ـ القار (القطران):

ويوجد في كل سيجارة ما بين (١٥ ـ ٣٠) مليجرام من هذه المادة السامة التي تسبب التهاب الشعب الهوائية الحاد والمزمن.

وقد عزل الباحثون أكثر من عشر مواد سامة موجودة في القار تؤدي إلى سرطان الرئة، وسرطان الفم والمريء والبلعوم.

وقد أُجري العديد من التجارب بتعريض الحيوانات لدخان السجائر ثم تشريحها، فوُجدت جميعها قد أصيبت بسرطان الرئة بعد فترة زمنية.

كما أن تعريض هذه الحيوانات للقار ووضعِه على جلودها سبَّبَ نموًّا سرطانيًّا خبيثًا على جلودها.

إن سرطان الرئة لدى المدخنين ينتشر انتشار النار في الهشيم، وتبلغ نسبة الزيادة لدى المدخنين (٣٠) ضعفًا على غير المدخنين.

وللعلم فإن السجائر التي تباع في البلاد النامية تحتوي على ضعف ما تحتويه مثيلاتها التي تباع في أمريكا وأوروبا من المواد السامة وخاصة النيكوتين والقار.

والسبب في ذلك ما سبق ذكره؛ من أن الرقابة هناك مشددة، وعلى الـمُصَدَّر معدومة.

التبغ هل يهدئ الأعصاب؟

قد يُجيب الكثير غالبًا بنعم حتى من غير المدخنين، ولكن الحقيقة

(١) أي: الدم المؤكسد.

والواقع خلاف ذلك، ذلك أن التبغ له تأثير وَقْتِيٌّ على الأعصاب، فإذا زال هذا التأثير ومَرَّتْ فترة من الزمن أحس المدخن بتوترٍ في أعصابه لا يرتاح منه إلا إذا دخن، حتى يعود وضعه طبيعيًّا أو شبه طبيعي مثل غير المدخنين.

ولذا فإن المدخن غالبًا ما يَهرع إلى التدخين أول ما يصحو ولا يشعر بقابلية للطعام إلا إذا شفا غليله من التدخين.

تأثيره على الأعصاب

قال (لوثر بر بنك) ـ وهو باحث في علم النبات وكان له عشرون مساعدًا في أعمال التفريخ والاستنبات ـ: إن الذين وجدتهم عاجزين عن القيام بعملية التفريخ الدقيقة كانوا من المدخنين وشاربي الخمر، وأحيانًا كانوا يستطيعون القيام بأعمال الفلاحة الشاقة، إلا أنهم ما استطاعوا القيام بعملية التفريخ وغيرها من العمليات الزراعية الدقيقة، واعتبروها سخافة، ويجدون فيها مضايقة وجهدًا وعناءً، ويهجرونها لعجزهم عن استجماع قواهم الفكرية وتركيزها عليها افتقارًا منهم إلى الدقة والجَلَد والثبات اللازمَين لمثل هذه العمليات.

ويقول (توماس أديسون) ـ المخترع المشهور ـ: إن دخان التبغ له تأثير عنيف على مناطق الأعصاب المركزية، يؤدي إلى إفساد خلايا المخ التي هي على أتم ما يكون من اليقظة والنشاط والقوة في الشباب، لذلك لا أسمح لمدخن أن يشتغل في مصانعي.

ـ إذن لماذا لا يموت المدخنون في الحال؟!

سبق أنْ ذُكر أن في التبغ تسعة عشر نوعًا من السموم، وهذه السموم يمتصها الجسم بالتدريج وبكميات قليلة إلا أنه يتأثر بها تأثرًا بليغًا، فالجسم يُقاوم، ولكن هذه المقاومة لن تدوم!

التدخين والجنس

من المؤسف أن تأثير التدخين السلبي على الناحية الجنسية لا ينتبه له

الكثير؛ بل قد يتصورون الأمر عكس ذلك، بينما يُعتبر التدخين أحد الأسباب الرئيسية في ضعف القدرة الجنسية، كما أنه يتسبب في ضعف الحيوانات المنوية وقِلَّتها؛ مما يؤدي إلى عقم الرجال وكذلك يؤدي إلى عقم النساء، بل وُجد أن التدخين يزيد من حالات الإجهاض ومضاعفات الحمل، ويؤدي في كثير من الأحيان إلى نقصِ وزن المولود، وإلى كثرة التشويهات الخَلقية فيه.

وقد لوحظ أن نمو هؤلاء الأطفال الجسمي والعقلي أقل من أمثالهم ممن ولدوا لأمهات غير مدخنات.

الشاب والسيجارة

لا شك أن التدخين مفتاح لشرور كثيرة، فنحن نرى ممن حولنا من أصدقاء وزملاء مَن كان على مستوى أخلاقي وسلوكي جيد، فما إن يقع في التدخين حتى يتغير تغيرًا سلوكيًّا ليس بالسهل، فتراه يصاحب مَن لا خير فيهم، ويشاركهم في ذهابهم ومجيئهم وأعمالهم.

وهذا لا يحتاج إلى كثير نقاش، فيكفي أن تُلْقِي نظرةً على بعض مَن تعرف ممن وقعوا في التدخين؛ لترى صدق هذا الكلام، وليس هذا في بلادنا فقط؛ بل هي ظاهرة عامة.

يقول أحد قضاة أمريكا: لست أظن أن أحدًا ممن يتتبع الأحداث ـ يعني الشباب ـ المدخنين يشك في قوة السلطان الذي يكون للسيجارة على الشباب، خصوصًا ما بين سنتي (١٠ ـ ١٧)، وقدرة ذلك السلطان المهلكة على محق مستواه.

ويقول آخر: لم يُؤْتَ بغلام مذنب إلى هذه المحكمة في غضون الستَّ عشرةَ سنة الماضية إلا وقد كان من المدخنين.

ويقول أديسون: إني أفضل أن أرى مع غلام مسدسًا على أن أرى السيجارة في فمه، ولست أوظف في مصنعي شخصًا يدخن.

ولما كان الطبيب الأمريكي (هـ. كرس) على رأس العمل تَلَقَّى رسالة من ولي أمر يقول فيها: كان ولدي مجتهدًا ذكيًّا أريبًا قبل وقوعه في عادة التدخين، ويظهر أنها غيرت طباعه كلها، وسلّطت أثرها السيئ على استعداده الفطري، فقد أصبح عاجزًا عن التحصيل والاستذكار، وقد ترك المدرسة، وتراه يرضى بالعري والثياب البالية ليحصل على الدخان، وهو وحيدي، وكنتُ أعقد عليه كبار الآمال، ولن أيأس من إصلاح هذه الآفة المحدقة به، وهذا هو السبب الذي دفعني للكتابة إليك.

تأثيره على الذكاء

يقول الطبيب الذي فحص التقارير المقدمة عن دفعات جامعات هارفرد مدة (٥٠) سنة: إنه لم يستطع طالب من الطلبة المدخنين أن يكون في رأس دفعته، مع أن التبغ من أعظم الآفات التي تهدد الذكاء والفطنة والقوة العقلية بالإجمال.

وأعرف من اختباري الشخصي في فحص آلاف الطلبة أنه يسهل جدًّا تمييز المدخنين في وسط جمعٍ كثير من الناس، وإن الفرق العظيم الذي يلاحظ هو في مظهرهم الجسماني.

إن التدخين يُفْقِد الذهن القدرة على الانتباه وحصر الفكر وتركيزه.

الرياضي والتدخين

لا شك أن الرياضة تحتاج صحة جيدة تساعد على الحركة، وهذا ما لا يمكن وجوده مع التدخين.

وقد سبق ذِكر بعض آثار التدخين على الصحة، وعلى الجهاز التنفسي بصفة خاصة، ومن يلاحظ المدخنين الذين وقعوا فيه في سن مبكرة يرى أنهم لا يستطيعون القيام بكثير من الأعمال الرياضية المتوسطة فضلًا عن الشاقة، وأما من وقع فيه في سن متأخر فما يلبث أن يلحق بسابقه.

يقول (ميك دونوفان) الذي قضى حياته في ميادين الألعاب الرياضية وقد كان مدير نادي الألعاب الرياضية في نيويورك مدة (٣٠) سنة، وقد ساقه عمله إلى الاختلاط بطبقات مختلفة من الرجال والشبان في أحرج مواقفهم الرياضية العنيفة والشاقة، يقول: ليس للفتى الذي يدخن أن يتوقع النجاح في أيّ ناحية من نواحي الحياة؛ لأن التدخين يضعف القلب والرئتين، ويُتلف المعدة، ويؤذي الجهاز العصبي، فإذا أراد رجل ما أو شاب أن ينال البطولة في الألعاب الرياضية فينبغي أن يتجنب التدخين والخمور على كافة أنواعها؛ لأنها تقضي على مطامحه الرياضية، وتَحُوْل بينه وبين التفوق فيها.

ويقول (كرانج) ـ أشهر لاعبي كرة القدم في وقته ـ يقول للشباب الطامحين في التفوق في الألعاب الرياضية: ليس لكم أن تؤملوا إحراز البطولة في المباريات الرياضية إذا كنتم تسكرون وتدخنون، انتهى.

أما العَدَّاء المشهور (شارلز بدوك) ـ الذي أحرز البطولة العالمية مدة أعوام كثيرة في قطع الأشواط القصيرة ـ فيقول: لا يستطيع فتى أن يصبح كوكبًا ساطعًا في سماء الألعاب الرياضية إذا كان يدخن، وذلك لأن التدخين يقطع أنفاسه ويؤذي صحته.

ولما طلبت إحدى الشركات من الملاكم (دمبسي) ـ الحائز لقب البطولة العالمية ـ أن يوقع على جملة توصي باستعمال نوع من السجائر، وعرضوا عليه مبلغًا مغريًا من المال، قال لمندوب الشركة: إنك لا تستطيع أن تغريني بالتوقيع على هذه الجملة ولو قدمت عشرة أضعاف المبلغ الذي تعرضه عليّ الآن، ولستُ أدخن أيّ نوع من السجائر، ولم أدخن في حياتي كلها، فهل تظن أني سأدعو إلى التدخين آلاف الشبان الذين يقرؤون عني؟! ولو أنكم كنتم تبيعون نوعًا من الحلوى المغذية أو ماء الصودا لرضيت أن أعطيك شهادتي بغير أُجرة، ولكني أرفض أن أوقع على عبارتكم تلك.

من يدخن ولكن بِقِلَّة

يخطئ البعض أحيانًا فيظن أن التدخين إذا كان بنسبة قليلة فإنه لا يضر، وهذا ظن خاطئ، وقد أجرى الباحث (ديموند بالمير) بحثًا تَتَبَّع فيه حالة عشرين ألف شخص، منهم مكثرون، ومنهم مُقِلُّون، ومنهم ممتنعون، أنشأ لكل منهم سجلًّا خاصًّا بجامعة (هويكنز)، أثبت فيه كل ما يتعلق بصحتهم وأمراضهم وعاداتهم، وبدأت أبحاثه سنة (١٩١٩) وانتهت سنة (١٩٤٠) ميلادي، ومما انتهى إليه بعد أبحاثه هذه: أن التدخين يؤثر حتى على الـمُقِلِّين، كما أن دخان التبغ له تأثير حتى على مَن يستنشقه من غير المدخنين.

حكم التدخين

حينما نبحث في تقويم فرد أو مجموعة ووصفهم بالاستقامة والانحراف، أو الحكم على عمل أو تصرف، أو إصدار رأي في ناحية من نواحي الحياة، فيجب أن نستمد أحكامنا هذه من الكتاب والسنة.

وهذا هو معنى تحكيم الشريعة الإسلامية، إذ معنى ذلك أن نحكّم الإسلام في جميع نواحي حياتنا، صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها، يقول الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، قال العلماء: يعني إلى الكتاب والسنة، ويقول تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

وحينما نتكلم في حكم التدخين فَلْنُرجعه إلى الكتاب والسنة؛ لنعرف حكمه ولا نَحِيد أو نميل عنهما، فنقع بين إفراط أو تفريط حسب أهواء الناس أو آرائهم القاصرة.

فمن الأدلة التي تتعلق به:

١ ـ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله جل

وعلا: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، ولا شك أن التدخين إلقاءٌ باليد إلى التهلكة وقتلٌ للنفس.

٢ ـ ذكر الله جل شأنه في وصف النبي ﷺ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ولم يقلْ عاقل لا مثقف ولا أُمّي: إن التدخين من الطيبات، بل حتى المدخنون أنفسهم يعترفون بأنه من الخبائث.

٣ ـ ثم إن التدخين تبذير وإسراف، والله يقول: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾ [الإسراء: ٢٧]، ويقول: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال[١].

ما رأيك لو كنت ترى رجلًا يلقي كل يوم ريالًا في سلة المهملات؟! ماذا ستحكم عليه؟! أَقَلُّ حكم أنه مبذر أو سفيه إن لم تَقُلْ إنه فاقد العقل.

إذن فما بالك بمن لا يخرج ريالًا واحدًا؛ بل عدة ريالات، وليس من أجل أن يرميها في سلة المهملات، بل مَن أجل أن يشتري بها سمومًا يملأ بها صدره؟!

٤ ـ وقد قال النبي ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع» منها: «ماله من أين اكتسبه؟ وفيم وضعه؟»[٢]، فالمدخن إذا سأله الله يوم القيامة عن ماله فما موقفه إذا قال: يا رب، صرفتُ كذا ريال في اشتراء السجائر! نعوذ بالله من الخزي والندامة.

٥ ـ هناك قاعدة وهي: أن كل ما فيه فائدة لا يُستغنى عنها فإنه يكون واجبًا، أما إذا كانت هذه الفائدة يمكن الاستغناء عنها فيصبح هذا الأمر مستحبًّا، وكل ما فيه ضرر مُحَقَّق يكون محرمًا، فإن كان هذا الضرر خفيفًا فيكون مكروهًا، وما لا نفع فيه ولا ضرر فيكون مباحًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٣) ومسلم (٥٩٣).

(٢) أخرجه الدارمي في مسنده (٥٥٦).

وإذا عرضنا التدخين على هذه القاعدة وجدنا ـ دون أيّ شك أو تردد ـ أن التدخين من الأشياء التي ضررها محقق، وفائدتها إن كان فيها فائدة لا تقارب ضررها أيّ مقاربة.

وهذا ليس كلامًا من عندنا؛ بل هو من تصريح الأطباء المعتبَرين، وقد سبق ذكر بعضه، حيث ذكروا ضرره على الجهاز التنفسي والهضمي وعلى القدرة الجنسية، وفَتْحَه المجالَ لكثير من الأمراض الخطيرة، وإضعافَه الشهوة للطعام، وأضرارًا أخرى، مثل: الرائحة المنفرة، وتسويد الأسنان والشفتين.

هذا غير ما فيه من الأضرار الاجتماعية والخُلقية مما سبق ذكر بعضه.

وبعد كل ما سبق: هل يتردد مسلم عاقل في كونه حرامًا؟

وهذا الحكم (تحريمه) هو ما أفتى به عدد كثير من علماء الإسلام من مختلف المذاهب، وممن أفتى بحرمته من علمائنا المعاصرين: الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبد الرحمن السعدي رحمهما الله، وكذلك الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد العثيمين حفظهما الله[(١)].

بلادنا والتدخين

لو رسمنا خطًّا بيانيًّا لنسبة المدخنين في بلادنا في العقود الثلاثة الماضية من عام (١٣٧٠ ـ ١٤٠٠هـ) لوجدنا النسبة تزداد ازديادًا ذريعًا، ثم إن الدخان يأتي في الدرجة الثانية من واردات المملكة (بعد السيارات)، أي قيمة ما نشتريه من الدخان أكثر من قيمة مشترياتنا من الرز والفواكه وغيرها من الأطعمة، ومن مواد البناء، ومن الأثاث المنزلي، ومن المواشي!

وهذه ظاهرة خطيرة وجديرة بأن نقف عندها طويلًا، فهي ليست في صالحنا اجتماعيًّا ولا اقتصاديًّا ولا صحيًّا، بل هي شر من جميع النواحي،

---

(١) من هنا ومما يأتي قريبًا ظهر لي أن كتابة الوالد رحمه الله لهذه المقالة (التدخين: بدايته المواد السامة فيه، تأثيره، حكمه، علاجه)، كانت فيما بين عام ١٤٠٠ ـ ١٤١٠، والله أعلم.

والمستفيد الأول من ذلك هم أعداؤنا؛ اليهود مالكو مزارع ومصانع التبغ، أي أننا ساهمنا في تمويل وإمداد أعدائنا من أموالنا.

ثم جدير بنا أيضًا أن نبحث عن السبب في ازدياد عدد المدخنين، فإن المستوى التحصيلي عندنا يزداد، والمستوى الصحي كذلك، والناس كثيرًا ما يقرؤون أو يسمعون أو يشاهدون عن أضرار التدخين؛ فما السبب؟

إن هناك أسبابًا لازدياد المدخنين؛ منها:

١ ـ ضعف الإيمان:

فإن الإيمان إذا قوي أنتج العمل الصالح، وإذا ضعف قَلَّ العمل الصالح ووقع صاحبه في الأمور التي لا يحبها الله.

٢ ـ عدم اهتمام الكثير بتربية أولادهم تربية إسلامية:

فتراهم يهتمون بالنواحي المادية فقط؛ من مأكل وملبس ومركب (فيما يتعلق بأولادهم)، ولا يهتمون بسلوكهم وتصرفاتهم.

فحينئذ يقع الشاب في التدخين قبل أن يعرف أضراره على الحقيقة، ثم إذا وقع في شباكه وأدرك أضراره عمليًّا تندم وحاول التخلص منه، ولكن...!؟

٣ ـ (وهو سبب مهم):

أنه حينما يسعى البعض في محاربة التدخين والتحذير منه يربطون المسألة بالنواحي الصحية والاقتصادية وما يشبههما فقط، فيقال مثلًا: (التدخين ضار بالصحة، التدخين يسبب كذا وكذا من الأمراض، التدخين يسبب الحرائق ويضر بِدَخْلِك...)، وما شابه هذه العبارات.

وهذا الأسلوب وَحْدَه لا يكفي، وذلك أن المسألة لم تُربط (بالتخويف بالله، وأن الله يَسْخط هذا الفعل، وأن نصوص الكتاب والسنة تنهى عنه...).

فيبقى الأسلوب الأول محل اقتناع، ولكنه وَحْده لا يستطيع مقاومة تَعَلُّق

النفس به، ولكن إذا رُبطت المسألة بالحلال والحرام فهذا الدافع هو الكفيل بأن ينتشل النفس من تعلقها به.

٤ ـ ضعف الشخصية:

حينما يجالس المرء جلساء مدخنين فإنهم في الغالب يَعرضون عليه أن يدخن، فإذا كان هذا المرء ضعيف الشخصية خجل أن يعتذر؛ لئلا يتهموه بالجبن والخوف من أهله وغيرها من التهم، فيوافق أول الأمر مجاملةً، ثم ما يلبث أن يصبح مدخنًا محترفًا.

٥ ـ رخص سعره وتوفره في كل مكان، فيستطيع حتى الطفل الصغير اشتراءه.

٦ ـ جلساء السوء:

وهذا السبب لعله أوضح من أن يشرح أو يناقش أو يُدلل عليه، فالمرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل[1]، لكن هذا السبب يَكْمُل إذا انضاف إليه ضعف في شخصية المجالِس، كما سبق في فقرة (٤).

٧ ـ اقتداء النشء بالشخصيات التافهة؛

من (مشاهير) السينما وغيرهم ممن لا تفارق السيجارة شفاههم، وعدم اقتدائهم بالشخصيات القيِّمة؛ من سلف هذه الأمة وخلَفها.

٨ ـ نزعة حب المخالفة عند البعض:

كما يقال: (كل ممنوع مرغوب)، فتجد الشخص أحيانًا ـ وخاصة في مرحلة المراهقة ـ ينظر إلى السيجارة وكأنها متعة غالية يسعى مَن حوله لحرمانه منها، فيحاول تحديهم والتغلب عليهم والحصول على هذه (المتعة) المتوهمة.

---

(١) أخرج أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨) عن النبي ﷺ أنه قال: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل».

٩ ـ الشعور بالنقص والرغبة في الظهور:

وهذا كالذي قبله يكثر في المراهقين، وأحيانًا قُبيل سن المراهقة بقليل، فتجد الواحد منهم يحس بأن رجولته لا تكتمل إلا حينما يضع السيجارة بين شفتيه ويبدأ يطلق سحب الدخان حوله، أما الآخرون فمَن هُم في سِنه فما زالوا صغارًا لأنهم (يخافون من أهلهم) كما يَتَصَوَّر.

١٠ ـ الجهل بحكمه:

جهل بعض الناس بحكمه وظنهم أنه مكروه فقط، يتسبب ذلك في وقوعهم فيه أو عدم إنكارهم على غيرهم.

وهناك أسباب غير ما سبق.

علاج التدخين

قالوا قديمًا وصدقوا: الوقاية خير من العلاج، فالعاقل يحفظ نفسه عن كل ما قد يندم عليه فيما بعد.

ولكنْ أحيانًا بل كثيرًا ما يحدث ذلك: أن بعض الناس حينما يسمع عن الإدمان في التدخين وصعوبة التخلص منه والمحاولات العسيرة التي يبذلها بعض المدخنين لتركه والتخلص منه لَمّا عرفوا أضراره وتندموا عليه، فإنه يرى نفسه يختلف عن هؤلاء، فإذا كان أولئك لا يتمكنون من أنفسهم فإنه يثق بنفسه أنه حينما يرغب في تركه فإنه يستطيع ذلك، لكن ما إن يقع في شباكه حتى يرى الأمر غير ما تصور، فحينئذ لا يملك غير الندم.

ثم إن مَن ابتُلي به ووقع فيه فالأحسن أن يتركه تركًا نهائيًّا لا تركًا تدريجيًّا، فالترك التدريجي كالموت البطيء، ونتائجه غير مشجعة غالبًا.

وليحرص على أن يبتعد عن كل ما يُذَكِّره به أو يشوقه إليه، وخاصة في الأيام الأولى مِن تركه، وحينئذ سيُحس بصراع قوي، وشوق شديد إليه، فإن لم يستعن بالله ويستمد منه العون ويتدرع بدرع الصبر فإنه سيخسر هذه المعركة.

ولكن هذا الصراع ما يلبث أن يخف ويزول يومًا بعد يوم، ولن ينتصر في هذه المواجهة مع ذلك الخصم العنيد (الدخان) ضعيفُ الشخصية وضعيفُ الإرادة.

ولا ينسَ المسلمُ إذا وقع في أيّ مشكلة من المشكلات الدعاءَ، فالدعاء سلاح المؤمن، والله يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، فإذا كان الداعي صادقًا مخلصًا من قلبه، قَصْدُه مرضاة ربه والفرار من سخطه؛ فالله سبحانه بكرمه وفضله سيستجيب له، ويعينه على نفسه، وييسر ويسهل له طريق الاستقامة؛ بل ويحببها إلى نفسه، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

التحذير من جريمة قوم لوط

إن الله تعالى كَرَّم بني آدم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ومن تكريمهم: أن أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وشرع لهم الشرائع، فأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث.

أحل الطيبات من الأقوال والأفعال والمآكل والملابس والمشارب والمراكب والمناكح، وحرم الخبائث من الأقوال والأفعال والمآكل والمشارب والملابس والمراكب والمناكح.

وإن من أخبث الخبائث ومن شر المحرمات وأكبر الموبقات: ما قصه الله علينا من عمل قوم لوط، تلك الجريمة النكراء، والفاحشة الكبرى، مفسدة للدين والدنيا، وفساد للمجتمع، وقتل للمعنويات، كما أنها ذهاب للخير والبركات، جالبة للشرور والمصيبات، مِعْوَل خراب ودمار، وسبب للذل والخزي والعار.

العقول السليمة تنكره، والفِطَر المستقيمة ترفضه، والشرائع السماوية تزجر عنه وتمقته.

يستحق صاحبه لعنةَ الله وغضبه ولعنة الملائكة والناس أجمعين، فهو فِعل شاذٌّ يتنافى مع كل قيم الحياة والذوق المستقيم.

ماذا تقول في رذيلة تترفع عنها الكلاب والحمير والخنازير؟

كيف يليق فِعلها ممن هو في صورة إنسان خَلقه الله في أحسن تقويم وشرفه بالعقل؟

ولقد عوقب القوم الذين فعلوها بعقوبة لم يُسمع بمثلها، قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢ ـ ٨٣]، السِّجِّيل: الطين المتحجر بطبخ أو غيره، منضود: بعضه فوق بعض، (طين مطبوخ في النار انصب عليهم صَبًّا).

فليحذر مَن فعل مثل فعلهم أن تعاجله العقوبة في الدنيا، فما هي من الظالمين ببعيد.

وفيما يروى من الأثر: «لعن الله مَن عمل عمل قوم لوط ـ ثلاثًا ـ»[(١)].

ولقد سُمي في القرآن هذا الفِعل الكَريه بالفاحشة، قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠]، والفاحش والفاحشة: ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال.

كما سماه خُبْثًا: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

ولقد وُصف في القرآن مَن فَعل ذلك بأقبح الأوصاف، فإنهم وُصفوا بأنهم عَادُون، وبأنهم قوم سَوْء، وبأنهم فاسقون، قال الله ﷻ حكاية عن لوط عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٥ ـ ١٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]، كما وصفهم

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧٢٩٧) وأحمد (٢٩١٣) مرفوعًا.

بأنهم مسرفون، والإسراف هو مجاوزة الحد، فقد أسرفوا وأمعنوا في الضلال والانحراف: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، كما وصفهم بأنهم مفسدون: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠]، وأنهم ظالمون: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٣١].

وقد قيل: إنه ليس في المعاصي مَفسدة أعظم من مَفْسدتها، وهي التي تلي مَفْسدة الكفر.

ولذا عاقب الله قوم لوط عقوبة لم يعاقب بها أمة غيرهم، وجمع عليهم أنواعًا من العقوبات؛ من الإهلاك، وقلب ديارهم، وخسفها بهم، ورجمهم بالحجارة من السماء، وطَمَسَ أعينهم، وعذَّبهم، وجعل عذابهم مستمرًّا، فَنَكَّل بهم تنكيلًا، وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة.

ولقد أجمع علماء المسلمين على تحريم هذه الفاحشة العظيمة لكنِ اختلفوا في طريقة عقوبته.

فروي عن الصِّدِّيق: أنه حرق رجلًا يعمل عمل قوم لوط بالنار بعد ما استشار من اجتمع عنده من الصحابة رضي الله عنهم[(١)].

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما: يُرمى من شاهق من البلد منكسًا ثم يُتبع بالحجارة[(٢)].

---

(١) انظر: الحاوي الكبير، دار الكتب العلمية، ١٣/٢٢٣، المغني، تحقيق التركي، ١٢/٣٥٠.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٨٣٣٧ ط. الشثري). وانظر للاستزادة: الجواب الكافي لابن القيم، طبعة عطاءات العلم، ١/٣٩٢. **تنبيهٌ مهم:** شَاعَ تسميةُ هذه الجريمة المنكَرة ـ في زمننا هذا ـ باسم: المِثْلِيَّة، وفي هذه التسمية تَهوينٌ وتلطيفٌ لهذه الفاحشة التي عَرفتَ شيئًا من بشاعتها في نَظَر الشرع، ثم إنه قد ينبني على الرضى بهذه التسمية أمرٌ هو أشد من فِعل تلك الجريمة، ألا وهو المساعدةُ على تشريع فاحشة اللواط =

أسماء مختارة للبنات

آسية، آمنة، أمامة، بثينة، بانة، بنان، بهية، تماضر، ثريا، جمانة، حفصة، خولة، رابعة، رباب، رفيدة، ريّا، زهراء، سَفّانة، سكينة، سمية، سناء، سُهَيَّه، صبيحة، صفية، طيبة، عاتكة، عائشة، عالية، عزة، عزيزة، عليا، علية، عَمْرة، فائقة، لبابة، لبنى، منال، منيبة، مية، ميسة، ميسون، ميمونة، نائلة، نجيبة، نسيبة، نُعمى، هاجر، هالة، هند.

المسابقة إلى الخيرات

اقتضت حكمة الله جل وعلا أن يجعل هذه الدنيا دار ابتلاء واختبار؛ مَن الذي يمتثل أمر ربه ويسارع إلى مرضاته ويسابق إلى جناته؟ ومن الذي تستهويه الدنيا بشهواتها، ويتبع هواه، ويستجيب لتسويل الشيطان وإغوائه؟

وقد ندب الله عباده إلى المسارعة والمسابقة إلى الخيرات، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة: ١٤٨].

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: الاستباق إلى الخيرات يتضمن: فعلها، وتكميلها، وأداءها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومَن سبق في الدنيا إلى الخيرات فهو السابق في الآخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة. انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ[١].

= واستحلالِها وتبديل شرع الله فيها، والذي يؤول إلى الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في حُكمه وتشريعه. وانظر في هذا الموضوع مقالًا في الشبكة العنكبوتية بعنوان: (﴿وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾ صيحة نذير).

(١) تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، ص٧٢.

إن المسارعة إلى الخيرات أثر من آثار محبة العبد لربه، فلما أحب ربه وأحب طاعته وما يقرب إليه سبحانه؛ سارع إلى ذلك.

هذا، وإن من ثمرات المسارعة إلى الخيرات: أن الـمُسارِع يكسب أجر مَن يقتدي به ونشط إلى الخير بسببه، ذلك أن في الناس طبعًا اجتماعيًّا، وهو تقليد بعضهم بعضًا، واقتداء بعضهم ببعض في الخير والشر.

إن من أهم ما يثبط العبد عن طاعة ربه، ويكسله على المسارعة إليها: الذنوب، فإنها ترين على القلب وتغطيه، والذنوب تمرض القلوب، وتُضعف رغبتها في الخير، وتوهن عزيمتها.

وأيضًا، فمما يثبط العبد عن المسابقة إلى الخيرات: التعلق بالدنيا، والولع بها، ومنافسة أهلها عليها.

وفي المقابل، فإن مما ينشط العبد إلى طاعة ربه ويحفزه إلى المسارعة إليها: تَذَكُّر ما أعده الله لأهل طاعته، وتَذَكُّر ثواب ذلك العمل الذي هو بصدد فِعله.

ومن الأسباب أيضًا: مصاحبة ذوي الهمم والعزائم من النشيطين في طاعة ربهم، كما في الحديث: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخَالل»(١).

ومن الأسباب التي تنشط المرء على طاعة الله: أن يقارن نفسه بمن هو خير منه، كما قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، أما في أمور الدنيا فقد قال النبي ﷺ: «انظروا إلى مَن أسفل منكم، ولا تنظروا إلى مَن هو فوقكم، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم» رواه مسلم(٢).

ومن الأسباب المهمة المنشطة للنفس إلى فعل الخيرات: قراءة سِيَر المصلحين وأخبارهم، ورأس هؤلاء وإمامهم: نبينا محمد ﷺ، ثم من اقتدى به

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨).
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٣).

وسار على هديه من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، فإن في قراءة سِيَر الصالحين وتتبع أخبارهم نوعًا من المصاحبة، فكأن القارئ صاحبهم وجالسهم.

هذا، وإن من أهم ما يُطلب المبادرة إليه والمسارعة إلى فِعله: الصلاةَ التي هي عمود الدين وأعظم أركانه بعد الشهادتين، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أيّ العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قلت: ثم أيّ؟ قال: «ثم بر الوالدين»، قلت: ثم أيّ؟ قال: «ثم الجهاد في سبيل الله» متفق عليه[١].

قال العلامة الشيخ محمد العثيمين رحمه الله في شرح هذا الحديث: «بَيّن النبي ﷺ أن أحب الأعمال إلى الله الصلاة في الوقت المطلوب فِعلها فيه وهو أول الوقت إلا العشاء الآخرة؛ لأن الصلاة أعظم حقوق الله بعد الإيمان بالله»، انتهى كلامه رحمه الله من «تنبيه الأفهام»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «أفضل الأعمال الصلاة في أول وقتها»[٣]، قال في صحيح الجامع: صحيح رواه أبو داود والترمذي والحاكم عن أم فروة[٤].

وقد ورد ما يخص صلاة العصر باستحباب المبادرة إلى فعلها أول وقتها، فقد روى الإمام أحمد وابن ماجه عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فقال: «بكروا بالصلاة في اليوم الغيم، فإنه من فاتته صلاة العصر حبط عمله»[٥].

قال سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله: قوله: «من فاتته» يحتمل فاته أداؤها مع الجماعة، ويحتمل فاته أداؤها في وقتها، انتهى كلامه رحمه الله.

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧) ومسلم (٨٥).
(٢) تنبيه الأفهام شرح عمدة الأحكام، مكتبة الصحابة، ص١٠٩.
(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٦) والترمذي (١٧٠)، بلفظ: سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة في أول وقتها».
(٤) انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني (١٠٩٤).
(٥) أخرجه البخاري (٥٥٣) وابن ماجه (٦٩٤) وأحمد (٢٣٠٥٥).

ومن شاء التوسع في معنى حبوط العمل فليراجع رسالة الصلاة، للعلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)].

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها، أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلًا» رواه الجماعة إلا البخاري وابن ماجه[(٢)].

قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في الحديث دليل على كراهة تأخير الصلاة إلى وقت الاصفرار، والتصريح بذم مَن أخر صلاة العصر بلا عذر، والحكم على صلاته بأنها صلاة المنافق، ولا أردع لذوي الإيمان وأفزع لقلوب أهل العرفان من هذا.

وقوله: «يجلس يرقب الشمس» فيه إشارةٌ إلى أن الذنب متوجه إلى من لا عذر له»، انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)].

وإن مما يُطلب أيضًا المسارعةُ إلى فِعله والتذكير إليه: الغُدُوَّ للجمعة،

---

(١) كتاب الصلاة، للعلامة ابن القيم، من أجَلِّ الكتب المؤلفة في شأن الصلاة وبعض أحكامها، ومن أهم كتب العلامة ابن القيم. جاء في مقدمة تحقيق كتاب الصلاة ـ طبعة عطاءات العلم ـ ما نصه: «... فقد اهتمَّ أهل العلم قديمًا وحديثًا بالتَّصنيف في شأن الصلاة، وذلك لعظم أمرها وعلوِّ مكانتها في الإسلام، وكبير خطرها فيه، وتنوِّع أحكامها، وسننها، وأحوالها. فصنفوا في حكم تاركها، وشروطها، وأوقاتها، وفرائضها، وسُننها، وأذكارها، وأسرارها، وحِكَمها، وفوائدها، وغير ذلك من المباحث المتعلِّقة بها. ولا غرابة في ذلك؛ إذ بقدر ما كان النَّاسُ إلى العِلم أحوج كان الاهتمام به أولى وأوجب. وممن صنف فيها مصنفًا مفردًا: الإمام أبوعبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرعي، الدِّمشقي، المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة، رَحِمَهُ ٱللَّهُ. فكان كتابه هذا كثير الفائدة، لا يستغني عنه باحث في مسائله، إذ بسط في جواب أسئلة سائله، وحقَّق فيه ما قصر التَّحقيق في سواه».

(٢) أخرجه مسلم (٦٢٢) وأبو داود (٤١٣) والترمذي (١٦٠) والنسائي (٥١١).

(٣) نيل الأوطار، دار الحديث، ١/ ٣٨٠.

فقد ورد في الحث على ذلك أحاديث كثيرة؛ منها: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» متفق عليه[١].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقعد الملائكة على أبواب المساجد، فيكتبون الأول والثاني والثالث، حتى إذا خرج الإمام رفعت الصحف» رواه الإمام أحمد[٢].

وروى ابن ماجه عن علقمة قال: خرجت مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إلى الجمعة، فوجد ثلاثة قد سبقوه، فقال: رابع أربعة، وما رابع أربعة ببعيد، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس يجلسون من الله يوم القيامة على قدر رواحهم إلى الجمعات، الأولَ والثانيَ والثالثَ»، ثم قال: رابع أربعة، وما رابع أربعة ببعيد[٣].

إن من الظواهر التي تحتاج علاجًا: ما اعتاده كثير من الناس من التأخر في الذهاب إلى الجمعة، ومن أسباب ذلك: أن هذا المتأخر قارن نفسه بمن أتى بعده، فظن في نفسه أنه من المبكرين.

ومن الأسباب أيضًا: اعتيادُ السهر ليلة الجمعة، وجعلُها مناسبةَ لَهْوٍ وترويح.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: الثالثة والعشرون ـ يعني من خواص يوم الجمعة ـ: أنه اليوم الذي يُستحب أن يُتفرغ فيه للعبادة، فالله سبحانه جعل

(١) أخرجه البخاري (٨٨١) ومسلم (٨٥٠).
(٢) أخرجه أحمد (٢٢٢٤٢).
(٣) أخرجه ابن ماجه (١٠٩٤).

لأهل كل ملة يومًا يتفرغون فيه للعبادة، ويتخلون فيه عن أشغال الدنيا، فيوم الجمعة يوم عبادة، وهو في الأيام كشهر رمضان في الشهور[(١)].

لا تكن مغبونًا

١ ـ اقتضت حكمة الله أن يخلق الخلق لعبادته، وجعل لهم أجلًا يبعثون فيه ويحاسبون، فلذا انقسم الناس إلى شقي وسعيد.

٢ ـ من أَجْل هذا كان وقت المرء هو رأسَ ماله.

وقد كثرت النصوص في الحث على حفظ الوقت، فمن ذلك:

○ قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ١ ـ ٢] السورة.

○ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» رواه البخاري[(٢)].

«مغبون فيهما» من الغبن، وهو الشراء بأضعاف الثمن، أو البيع بدون ثمن المثل.

شَبَّه النبي ﷺ المكلفَ بالتاجر، والصحةَ في البدن والفراغَ من الشواغل عن الطاعة برأس المال؛ لأنهما أسباب الأرباح، ومقدمات نيل النجاح، فمن عامل الله تعالى بامتثال أوامره وابتدر الصحة والفراغ ربح، ومن أضاع رأس ماله ندم حين لا ينفع الندم.

○ قال ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عُمُره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»[(٣)].

---

(١) انظر: زاد المعاد، دار عطاءات العلم، ١/٤٩٢.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤١٧).

٣ ـ نُقُول عن السلف رحمهم الله تُبَيِّن إدراكهم لأهميته، وحثَّهم على اغتنامه:

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في «لطائف المعارف»: عن الحسن قال: ليس يوم يأتي من أيام الدنيا إلا يتكلم يقول: يا أيها الناس، إني يوم جديد، وإني على ما يُعمل فِيَّ شهيد، وإني لو قد غَرَبَتِ الشمس لم أرجع إليكم إلى يوم القيامة.

وعن بكر المزني أنه قال: ما من يوم أخرجه الله إلى أهل الدنيا إلا ينادي: ابن آدم، اغتنمني لعله لا يوم لك بعدي، ولا ليلةٌ إلا تنادي: ابن آدم، اغتنمني لعله لا ليلة لك بعدي.

وعن عمر بن ذر أنه كان يقول: اعملو لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده، فإن المغبون من غُبن خير الليل والنهار، والمحروم من حُرم خيرهما، إنما جُعلا سبيلًا للمؤمنين إلى طاعة ربهم، ووبالًا على الآخرين للغفلة عن أنفسهم، فأحيوا لله أنفسكم بِذِكره، فإنما تَحيا القلوب بذِكر الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال ابن أبي الدنيا: وأنشدنا محمود بن الحسين:

مَضَى أَمْسُكَ الماضي شهيدًا مُعَدَّلا ... وأَعْقَبَهُ يومٌ عليكَ جَديدُ
فيومُكَ إنْ أَغْنَيْتَهُ عادَ نَفْعُه ... عليكَ وماضِي الأمسِ ليس يَعُودُ
فإنْ كنتَ بالأمسِ اقترفتَ إساءةً ... فَثَنِّ بإحسانٍ وأنتَ حَمِيْدُ
فلا تُرْجِ فِعْلَ الخيرِ يومًا إلى غَدٍ ... لعلَّ غَدًا يأتي وأنتَ فَقِيدُ[(١)]

ومن الخطأ أن نقول: نقتل الفراغ!

٤ ـ بِمَ نحفظ أوقاتنا؟

بكل ما يقرب إلى الله تعالى، ولا بأس أن يروّح المرء عن نفسه وينشطها ببعض ما هو مباح بشروطٍ يأتي ذكرها بعد قليل إن شاء الله.

---

(١) انظر: لطائف المعارف، المكتب الإسلامي، ص٢٩ ـ ٣٠.

ومما ينبغي على العاقل أن يَحفظ وقته به:

الأول: الصلاة فرضها ونفلها:

إن الاعتناء بالصلاة والاهتمام بها يأخذ حَيِّزًا من وقت المسلم، ومن آثار الاعتناء بالصلاة: مباركة الوقت، ومن بركته: تنظيمه.

وللصلاة ميزة وخصوصية من بين سائر العبادات، فمن ذلك:

١ ـ أنها عمود الدين.

٢ ـ تَرْكُها كفر.

٣ ـ فُرضت في السماء.

٤ ـ ومن غير واسطة.

٥ ـ علاج لكثير مما يَنتاب المسلم في حياته الفردية والاجتماعية: الاستسقاء، الكسوف، الاستخارة.

٦ ـ تجب على كل مكلف.

٧ ـ يؤمر بها مِن قَبل التكليف؛ لأهميتها.

وفي الحديث عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة» رواه مسلم[(١)].

وكان ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه يبيت مع رسول الله ﷺ فيأتيه بوَضُوئه وحاجته، فقال له النبي ﷺ: «سل»، فقال: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «أوْ غير ذلك؟»، فقال: هو ذاك، قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود» رواه مسلم[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٩).

الثاني مما يَعمر به المسلم وقته: قراءة القرآن، وتعلّم معانيه وتجويدِه، وحفظُه:

○ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [فاطر: ٢٩ ـ ٣٠].

○ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فَلَهُ به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[١].

○ وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه» الحديث رواه مسلم[٢].

○ وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تَعلَّم القرآن وعَلَّمه» أخرجه البخاري[٣].

○ وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصُّفَّة فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان ـ موضع بالمدينة ـ أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين من غير إثم ولا قطع رحم؟»، فقلنا: يا رسول الله، نحب ذلك، قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيَعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل» رواه مسلم[٤].

الكوماء: هي العظيمة السنام من الإبل.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩١٠).
(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤).
(٣) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).
(٤) أخرجه مسلم (٨٠٣).

○ قال ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحَفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» رواه مسلم(١).

○ قال ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها» رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح(٢).

الثالث: الترويح بما هو مباح:

يجوز للمرء أن يروّح عن نفسه، فقد كان النبي ﷺ يمزح مع أصحابه ولا يقول إلا حقًّا(٣).

ومرة كان في سفر مع أصحابه، فقال لأصحابه: «تقدموا»، فتقدموا، فسابق عائشة رضي الله عنها فسبقَتْه، ثم سابقها في سفر آخر فسبقها(٤).

وفي الحديث عنه ﷺ: «ليس من اللهو إلا ثلاث: تأديب الرجل فرسه، وملاعبته أهله، ورميه بقوسه ونبله»(٥).

وقال ﷺ: «ستُفتح عليكم أَرَضُون، ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه»(٦).

وإذا حَسُنت نيةُ المرء في المباح فإنها تكون عبادة يُثاب عليها.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).
(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٤) والترمذي (٢٩١٤).
(٣) أخرجه الترمذي (١٩٩٠) بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنا، قال: «إني لا أقول إلا حقًّا».
(٤) أخرجه أبو داود (٢٥٧٨) والنسائي في السنن الكبرى (٨٨٩٤).
(٥) أخرجه أبو داود (٢٥٧٨) وابن ماجه (٢٨١١).
(٦) أخرجه مسلم (١٩١٨).

ـ **شروط الترويح:**

١ ـ أن يكون بما هو مباح.

٢ ـ ألا يؤدي إلى ترك واجب أو فعل محرم.

٣ ـ ألا يطيل الوقت فيه.

الرابع: القراءة النافعة:

ـ فوائد القراءة وأثرها:

○ أنها من أوسع أبواب المعرفة.

○ متابعة القارئ لما يدور حوله من أحداث.

○ ومن ثَمَّ مَعْرِفَتُه ما يُراد له وما يُراد منه.

أسباب انصراف الشباب عن القراءة؛ منها:

○ كثرة المغريات والملهيات.

○ عدم تمييز القارئ المثقف عن غيره بمكانة اجتماعية أو حوافز تشجيعية، كما يُميَّز أصحاب الاهتمامات الأخرى كالرياضة والفن.

○ يترتب على ما سبق اقتداء النشء بمن لا يصلح للاقتداء من قاصري الثقافة والعلم.

○ توفر وسائل نافست الكتاب في عرض المعلومات، ولكنها تأتي من جانب واحد، حتى سُمي التلفزيون مدرسة النيام.

جاء في كتاب: «الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتليفزيون»:

إذا كان التلفزيون مُعلِّم النيام ـ كما وصفه جيري ماندر ـ فإنه في الحقيقة مدرسةُ السلبية التي تعمل على تأصيل هذه الصفة ونمائها، وعلى ذلك فإن علماء النفس التحليلي يرون أن عملية المشاهدة تزيد من نزعات السلبية في الفرد من حيث إن المشاهد يجلس ساكتًا يتقبل ما يُعرَض عليه دون القيام بأي نشاط إيجابي.

ويذهب جيلين (١٩٥٦م) وهو من الباحثين في علم النفس التحليلي أن هناك بعض السمات التي يُنَمِّيها التلفزيون في المشاهدين، ويساعد على ذلك الدفء والصوت والثبات والتيسير، كلها تمثل العطاء الثابت الدائم دون أن تتطلب من المشاهد أن يرد أي شيء في مقابل ما يشاهده، كل هذا يشجع على الاستسلام السلبي الكامل، وإلى جانب ذلك هناك دور الخيال، فالتليفزيون يشجع سمات السلبية والاستقبال والتلقين كما تُطعِم الطفل الصغير بالملعقة، وعلى ذلك فإن النشاط والحيوية وتوكيد الذات تختفي بشكل ملحوظ في سلوك المشاهدين، إذ يدربهم على أن يكونوا إمعات يتوجهون مع التيار (تابعين) أينما اتجه، فيتحولون إلى ببغاوات تردد ما تسمع، وتروي ما تشاهد، دون أن تكون لها إرادة حرة.

ومن مقال في جريدة المدينة بتاريخ ٦/ ٧/ ١٤١٠هـ:

يؤكد البروفيسور رونو ـ أستاذ الطب النفسي للأطفال بجامعة مرسيليا ـ في تقريره المؤيَّد بأرقام ورسوم بيانية، وبعد دراسة عِلمية لتصرفات مئات الأطفال والمراهقين أن التلاميذ المتفوقين في المدرسة لا تزيد فترة جلوسهم أمام الشاشة على ساعة واحدة يوميًّا، في الوقت الذي اتضح فيه أن الطلبة الذين يعانون من التعثر الدراسي، ويحصلون على أضعف الدرجات هم الذين يقضون أمام التلفاز فترات كبيرة من وقتهم، تزيد على ساعتين أو ثلاث ساعات يوميًّا.

ويقول رونو: إن الطفل لا يتمتع بمتع من الوقت للقراءةِ وإطلاقِ العنان لخياله وأحلامه والتحدثِ إلى الأهل والأصدقاء والنومِ وأداءِ الواجبات المدرسية في هدوء ودون تسرع، بسبب الإسراف في مشاهدة التلفاز دون حسيب أو رقيب.

ـ أمور متاحة لنا تشجع وتعين على القراءة، مثل:

١ ـ توفر الكتب.

٢ ـ جودة الطباعة.

٣ ـ سهولة الحصول عليها؛ شراءً أو استعارة أو اطلاعًا.

٤ ـ بساطة الأسلوب، ووضوح العبارة، ومناسبتها لأكثر المستويات.

ـ ماذا نقرأ؟

القراءة كالغذاء، والكتاب كالطعام، والطعام منه الضار والنافع، والنافع يتفاوت في نفعه، فمنه ما لا يُستغنى عنه، ومنه ما يستفاد منه، وكذلك الضار يتفاوت في ضرره، فمنه الـمُمْرِض، ومنه القاتل، وهكذا القراءة.

فالذي يُحتاج إليه من الكتب:

○ ما يَتعلم به المرء أمور دينه ويزداد فقهًا في الدين، قال ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[١].

○ ما يطّلع به المرء على واقعه وأحوال إخوانه المسلمين، ومن لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم.

○ ما يعرف به المرء أن ما يصيب العالم من نكبات وابتلاءات (كالحروب والمجاعات والزلازل والفيضانات والأعاصير والقلاقل) بسبب ذنوبهم، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠]، يأخذ بهذا العبرةَ لا مجرد الاطلاع الغافل.

ـ ما لا نقرؤه:

○ ما لا يترتب عليه نفع ولا فائدة، وإنما مجرد صرف المال والوقت، قال ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم وضعه، وعن علمه ماذا عمل فيه»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧).

(٢) أخرجه الدارمي في مسنده (٥٥٦).

○ ما يشغل الذهن بالاهتمام بالتفاهات وسفاسف الأمور، وملاحقة أخبارها والتحمس لها والفرح والحزن من أجلها.

س: ما حكم المزح والترويح عن النفس في الإسلام؟

يباح ذلك بحدود، فالمسلم جاد يمزح أحيانًا، والمسلم يُرَوِّح عن نفسه ليستعيد نشاطه، ويتقوى على أموره ومصالحه، لا أن وقته كله عبث، وبهذا تنهض الأمم، ويعلو شأنها بأبنائها الجادين.

من كتاب «قادة العرب»:

يقول أحد المسؤولين في وزارة الخارجية الفرنسية عام (١٩٥٢م): إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدًا مباشرًا عنيفًا هو الخطر الإسلامي، فلنعطِ هذا العالم ما يشاء، وَلْنُقَوِّ في نفسه عدمَ الرغبة في الإنتاج الصناعي والفني، فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة، وتحرر العملاق من عُقدة عجزه الفني والصناعي أصبح خطرُ العالم العربي وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطرًا داهمًا ينتهي به الغرب، وينتهي معه دوره القيادي في العالم.

ويقول مرما ديوك باكتول: إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضاراتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروه بها سابقًا، بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول؛ لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم.

ويقول صموئيل زويمر - رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس للمبشرين عام (١٩٣٥م) -: إن مهمة التبشير التي ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هدايةً لهم وتكريمًا، إن مهمتكم أن تُخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقًا لا صِلَة له بالله، وبالتالي لا صِلَة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، إنكم أعددتم نشأً لا يَعرف الصِّلَة بالله، ولا يريد أن يعرفها، أخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء

النشء الإسلامي مطابقًا لما أراده الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور، ويُحب الراحة والكسل، ويسعى للحصول على الشهوات بأيّ أسلوب، حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة، فهو إن تَعَلَّم فللحصول على الشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، فإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات، إنه يجود بكل شيء للوصول إلى الشهوات، أيها المبشرون: إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه.

وأخطر مما سبق ـ مما لا فائدة فيه وما يشغل الذهن بالاهتمام بالتفاهات وسفاسف الأمور ـ ما يلقي الشبهات في الدين والشكوك والحيرة، عن جابر رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسخة من التوراة، فقال: يا رسول الله، هذه نسخة من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسول الله يتغير، فقال أبو بكر رحمة الله عليه: ثكلتك الثواكل، ما ترى بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فنظر عمر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، رضينا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رضينا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حيًّا وأدرك نبوتي لاتبعني»(١).

وهذا من وسائل الغزو الفكري، فبعد أن فشل أعداؤنا في غزونا عسكريًّا بالسلاح، لجأوا إلى أسلوب أوقع أثرًا، ولا يثير حَمِيَّة المسلمين وحساسيتهم.

ويتم ذلك بِعِدة وسائل؛ منها: الكتب والصحف والمجلات والقصص، وذلك بإرسالها وإيفادها إلى بلاد المسلمين أو بإيجاد من ينشرها في بلاد المسلمين من أبناء المسلمين أنفسهم.

---

(١) أخرجه الدارمي في مسنده (٤٤٩).

س: إذن، كيف نتصدى لشبهات الأعداء ونرد عليها؟

ج: يتصدى لها ويرد عليها من هو مؤهل لذلك من العلماء الراسخين في العلم، فالمرض المعدي لا يُترك ليستشري، ولا يقوم أيّ فرد بمداواته وعلاجه، إنما ذلك وظيفة الأطباء.

ـ عوامل تُعِين على حب القراءة؛ منها:

○ اختيار الوقت المناسب.

○ البدء بالأسهل.

○ مجالسة محبي القراءة.

○ الحرص على إكمال الكتاب عند البَدء به.

○ اغتنام ساعات الفراغ ولو قصرت.

ـ تتفاوت الكتب والمطبوعات في أهميتها، فمنها:

○ ما يستحق أن يُقرأ ويُلخص وتُكرر قراءته.

○ ما يكفي أن يُقرأ مرة واحدة.

○ ما يكفي قراءةُ بعض فصوله ومواضيعه.

○ ما لا يستحق أن يُصرف فيه وقت؛ لقلة جَدْواه.

○ ما قراءته ضرر وخطر بإلقاء الشبهات أو إثارة الشهوات.

أُوصِي بُنيتي

كتب الوالد رَحِمَهُ اللهُ لإحدى أخواتي هذه الكلمة الجميلة بناءً على طلبها:

«الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعدُ.

فقد طلبتْ مني ابنتي العزيزة أن أُدَوِّن كلمة في هذا الكراس لتكون أول كلمة تسطر فيه، فأشكرها على هذا، فأقول:

إن الناس في هذه الدنيا في امتحان، فمنهم مَن يوفق ومنهم مَن يخفق، قال الله ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وهذا هو الامتحان الحقيقي الذي يترتب عليه النجاح الدائم الأبدي أو الشقاوة والخسران الذي لا فلاح بعده ـ عياذًا بالله من ذلك ـ، فالموفق هو مَن تذكر ما أمامه فاستعد له بالعمل الصالح.

وَالِدُكِ: ليلة الثلاثاء ١٩/ ٢/ ١٤٢٦هـ».

وطلبت إحدى أخواتي ـ وكانت ابنة عشر سنوات ـ أن يكتب لها الوالد رحمه الله شيئًا في دفترها، فكان مما كتب:

«فأوصي بنيتي وسائر أولادي أن يستفيدوا من هذه الإجازة، ومن أهم الأشياء: التبكير بالصلوات الخمس، وصلاة ما تيسر من النوافل، ومراجعة حفظ القرآن، وكثرة الذكر، والدعاء لأنفسكم ولوالديكم وإخوتكم ولجميع إخوانكم المسلمين، وكذلك مساعدة والدتكم على أعمال البيت.

وَالِدُكِ: فهد بن سليمان ٩/ ٥/ ١٤٢٧هـ».

المراد بـ (الأحفاد)، و(الأسباط)

دَارِجٌ بين بعض الناس أن المقصود بالأحفاد هم بنو الأبناء، أما بنو البنات فإنما يُسَمَّون أسباطًا، فما صحة هذا؟

هذه نقولات عن بعض معاجم اللغة وكُتب التفسير في هذا الشأن.

وقبل ذلك لِنَتفطن أن لفظ (الولد) يشمل البنين والبنات، فيصح أن يقول قائل: لي من الولد خمس بنات مثلًا.

وعلى هذا فإذا قيل: أولاد الأولاد، المقصود أولاد البنين وأولاد البنات.

بعد ذلك قال ابن منظور في «لسان العرب» وهو من أهم معاجم اللغة:

حَفَد: خفّ في العمل وأسرع وخدم، ومنه قول عمر رضي الله عنه في دعاء القنوت: «إليك نسعى ونحفد»، أي: نسرع في العمل والخدمة، وقيل معناها: نعمل لله بطاعته.

والحفدة: الأعوان والخَدَمَة، وحفدة الرجل: بناته، وقيل: أولاد أولاده ـ يعني: أولاد البنين وأولاد البنات كما تقدم في معنى الولد ـ، وقيل الأصهار.

ثم ذكر أقوالًا عن الصحابة والتابعين وعن علماء اللغة في معنى الحفدة؛ منها:

- أنهم الخدم.
- ولد الولد.
- البنات؛ لأنهن في خدمة الأبوين في البيت.
- أنهم بنو المرأة من زوجها الأول.
- مَن خدمك مِن ولدك وولد ولدك.
- ما حفدك مِن شيء، وعمل لك، وأعانك[(١)].

أما الشوكاني رحمه الله ففي تفسير قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢] ذكر في معنى حَفَدَ نحو ما ذكره ابن منظور، وساق من الأقوال عن الصحابة والتابعين وعلماء اللغة نحو ما ذكره ابن منظور في لسان العرب.

ثم قال الشوكاني: ورجح كثير من العلماء أنهم أولاد الأولاد[(٢)].

وقال صاحب القاموس المحيط: «حفدة الرجل: بناته أو أولاد أولاده»[(٣)].

---

(١) انظر: لسان العرب، دار صادر، ٣/ ١٥٣ ـ ١٥٤.
(٢) انظر: فتح القدير، دار ابن كثير، ٣/ ٢١٤.
(٣) القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ص٢٧٧.

وأختم بذكر اختيار ابن جرير الطبري رحمه الله المسمى إمام المفسرين، فبعد أن ذكر الأقوال المتقدمة مُسندةً إلى قائلها رجح أن المراد بالحفدة كل هؤلاء، فكلٌّ منهم يُطلق عليه اسم حفدة؛ لأن المعنى اللغوي لكلمة (حفد) يشمله، قال رحمه الله: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذِكره أخبر عباده مُعَرِّفهم نِعَمه عليهم فيما جعل لهم من الأزواج والبنين، فقال تعالى ذكره: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]، والحفدة في كلام العرب جَمْعُ حافد، وهو المتخفف في الخدمة والعمل، والحفْدُ خِفة العملِ[١].

ومنه قولهم: إليك نسعى ونحفد، أي: نسرع إلى العمل بطاعتك.

وإذا كان معنى الحفدة ما ذكرنا من أنهم المسرعون في خدمة الرجل المتخففون فيها، وكان الله تعالى ذِكره أخبرنا أن مما أنعم به علينا أن جعل لنا حفدة تحفِد لنا، وكان أولادُنا وأزواجُنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا[٢]، وأَخْتانُنا الذين هم أزواج بناتنا من أزواجنا، وخدمُنا من ممالكينا، إذا كانوا يحفدوننا فيستحقون اسم حفدة.

ولم يكنِ اللهُ تعالى ذِكره دَلَّ بظاهر تنزيله، ولا على لسان رسوله ﷺ، ولا بحجة عقل على أنَّه عنى بذلك نوعًا من الحفدة دون نوع؛ لم يكن لنا أن نوجه ذلك إلى خاص من الحفدة دون عام إلا ما اجتمعت الأمة على أنه غير داخل فيهم، وإذا كان ذلك كذلك فلكل الأقوال التي ذكرنا وجهٌ في الصحة. انتهى باختصار[٣].

---

(١) علق الوالد رحمه الله على هذا الموضع بقوله: هكذا في النسخة التي بتحقيق عبد الله التركي، ولعل صوابها: في العمل، كما في لسان العرب. انظر: لسان العرب ٣/ ١٥٣.

(٢) علق الوالد رحمه الله على هذا الموضع بقوله: لعل المراد: أولادنا وأولاد أزواجنا منا أو من زوج قَبلنا.

(٣) انظر: تفسير الطبري، دار هجر، ١٤/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

ولعل ملخص كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه حكى أقوالًا في تفسير الحفدة:

١ ـ أنهم أَخْتان الرجل عن بناته (يعني: أزواج بناته).

٢ ـ أنهم الخدم.

٣ ـ أنهم ولد الرجل وولد ولده، أي: أبناؤه وبناته وأولادهم.

ثم رجح أن كل هؤلاء ينطبق عليهم معنى الحفدة الذين هم المسرعون في خدمة الرجل، فيشملهم لفظ الحفدة.

قال في «المصباح المنير»: حفد: خَدَم، وقيل لأولاد الأولاد حفدة لأنهم كالخدم في الصغر[١].

وقال: السبط: ولد الولد، والسبط أيضًا الفريق من اليهود، يقال للعرب: قبائل، ولليهود: أسباط، والساباط: سقيفة تحتها ممر نافذ[٢].

وقال في «القاموس المحيط»: السِبط: ولد الولد، والقبيلة من اليهود[٣].

وقال: «حفدة الرجل: بناته، أو أولاد أولاده»[٤].

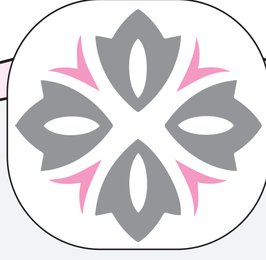


(١) انظر: المصباح المنير، المكتبة العلمية، ١/١٤١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١/٢٦٣.

(٣) انظر: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ص٦٦٩.

(٤) المرجع السابق، ص٢٧٧.



الورقة الرابعة

تأصيل

وفيها ثلاثة أقسام:

القسم الأول: العقيدة.

القسم الثاني: الدعوة إلى الله وطلب العلم وتربية الأولاد.

القسم الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.





القسم الأول

العقيدة

شكر نعمة الإسلام

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [فاطر: ٣]، ويقول: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ [لقمان: ٢٠]، ويقول جل وعلا: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم: ٧].

إن أعظم نِعَم الله وأجلَّها وأولاها بأن تشكر إنما هي نعمة الإسلام.

فالحمد لله على ذلك حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

وإنما تُعرف النعم بتصورِ ضدها.

كثير من الناس ـ وربما أكثرهم ـ إذا ذُكِر موضوع الشكر ووجوب شكر النعمة يتبادر إلى ذهنه النعم الدنيوية فحسب، كالصحة والمال والأولاد ونحو ذلك، وحقًّا إنها لَنِعَم، وإن شكرها لَواجب، ومَن شَكَرَها فإنه موعود بالزيادة، ومن كفرها فإنه متوعد بعذاب شديد.

لكن أين منها نعمة الهداية من الضلالة والإنقاذ من الظلمات إلى النور؟

هذا، وإن الشكر الواجب لله ﷻ يقوم على ثلاثة أركان:

١ ـ الاعتراف بالنعمة.

٢ ـ ونسبتها إلى المنعم المتفضل سبحانه.

٣ ـ وأداء حق الله فيها.

فهنا يتحقق شكرك لنعمة الله عليك بالإسلام، بأن **تعترف** بهذه النعمة، وتُقِر بذلك، وتدرك فضل الله عليك بذلك، وتفرح به، وهذا هو الفرح المحمود، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن»(١).

والثاني من أركان الشكر: **نسبتها** إلى المنعم المتفضل، فهذه النعمة الجليلة العظيمة ما حزتها بحولك وقوتك وجدارتك، إنما هو فضلٌ من الله ونعمة، يهدي مَن يشاء بفضله ونعمته، ويضل مَن يشاء بعدله وحكمته.

فإذا رأيت ذلك النصراني أو البوذي أو الهندوسي فاعرف نعمة الله عليك، وانسب النعمة إلى مُوليها ومُسديها سبحانه.

ثم بعد ذلك قُمْ **بحق الله** عليك فيها، فالإسلام ليس مجرد نسبة ينتسب إليها المرء، أو اسم يتسمى به، دون أن يكون له حقيقة، فما سُمي ديننا إسلامًا إلا لأننا نذعن وننقاد ونستسلم لله ربنا، بتوحيده وطاعته والبراءة من الشرك وأهله.

وبعد ذلك فإن الشاكر موعود بالزيادة، ومن ذلك أن يثبته الله، ويزيده إيمانًا، ويوفقه للعمل الصالح، ويحسن له الخاتمة، فيموت على خير ما كان عليه من العمل، نسأل الله حسن الخاتمة.

ومَن كَفر هذه النعمة فإنه متوعد بعذاب شديد، فقد تكون غفلته عن شكرها أو مِنَّتُه على ربه بإسلامه سببًا في ضعف إيمانه أو اضمحلاله، وسوء خاتمته؛ عياذًا بالله من ذلك.

فبعض الناس يَمُنُّ على ربه بلسان حاله أو مقاله عند فِعله للواجبات والفرائض أو تَرْكِه للمحرمات والمنهيات من المعاملات المالية أو غيرها، فَتَرَاه يقارن نفسه بمن أتبع نفسه هواها، ولم يبالِ بما شرع الله من حلال أو حرام، وهذا ولا شك من الجهل والغفلة، فالفضل لله عليك أن أعانك على

---

(١) تفسير الثعلبي، دار التفسير، ١٠/ ٤٩٢.

فعل طاعته وترك معصيته، كما قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

وختامًا: فإني أُذكّر نفسي ومن يقرأ باستحضار هذه المعاني، وتَذَكُّر نعمة الله علينا أنْ هدانا للإسلام، وأن نربي عليها بنيننا وبناتنا، فنُنَشِّئَهم على الفرح بالإسلام، والاعتزاز به.

أهمية التوحيد

إن الله تعالى خلق الخلق ليوحدوه، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «معنى الآية: أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له»[(١)].

فالتوحيد هو أعظم أَمْرٍ في حياة الإنسان، كما أن ضده وهو الشرك أعظم ذنب عُصِي الله به.

ومما يدل على تلك المكانة للتوحيد أمور:

أحدها: أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم جاءوا به، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

الثاني: أنه أول ما يَبدأ به المرسلون، قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣]،

---

(١) تفسير ابن كثير، دار طيبة، ٧/ ٤٢٥.

وقـال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥].

الثالث: أن النبي ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد، ثم في المدينة نزلت التشريعات، واستمر أيضًا الاهتمام بالعقيدة والتركيز عليها وترسيخها.

الرابع: أن الله لا يقبل عملًا مهما عَظُم بدون التوحيد، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، فمن تصدق بالأموال الطائلة أو بنى المساجد وهو غير موحد فإن الله لا يقبل منه.

الخامس: أن سُوَر القرآن نزلت في التوحيد، فهي إما بيان لهذا التوحيد، أو شرح للوازمه ومقتضياته، أو ذِكْرُ ثواب الموحدين، أو تحذيرٌ من الشرك وبيانٌ لعقوبة المشركين.

السادس: أنه لا نجاة ولا فلاح ولا سعادة للعبد في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالتوحيد.

السابع: أن أول واجب على المكلف هو شهادة أن لا إله إلا الله، والعمل بها، قال الله ﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

الثامن: أن أولَ ما يؤمر به مَن يريد الدخول في الإسلام النطقُ بالشهادتين، كما في الحديث: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»(١).

فضل تحقيق التوحيد والحذر من ضده

إن ثمرات التوحيد وبركاته وفوائده أصعب من أن تحصر.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).

١ ـ فمن فضائله: أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوباتها، قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

٢ ـ ومن أَجَلّ فوائده: أنه يمنع الخلود في النار، فإن كمل في القلب منع دخول النار بالكلية.

٣ ـ ومنها: أن أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه[(١)].

٤ ـ ومن فضائله: أنه يسهل على العبد فِعل الخيرات، وترك المنكرات، ويسليه عن المصيبات.

فالمخلص لله تخف عليه الطاعات؛ لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويَهون عليه ترك ما تهواه نفسه من المعاصي؛ لما يخشى من سخط ربه وعقابه.

٥ ـ ومن أعظم فضائله: أنه يحرر العبد من رِق المخلوقين والتعلق بهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي، والشرف العالي.

٦ ـ ومن فضائله: أنه إذا تم في القلب فإنه يُصيّر العمل القليل كثيرًا، فكم من عمل قليل كبرته النية الصالحة.

إذا علمت ذلك فاجعل أهم ما تهتم به تحقيقَك للتوحيد، وتكميلَك له، واحذر أن تأتي بما يخالف التوحيد أو ينقصه وأنت لا تشعر، واحذر أن تقع في شيء من صور الشرك الأكبر أو الأصغر وأنت لا تشعر.

واعلم أن الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على صفاة ملساء في ظلمة الليل.

ولا تظن أن الشرك الأكبر يقتصر على عبادة صنم، أو دعاء ميت، أو طواف بقبر، هذه صور من صور الشرك الأكبر لكنه لا يقتصر عليها.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩) وأحمد (٢٤١٠٦).

الشرك الأكبر: صرف أي عبادة لغير الله، فالصلاة عبادة، فمن صرفها لغير الله فقد أشرك، والتوكل عبادة، فمن توكل على غير الله فقد أشرك.

ما أكثر الذين يعتمدون في قلوبهم على غير الله.

ما أكثر الذين يلتفتون ويتطلَّعون إلى عون البشر ومساعدتهم.

ما أكثر الذين تتعلق قلوبهم (بالواسطات)، وكأنه لا يُمكن أن يتحقق لك غرضٌ إلا إذا كان لك (واسطة).

ففي هذه الصور إن اعتمد هذا على غير الله، وتوكل عليه كما يتوكل على الله، فهذا شرك أكبر يخرج من الإسلام.

وإن اعتمد على الله، وتوكل عليه، ولكنَّ قلبه مال إلى ذلك السبب، واحتفى به، وربط شيئًا من تحقيق النتيجة بحصول السبب، نقص من توحيده بقدر ما قام في قلبه من التعلق بذلك السبب.

مثال آخر: المحبة عبادة، فمن أحب غير الله كما يحب الله فقد جعل لله ندًّا، قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فمَن أحب الله أحب مَن يحبه الله مِن الأشخاص والأعمال والأزمنة والأمكنة، وأبغض مَن يبغضه الله وما يبغضه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة.

فحب ما يبغضه الله أو بغض ما يحبه الله منقص للإيمان والتوحيد، فاحذر من الشرك كله جَلِيِّه وخَفِيِّه.

أنواع التوحيد

الشريعة تنقسم إلى أمور اعتقادية وأمور عملية، أو تسمى أصولًا وفروعًا.

فالأصول: كالإيمان بالله وبالملائكة وبالكتب والرسل...

والفروع: كالصلاة والزكاة والجهاد...

وسميت الفروع بذلك لأنها تُبنى على تلك الأصول.

فالعقيدة الصحيحة هي الأساس الذي يقوم عليه الدين وتصح معه الأعمال، كما قال الله جل وعلا: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

ولهذا كان اهتمام الرسل عليهم الصلاة والسلام بإصلاح العقيدة أولًا.

تعريف التوحيد: اعتقاد تَفَرُّد الله تعالى بالربوبية والألوهية وما له من الأسماء والصفات.

فهو ثلاثة أنواع:

١ ـ توحيد الربوبية: وهو إفراد الله تعالى بأفعاله.

فلا ننسب أفعال الله إلا إليه، كخلق السماوات والأرض، وإنزال المطر، وتصريف الرياح، وتسخير السحاب، وتَعَاقُب الفصول، والحر والبرد، والحياة والموت، والصحة والمرض، والغِنَى والفقر، والسعادة والحزن، والنصر والهزيمة، وغيرها، فلا ننسب ذلك كله إلا إلى الله وحده، فنفرد الله ﷻ بالخلق والملك والتدبير.

ومن نسب شيئًا منها إلى غير الله ﷻ فقد قدح في توحيد الربوبية، كمن نسب شيئًا منها إلى الطبيعة أو الصدفة، أو نسبها إلى نفسها، وكذا من قال: حصل كذا بفضل فلان، أو قال: شاءت الأقدار، أو حَبَتْهُ الطبيعة، أو فلان ما جاد الزمان بمثله.

٢ ـ توحيد الألوهية: وهو إفراد الله بأفعال العباد التي يفعلونها على وجه التقرب.

فالأفعال التي نفعلها بقصد التقرب نتوجه بها إلى الله وحده، كالدعاء، والنذر، والنحر، والرجاء، والخوف، والتوكل.

وحاجاتُنا كمغفرة الذنب، وقضاء الدين، والغنى من الفقر، والشفاء من

المرض نطلبُها من الله وحده، ونتوكل على الله وحده في تحصيلها، مع بذل الأسباب النافعة لكن لا يُعتمد على الأسباب، وإنما الاعتماد على الله وحده.

٣ ـ توحيد الأسماء والصفات: وهو الإيمان بأسماء الله وصفاته، كما جاءت في القرآن والسنة، على ما يليق بالله سبحانه وتعالى، من غير تأويل، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، كما قال الله جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

التأويل: تحريف الأسماء والصفات عن معانيها الصحيحة.

التعطيل: جحد أسماء الله وصفاته وإنكارها؛ بعضها أو كلها.

التكييف: اعتقاد كيفية معينة لها في الذهن، فصفات الله تعالى لها كيفيات معينة لكننا لا ندركها، ولا يجوز لنا الخوض فيها، فنؤمن بمعانيها لكن لا نتعرض لكيفياتها.

منزلة كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، وبيان معناها وأركانها

إن كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» هي باب الدخول في الإسلام، وهي مفتاح الجنة، وهي كلمة التقوى، وهي كلمة الإخلاص، وشهادة الحق، ودعوة الحق، وبراءة من الشرك، ولأجلها خُلق الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولأجلها أُرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

قال ابن عيينة: «ما أنعم الله على العباد نعمة أعظم مِنْ أَنْ عَرَّفهم لا إله إلا الله، وإن «لا إله إلا الله» لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا».

ولأجلها أُعدت دار الثواب ودار العقاب في الآخرة، ومن أجلها أُمرت الرسل بالجهاد، وهي مفتاح الجنة، ومفتاح دعوة الرسل، ومَن كانت آخر

كلامه دخل الجنة، وهي أحسن الحسنات: قال أبو ذر: قلت يا رسول الله! علمني عملًا يقربني من الجنة، ويباعدني من النار، قال: «إذا عملت سيئة فاعمل حسنة، فإنها عشر أمثالها»، قلت: يا رسول الله، لا إله إلا الله من الحسنات؟ قال: «هي أحسن الحسنات».

وهي تمحو الذنوب والخطايا، وهي تجدد ما درس من الإيمان في القلب، وهي التي لا يعدلها شيء في الوزن، فلو وزنت بالسماوات والأرض رجحت بهن، كما في المسند عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: «أن نوحًا قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة، رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كُنَّ حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله».

انتهى كلام الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)].

كما أنها سبب لتفريج الكربات، كان رسول الله ﷺ يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم».

إن مجرد التلفظ بلا إله إلا الله دون معرفة معناها لا يكفي؛ فما معناها؟

معناها:

قال الشيخ صالح الفوزان ـ وفقه الله ـ: «معنى شهادة أن لا إله إلا الله: الاعتقاد والإقرار أنه لا يستحق العبادة إلا الله والتزام ذلك والعمل به.

(فلا إله): نفي لاستحقاق من سوى الله للعبادة كائنًا من كان.

و(إلا الله): إثبات لاستحقاق الله وحده للعبادة.

ومعنى هذه الكلمة إجمالًا: لا معبود بحق إلا الله»[(٢)].

---

(١) انظر: كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، المكتب الإسلامي، ص٥٢ ـ ٥٨.

(٢) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر، مكتبة دار المنهاج، ص٤٥.

إن السلف الأولين رضي الله عنهم لما فقهوا معنى هذه الكلمة أثرت فيهم تأثيرًا، ومن ثَمَّ أثروا في الدنيا كلها، ومن ثَمَّ جاء عنهم ما عرف من السِّيَر الحميدة، والمناقب الفاضلة، والأخلاق السامية التي تميزوا بها عمن سواهم من العالمين.

أركانها:

اعلم أن كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» لها ركنان:

فالركن الأول: النفي (لا إله)، يُبطِل الشركَ بجميع أنواعه، ويوجب الكفر بكل ما يعبد من دون الله.

فلا يصح توحيدك أيها المسلم حتى تعتقد اعتقادًا جازمًا بطلانَ كل دين غير الإسلام، وتتبرأ من كل دين وملة ومنهج غير الإسلام، وتتبرأ من أهله، قال الله عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، ولا يصح توحيدك حتى تكفر بكل ما يُعبد من دون الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال لا إله الا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله»(١).

والركن الثاني: الإثبات (إلا الله)، يُثبِت أنه لا يستحق العبادة إلا الله، ويوجب العمل بذلك.

فمن شهد أن لا إله إلا الله استوجَب ذلك عليه أن يستسلم لله، فيمتثل أمره، ويجتنب نهيه، فيما أحب وفيما كره، فيما وافق هواه وفيما خالفه، أَيَّده الناس أو رفضوه، مدحوه أو ذموه، فهو مستسلم لله، مستجيب لأمره، مُتَّبعٌ لشرعه، بخلاف من ضعف توحيده أو اضمحل، فتراه مستسلمًا لهواه، مستجيبًا للشيطان، متبعًا لرغبات الناس وعوائدهم، لا تشتهي نفسه أمرًا إلا

(١) أخرجه مسلم (٢٣).

فَعَله، ولا تستثقل شيئًا إلا تركه، فصار عبدًا لهواه وشهوته، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

واعلم أن «لا إله إلا الله» لها شروط، لا تُقبل هذه الكلمة مِن قائلها إلا باجتماع تلك الشروط، فكما أن للصلاة شروطًا لا تصح إلا بتوافرها، فمن صلى الظهر وقت الضحى مثلًا لم تصح صلاته؛ لأن دخول الوقت شرط، فكذلك لا إله إلا الله.

فاعرف شروط لا إله إلا الله حتى تكون من أهلها المفلحين في الدنيا والآخرة.

شروط لا إله إلا الله

الشروط هي:

عِلْمٌ يَقينٌ وإخلاصٌ وصِدْقُكَ معْ ... مَحَبَّةٍ وانقيادٍ والقبولِ لها[(١)]

❖ الشرط الأول: العلم:

أي: العلم بمعناها المراد منها، وما تنفيه وما تثبته، قال الله ﷻ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]؛ أي: شهد بلا إله إلا الله، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدت به ألسنتهم، فلو نطق بها وهو لا يعلم معناها لم تنفعه؛ لأنه لم يعتقد ما دلت عليه.

❖ الشرط الثاني: اليقين:

بأن يكون قائلها مستيقنًا بما تدل عليه، فإن كان شاكًّا بما تدل عليه لم تنفعه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥]، فإن كان مرتابًا كان منافقًا، وقال النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه:

---

(١) وأضاف بعضهم شرطًا ثامنًا، ونظمه بقوله:

وزِيْدَ ثامنُها الكفرانُ منك بما ... سوى الإلهِ مِن الأندادِ قد أُلِهَا

«مَن لقيتَه وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة»(١).

قال السعدي رحمه الله في تفسيره: «اليقين: هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجِبُ للعمل»(٢).

صور من يقين الأنبياء صلى الله عليهم وسلم:

○ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١ ـ ٦٢].

○ وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ [يونس: ٨١] الآيتين وما قبلها.

○ قصة النبي ﷺ مع الأعرابي الذي اخترط عليه سيفه وهو نائم، فاستيقظ النبي ﷺ وهو في يده صَلْتًا، قال من يمنعك مني؟ قال: «الله»، الحديث(٣).

ثمرات اليقين:

١ ـ الإمامة في الدين(٤).

٢ ـ الثبات عند الشدائد، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ﴾ [الحج: ١١] الآيات.

---

(١) أخرجه مسلم (٣١).

(٢) تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، ص٤٠.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩١٠) ومسلم (٨٤٣).

(٤) وذلك إذا كان اليقين مقرونًا بالصبر، كما في قول الله تعالى في سورة السجدة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعليقًا على الآية ـ كما في مجموع الفتاوى ٣/٣٥٨ ـ: «فالصبر واليقين بهما تُنال الإمامة في الدين»، وقد أشار إلى هذا المعنى في عدة مواضع، انظر: مجموع الفتاوى: ١٠/٣٩، ١٢/٤٣٩، ٢٨/٤٤٢، وأشار إلى هذا المعنى ـ أيضًا ـ العلامةُ ابن القيم رحمه الله، في عدد من كتبه.

أمثلة:

○ موقف أبي بكر رضي الله عنه في صلح الحديبية[١]، وثباته رضي الله عنه عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم[٢].

○ موقف الصحابة رضي الله عنهم: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

٣ ـ تضعيف الأجر، قال صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[٣].

أسباب تحصيل اليقين:

١ ـ طلب العلم، والعمل به.

٢ ـ تدبر أسماء الله عز وجل وتعبده بها.

٣ ـ تلاوة القرآن بالتدبر.

٤ ـ التفكر في آيات الله الكونية.

❖ الشرط الثالث: الإخلاص:

وهو تصفية العمل من جميع شوائب الشرك، بأن لا يقصد بقولها مطمعًا من مطامع الدنيا، ولا رياء ولا سمعة، كما في الحديث الصحيح من حديث عتبان رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[٤].

ـ **تعريف الشرك الأكبر:** صرف أي عبادة لغير الله.

ـ **تعريف الشرك الأصغر:** كل وسيلة توصل إلى الشرك الأكبر.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٠٥٦٤ ط. التأصيل الثانية).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٠٦١٧ ط. التأصيل الثانية).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤٠).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٥) ومسلم (٥٤٠١).

ـ **خطر الرياء:** (يراجع القول السديد في مقاصد التوحيد للشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ)[(١)].

❖ الشرط الرابع: الصدق:

وهو أن يقول هذه الكلمة مصدقًا بها قلبُه، فإن قالها بلسانه ولم يصدق بها قلبُه كان منافقًا كاذبًا، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] الآيات.

○ حديث: «غزا نبي من الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبنِ بها، ولا أحد بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنمًا أو خَلِفات وهو ينتظر ولادها، فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحُبست حتى فتح الله عليه»[(٢)].

○ قصة أبي طلحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما كان في غزوٍ مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه امرأته، فلما دنوا من المدينة ضربها الطلق، فقال: إنك لتعلم يا رب إنه ليعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترى، فقالت له امرأته: يا أبا طلحة، ما أجد الذي كنت أجد، فلما دخلوا المدينة ضربها طلق فولدت[(٣)].

○ حديث: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[(٤)].

---

(١) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد، مجموعة التحف النفائس الدولية، ص١٢٧ ـ ١٣٠.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٢٤) ومسلم (١٧٤٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٤٤).

(٤) أخرجه مسلم (١٩٠٩).

❖ الشرط الخامس: المحبة:

المراد: حب كلمة التوحيد وما تدل عليه من توحيد الله وإجلاله، وحب أهلها العاملين بمقتضاها، وبُغض ما يخالف معناها؛ من الشرك والكفر والنفاق والفسوق والعصيان، وبُغض المخالفين لها، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

مكانة المحبة:

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده، وهي أصل التَّأَلُّه والتعبد له، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه، وتسبق محبته جميع المحاب وتغلبها، ويكون لها الحكم عليها، بحيث تكون سائر محاب العبد تبعًا لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه.

ومن تفريعها وتكميلها: الحب في الله، فيحب ما يحبه الله من الأعمال والأشخاص، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال، ويوالي أولياءه، ويعادي أعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده»(١).

من ثمرات محبة الله: الحب فيه والبغض فيه، والمولاة والمعاداة فيه.

أقسامها:

محبة الله منها ما هو فرض: وهو ما يحمل العبد على فعل الواجبات وترك المحرمات.

ومنها ما هو نفل: وهو ما يحمل العبد على فعل المستحبات وترك المكروهات وفضول المباحات.

○ قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن أحب شيئًا مما يكرهه الله أو كره شيئًا مما يحبه الله لم يكمل توحيده وصدقه في قول لا إله إلا الله، وكان فيه من الشرك

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد، مجموعة التحف النفائس الدولية، ص١١٤.

الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله، وما أحبه مما يكرهه الله»(١)، وقال رحمه الله: «ومتى تَمَكَّنَتِ المحبة في القلب لم تنبعث الجوارح إلا إلى طاعة الرب»(٢).

❖ الشرط السادس: القبول:

أي: قبول ما اقتضته هذه الكلمة من عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥] الآية.

❖ الشرط السابع: الانقياد:

أي: الانقياد لما دلت عليه، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

قال الشيخ صالح الفوزان ـ وفقه الله ـ: العروة الوثقى: لا إله إلا الله، ومعنى ﴿يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ﴾ أي: انقاد(٣).

فلا بد من الانقياد لحقوق «لا إله إلا الله»؛ بالعمل بما فرضه الله، وترك ما حرمه، والتزام ذلك، وهو ينافي الترك، فإن كثيرًا ممن يدعي الدين يستخف بالأمر والنهي ولا يبالي بذلك.

وحقيقة الإسلام: أن يستسلم العبد بقلبه وجوارحه لله، ويتأله له بالتوحيد والطاعة، كما قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١١٢]، وقال: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

ـ الفرق بين القبول والانقياد:

القبول: التزامها إجمالًا، والانقياد: القيام بحقوقها تفصيلًا.

---

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، المكتب الإسلامي، ص٢٩.
(٢) المرجع السابق، ص٣٤.
(٣) انظر: عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر، مكتبة دار المنهاج، ص٤٩.

فبينهما تداخل وتلازم، فالقبول يستلزم الانقياد، والانقياد ثمرة للقبول.

ـ **صور مما قد يَصرف له الناس استسلامهم:**

- الأهواء والشهوات.
- رغبات الناس.
- العادات والتقاليد.
- (الموضة).
- قوانين البشر...

ـ **أسباب تكميل استسلام العبد لربه:**

١ ـ تَذَكُّر نعم الله عليه.

٢ ـ تَذَكُّر المصير.

٣ ـ تَذَكُّر فضل ذلك العمل الذي أقبل عليه...

الولاء والبـراء

❖ تعريف الولاء والبراء:

المراد بالولاء هنا: القرب من المسلمين بمودتهم وإعانتهم ومناصرتهم على أعدائهم والسكنى معهم.

والمراد بالبراء هنا: قطع الصلة القلبية مع الكفار، فلا يحبهم المسلم ولا يناصرهم ولا يقيم في ديارهم.

❖ مكانة الولاء والبراء في الإسلام:

من أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يَدِين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها، ويعادي أعداءها، فهذا من حقوق التوحيد، قال الله ﷻ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية.

فمكانة الولاء والبراء في الإسلام مكانة عظيمة، فهو أوثق عرى الإيمان، روى ابن جرير مرفوعًا: «أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله»(١)، وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبدٌ طعمَ الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا»(٢)، أي: لا ينفعهم شيئًا.

وأيضًا فمما يبين مكانة الولاء والبراء في الإسلام: أن من شروط «لا إله إلا الله» المحبةَ، محبة هذه الكلمة وما تدل عليه من توحيد الله وتعظيمه وإجلاله، ومحبة أهلها العاملين بها، وبغض ما يضاد معناها من الشرك والكفر والفسوق والعصيان، وبغض المخالفين لها.

وفي زمننا هذا ضعف هذا الأمر لدى كثير من المسلمين، حتى صار بعض المسلمين يُفَضِّل الكفار في تولي أعماله، سواء كانت حِرَفًا يسيرة كأعمال البناء أو إصلاح السيارة مثلًا أو كانت أكبر من ذلك، ولو كان الأمر مقتصرًا على الإعجاب بعملهم وإتقانهم لكان الأمر أهون ـ مع ما فيه ـ، لكن الأمر تمادى حتى أصبح إعجابًا بأشخاصهم، حتى صرت تجد من الناس مَن يتباهون في الدعاية لمحلاتهم بأن عمالهم من البلد الفلاني (الكافر)، وحتى صار بعض المسلمين إذا عُرِض عليه تولي العمل من مسلمين اشمأزت نفسه، وإذا كان من كافرين انشرح صدره، فالخَطْب ليس يسيرًا.

ولا بد أن يكون جليًّا أنه وإن جاز الاستعانة بالكافر فلا يجوز أن يُصرف له شيء من مودة القلب، فالله تعالى حينما أوصى بالوالدين إذا كانا مشركَين

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره، دار هجر، ٢٠/ ٤٢٢.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية، ١٢/ ٤١٧/ ١٣٥٣٧، بلفظ: «أَحِبَّ الله، وأبغضْ في الله، ووالِ في الله، وعادِ في الله...».

قال: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]، أما مودة القلب فليس لهما حق فيها.

وكذلك يقول الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨]، فهؤلاء يُبرُّون ويُقْسَط إليهم، فلهم نصيب من الإحسان، لكن ليس لهم حق من مودة القلب ومحبته.

فحريٌّ بمن وفقه الله إلى التصدي لدعوة الناس وتوجيههم وتعليمهم أن ينبه الناس ويحذرهم من هذا الخطر الذي يُخشى منه على توحيدهم.

❖ نتائج الإخلال به، من ذلك:

١ ـ الإخلال بحق من حقوق «لا إله إلا الله»، مما قد يكون له أثره في إضعاف التوحيد من أصله.

٢ ـ سقوط التميُّز بين المسلمين والكافرين، مما يؤدي إلى مشابهتهم في المأكل والملبس وطريقة السلام وغيرها من عاداتهم التي اختُصوا بها، حتى قد يصل الأمر إلى التفريط في كثير من واجبات الدين، والتأثر بهم في معتقدهم، كما هو حاصل الآن في كثير من مجتمعات المسلمين.

٣ ـ ذوبان شخصية المسلمين، وهدم كيانهم، وتبعيتهم للكفار.

٤ ـ إتاحة الفرصة للعدو في مواجهة المسلمين فئة بعد فئة، بينما لو والى المسلمون بعضهم بعضًا ما استطاع أعداؤنا تحقيق أكثر أهدافهم.

٥ ـ في الإخلال به تشجيع للعصاة، وسبب لكثرة المعاصي وفشوها وانتشارها والمجاهرة بها، أما إذا حقق المسلمون الموالاة في الله والمعاداة فيه فحينئذ يُحِسّ العاصي بأنه غريب، فتَقِلّ المعاصي.

وليتدبر المسلم قصة إبراهيم ﷺ والذين معه من الأنبياء والصالحين كما حكى الله عنهم في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤]؛ فانظر كيف قدَّموا

ذِكر البراءة من الكافر على البراءة من كفره، فإن كثيرًا من المسلمين يتبرأ من الكفر لكنك لا تراه يتبرأ من الكافرين، إلى آخر ما جاء في تلك الآيات البينات.

وَلْيُتدبر أيضًا قولُ الله تعالى لنوح ﷺ لما سأله لِابنه: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ [هود: ٤٦]، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «أي: هذا الدعاء الذي دعوت به لنجاة كافر لا يؤمن بالله ولا رسوله»، انتهى[١].

فيا له من تهديد شديد، بادر نوح نبي الله ﷺ بعده إلى التوبة، كما حكى الله عنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

❖ المداهنة والمداراة وعلاقتها بالولاء والبراء:

المداهنة: هي المصانعة والمسالمة، وترك ما يجب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتغافل عن ذلك؛ لغرض دنيوي وهوى نفساني.

فالاستئناس بأهل المعاصي ومعاشرتهم وهم على معاصيهم، وترك الإنكار عليهم مع القدرة عليه هو المداهنة.

وهذا فيه ترك للموالاة في الله والمعاداة فيه، وفيه تشجيعٌ للعصاة والمفسدين، ويصبح المداهن داخلًا في قول الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٨٠].

المداراة: هي درء المفسدة والشر بالقول اللين وترك الغلظة، أو الإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه شر أكبر مما هو واقع فيه[٢].

---

(١) تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، ص٣٨٢.

(٢) وجاء في فتح الباري لابن حجر، دار المعرفة، ١٠/ ٤٥٤: «وقال القرطبي... ثم قال =

قال الله ﷻ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾ [آل عمران: ٢٨]، الآيتين.

وعن عائشة رضي الله عنها أنه استأذن على النبي ﷺ رجل فقال: «ائذنوا له، بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة»، فلما دخل ألان له الكلام، فقلت له: يا رسول الله، قلتَ ما قلتَ، ثم ألنتَ له في القول، فقال: «أيْ عائشة، إن شر الناس منزلة عند الله من تركه أو وَدَعَهُ الناس اتقاء فحشه» رواه أحمد والبخاري[(١)].

فالنبي ﷺ دارى هذا الرجل لما دخل عليه مع ما فيه من الشر؛ لأجل المصلحة الدينية، فدل على أن المداراة لا تتنافى مع الولاء والبراء إذا كان فيها مصلحة راجحة؛ من كف الشر والتأليف، أو تقليل الشر وتخفيفه.

❖ موالاة العصاة ومعاداتهم:

أصحاب الكبائر من المسلمين الذين لم يرتكبوا ناقضًا من نواقض الإسلام يخرجهم منه، ما حكمهم من حيث الموالاة والمعادة؟

الجواب: هؤلاء يجتمع في حقهم الموالاة والمعاداة، فيُوَالَون لما فيهم من الإيمان، ويُعَادَون لما فيهم من المعصية، مع مناصحتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وهجرهم إذا كان في هجرهم ردعٌ لهم وتوبيخ.

فإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة ومعصية، وسنة

= تبعًا لعياض: والفرق بين المدارة والمداهنة؛ أن المداراة: بذلُ الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معًا، وهي مباحة، وربما استُحبت. والمداهنةَ: تركُ الدين لصلاح الدنيا...»، وانظر كلام العلامة ابن القيم في كتاب الروح، عطاءات العلم، ٢/ ٦٥٢، في التفريق بين المداراة والمداهنة، وثمة مقال منشور في الشبكة العنكبوتية بعنوان: المداراة لا المداهنة. فيه تحرير مختصر لأهم ما يتعلق بالمداراة والمداهنة، كالتعريف بهما، وحكمهما، والفرق بينهما، والقاعدة الشرعية التي تستند المداراة إليها.

(١) أخرجه أحمد (٢٤١٠٦)، والبخاري (٦١٣١).

وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر.

ويشبه هذا ـ أي: اجتماع الموالاة والمعاداة ـ حال اللص الفقير، فإنه يجتمع في حقه موجِبات الإكرام والإهانة، حيث تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال؛ لأجل حاجته، وهذا إذا لم يصل إلى حد الضرورة الملجئة فلا تقطع يده حينئذ.

❖ من مظاهر موالاة الكافرين:

❖ من مظاهر موالاة المؤمنين:

راجع لهذين المبحثين رسالة «الولاء والبراء في الإسلام»، للشيخ صالح الفوزان.

مسألة: الذي يحرم من تقليد الكفار والعصاة هو ما كان من خصائصهم.

وبالمناسبة؛ فلنتذكر أن منهج أئمة الإصلاح الذين ورد فيهم الحديث: «يحمل هذا الدين من كل خلف عُدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين»(١)، كان منهجهم الاهتمامَ بالعقيدة، وترسيخَها، ودرءَ ما يخالفها أو يضعفها.

فمثلًا: الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَقِي ما لَقِي بسبب ثباته على قوله بأن القرآن منزل غير مخلوق.

والإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ جَنّد وقته وجهده وقلمه في تقرير العقيدة الصحيحة، والرد على أهل الضلال من أهل الحلول والوحدة وكذلك أهل التأويل.

وكذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ سار على منهج مَن سَبقه من أئمة الإصلاح، فجنّد وقته وعلمه وبَذَل وسعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترسيخ العقيدة، وتأصيلها، ورد الشبهات، وعلاج الانحرافات فيها القائمة حينئذ في زمنه،

---

(١) أخرجه البزار في مسنده (٩٤٢٣، ٩٤٢٤).

لكنه لم يركز على أعيان المسائل التي اهتم بها من قبله مِن المسائل التي لم يَعُدْ لها كبير أثر، كما أنه لم يغفلها ويَتَعامَ عنها، إذ الأسباب التي بعثتها وأثارتها قد تعود مرة أخرى، لكن الجهد ينصب دائمًا على الخطر القائم الذي يُخشى منه على التوحيد.

وفي زمننا هذا يظهر ويتضح أن من أكبر الأخطار التي يُخشى منها على التوحيد في قلوب المسلمين: ضعفَ الموالاة في الله والمعاداة فيه.

فواجبٌ على أهل العلم والدعاة إلى الله أن يعطوا هذا الأمر ما ينبغي له من أهمية تليق بقدره، وتتكافأ مع الخطر المترتب على فقده أو ضعفه.

وتجدر الإشارة هنا إلى الاستفادة من الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، ومنها: النجاة والفكاك في موالاة المرتدين وأهل الإشراك، للشيخ حمد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

محبة الله

إن من شِيَم الرجال وعادات الكرام: الاعترافَ بمعروف صاحب المعروف، وشكرَه على معروفه، ومحبتَه بقدر ما فيه من صفات الكمال.

❖ أما اللئام فلا يُقِيمون لمعروفٍ وَزْنًا ولا قيمة:

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ مَلَكْتَهُ   وإنْ أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تَمَرَّدَا

لذا كان بر الوالدين والإحسان إليهما من الواجبات المفروضة على المسلم؛ لما لهما عليك من معروف وإحسان، بل قُدِّم برهما على الجهاد في سبيل الله.

فإذا كان هذا في حق البشر؛ فكيف بحق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

وهو الذي خلقك من العدم، ورباك بنِعَمِه حتى أصبحت رجلًا سويًّا قويًّا نشيطًا، وأعطاك ما أعطاك من النِّعَم وصرف عنك من النقم.

تَذَكَّر بعض نِعَمِه عليك، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

تَذَكَّر هذا العقل الذي حَبَاك الله إياه، فلولاه سبحانه لأصبحت في عِداد المجانين.

تَذَكَّر هذه القوة في بدنك، ولولاه سبحانه لأصبحت من المقعدين الذين لو أرادوا ولو شيئًا يسيرًا كقضاء الحاجة مثلًا حُمِلُوا حَمْلًا.

فلك الحمدُ اللهم.

تَذَكَّر سلامة حواسك، ولو شاء الله لسلب منها ما يشاء.

تَذَكَّر خلق الله إياك في أحسن تقويم، ولو شاء لركبك في أي صورة، فجعل عينك مثلًا في غير الوجه، أو جعل اليد مثلًا في البطن أو الظهر.

تَذَكَّر حِفْظ الله إياك من حوادث السيارات أو حوادث الحرائق وغيرها.

وقبل هذه النعم كلها تَذَكَّر أعظم نعمة، نعمة الإسلام، ولولاه سبحانه لأصبحنا حيارى تائهين لا نُميز الحق من الباطل.

أليس حَقٌّ مَن هذه بعضُ نِعَمه أن يمتلئ القلب محبةً له وإجلالًا وتعظيمًا؟

❖ ومن الأسباب الجالبة لمحبته سبحانه ـ إضافةً إلى تَذَكُّر نِعَم الله وآلائه :ـ

٢ ـ تدبر أسماء الله وصفاته جل وعلا، فالنفوس جُبلت على حب الكمال.

أرأيتَ لو سمعتَ برجل كريم يعطي المحتاجين، قوي وشجاع يساعد الضعفاء، وهو مع قوته عادل لا يظلم أحدًا، ومع قوته وعدله فهو رحيم جدًّا، أليست النفوس تحب مَن هذه صفاتُه ولو لم تَرَهُ ولو لم يَصِلْها منه معروف؟

إذن؛ فالله سبحانه أولى بالمحبة، فله جل وعلا صفات الجلال والكمال، وهو ذو الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، فهو سبحانه الرحمن الرحيم أرحم الراحمين، أرحم بعباده من الأم بولدها، وهو سبحانه التواب الذي قد فتح بابه للتائبين، بل إنه سبحانه لا يقبل توبة المذنب إذا

تاب فحسب؛ بل ويفرح سبحانه فرحًا عظيمًا بذلك؛ لمحبته سبحانه الإحسان إلى خلقه، وهو سبحانه حكيم عليم في شرعه وتدبيره، لا يُحَرِّم شيئًا إلا وفيه الضرر على العباد، ولا يشرع شيئًا إلا وفيه النفع لهم.

٣ ـ قراءة القرآن بالتدبر، فهو كلام الله سبحانه.

٤ ـ التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.

٥ ـ دوام ذكر الله على كل حال.

٦ ـ مجالسة الصالحين.

فأَحِبَّ الله من كل قلبك، واعلم أن محبة الله هي أصل دين الإسلام، لا يقوم إلا بها، فمن تَعَبَّده بعبادة وهو غير محب لربه فعبادته لا تنفعه بشيء.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في القول السديد: «أصل التوحيد وروحه: إخلاصُ المحبة لله وحده، وهي أصل التَّأَلُّه والتعبد له، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه، وتسبق محبته جميع المحاب وتغلبها، ويكون لها الحكم عليها، بحيث تكون سائر محاب العبد تبعًا لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه.

ومن تفريعها وتكميلها: الحب في الله، فيحب العبد ما يحبه الله من الأعمال والأشخاص، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال، ويوالي أولياءه، ويعادي أعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده»[(١)].

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **«واعلم أن أنواع المحبة ثلاثة أقسام:**

الأول: محبة الله، التي هي أصل الإيمان والتوحيد.

الثاني: المحبة في الله، وهي محبة أنبياء الله ورسله وأتباعهم، ومحبة ما يحبه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرها، وهذه تابعة لمحبة الله ومكملة لها.

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد، مجموعة التحف النفائس الدولية، ص١١٤.

الثالث: محبة مع الله، وهي محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم؛ من شجر وحجر وبشر وملَك وغيرها، وهي أصل الشرك وأساسه.

وهناك قسم رابع: وهو المحبة الطبيعية التي تتبع ما يلائم العبد ويوافقه، من طعام وشراب ونكاح ولباس وعِشرة وغيرها، وهذه إذا كانت مباحة فإن أعانت على محبة الله وطاعته دخلت في باب العبادات، وإن صدت عن ذلك وتُوُسِّل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت في المنهيات، وإلا بقيت من أقسام المباحات، والله أعلم»[١].

❖ ومحبة الله على درجتين:

إحداهما: فرض لازم.

وهي: أن يحب الله سبحانه محبةً توجب له محبة ما فرض عليه، وبغض ما حرمه عليه، ومحبة رسوله المبلغ عنه أمره ونهيه، وتقديم محبته على النفوس والأهلين أيضًا كما سبق، والرضا بما بلغه عن الله من الدين، وتَلَقِّي ذلك منه بالرضا والتسليم، ومحبة الأنبياء والرسل والـمُتَّبِعِين لهم بإحسان جملةً وعمومًا لله ﷻ.

فهذا القدر لا بد منه في تمام الإيمان الواجب، ومَن أَخَلّ بشيء منه فقد نقص من إيمانه الواجب بحسب ذلك.

وكذلك ينقص من محبته الواجبة بحسب ما أَخَلّ به من ذلك، فإن المحبة الواجبة تقتضي فعل الواجبات وترك المحرمات.

ولهذا المعنى كان الحب في الله والبغض في الله من أصول الإيمان.

وخرّج أبو داود من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»[٢].

---

(١) المرجع السابق، ص١١٤ ـ ١١٥.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٨١).

فهذه الدرجة من محبة الله فرض واجب على كل مسلم، وهي درجة المقتصدين؛ أصحاب اليمين.

الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين.

وهي: أن ترتقي المحبة إلى محبة ما يحبه الله من نوافل الطاعات، وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات، وإلى الرضا بما يقدّره ويقضيه مما يؤلم النفوس من المصيبات.

وهذا فَضْلٌ مستحب مندوب إليه، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته»[(١)].

وقد تبين بما ذكرنا: أن محبة الله إذا صدقت أوجبت محبةَ طاعته وامتثالها، وبغض معصيته واجتنابها، وقد يقع المحب أحيانًا في تفريط في بعض المأمورات، وارتكاب بعض المحظورات، ثم يرجع على نفسه بالملامة، وينزع عن ذلك ويتداركه بالتوبة، وفي صحيح البخاري أن رجلًا كان يُؤتَى به إلى النبي ﷺ قد شرب الخمر، فقال رجل: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال رسول الله ﷺ: «لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله»[(٢)].

إن القلب إذا امتلأ بمحبة ربه ومولاه سارع إلى فِعل ما أَمَر، وتَرْك ما نهى عنه، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١] الآية.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٠). وانظر: استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس ٣/٣٠٦.

وهذه الآية يسميها العلماء آية المحنة، يعني: الامتحان والاختبار لمن يدعي محبة الله.

ولَمَّا امتلأت قلوب أصحاب النبي ﷺ بمحبة ربهم سارعوا إلى مرضاته، وهانت عليهم الدنيا من أجل ربهم.

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قصته مع ابنه عبد الرحمن في بدر[١]، وقصته لما جاء بماله كله[٢]، وقصة عثمان رضي الله عنه في تبوك لما أنفق القافلة في سبيل الله[٣]، وهذه المرأة الجهنية لما قالت: طهرني، ثم لما وَضَعَتْ، ثم لما فَطَمَتِ الصبي، فقال ﷺ: «لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم»[٤].

محبة النبي ﷺ

إن من مكارم الأخلاق وشِيَم النبلاء الاعترافَ بالجميل لأهله، وشكرَ صاحب المعروف على معروفه وإحسانه، وكلما كرم معدِن المرء ونبلت أخلاقه عرف لأهل الفضل فضلهم، وشَكَر للمحسنين برهم وفضلهم.

ومن هنا جاءت أهمية بر الوالدين والإحسانِ إليهما؛ لما لهما على أولادهما من الفضل العظيم، والمعروف العميم، ومهما أحسن الولد لوالديه فإنه لا يخرج عن دائرة رد الجميل أو بعضه، يقول النبي ﷺ: «لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقَه»[٥].

لكن هل يوجد أحد من البشر يستحق ما يستحق الوالدان من المحبة والشكر والاعتراف بالجميل؟

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى، مكتبة الخانجي، ٥/ ٢١.
(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧٨) والترمذي (٣٦٧٥).
(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٠١).
(٤) أخرجه مسلم (١٦٩٦).
(٥) أخرجه مسلم (١٥١٠).

إننا إذا استعرضنا سِجِلَّ المحسنين بدت قِمَّةٌ سَامِقَةٌ لا ينافسها منافس، ولا يصل إليها صديق أو قريب، إنها منزلة مَن هدانا الله به من الضلالة والغواية، ومَن بصَّرَنا به من العماية إلى الهداية.

من لم يَأْلُ جهدًا ولم يَدَّخِرْ وسعًا في كل مسعى فيه تبليغٌ لرسالة ربه، وهداية أمته، وترغيبها في الخير، وتنفيرها من الشر، حتى شهد له ربه بهذا - وكفى بالله شهيدًا -: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ﷺ ما ترك خيرًا إلا دلنا عليه، ولا شرًّا إلا حذرنا منه.

اقرأ هذا المَثل الذي يبين حاله ﷺ مع أمته في حرصه عليهم، وتجنيبه إياهم أسباب الهلاك والردى:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلي كمَثَل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حولها جعل الفَراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجُزهن، ويَغْلِبْنَه فيقتحمْنَ فيها، فذلك مَثَلي ومَثَلكم، أنا آخذ بحُجُزكم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني، تَقَحَّمُون فيها»(١).

تمثيل دقيق، وتصوير بليغ، لذلك الرجل الشفيق، الذي استوقد نارًا لحاجته وحاجة مَن حوله، فاستهوى الفَراشَ ضوءُ النار، فجعل يتطاير قاصدًا إياها، غافلًا عما فيها من الهلاك والعَطَب، فجعل ذلك الرجل الشفيق يصرفهن يمنة ويسرة، ويغلبْنه فيقتحمن في النار.

هكذا أكثر الناس، يستهويهم بَريق الشهوات، وتستخفهم لذاتها الحاضرة العاجلة، فيغيب وازع العقل، ويتحرك دافع الهوى والشهوة؛ شهوة المأكل أو المشرب أو المنكح والملبس والمسكن أو شهوة المال وغيرها من الشهوات،

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٣) ومسلم (٢٢٨٤).

فيُلْقُون بأيديهم إلى ما فيه ضررهم وهلاكهم، والنبي ﷺ يجتهد في وعظهم وتبليغهم وتحذيرهم، لكنْ قليلٌ من يستجيب.

وثمة مَثَل آخر يُصَوِّر نصحَ نبينا ﷺ لأمته واجتهادَه في نذارتها وتحذيرها مما أمامها من أخطار ومهالك ومَهَاوٍ ومَتَالِف:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مَثَلي ومَثَل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومًا فقال: يا قوم، رأيت الجيش بِعَيْنَيَّ، وإني أنا النذير العُريان، فالنجاءَ النجاءَ، فأطاعته طائفة من قومه، فأَدلجوا، فانطلقوا على مهلهم، فنجوا، وكذَّبت طائفةٌ منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مَثَل مَن أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل مَن عصاني وكذَّب ما جئت به من الحق» رواه البخاري ومسلم[١].

جاء في وصفه ﷺ: أنه كان ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حَسَن الخَلق، وكان أجود الناس كفًّا، وأجرأ الناس صدرًا، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة[٢]، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهةً هابه، ومن خالطه معرفةً أحبه، يقول واصفه: لم أرَ قبله ولا بعده مثله ﷺ[٣].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ أزهر اللون، ليس بأبيض أمهق، ولا آدم ـ أي أسمر ـ، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء»[٤].

وقال البراء: «كان النبي ﷺ أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خُلقًا»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٣) ومسلم (٢٢٨٣).
(٢) العريكة هي الطبيعة، يقال: فلانٌ لَيِّنُ العريكة، إذا كان مُطواِعًا مُنقادًا.
(٣) انظر: سيرة ابن هشام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١/٤٠١.
(٤) أخرجه البخاري (٣٥٤٧).
(٥) أخرجه البخاري (٣٥٤٩) ومسلم (٢٣٣٧).

وقال أبو الطفيل: «كان النبي ﷺ أبيض، مليحًا، مُقَصَّدًا»(١).

ولو استعرضنا سيرته ﷺ فحينذاك نرى العَجب العُجاب، فخذ إلماحة وجيزة سريعة:

لَمَّا لم يجدِ النبي ﷺ من قريش آذانًا صاغية، بل وجد منهم الإعراض والصد والأذى؛ يَمَّمَ ﷺ إلى كُبرى المدن المجاورة لمكة، فخرج إلى الطائف لعله يجد فيهم مَن يستجيب له فينقذه الله به من النار، ثم لعله يعينه على تبليغ رسالة ربه، لكنه لم يجد منهم إلا الرد السيئ، والإيذاء النفسي والبدني، فقد قال أحد كبرائهم على سبيل السخرية والتنقص: لم يَجِدِ اللهُ أحدًا أن يرسله إلا هذا؟

وقال آخرُ معاندًا متحديًا: أمزق ثياب الكعبة إن كان هذا صادقًا.

وحرضوا صبيانهم وسفهاءهم، فرموه بالحجارة حتى أدموا قدميه ﷺ.

فعاد قافلًا إلى مكة، وما أصعب هذا الرجوع، سيما وقد وصلت تلك الأخبار إلى قريش، مما يزيدهم تألبًا وجَراءة عليه.

كما كان من حِرصه ﷺ على تبليغ رسالة ربه أنه كان يقصد العرب القادمين من أرجاء الجزيرة للحج، فكان لا يجد منهم إلا الإعراض والصدود.

وأصعب من هذا أن عمه أبا لهب ـ قبحه الله ـ كان يسير وراءه، فكلما دعا قومًا إلى توحيد الله وطاعته كذبه عَمُّه، وحذَّر الناس منه.

فإذا استحضرنا البيئة العربية وتَعَصُّبَ القريب لقريبه مُحِقًّا كان أو مُبْطِلًا، ثم رأينا أن الذي يكذِّب النبي ﷺ ويحذّر الناس منه هو عمُّه أخو أبيه، أدركنا مرارة ذلك الموقف وشدة إيلامه للنفس.

والعجيب أن النبي ﷺ كان مستمرًّا في دعوته تلك، لم يَفُتَّ ذلك

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٤٠)، **والمُقَصَّد**: هو الذي ليس بجسيم ولا نحيف، ولا طويل ولا قصير. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي (١٥/ ٩٤).

المسعى الآثمُ في عضده، ولم يَثْنِه عن العزم والتصميم على تبليغ رسالة ربه، حتى إن النبي ﷺ مع كونه قد قصد القبائل في مَحَالِّها وأماكنها فلم يجد منهم استجابة قد كان يتعرض لمن قابله في طريقه لَربما وجد فيهم أُذُنًا صاغية.

فمع كل تلك المساعي ونتائجها التي لا تُلقِي في النفس إلا الإحباط واليأس لكن أنَّى يقع اليأس في نَفْس رسول الله ﷺ، وأنّى يجد التشاؤم إليه سبيلًا.

مع كل تلك المساعي ومع كونه عَرَض على القبائل دعوتَه مَرَّ به بِضعة نفر ممن جاء إلى موسم الحج لا يميزهم عن غيرهم ـ ممن دُعُوا فأعرضوا وزهدوا في الخير ـ مُمَيِّز، ومع هذا قال لهم رسول الله ﷺ: «أفلا تجلسون أكلمكم؟» قالوا: بلى، فدعاهم إلى الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، فكان ذلك نَواةً لدخول الإسلام في المدينة، حيث كان أولئك من أهلها[(١)]، وكان بدايةً لِتَشَرُّفها بأن تكون مُهَاجَرَ النبي ﷺ، وأن يتشرف أهلها بصحبته ونصرته.

إن محبة النبي ﷺ واجب من واجبات الإيمان، قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[(٢)]، وقال ﷺ: «ثلاث مَنْ كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: مَن كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يقذف في النار»[(٣)].

وبعدُ، فيا من تحب نبي الله ﷺ! المدّعون كثير، والصادقون قليل، فأنت من أيهم؟

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١/٤٢٨.
(٢) أخرجه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤) وأحمد (١٢٨١٤).
(٣) أخرجه البخاري (٢١) ومسلم (٤٣).

جعلني الله وإياك من الصادقين.

إن أعمال العبد تشهد له بصدق دعواه محبةَ النبي ﷺ أو تشهد عليه ببطلان دعواه.

إن المحبة الصادقة للنبي ﷺ تستوجب طاعته، فما نهى مِن نهيٍ تتركه وتجتنبه، وما أمر من أَمْرٍ تفعله قدر استطاعتك[1]، فقوّم نفسك واحكم عليها:

○ هل عبدت الله وحده لا شريك له، وحققت توحيدك، فحفظته من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع الاعتقادية والبدع العملية؟

○ هل امتثلت أمر نبيك ﷺ في شأن الصلاة، فأديت الصلوات الخمس في أوقاتها في بيوت الله مع جماعة المسلمين، وحافظت على حقوقها وشروطها؟

إن كان حالك هكذا فهذه علامة حسنة وبشرى سارّة، تجعل لك أملًا ورجاء عظيمًا في أن تكون من المحبين الصادقين للنبي ﷺ.

○ وانظر: هل اعتمادك على الله وتَعَلُّقُ قلبك بالله في تحقيق حاجاتك أو أنك اعتمدت على الأسباب، على الوظيفة أو الـمُرَتَّب في حصول الرزق؟ وعلى مهارة الطبيب ونفع دوائه في حصول الشفاء؟ وعلى سائر الأسباب في تأمين المستقبل؟

فمِن أي الصنفين أنت؟ من المعتمدين على الأسباب أو من المتوكلين على الله وحده، الذين يبذلون الأسباب ويجدّون في ذلك، لكن قلوبهم متعلقة بالله لا بتلك الأسباب؟

---

(١) جاء في ثلاثة الأصول للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب: «ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع».

○ ويا من تقول إنك تحب النبي ﷺ: هل حكّمته حقًّا وصدقًا، فما بلغك من خبر عنه ﷺ صَدَّقته، وما استحسنه استحسنته، وما استقبحه استقبحته، وما أحبه أحببته، وما كرهه كرهته، أو أنك حكّمت عقلك وهواك، فما اشتهته النفس أو استحسنه العقل فهو المقدَّم؟

ولذا تجد مَن كان هكذا مجتهدًا في تسويغ فعله، والتماس الأعذار لرد النصوص وتأويلها، ووَصْفِ مَن وافق هواه وأفتى بما يشتهيه بأنه الفقيه حقًّا، الذي يفهم الدين فييسر على الناس، ومن أفتى بخلاف ما تهواه نفسه بأنه المتشدد المتزمت، الذي يُنَفّر الناس عن الدين.

فهل جعلت حديث النبي ﷺ وسنته قائدًا وهواك تابعًا أو عكست الأمر، فكنت ممن اتبع هواه؟

فمن أي الصنفين أنت؟ ممن جعل السنة حَكَمًا وحاكمًا أو ممن جعل هواه قائدًا ورائدًا؟

ومن العلامات التي تُبين صِدق الدعوى في محبة النبي ﷺ: أن يتحرر المرء من عبودية المال، ويسلم من إغرائه ـ وما أعظمه من إغراء ـ، فيجتنب المكاسب المحرمة والمشتبهة، ويطلب المال من حِله، ويصرفه في حقه.

○ ومن العلامات أيضًا: غيرة المرء على حُرمات الله، فإذا رأى مَن يترك طاعة أو يفعل معصية امتثل أمر نبيه ﷺ في قوله: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[(١)].

○ ويا من أكرمك الله بأن جعلك من أمة محمد ﷺ، وترجو أن تنال

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

شفاعته، وتشرب من حوضه، انظر: هل امتثلت ما جاء عنه ﷺ في حفظ السمع والبصر؟ فهل غضضت بصرك عن الحرام، كالنظر إلى النساء الأجنبيات، سواء على شاشة التلفاز أو في الأسواق والطرقات أو على صفحات الصُّحف والمجلَّات؟ وهل حفظت سمعك عن الحرام، كسماع الموسيقى والأغاني وسماع الغيبة ونحوها؟

أسئلة، وأسئلة غيرها، حاسب نفسك: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [القيامة: ١٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

وجِمَاع ما تقدم: هل أنت ممن يقتدي بالنبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا؟

إن كنت هكذا فهنيئًا لك واللهِ ثم هنيئًا، فأنت ممن يحب النبي ﷺ حقًّا، وحينئذ فأبشر بهذه البشارة العظيمة:

قال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب»(١)، وهو حديث متواتر(٢)، فمن أحب النبي ﷺ فإنه سَيَرِد عليه حوضه، ويشرب منه، ثم يدخل معه الجنة، قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٩ ـ ٧٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال أبو بكر بن مردويه ـ وساق إسناده ـ: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنك لأحب إليَّ من نفسي، وأحب إليَّ من أهلي، وأحب إليَّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك، فما أصبرُ حتى

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٦٨) ومسلم (٢٦٤٠).

(٢) انظر كلام الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٢١)، وسيأتي قريبًا ما يفيد ذلك أيضًا.

آتيك فأنظرَ إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك، عرفت أنك إذا دخلتَ الجنة رُفعتَ مع النبيين، وإن دخلتُ الجنة خشيتُ ألا أراك، فلم يَرُدَّ عليه النبي ﷺ حتى نزلت عليه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩][١].

وقال ابن كثير أيضًا: «ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرهما من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ فقال: «المرء مع من أحب»، قال أنس: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث، وفي رواية عن أنس أنه قال: إني لأحب رسول الله ﷺ، وأحب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وأرجو أن الله يبعثني معهم، وإن لم أعمل كعملهم»[٢].

فاحذر أن تحب أهل المعاصي والغفلة والتفريط فتحشر معهم، كمن يحب المغنين أو اللاعبين أو الراقصين أو غيرهم من المفرطين.

وأما إن كنت ممن لا يقتدي بالنبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا فاستدرك أمرك، وصحح وضعك، قبل أن تفوتك فرصة الحياة، ويندم المفرط على تفريطه وتقصيره.

العبودية

❖ حقيقتها:

أصل معنى العبادة: الذل، لكنَّ العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له.

---

(١) تفسير ابن كثير، دار طيبة، ٢/ ٣٥٤.

(٢) المرجع السابق، ٢/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

فمن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابدًا له، ومن أحب شيئًا ولم يخضع له لم يكن عابدًا له أيضًا[1].

❖ مكانتها ومنزلتها:

١ ـ العبودية لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خَلق الخلق لها، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٢ ـ بها أَرسل الله جميع رسله.

٣ ـ وصف الله صفوة خلقه بالعبودية له: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]، ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٦٣]، ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠]، ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

٤ ـ وصف الله نبيه ﷺ بالعبودية في أكمل أحواله:

○ في الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١].

○ وفي الإيحاء: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

○ وفي الدعوة: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩].

○ وفي التحدي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣].

❖ آثارها وفوائدها:

١ ـ مكانة العبد ومنزلته عند ربه بقدر تَعَبُّدِه له سبحانه في خضوع قلبه واستجابة جوارحه.

٢ ـ يكون ثواب العمل الصالح ورضا الرب سبحانه به بقدر ما تعبَّد صاحبُه به.

٣ ـ كلما تم تعبُّد العبد لربه أَثَّر ذلك في المسارعة إلى فعل الطاعات والكف عن المعاصي.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٥/ ١٦٢.

❖ **ما يعين على تحقيقها: من ذلك:**

١ ـ معرفة أسماء الله وصفاته، فكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته لقضاء حاجته ودفع ضرورته قويت عبوديته له وحُريَّته مما سواه[(١)].

٢ ـ الاستغناء عما في أيدي الناس، ولهذا قيل:

العبدُ حُرٌّ ما قَنِعْ والحُرُّ عبدٌ ما طَمِعْ

٣ ـ إفراد الله وحده بالمحبة، فمن تعلق قلبه بغير الله صار مُسْتَعْبَدًا له، كما في الحديث عن النبي ﷺ: «تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة» رواه البخاري[(٢)]، فسماه النبي ﷺ عبدًا للدرهم وللدينار وللقطيفة.

٤ ـ معرفة نعمة الله وفضله، ومعرفة الذنب والتقصير، كما في الدعاء الذي هو سيد الاستغفار: «أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء لك بذنبي»[(٣)].

٥ ـ دعاء الله، كما في الفاتحة التي هي أعظم سورة في القرآن، وكما أوصى النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه حين قال له: «إني أحبك، فلا تدعن أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحُسن عبادتك»[(٤)].

وكما أوصى النبي ﷺ أصحابه حين قال لهم: «أتحبون أن تجتهدوا في الدعاء؟ قولوا: اللهم أعنا على ذكرك، وشكرك، وحُسن عبادتك»[(٥)].

٦ ـ المجاهدة، كما قال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٠/ ١٨٤.
(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).
(٣) أخرجه البخاري (٦٣٠٦).
(٤) أخرجه أبو داود (١٥٢٢) والنسائي (١٣٠٣).
(٥) أخرجه أحمد (٧٩٨٢).

أعمال القلوب[(١)]

- **تعريف الإيمان:** تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان.

○ تصديق القلب: قبوله كلَّ ما جاء به الرسول ﷺ.

○ إقرار اللسان: النطق بالشهادتين.

○ العمل بالأركان: عمل القلب اعتقادًا، وعمل الجوارح بالعبادات بحسبها.

- قول النبي ﷺ: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[(٢)].

- قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وخير الهدي هدي محمد ﷺ، فمن سلك طريقه كان أقرب إلى الله من غيره، وليست الفضائلُ بكثرة الأعمال البدنية؛ لكن بكونها خالصةً لله عَزَّ وَجَلَّ، صوابًا على متابعة السنة، وبكثرة معارف القلوب وأعمالها.

فمن كان بالله أعرفَ وبدينه وأحكامه وشرائعه، وله أخوفَ وأحبَّ وأرجى؛ فهو أفضلُ ممن ليس كذلك، وإن كان أكثر منه عملًا بالجوارح.

ولهذا قال بعض السلف: ما سبقهم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه.

وقال بعضهم: الذي كان في صدر أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المحبة لله ورسوله والنصيحة لعباده.

وقال ابن مسعود لأصحابه: أنتم أكثر صومًا وصلاة من أصحاب محمد ﷺ، وهم كانوا خيرًا منكم، قالوا: وبِمَ ذاك؟ قال: كانوا أزهد منكم في الدنيا، وأرغب في الآخرة.

---

(١) تاريخ هذه الورقة: ١٠/٢/١٤١٥هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩). **ومراد الوالد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذِكر هذا الحديث هنا: الإشارةُ إلى مكانة القلب.

يشير إلى أن الصحابة فاقوا مَن بعدهم بشدة تعلق قلوبهم بالآخرة، ورغبتهم فيها، وإعراضهم عن الدنيا بتحقيرها وتصغيرها وإن كانت في أيديهم، فكانت قلوبهم منها فارغة، وبالآخرة ممتلئة.

وهذه الحال ورثوها من نبيهم ﷺ، فإن قلبه كان أشد القلوب فراغًا من الدنيا، وتعلقًا بالله وبالدار الآخرة، مع ملابسته للخلق بظاهره، وقيامه بأعباء النبوة وسياسة الدين والدنيا.

وكذلك خلفاؤه الراشدون بعده، وكذلك أعيان التابعين لهم بإحسان، كالحسن وعمر بن عبد العزيز، وقد كان في زمانهم من هو أكثر منهم صومًا وصلاة، ولكن لم يصل قلبه إلى ما وصلت إليه قلوب هؤلاء؛ من ارتحالها عن الدنيا وتوطنها الآخرة.

انتهى كلام ابن رجب، من المحجة في سير الدلجة[(١)].

وقال في جامع العلوم والحكم في شرح الحديث الأول: عن يحيى بن أبي كثير قال: تعلموا النية، فإنها أبلغ من العمل.

وعن زبيد اليامي قال: إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء، حتى في الطعام والشراب.

وعن سفيان الثوري قال: ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نيتي؛ لأنها تنقلب عليَّ.

وعن يوسف بن أسباط قال: تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد.

وعن ابن المبارك قال: رُبَّ عمل صغير تعظمه النية، ورُبَّ عمل كبير تصغره النية[(٢)].

---

(١) انظر: مجموع رسائل ابن رجب، دار الفاروق الحديثة، ٤/ ٤١٢ ـ ٤١٤.

(٢) جامع العلوم والحكم، دار ابن كثير، ص٤١ ـ ٤٢.

قال بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكلام الصحابة والتابعين والأحاديثُ والآثارُ في هذا ـ يعني العلم بأحوال القلوب وما يصلحها وما يفسدها ـ أكثرُ منها في الإجارة والشفعة والحيض والطهارة بكثير»(١).

❖ علاجها(٢):

١ ـ مجاهدة النفس.

٢ ـ تدبر القرآن.

٣ ـ تدبر أسماء الله الحسنى.

٤ ـ تَذَكُّر ما أعده الله للمتقين.

٥ ـ مطالعة سِيَر السلف.

قسوة القلوب

ـ مكانة القلب(٣): «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»(٤).

ـ أقسام القلوب: راجع إغاثة اللهفان(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٣/ ٢٤٣.

(٢) أي: علاج القلوب.

(٣) أي: الدليل من السُّنة على مكانة القلب.

(٤) أخرجه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩).

(٥) قال ابن القيم في إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، دار عطاءات العلم، ١/ ١٠ ـ ١٨، باختصار: «الباب الأول في انقسام القلوب إلى صحيح وسقيم ومَيّتٍ، لَمَّا كان القلب يوصف بالحياة وضدِّها انقسم بحسب ذلك إلى هذه الأحوال الثلاثة: فالقلب الصحيح هو القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به. . .، والقلب الثاني: ضِدُّ هذا، وهو القلب الميت الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه. . .، والقلب الثالث: قلبٌ له حياة وبه علّة؛ فله مادتان، تَمُدُّه هذه مرة، وهذه =

❖ حال السلف في رقة قلوبهم وسلامتها وحرصهم عليها:

○ حديث عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: «أتيت النبي ﷺ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل»، يعني: يبكي[(١)].

○ حاله ﷺ إذا رأى غيمًا أو هبت ريح[(٢)].

○ حاله ﷺ لما كسفت الشمس[(٣)].

○ قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠].

○ قول عائشة رضي الله عنها عن أبي بكر رضي الله عنه: «إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقم مقامك لا يُسمِع الناس»[(٤)].

○ بكاء عمر رضي الله عنه لما قرأ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، حتى سُمع نشيجه من خلف الصفوف[(٥)].

○ قصة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مع الربيع بن خثيم، قال له عبد الله: «يا أبا يزيد، لو أن رسول الله ﷺ رآك لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين»[(٦)].

○ قصة صِلَة بن أَشْيَم ليلة زواجه[(٧)].

= أخرى، وهو لِمَا غلب عليه منهما. . . ، فالقلب الأول: حيٌّ مُخْبِتٌ ليِّنٌ واعٍ. والثاني: يابسٌ ميتٌ. والثالث: مريض؛ فإما إلى السلامة أدنى، وإما إلى العَطَب أدنى. . .».

(١) أخرجه النسائي (١٢١٤).

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٣٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٥٩) ومسلم (٩١٢).

(٤) أخرجه البخاري (٧١٣) ومسلم (٤١٨).

(٥) انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، دار ابن كثير، ص١٣٧.

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى، مكتبة الخانجي، ٨/٣٠٣.

(٧) وهي ـ كما في لطائف المعارف، المكتب الإسلامي، ص٥٤٧ ـ: «تزوج صلة بن أشيم بمعاذة العدوية، وكانا من كبار الصالحين، فأدخله ابنُ أخيه الحمّامَ، ثم أدخله على =

❖ حال الناس اليوم (من مظاهر قسوة القلوب):

○ حالهم في الصلاة.

○ إلْفُ المنكر وعدم تغييره ولا بالقلب.

○ استثقال الطاعات، واستثقال أهلها، وحب المعاصي، وحب أهلها.

○ عدم التأثر بالآيات القرآنية أو الكونية أو العِبَر.

○ استسهال المصيبة في الدين.

❖ الأسباب؛ منها:

١ ـ أكل الحرام والمشتبه:

○ ذكر بعض ما ورد في القرآن والسنة من الحث على الأكل من الطيب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤]، ﴿فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾ [الكهف: ١٩].

○ قصة أبي بكر رضي الله عنه مع غلامه(١).

٢ ـ الغفلة والبعد عن الذكر، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٣]، ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

= زوجته في بيت مطيّب منجّد، فقاما يصليان إلى الصباح، فسأله ابن أخيه عن حاله؟ فقال: أدخلتني بالأمس بيتًا أذكرتني به النار، يعني الحمّامَ، وأدخلتني الليلة بيتًا أذكرتني به الجنة، فلم يزل فِكري في الجنة والنار إلى الصباح».

(١) أخرجه البخاري (٣٨٤٢)، ولفظه: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لأبي بكر غلام يُخرِج له الخَراج، وكان أبو بكر يأكل من خَراجه، فجاء يومًا بشيء، فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أُحسِنُ الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلتَ منه، فأدخل أبو بكر يده، فقاء كلَّ شيء في بطنه».

٣ ـ الانشغال بالدنيا (انظر ما يأتي، رقم [٥]، التعلق بغير الله).

٤ ـ فضول الكلام، والنظر، والأكل، والنوم، والخلطة:

○ فضول الكلام، ففي الحديث عن النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[١]، «فمن كثر كلامه كثر سَقَطُه، ومن كثر سَقَطُه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به»[٢].

○ فضول النظر، في الحديث عنه ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى مدرك ذلك لا محالة، وفيه: فالعينان زناهما النظر»[٣]، ويقول الله ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣١] الآية.

○ الأكل، قال ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاءً شرًّا من بطن» الحديث[٤].

○ كثرة النوم يميت القلب، ويثقل البدن، ويضيع الوقت، ويورث كثرة الغفلة والكسل.

ـ **أقسامه:** منه المكروه، ومنه المحرم، وهو ما مَنَعَ عن طاعة واجبة كترك الصلاة تعمدًا.

○ كثرة مخالطة الناس ومجالستهم: توجِب تشتتَ القلب وتفرقَه، والانشغالَ بأحاديث الناس واهتماماتِهم، ومجاراتِهم في أمور الدنيا.

ـ **الضابط النافع في أمر الخلطة:** أن يخالطهم في الخير كالجُمعة والجماعة، وتعلم العلم، والنصيحة، ويعتزلهم في الشر وفضول المباحات.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٨) ومسلم (٤٧).

(٢) هذا من قول عمر رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٥٤١)، وغيرُه، ونقله الحافظ ابن رجب، ثم قال: «وخرَّجه العقيلي من حديث ابن عمر مرفوعًا بإسناد ضعيف».

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٤٣) ومسلم (٢٦٥٧).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٨٠) وابن ماجه (٣٣٤٩).

ـ أقسام الناس في المخالطة: منهم من يُحْتَاج إليه كما يُحْتَاج إلى الطعام، ومنهم من يُحْتَاج إليه كما يُحْتَاج إلى الدواء، ومنهم مَن مخالطته مرض القلوب.

٥ ـ التعلق بغير الله تبارك وتعالى، وهذا أَعْظَم مُفسِدات القلب على الإطلاق، فإنه إذا تعلق بغير الله وَكَلَه الله إلى ما تعلق به، «تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة» الحديث(١).

٦ ـ قلة العلم الشرعي، فالعلم الشرعي سبب الخشية، وبه تُنال وراثة الأنبياء، قال الحسن: إن الله يحيي القلب الميت بالذكر، كما يحيي الأرض الميتة بالقطر(٢).

❖ العلاج:

١ ـ تحري الحلال.

٢ ـ كثرة الذكر بمعناه الشامل، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

٣ ـ الزهد في الدنيا.

٤ ـ اجتناب فضول الكلام، والنظر، والأكل، والنوم، والخلطة.

٥ ـ الحرص على طلب العلم الشرعي.

٦ ـ الدعاء والمجاهدة، قال ﷺ: «وأسألك قلبًا سليمًا»(٣)، ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

(٢) انظر: لطائف المعارف، المكتب الإسلامي، ص٣٤.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٠٧) والنسائي (١٣٠٤).

تزكية النفس

❖ معنى التزكية:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١]: «أي: يطهرهم من رذائل الأخلاق، ودنس النفوس، وأفعال الجاهلية»(١).

❖ مكانتها من خلال النصوص الواردة في شأنها:

○ قال الله عَزَّ وَجَلَّ حاكيًا عن إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليهما وسلم أنهما قالا: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

○ وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

○ وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

○ وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

○ سورة الشمس: قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩ ـ ١٠]؛ «المعنى: قد أفلح من كبرها وأعلاها بطاعة الله وأظهرها، وقد خاب وخسر من أخفاها وحقرها وصغرها بمعصية الله، وأصل التدسية الإخفاء، ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [النحل: ٥٩]، فالعاصي يدس نفسه في المعصية، ويخفي مكانها، ويتوارى من الخلق من سوء ما يأتي به، وقد انقمع عند نفسه، وانقمع عند الله، وانقمع عند الخلق، فالطاعة والبر تكبر النفس وتعزها وتعليها، حتى تصير أشرف شيء

---

(١) تفسير ابن كثير، دار طيبة، ١/ ٤٦٤.

وأكبره وأزكاه وأعلاه، ومع ذلك فهي أذل شيء وأحقره وأصغره لله تعالى، وبهذا الذل حصل لها العز والشرف والنمو، فما صغَّر النفس مثل معصية الله، وما كبرها وشرفها ورفعها مثل طاعة الله»، انتهى من الجواب الكافي(١).

❖ لما كان للتزكية كل تلك المكانة كان لها من الآثار ما يتناسب مع مكانتها، فمن ذلك:

١ ـ دخول الجنة والنجاة من النار، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٤ ـ ٧٦].

٢ ـ إذا زَكَتِ النفس أثمرتِ الأخلاق الجميلة، وزالت الأخلاق الرديئة، فالأخلاق الجميلة كالتواضع والحلم والكرم وإطابة الكلام، والأخلاق الرديئة كالكبر والحسد والغل والغيبة.

❖ وهذا الأمر ـ أي: حُسن الخلق ـ شأنه عظيم:

○ فقد أثنى الله على نبيه محمد ﷺ بكونه على خلق عظيم، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

○ وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقًا»(٢).

○ وروى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «البر حُسن الخُلق» الحديث(٣).

○ وروى الترمذي عنه ﷺ أنه قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حُسن الخُلق»(٤).

---

(١) الداء والدواء (الجواب الكافي)، دار عطاءات العلم، ص١٨٩.
(٢) أخرجه البخاري (٦٢٠٣) ومسلم (٦٥٩).
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٥٣).
(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩) والترمذي (٢٠٠٢).

○ وروى أيضًا عنه ﷺ أنه سُئل عن أكثر ما يُدخِل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله، وحُسن الخُلق»، وسُئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: «الفم والفرج»[(١)].

○ وروى أبو داود عن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن ليدرك بِحُسن خُلقه درجة الصائم القائم»[(٢)].

○ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حُسن الخُلق، وإن صاحب حُسن الخُلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة» رواه الترمذي[(٣)].

❖ فضل التواضع وخفض الجناح للمؤمنين:

○ قال الله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

○ وعن عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد» رواه مسلم[(٤)].

○ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» رواه مسلم[(٥)].

❖ تحريم الكبر والعُجب:

○ قال الله تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

○ وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤) وابن ماجه (٤٢٤٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٩٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٠٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، قال النووي رحمه الله: «معنى ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾ [لقمان: ١٨] أي: تميله وتعرض به عن الناس تكبرًا عليهم، والمرح التبختر»[١].

○ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة مَن كان في قلبه مثقال ذرة مِن كبر»، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة؟ قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بَطَر الحق، وغَمْط الناس» رواه مسلم[٢]. قال النووي رحمه الله: «بَطَر الحق: دفعه ورده على قائله، وغَمْط الناس: احتقارهم»[٣].

❖ تحريم الحسد:

○ قال رسول الله ﷺ: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» متفق عليه[٤].

○ وقال ﷺ: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيُقال: أَنظِروا هذين حتى يصطلحا، أَنظِروا هذين حتى يصطلحا، أَنظِروا هذين حتى يصطلحا» رواه مسلم، وفي رواية له: «تُعْرض الأعمال في كل يوم خميس واثنين»[٥].

إصلاح القلوب[٦]

❖ مكانة القلب:

إن مَدار استقامة العبد وانحرافِه منوط باستقامة القلب، قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة، ص٢١٣.
(٢) أخرجه مسلم (٩١).
(٣) رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة، ص٢١٣.
(٤) أخرجه البخاري (٦٠٦٥) ومسلم (٢٥٥٨، ٢٥٥٩).
(٥) أخرجه مسلم (٢٥٦٥).
(٦) تاريخ هذه الورقة: ١٤١٣/٦/٢٦هـ.

«ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[١].

وفي إغاثة اللهفان عن حذيفة بن اليمان: «القلوب أربعة: قلب أجْردُ، فيه مثل السراج يُزهر...»[٢].

❖ مما يطرأ على القلب:

○ من العلل والأدواء: الغفلة، العمى، الزيغ، التقلب، الاشمئزاز، الإقفال، القسوة، اللهو، الرياء، النفاق، الحسد...، وقد يؤول به الحال إلى المرض، والطبع والختم، ثم الموت.

○ من الأحوال الإيمانية: اللين، والإخبات، والخشوع، والإخلاص، والحب لله، والتقوى، والثبات، والخوف، والرجاء، والإنابة...، والنتيجة السلامة.

❖ أمراض القلوب:

١ ـ النفاق: النفاق العملي والاعتقادي.

٢ ـ الرياء: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟»، قال: قلنا: بلى، فقال: «الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته؛ لما يرى من نظر رجل»[٣]، قال في صحيح الجامع: «حسن»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩).

(٢) قال في إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، دار عطاءات العلم، ١/١٦: «وقد قسم الصحابة رضي الله تعالى عنهم القلوب إلى أربعة، كما صح عن حذيفة بن اليمان»، ثم ذَكَرَه، وتمامُه: «القلوب أربعة: قلب أجْردُ، فيه سراج يُزهرُ، فذلك قلب المؤمن. وقلب أغلفُ، فذلك قلب الكافر. وقلب منكوس، فذلك قلب المنافق، عَرف ثم أنكر، وأبصر ثم عَميَ. وقلب تمُدّه مادتان: مادة إيمان، ومادة نفاق، وهو لما غلب عليه منهما».

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٤).

(٤) صحيح الجامع الصغير للألباني (٢٦٠٧).

والخوف من الرياء لا يدعو المرء إلى ترك العمل الصالح.

٣ ـ سوء الظن بالله.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآية ـ: فُسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفُسِّر بأن ما أصابه لم يكن بقدَر الله وحكمته، ففُسِّر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يُتمَّ أمرَ رسوله، وأن يُظهره الله على الدين كله، وهذا هو ظن السَّوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح ـ يعني قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦] ـ، وإنما كان هذا ظن السَّوء لأنه ظَنُّ غيرِ ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق، فمن ظن أنه يُدِيل الباطل على الحق إِدَالةً مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أنْ يكون ما جرى بقضائه وقدَره، أو أنكر أن يكون قَدَرُه لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة؛ فذلك ظنُّ الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السَّوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يَسْلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجَب حكمته وحمده.

فَلْيَعْتَنِ اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله وليستغفره من ظنه بربه ظن السَّوء.

ولو فَتَّشت من فَتَّشت لرأيت عنده تَعَنُّتًا على القدر ومَلامَة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمُسْتَقِلٌّ ومُستكثر.

وفتشْ نفسك هل أنت سالم؟

فإنْ تَنْجُ منها تَنْجُ من ذي عَظيمةٍ   وإلا فإني لا إخَالُكَ نَاجِيَا

ومن ظن به أنه إذا ترك شيئًا من أجله لم يعوضه خيرًا منه، أو من فعل شيئًا لأجله لم يعطه أفضل منه، فقد ظن به ظن السَّوء.

ومن ظن به أنه يَغضب على عبده ويعاقبه ويحرمه بغير جرم ولا سبب من العبد إلا لمجرد المشيئة ومحض الإرادة، فقد ظن به ظن السَّوء.

ومن ظن به أنه إذا صَدَقه في الرغبة والرهبة وتضرع إليه وسأله واستعان به وتوكل عليه أنه يخيبه ولا يعطيه ما سأله، فقد ظن به ظن السَّوء، وظن به خلاف ما هو أهله، انتهى[١].

ومن ظن أنه يَحرِص على الهداية ثم يُحرمها، فقد ظن بالله ظن السوء.

ومن ظن أنه يَحرِص على زيادة إيمانه والخشوع في الصلاة ثم يُحرمه، فقد ظن بالله ظن السوء.

٤ ـ الكِبْر، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

○ وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة مَن كان في قلبه مثقال ذرة مِن كبر» رواه مسلم[٢].

○ وقال: «بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» رواه مسلم[٣].

٥ ـ الحقد والغل والحسد:

○ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠] الآية.

○ قال ﷺ: «تُعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين، يوم الإثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد مؤمن، إلا عبدًا بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اتركوا هذين حتى يَفِيئَا» رواه مسلم[٤].

○ قال ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضمضم؟»، قالوا: ومن

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، دار عطاءات العلم، ٣/ ٢٦٥ ـ ٢٧٢.

(٢) أخرجه مسلم (٩١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٦٥).

أبو ضمضم؟ قال: «رجل فيمن كان من قبلكم كان إذا أصبح قال: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك»[(١)].

○ صلى عُلْبَة بن زيد من الليل ما شاء الله، ثم بكى، وقال: اللهم إنك قد أمرت بالجهاد، ورغبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسول الله ﷺ، ولم تجعل في يد رسول الله ﷺ ما يحملني عليه، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في مال أو جسد أو عرض، ثم أصبح مع الناس، فقال رسول الله ﷺ: «أين المتصدق هذه الليلة؟»، فلم يقم أحد، ثم قال: «أين المتصدق؟ فليقم»، فقام إليه فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: «أبشر، فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة»[(٢)].

○ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال لرجل: سمعت رسول ﷺ يقول لك ثلاث مرار: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلعتَ أنت الثلاثَ مِرَار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك، فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت، قال: فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًّا، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق[(٣)].

❖ أسباب مرضها:

○ عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أُشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء»[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٨٧).
(٢) انظر: دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، ٥/ ٢١٩.
(٣) أخرجه أحمد (١٢٦٩٧).
(٤) أخرجه مسلم (١٤٤).

١ ـ الجهل.

٢ ـ الغفلة عن ذكر الله.

٣ ـ الاسترسال مع شهوات النفس في الأكل، والشرب، والنوم، والكلام.

٤ ـ الرفقة السيئة ومجالسة أهل الغفلة.

٥ ـ أكل الحرام والمشتبه.

٦ ـ إطلاق البصر فيما حرم الله.

٧ ـ سماع الغناء.

حُبُّ الكتابِ وحُبُّ أَلحانِ الغِنَا ... في قلبِ عبدٍ ليس يَجتمعانِ

❖ أسباب شفائها:

١ ـ توحيد الله:

○ الاعتناء بشروط لا إله إلا الله[(١)].

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصِدقُكَ معْ ... محبةٍ وانقيادٍ والقبولِ لها

٢ ـ كثرة ذكر الله:

○ ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٣]، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

○ وأفضله كلام الله تلاوةً، وتدبرًا، وعملًا به، وإنصاتًا لقراءته.

○ هديُ النبي ﷺ في هذا:

عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته، وهو يقرأ سورة الفتح يرجع»[(٢)].

---

(١) سبق الكلام عن شروط «لا إله إلا الله» في أول هذا القسم، فارجع إليه إن شئت.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٨١) ومسلم (٧٩٤).

وعن أبي موسى ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي موسى: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود»[(١)].

○ كان عمر ﵁ يقول لأبي موسى وهو جالسٌ معه في مجلس: ذكّرنا ربنا، فيقرأ عنده[(٢)].

○ قال عثمان ﵁: «لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام الله ﷻ»[(٣)].

٣ ـ الصدق في الحديث:

○ ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]؛ أي: صوابًا، ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧١].

○ عن شداد بن أوس ﵁ أن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحُسْن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم» رواه النسائي[(٤)].

○ وعن سفيان بن عبد الله ﵁ قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك، فقال رسول الله ﷺ: «قل آمنت بالله، ثم استقم» رواه مسلم[(٥)].

وخرّج الإمام أحمد والنسائي أن رجلًا قال: يا رسول الله، مُرْنِي في

---

(١) أخرجه مسلم (٧٩٣).
(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤٣١١ ط. التأصيل الثانية).
(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٧٧٥).
(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٠٧) والنسائي (١٣٠٤).
(٥) أخرجه مسلم (٣٨).

الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحدًا بعدك، قال: «قل آمنت بالله، ثم استقم»، قال: قلت: فما أتقي؟ فأومأ إلى لسانه[(١)].

وعند الترمذي: قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف عليَّ، فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «هذا»[(٢)].

فلما أمر النبي ﷺ السائلَ بالاستقامة حَذَّره مما يخالفها ويقدح فيها ويتسبب في حصول ما يضادها، وهو اللسان.

○ روى الترمذي[(٣)] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا وموقوفًا: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفّر اللسان، فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»، ورجح الترمذي وقفه، وقال الألباني في صحيح الجامع: «حسن»، وقال: «تكفّر اللسان»: أي: تذل وتخضع له»[(٤)].

○ قال ابن رجب رحمه الله: «وقد ورد أن استقامة اللسان من خصال الإيمان، كما في المسند عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»»[(٥)].

○ «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا» الحديث[(٦)].

❖ بعض الأسباب التي تفضي إلى التساهل بالصدق والوقوع بالكذب:

أ ـ المزاح.

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٤٢٥) وأحمد (١٩٤٣١).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٤١٠) وابن ماجه (٣٩٧٢).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٠٧).
(٤) صحيح الجامع الصغير للألباني (٣٥١).
(٥) جامع العلوم والحكم، دار ابن كثير، ص٣١٥ ـ ٣١٦.
(٦) أخرجه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧).

ب ـ كثرة الكلام، قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[(١)]، وقال ﷺ: «من حُسْن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[(٢)]، وسُئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: «الفم والفرج»[(٣)]، ومَن كَثُر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به.

ت ـ الجدال والرغبة في الانتصار للرأي، فقد يفضي بالمرء إلى أن ينتصر لقوله بالكلام ولو لم يكن مُتَثَبِّتًا منه.

تنبيه مهم للداعي إلى الله:

لا تنصر حقك بباطل، ولا تسعَ إلى إقناع الناس بأن تفرط في الصدق بحجة أن مقصدك حَسَن، فإنما يتقبل الله من المتقين، ومن التقوى تحري الصدق.

ث ـ التوسع في الكنايات، قال ﷺ: «إن في المعاريض مندوحة عن الكذب»[(٤)]، قال في ضعيف الجامع: «ضعيف»[(٥)].

ج ـ المبالغة في الوصف في الاحتفاء في المدح أو الذم، ومجالسة (المبالغين).

١ ـ الأسباب المعينة على الاتصاف بالصدق:

أ ـ حفظ اللسان.

ب ـ محاسبة النفس.

ت ـ مجالسة الصادقين.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٨) ومسلم (٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣١٧) وابن ماجه (٣٩٧٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤) وابن ماجه (٤٢٤٧).

(٤) أخرجه ابن الأعرابي في معجمه (٩٩٣).

(٥) ضعيف الجامع الصغير للألباني (١٩٠٤).

٤ ـ من أسباب شفاء القلوب: إطابة المطعم.

٥ ـ الدعاء.

مشاهد من اليوم الآخر[١]

إن من أهم المحفزات للإقبال على العمل الصالح والانكفاف عن السيئات والمعاصي تذكرَ المآل والمصير والغاية التي كلٌّ صائر إليها.

وهذا ـ أعني الإيمانَ باليوم الآخر ـ أحد أركان الإيمان الستة التي لا يُسمى المرء مؤمنًا إلا إذا قام بها.

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذاب القبر ونعيمه.

أما فتنة القبر فإن الناس يمتحنون في قبورهم، فيُقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

فيثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فيقول المؤمن: ربي الله، والإسلام ديني، ومحمد ﷺ نبيي.

وأما المرتاب فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، فيضرب المنافق أو المرتاب بِمِرْزَبَة من حديد ـ أي مطرقة ـ، فيصيح صيحة مفزعة، يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق، ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب، إلى أن تقوم القيامة الكبرى.

فتعاد الأرواح إلى الأجساد، وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وأجمع عليها المسلمون.

وذلك أن الله تعالى إذا أَذِن بانقضاء هذه الدنيا أمر إسرافيل عليه السلام أن ينفخ في الصُّوْر النفخة الأولى، فيصعق كل من في السماوات ومن في الأرض إلا

---

(١) تاريخ هذه الخطبة: شهر جمادى الآخرة، ١٤٢٤هـ.

من شاء الله، وتصبح الأرض صعيدًا جُرُزًا، والجبالُ كثيبًا مهيلًا، ويحدث كل ما أخبر الله به في كتابه لا سيما في سورتي التكوير والانفطار.

ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصُّوْر النفخة الثانية، وبين النفختين أربعون، فيقوم الناس من الأجداث ـ أي: القبور ـ أحياءً، فيقول الكفار والمنافقون: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢]، ويقول المؤمنون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

ثم تَحشرهم الملائكة إلى الموقف ـ أي: تسوقهم ـ حفاةً غير منتعلين، وعراة غير مكتسين، غُرْلًا غير مختتنين.

وهناك في الموقف تدنو الشمس من رؤوس الخلائق، ويشتد بهم الكرب، ويذهب العرق في الأرض سبعين ذراعًا، فيبلغ العرق منهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يصل إلى كعبيه، ومنهم من يصل إلى ركبتيه، ومنهم من يصل إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا ـ نسأل الله العافية والسلامة ـ.

ويكون أناس في ظل الله ﷻ ـ نسأل الله من فضله ـ.

فإذا اشتد بهم الأمر وعظم الكرب استشفعوا إلى الله ﷻ بالرسل والأنبياء أن ينقذهم مما هم فيه، وكل رسول يعتذر ويحيلهم إلى من بعده، حتى يأتوا نبينا ﷺ، فينطلق فيسجد تحت العرش، ويشفع للخلائق عند الله أن يأتي للفصل بينهم، فينصرفون إلى فَصْل القضاء.

وهناك تنصب الموازين، فتوزن بها أعمال العباد، فتوضع الحسنات في كِفَّة والسيئات في كِفَّة، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ثم تفتح صحائف الأعمال، ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ١٢]، ويقول: ﴿... يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ

أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٢٦]، قال الله ﷻ: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩].

ويحاسب الله الخلائق، والمراد بهذه المحاسبة: تذكيرهم وإنباؤهم بما قدموه من خير وشر، أحصاه الله ونسوه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وفي الحديث الصحيح: «من نوقش الحساب عُذِّب» فقالت عائشة رضي الله عنها: أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ [الانشقاق: ٨]؟ فقال: «إنما ذلك العرض، ولكن من نُوقش الحسابَ يَهْلِكْ»[(١)].

ويخلو الله ﷻ بعبده المؤمن، فيقرره بذنوبه، كما جاء عن النبي ﷺ أن الله ﷻ يُدْنِي منه عبده المؤمن، فيضع عليه كَنَفه، ويحاسبه فيما بينه وبينه، ويقرره بذنوبه، فيقول: أَلَمْ تفعل كذا يوم كذا؟ أَلَمْ تفعل كذا يوم كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه وأيقن أنه قد هلك: قال له: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم[(٢)].

وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسناتِ لهم، ولكن تعد أعمالهم فتحصى، فيوقفون عليها ويقررون بها، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وأعمال الخير التي عملوها يجازَون بها في الدنيا.

وفي عَرَصات القيامة وساحاتها الحوضُ المورود للنبي ﷺ، ماؤه أشد

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٣) ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤١) ومسلم (٢٧٦٨).

بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر، وعرضه شهر، مَن يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا.

والصراط منصوب على متن جهنم، وهو الجسر الذي بين الجنة والنار، يمر الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر ـ نسأل الله من فضله ـ، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركائب الإبل، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يُخطف خطفًا ويُلقى في جهنم ـ نسأل الله العافية والسلامة ـ، فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم.

ومن استقام على صراط الله الذي هو دينه الحق ولزم السنة؛ استقام على ذلك الصراط الممدود على ظهر جهنم، والذي قد ورد في وصفه أنه أَدَقُّ من الشعر، وأَحَدُّ من السيف، دَحْضٌ مَزِلَّة.

فمن مَرَّ على الصراط دخل الجنة، فإذا عبروا عليه وُقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيُقتص لبعضهم من بعض، فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِن لهم في دخول الجنة.

وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ(١)، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته، يعني بعد دخول الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام تكون أمته أول الأمم دخولًا الجنة، ويدخل الفقراء قبل الأغنياء بخمس مئة عام.

الشرك: بيان خطره، وذكر أنواعه

ـ **تعريفه:** جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والغالب الإشراك في الألوهية.

❖ الشرك أعظم الذنوب، وذلك لأمور؛ منها:

١ ـ أنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الألوهية، وهذا أعظم الظلم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧).

والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، فمَن عَبَد غير الله فقد وضع العبادة في غير موضعها، وصرفها لغير مستحقها، وذلك أعظم الظلم.

٢ ـ أن الله أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النسا: ٤٨].

٣ ـ أن الله أخبر أنه حَرَّم الجنة على المشرك، وأنه خالد مُخَلَّد في نار جهنم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

٤ ـ أن الشرك يُحبِط جميع الأعمال، قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

٥ ـ أن المشرك حلال الدم والمال، قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها» رواه البخاري ومسلم(١).

٦ ـ أن الله تعالى أرسل كل رسول يدعو إلى التوحيد ويحذر من الشرك، قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

إن من الناس من يظن أن الخوف من الشرك قد زال، وأن خطره قد خف، وهذا جهلٌ منه؛ لأنه ظن أن الشرك يقتصر على ألوان وأنواع محددة، فظن أن الشرك يقتصر على عبادة حجر أو طواف بقبر؛ تعظيمًا لصاحبه، أو دعاءِ ميت، وهذا شركٌ، ولكن لا يقتصر الشرك على هذه الأفعال.

فالحذر الحذر من الشرك، فكما أنه أعظم ما عُصِي الله به فهو أعظم ما يُخاف منه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (٢١).

انظر ـ رحمني الله وإياك ـ إلى شدة خوف الخليل إبراهيم ﷺ على نفسه وبنيه من الشرك، حتى إنه دعا ربه أن يحفظه وبنيه منه، فقال: ﴿... وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥ ـ ٣٦].

فإذا خاف إبراهيم ﷺ كل هذا الخوف، وهو خليل الرحمن ومُكَسِّر الأوثان وهاجِر الأوطان، من أجل رضا ربه الرحيم الرحمن، فمَن يَأْمن على نفسه بعد ذلك؟!

❖ أنواع الشرك:

١ ـ شرك أكبر.

٢ ـ شرك أصغر، وهو قسمان:

أ ـ شرك ظاهر.

ب ـ شرك خفي.

تفصيل ما سبق:

الشرك نوعان:

النوع الأول: شرك أكبر، يخرج من الملة، ويخلد صاحبه في النار إذا مات ولم يتب منه.

تعريف الشرك الأكبر: صرف أي عبادة لغير الله.

أمثلة للشرك الأكبر: دعاء غير الله، والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله من القبور والجن والشياطين، والخوف من الموتى أو الجن أو الشياطين أن يضروه أو يمرضوه، ومثل رجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات وتفريج الكربات، قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

النوع الثاني: شرك أصغر لا يخرج من الملة لكنه يقدح في التوحيد، يعني ينقصه ويخل فيه، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، يعني يوصل إليه.

تعريف الشرك الأصغر: كل وسيلة توصل إلى الشرك الأكبر، وهو قسمان:

القسم الأول: شرك ظاهر، وهو ألفاظ وأفعال، فالألفاظ كالحلف بغير الله، قال رسول الله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وحسنه[(١)].

ومن أمثلته أيضًا قول: ما شاء الله وشئت، فحينما قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، قال: «أجعلتني لله ندًّا، بل ما شاء الله وحده» رواه النسائي[(٢)].

ومن أمثلته: قول لولا الله وفلان.

والصواب أن يقال: ما شاء الله ثم شاء فلان، ولولا الله ثم فلان.

وذلك لأن كلمة (ثم) تفيد الترتيب مع التراخي، فتجعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، وأما الواو فهي لمطلق الجمع والاشتراك لا تقتضي ترتيبًا ولا تعقيبًا.

ومن أمثلته أيضًا: قول: مالي إلا الله وأنت، و: هذا من بركات الله وبركاتك، و: أنا بِجَاهِ الله وجاهك.

وأما الأفعال: فمثل لبس الحلقة والخيط؛ لرفع البلاء أو دفعه، ومثل تعليق التمائم؛ خوفًا من العين؛ سواء كان حرزًا، أو خيطًا أسود، أو قطعة نحاس، أو غير ذلك.

سؤال: الأفعال السابقة (لبس الحلقة، وتعليق التمائم، ونحوهما) متى تكون شركًا أكبر؟

الجواب: إن اعتقد أنها أسباب لرفع البلاء أو دفعه فهذا شرك أصغر؛ لأن الله لم يجعل هذه أسبابًا، أما إن اعتقد أنها تدفع البلاء أو ترفعه بنفسها فهذا شرك أكبر؛ لأنه نسب فعل الله إلى غير الله.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠٧٥٨) بلفظ: «أجعلتني لله عدلًا؟».

القسم الثاني من الشرك الأصغر: شرك خفي، وهو الشرك في الإرادات والنيات، كالرياء والسمعة، كأن يعمل عملًا مما يُتقرب به إلى الله يريد ثناء الناس عليه، مثل: أن يحسن صلاته، أو يتصدق لأجل أن يُمدح ويثنى عليه، أو يتلفظ بالذكر ويحسِّن صوته بالتلاوة لأجل أن يسمعه الناس فيثنوا عليه ويمدحوه.

والرياء إذا خالط العملَ أبطله، قال الله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال رسول الله ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء»، رواه أحمد والطبراني والبغوي(١).

ومن الشرك الخفي أيضًا: العمل لأجل الطمع الدنيوي كمن يقرأ القرآن أو يُؤَذّن أو يَؤُم الناس لأجل أن يكسب مالًا، أو يتعلم العلم الشرعي أو يجاهد لأجل المال، قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعْطَ سخط» رواه البخاري(٢).

فسمى النبي ﷺ ذلك الرجل الشديد الحرص على تلك الأشياء عبدًا لها.

خلاصة ما سبق:

يتلخص مما مَرَّ أن هناك فروقًا بين الشرك الأكبر والأصغر، وهي:

١ ـ الشرك الأكبر يخرج من الملة، والشرك الأصغر لا يخرج من الملة.

٢ ـ الشرك الأكبر يُخَلّد صاحبه في النار إذا مات ولم يتب منه، والشرك الأصغر لا يُخَلّد صاحبه فيها إن دخلها.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠)، والطبراني في المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية، ٤/٢٥٣/ ٤٣٠١، والبغوي في تفسيره، دار طيبة، ١/٣٢٦.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

٣ ـ الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، والشرك الأصغر لا يحبط جميع الأعمال، وإنما يحبط الرياءُ والعملُ لأجل الدنيا العملَ الذي خالطاه فقط.

٤ ـ الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والشرك الأصغر لا يبيحهما.

هذا مع كون الشرك الأصغر ذنبًا عظيمًا وفعلًا قبيحًا، إذ هو أكبر من الكبائر.

الردة

ـ **معنى الردة لغةً:** الرجوع، وفي الاصطلاح: الكفر بعد الإسلام.

❖ **أقسامها:**

تحصل الردة بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام، وهي كثيرة، لكنها ترجع إلى أربعة أقسام:

١ ـ **ردة بالقول:** كسَبِّ الله تعالى أو أحد رسله، أو ادعاء علم الغيب، أو ادعاء النبوة، أو تصديق من يدعيها، أو دعاء غير الله، أو الاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٢ ـ **ردة بالفعل:** كالسجود أو الذبح لغير الله، وكوضع المصحف (رَمْيِهِ) في الأماكن القذرة.

٣ ـ **ردة بالاعتقاد:** كاعتقاد شريك لله، أو أن الربا أو الزنا حلال، أو أن الخبز حرام، أو أن الصلاة غير واجبة، ونحو ذلك مما أجمع المسلمون على حكمه إجماعًا قطعيًّا، وكان مثله لا يجهله.

٤ ـ **ردة بالشك:** كمن شك في شيء مما سبق، مثل: من شك في تحريم الشرك، أو الزنا أو الخمر، أو في حل الخبز، أو شك في رسالة النبي ﷺ أو رسالة غيره من الأنبياء، أو في صدقهم، أو في دين الإسلام أو في صلاحيته لهذا الزمان.

❖ الفرق بين إطلاق الكفر وتعيينه من رسالة «القواعد المثلى» للشيخ محمد العثيمين باختصار(١):

إن الحكم بالتكفير ليس إلينا، بل هو إلى الله تعالى ورسوله ﷺ، فهو من الأحكام الشرعية التي مَردها إلى الكتاب والسنة.

فيجب التثبت فيه غاية التثبت، فلا يُكَفَّر إلا مَن دل الكتاب والسنة على كفره.

والأصل في المسلم بقاءُ إسلامه حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي، ولا يجوز التساهل في تكفيره، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إذا كفّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما»، وفي رواية: «إن كان كما قال وإلا رجعت عليه»، وفي صحيح مسلم أيضًا عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «من دعا رجلًا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه»، حَارَ: رجع.

وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المرء بكفر أو فسق أن يُنظر في أمرين:

أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجِب للكفر أو الفسق.

الثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعيَّن أو الفاعل المعيَّن، بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه، وتنتفي الموانع.

ومن أهم الشروط: أن يكون عالـمًا بمخالفته التي أوجبت أن يكون كافرًا أو فاسقًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ [النساء: ١١٥] الآية، ولهذا قال أهل العلم: لا يُكَفَّر جاحد الفرائض إذا كان حديث عهد بإسلام حتى يُبيَّن له.

---

(١) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، طبعة الجامعة الإسلامية، ص٨٧ ـ ٩٢.

ومن الموانع: أن يقع ما يوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه، مثل: أن يُكْرَه على ذلك فيفعله بسبب الإكراه لا اطمئنانًا بالكفر، فلا يُكَفَّر حينئذ؛ لقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] الآية.

لذا، فيجب التفريق بين الإطلاق والتعيين.

ومَن تَبَيَّن له الحق فأصر على مخالفته تبعًا لاعتقادٍ كان يعتقده، أو متبوع كان يعظمه، أو دنيًا كان يُؤْثِرُها، فإنه يستحق ما تقتضيه تلك المخالفة من كفر أو فسوق.

❖ الأحكام التي تترتب على الردة بعد ثبوتها:

الردة أغلظ من الكفر الأصلي، ويترتب عليها:

١ ـ استتابة المرتد ثلاثة أيام.

٢ ـ يُمنع أن يتصرف في ماله مدة استتابته، فإن تاب فهو له، وإلا صار فيئًا لبيت المال.

٣ ـ إن أبى ولم يتب وجب قتله؛ لقوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» رواه البخاري وأبو داود(١).

٤ ـ ينقطع التوارث بينه وبين أقاربه المسلمين، فلا يرثهم ولا يرثونه، قال رسول الله ﷺ: «لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم»، رواه البخاري ومسلم(٢).

٥ ـ لا يُغَسَّل، ولا يُصلى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٢) وأبو داود (٤٣٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٦٤) ومسلم (١٦١٤).

النصرانية

إن أعظم نِعَم الله علينا قدرًا وأبلغها أثرًا وأجلها شأنًا: أن هدانا للإسلام، فالحمد لله على ذلك حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

اللهم كما هديتنا للإسلام بفضلك ورحمتك فأتم علينا نعمتك، ثبت قلوبنا على دينك، وأحينا على الإسلام، وتوفنا على الإيمان، اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

ومن أسباب معرفة قدر هذه النعمة العظيمة نعمةِ الإسلام معرفة ضدها.

والأمر كما روي عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إنما يهدم الإسلام عروة عروة من نشأ في الإسلام ولا يعرف الجاهلية[(١)].

وملل الكفر كثيرة؛ بل كل ملة وكل دين سوى الإسلام فهو كفر، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٥/ ٥٤.
تنبيه: نَقَل العلامة ابن القيم في كتابه: مفتاح دار السعادة، عطاءات العلم، ٢/ ٨٣٦، هذا الأثر عن عمر، ولفظه: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»، فعلَّق عليه المحقق الفاضل عبدُ الرحمن بن حسن بن قائد بقوله: أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ١٩٣)، وابن سعد في الطبقات (٦/ ١٢٩)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٤٣)، وصححه الحاكم (٤/ ٤٢٨) ولم يتعقبه الذهبي، عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «قد علمتُ وربِّ الكعبة متى تهلك العرب، إذا ساس أمرهم من لم يصحب الرسول ولم يعالج أمر الجاهلية». وتفسيره في الجعديات (٢/ ١٨٠)، وشعب الإيمان (١٣/ ٢٠٥). **ولم أرَ من سبق ابن تيمية إلى إيراد هذا اللفظ الذي ذكره المصنف**. انظر: درء التعارض (٥/ ٢٥٩)، ومجموع الفتاوى (١٠/ ٣٠١)، ومنهاج السنة (٤/ ٥٩٠). ولعله لَفَّقَهُ سهوًا من حديث أبي أمامة وأثر عمر (الذي ذكرت روايته)، حيث ساقهما البيهقي في «الشعب» متتابعين، كما نبه على ذلك بعضهم. انتهى كلام المحقق.

أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» رواه مسلم(١).

ومن هذه الديانات الباطلة دين النصرانية، فإنها قد نُسخت بالإسلام، ثم إن أصحابها قد حرفوها تحريفًا شنيعًا حتى نقلوها من التوحيد الذي بَعث الله به عبده ورسوله عيسى عليه الصلاة والسلام إلى الشرك والوثنية.

وقد اخترتُ الحديث عنها؛ لكثرة احتكاكنا بالمنتسبين إليها، سواء من الوافدين إلى بلادنا، أو من خلال التعامل الاقتصادي أو السياسي، أو عبر وسائل الإعلام، كذلك بسبب جهود بعض المنتسبين إليها في الدعوة لها وبث الدعاية لها.

لقد أرسل الله الرسل عليهم السلام إلى البشر، يخرجونهم من الظلمات إلى النور، ويهدونهم بإذن الله إلى صراط مستقيم.

ومن هؤلاء الرسل الكرام: عيسى بن مريم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم، فهو أحد أولي العزم من الرسل، أرسله الله إلى بني إسرائيل بالتوحيد كما أرسل غيره من الرسل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ولكنَّ أغلب قوم عيسى وهم بنو إسرائيل كذبوه وآذوه وافتروا عليه، شأنه شأن غيره من الأنبياء، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صُلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتُلي

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣).

على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»[(١)]، وآمن به عليه السلام طائفة منهم.

وقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن يَخلق عيسى من أم بلا أب؛ آيةً للناس.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسير قول الله عز وجل: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١]: «تدل على قدرة الله تعالى، وعلى أن الأسباب جميعها لا تستقل بالتأثير، وإنما تأثيرها بتقدير الله، فَيُرِي عباده خرق العوائد في بعض الأسباب العادية؛ لئلا يقفوا مع الأسباب، ويقطعوا النظر عن مقدرها ومسببها»، انتهى كلامه رحمه الله[(٢)].

وكان بنو إسرائيل من أحوج الناس إلى تقرير هذا المعنى، حيث غرقوا في الماديات وفي ربط الأسباب بالمسبَّبات.

لكن أكثرهم كذّب هذه الآية، وبقوا على يهوديتهم، وافتروا على عيسى وعلى أمه عليهما السلام فرية عظيمة، قال الله عز وجل: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦].

ثم إن اليهود ـ وهم أعداء الرُّسُل ـ لم يكتفوا بتكذيبه والافتراء على أمه الصديقة البتول، بل سعوا في قتله، فحرضوا مَلِكَهم على ذلك، فلما عزموا على قتله ألقى الله شَبَهَ عيسى عليه السلام على أحد الناس، فأخذوه وقتلوه ثم صلبوه، وهم يظنون أنهم قتلوا عيسى، أما عيسى عليه السلام فقد نجاه الله من كيدهم، فرفعه إلى السماء، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

هذا، ولقد قابل كفرَ اليهود بعيسى عليه السلام وتكذيبَهم إياه وفريتَهم على أمه طائفةٌ ممن انتسب إلى عيسى عليه السلام فغلوا فيه حتى أَلَّهُوه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨) وابن ماجه (٤٠٢٣)، قال الألباني في صحيح الجامع (٩٩٢): صحيح.

(٢) تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، ص٤٩١.

فَمِن غُلُوِّهم: أن اليهود لما نسبوا أمه إلى البِغاء ـ قبحهم الله ـ، قائلين مَن أبوه؟ ردوا عليهم قائلين: أبوه هو الله! سبحان الله وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا.

ولما كان اليهود يعتقدون أنهم صلبوا عيسى عليه السلام، والنصارى يعتقدون ذلك مثلهم، فقد قال اليهود لهم: لو كان ابن الله ما أمكننا من قتله.

فرد عليهم النصارى بأسطورة الفداء، قالوا: إن كل مولود يخرج من بطن أمه وهو مذنب بالخطيئة التي وَرِثها من أبيه آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة، ويموت وهذه الخطيئة ملازمة له، ثم إن الله رحم البشر، فأراد أن يخلصهم من هذه الخطيئة، فأرسل وَحِيْدَه ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا ـ فتحمّل ذنوب البشر كلهم، وقدّم نفسه للصلب؛ راضيًا مختارًا، فصُلب، ثم دُفن، وبعد ثلاثة أيام تغلّب على الموت، فقام، ثم ارتفع إلى السماء.

فمن أراد أن يخلّصه من ذنوبه فليؤمن به حتى يغفر له خطيئته، ولهذا يسمونه: يسوع، يعني: عيسى الـمُخَلِّص.

هذا، ولقد اختلفت أقوال النصارى في عيسى عليه الصلاة والسلام اختلافًا كثيرًا، وتشعبوا إلى فرق وطوائف، أكثر من سبعين فرقة، يُضَلِّل بعضهم بعضًا، ويُكَفِّر بعضهم بعضًا، وكلهم مشركون كافرون، وبينهم عداوة شديدة، قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].

فقد اختلفوا، فقال بعضهم: إنه هو الله، وقال بعضهم إنه ابن الله، وقال بعضهم: إنه ثالث ثلاثة، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، قال الله عز وجل: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ﴾ [المائدة: ٧٣].

كما اختلفوا هل له طبيعتان ومشيئتان: إلهية وبشرية، أو له طبيعة ومشيئة واحدة وهي الإلهية، ثم الذين قالوا إن له طبيعتين ومشيئتين اختلفوا؛ هل

الأصل فيه البشرية وحلت فيه الإلهية أو العكس، وبعبارتهم: هل اللاهوت حل في الناسوت أو العكس؟

أما الأناجيل فإنها كثيرة، وبينها اختلاف كثير، وقد ذكر المؤرخون أنها لم تُدَوَّن في حياة عيسى عليه السلام، فقد كان عليه السلام مضطهدًا مطاردًا من قِبَل اليهود، فلم يحصل له استقرار، وكان عليه السلام يقرأ على أصحابه ما أوحاه الله إليه.

وبعد رَفْعِه بعشرات السنين بدأ تدوين الإنجيل، فكتبوا ما وصل إليهم، فكتبوا كلام الله عز وجل، وكلام عيسى عليه السلام، وكلام أصحابه الحواريين، وكلام المفسرين.

ولله الحكمة البالغة، فهو يختلف عن القرآن الذي هو كتاب البشرية إلى قيام الساعة، فتكفل الله بحفظه(١).

رسالة عن التمائم

هذه ورقة في حكم تعليق التمائم، كتبها الوالد رحمه الله باللغة العربية، ثم تُرجمت إلى اللغة الأردية.

وقد كان من عادة الوالد رحمه الله قطعُ تلك السيور والخِرَق التي يعلقها بعض الناس على مركباتهم؛ معتقدين تأثيرها! وذلك بعد أن يبين لهم حكم تعليقها.

إليك نَصّ الورقة:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أخي المكرم وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد:

فقد أكرمنا الله بنعمة الإسلام، وأنعم علينا ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) انظر للاستزادة: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، للعلامة ابن القيم.

وإن أول وأهم ما دعانا إليه النبي ﷺ توحيد الله ﷻ، كما أن أخطر وأشد ما حذرنا منه النبي ﷺ الشرك بالله.

وإن من توحيد الله ﷻ التوجهَ إليه وحده في جلب الخير ودفع الضر.

وإن من الشرك بالله التعلقَ بغير الله في جلب الخير ودفع الضر، أو فعل أسباب لم يجعلها الله أسبابًا يُستجلب بها الخير أو يُستدفع بها الشر.

أيها المسلم، لقد حذر النبي ﷺ من تعليق التمائم، ولبس الحلق، وربط الخيوط، بقصد جلب الخير أو دفع الشر كالعين ونحوها.

ففي الحديث الذي يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «من تَعَلَّق تميمة فلا أتم الله له، ومن تَعَلَّق وَدَعَة فلا وَدَعَ الله له»[(١)]، وفي رواية: «من علَّق تميمة فقد أشرك»[(٢)].

التميمة والوَدَعَة: أشياء كان الجاهليون يعلقونها، يرون أنها تدفع عنهم العين والآفات، وهذا جهل وضلالة، فالله وحده هو النافع الضار.

ومن التمائم المحرمة التي نهى النبي ﷺ عن تعليقها: الخِرَق والحروز التي تُعَلَّق في السيارات، فهذا أمر محرم، وهو شرك حَذَّر منه النبي ﷺ.

وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى الأسباب التي يَحفظ اللهُ بها العبدَ في نفسه وماله وأهله، فأهم هذه الأسباب:

ـ توحيد الله ﷻ، والتوكل عليه، قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]؛ أي: كافيه، فيكفيه ما يخاف، وييسر أموره، ويقضي حاجاته.

ـ ومن أسباب حفظ العبد: محافظته على ما أَمر الله به، وتركه ما نهى الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «احفظ الله يحفظك»[(٣)]، ومن أهم ما أمرنا الله به:

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٤٠٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤٢٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

الصلاة؛ أن تؤدى في وقتها جماعة في المسجد، فهي عمود الدين، كما قال النبي ﷺ[(١)].

ومن أسباب الحفظ: قراءة الأذكار الواردة عن النبي ﷺ، فمنها:

١ ـ قراءة آية الكرسي بعد كل صلاة من الصلوات الخمس، وعند النوم.

٢ ـ قراءة المعوذات بعد كل صلاة من الصلوات الخمس، وقراءتها ثلاث مرات إذا أصبحت وإذا أمسيت.

٣ ـ قول: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» ثلاث مرات إذا أصبحت، وثلاث مرات إذا أمسيت.

٤ ـ قول: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم» ثلاث مرات إذا أصبحت، وثلاث مرات إذا أمسيت.

٥ ـ قول: «بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله» إذا خرجت من بيتك.

تصديق الكهان ومَن في حكمهم

إن من شفقة النبي ﷺ بنا نَهْيَه لنا عن إتيان الكهان وتصديقِهم وتحذيرَه ﷺ من ذلك.

فمن ذلك: قوله ﷺ: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يومًا»، رواه مسلم[(٢)].

وقوله ﷺ: «من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»، رواه أبو داود، ورواه البزار بإسناد جيد[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣٠)، وقوله: «فصدقه» ليست في مسلم، وهي عند أحمد (١٦٦٣٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤) بلفظ: «فقد برئ مما أنزل الله على محمد»، وجاء ذكر الكفر =

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سَأل أناسٌ رسولَ الله ﷺ عن الكهان، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ليسوا بشيء»، قالوا: يا رسول الله: فإنهم يحدثون أحيانًا بشيء يكون حقًّا، فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطَفها الجني، فيَقُرُّها في أذن وليه قَرَّ الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كَذبة»، متفق عليه(١).

وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الملائكة تنزل في العَنان ـ وهو السحاب ـ، فتذكر الأمر قُضِي في السماء، فتسترق الشياطين السمع، فتسمعه فتوحيه إلى الكهان، فيَكْذبون معها مائة كَذبة من عند أنفسهم»(٢).

هذا، وإنه لما ضعف يقينُنا بربنا وتوكُّلُنا عليه خَفَّ تمسكنا بديننا، وأصبحنا نقع في بعض ما نهانا عنه رسول الله ﷺ.

ومن ذاك تصديق الكهان ومَن في حكمهم، وهذا سببه ـ كما سلف ـ: ضعف الدين، فإذا ضعف التمسك بالدين أصبح المرء إمَّعَة يُصَرَّف فيتصرف، ويُساق فينساق، وتُلَبّس عليه الحقائق فيصدق، أي أنه يصبح يفكر بأذنيه لا بعقله، كما حكى الله عن فرعون وقومه: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤].

ومن هذا القبيل: ما أُشيع قريبًا من حدوث زلزال، حَدد الناس موعده بالساعة والدقيقة، وعَيَّنوا مكانه، وأصبح كثير منهم ما بين مصدق خائف، وما بين متوقف مُتحيِّر.

وهذه الإشاعة أو ما يشابهها تتردد بين حين وآخر، فمرة تكون على شكل

= عند ابن ماجه (٦٣٩)، وأحمد (٩٥٣٦). وأخرجه البزار في مسنده (١٩٣١) موقوفا على عبد الله بن مسعود.

(١) أخرجه البخاري (٦٢١٣) ومسلم (٢٢٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢١٠).

أن فلانًا منا سيموت في يوم كذا، أو أن بلدة كذا من بلادنا ستنشب فيها حرب، أو أن القيامة ستقوم في اليوم الفلاني، أو على غير هذه الأشكال، إلا أنها هذه المرة كانت أشد انتشارًا بين الناس، وكانوا أكثر تصديقًا لها.

ومن أسباب رواج مثل هذه الإشاعات ـ بالإضافة إلى ضعف الدين ـ: الثقةُ العمياء بما ينشر في الصحف، والغفلة عن أن أكثرهم يسعى لترويج صحيفته وجذب اهتمام القراء بما يُستغرب من الأخبار، مع قطع النظر عن كونها صحيحة أم لا.

ومع كل هذا فإننا نقول: إن هذا الكلام لا ينافي أن يكون اللهُ سبحانه قد يطلعنا على بعض التوقعات المستقبلية المبنية على مقدمات معينة.

فهذه أولًا أنها توقعات قد يغلب على الظن صحتها أحيانًا أو غالبًا، لكنها لا تصل إلى درجة الجزم والقطع والتأكيد.

ثم إنها مبنية على دراسة مقدمات جعلها الله سبحانه بحكمته وبديع صنعه وإتقانه ترتبط بنتائج معينة، فليست من قبيل الرجم بالغيب أو التكهن أو الاستعانة بالشياطين.

فهذه أشبه ما تكون برجل كان صاعدًا على بناء مرتفع فرأى شخصًا مقبلًا، فحسب سرعته والمسافة بينه وبينه، ثم نزل وأخبر مَن كانوا تحت بأنه يُتوقع أن يصل إليهم فلان الساعة الفلانية، الدقيقة الفلانية، فهكذا كثير من التوقعات المستقبلية تُبنى على مقدمات، وترتب على تلك المقدمات نتائج متوقعة.

ومع هذا، فلا يأخذها المسلم على أنها أمور قطعية مجزوم بها.

أما تصديق العرافين والكهنة ومن كان في حكمهم فهذا خلل عظيم في الدين، فَلْيُقَوِّ المسلم ثقته بربه، ويكمّل توكله عليه، ويُفَوِّضْ أموره إليه، وليحذر كل ما يسخط ربه، وليحرص على تتبع جميع ما يرضيه.





القسم الثاني
الدعوة إلى الله وطلب العلم وتربية الأولاد

أصول في الدعوة إلى الله

قبل أن ينطلق الداعية لا بد له من تأصيل أصول واستبانة أمور؛ ليكون سَيره على بصيرة، فمن ذلك:

❖ معرفة حكم الدعوة إلى الله:

○ يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ويقول ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥]، ويقول: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ﴾ [الحج: ٦٧]، ويقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وغيرها من الآيات كثير.

○ ويقول النبي ﷺ: «بلغوا عني ولو آية» رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما[(١)].

○ وروى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنَّ مَثَل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفةً منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تُنبت كلأً، فذلك مَثَل من فَقُه في

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعَلِم وعَلَّم، ومَثَل مَن لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» متفق عليه(١).

إذن فالدعوة إلى الله هي سبيل النبي ﷺ، فيجب أن يوجد في المسلمين مَن يقوم بها، فإذا لم يوجد مَن يكفي أثم كل مَن قدر فلم يفعل.

وهذه المسألة مع بداهتها ووضوحها إلا أنها مهمة وضرورية لأسباب؛ منها:

١ ـ أنه يجب أن تكون كل أعمال المسلم قائمة على الدليل، ولا يكتفي بأن يرى مَن يثق به مِن الصالحين يعملون عملًا ليتخذهم حجة في مشروعية ذلك العمل، فلربما فاتهم شيء من العلم، أو ربما ظَرْفُهم يختلف عن ظَرْفِك، أو أنه يتعين عليك ما لا يتعين على غيرك، أو قد تنشغل بمفضول عن فاضل إذا كانت حُجَّتُك فِعْلَ غيرك.

٢ ـ إن الأمر إذا لم ينبع عن اقتناع بحُكمه وشرعيته وأنه قُربة وعبادة نتقرب بها إلى الله ونتعبده بها فإنه حينئذ يبقى عُرضة للتقلب والتأرجح، فقد لا يفعله المرء، أو قد يفعله بتراخٍ وتثاقل، أو قد يفعله وينشط فيه ثم ينقطع عنه.

❖ مجالات الدعوة:

إن غاية الدعوة إيصال الناس إلى الغاية التي خُلقوا لها، أي: تعبيدهم لله وحده.

فيشمل ذلك:

- دعوة الكافر للدخول في الإسلام.
- ودعوة العاصي إلى ترك المعصية ولزوم طريق الاستقامة.
- وإعانة الطائع على طاعته والتماس ما يثبته ويزيده إيمانًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩) ومسلم (٢٢٨٢).

كما يشمل:

- الجهاد في سبيل الله، وهو ذروة سنام الإسلام.
- والأمر بالمعروف ونشره.
- والنهي عن المنكر وكَبْته أو تقليله.

والمطلوب من كل صورة أعلاها، فإذا لم تتيسر كلها فلا يُزهد في بعضها.

إذن فكل ما يُحقق أحد المطالب السابقة فهو داخل في «الدعوة إلى الله».

❖ معوقات ومثبطات عن الدعوة:

من ذلك:

١ ـ قصور العلم، حيث إنَّ ذا العلم القاصر إنْ أَمر خَشِي ألا يكون ما أَمر به مشروعًا، وإن نهى خَشِي ألا يكون ما نهى عنه مذمومًا، فيظل مترددًا.

٢ ـ تكاسل مَن يُرى أنهم هم القدوة.

٣ ـ استشراء المنكر واليأس مِن تغييره.

٤ ـ طول الأمد وإِلْف المنكر واستحلاء القعود بسبب الغفلة.

٥ ـ عدم وجود جامع ورابط يربط الداعين إلى الله، ويوحد جهودهم، ويستثمر طاقاتهم.

٦ ـ تخويف الشيطانِ المسلمَ على ماله أو بدنه أو ولده، يقول الله ﷻ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، ويقول: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «الولد مبخلة مجبنة»[(١)].

وكل ما سبق ذِكره من الأسباب إنما هو من قَبِيل العوامل المساعدة فقط، أما الأصل في التقصير أو عدمه فهو النفس، فالمرء يُدَانُ ويُحاسب عن

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٦٦٦).

نفسه، ولا ينفعه تَعَذُّره بقعود فلان أو فِعل عَلَّان، يقول الله ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، ويقول: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، فالتَّبِعَة والمسؤولية على الفرد نفسه، يقول الله ﷻ: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ويقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

هذا هو الأساس وهو الأصل وهو الذي نُحاسَب عليه، فلا تُحاسَب على تقصير غيرك.

لكن الخطير هنا هو أننا ندرك هذه الحقيقة (نظريًّا) ونسلم بها ولا نجادل في صحتها، لكن إذا جاء الواقع العملي التطبيقي فهنا لا نَعدم عُذرًا بل أعذارًا في إلصاق التهمة بغيرنا وتبرئة أنفسنا!

وهذا المسلك ـ تبرئة النفس ورمي التهمة على سبب خارجي ـ تنهجه النفس لتحقيق غرضين أو أحدهما:

١ ـ النجاة من لوم الضمير نتيجةَ إدراك الخطأ أو التقصير.

٢ ـ الاستمرار على الوضع استثقالًا للتغيير، فكأن النفس حينئذ تقول لصاحبها: أنا مستعدة للتغيير وعمل ما يلزم، وإذا لم أغيِّر الآن وأصلح فمتى؟ وإذا لم أتحرك أنا فمن يتحرك... ولكن السبب الفلاني هو المانع وهو الحاجز، فأول ما يزول ذلك فلا أسرع مني ولا أسبق في الإصلاح والتغيير.

فحينئذ ـ بهذا التصور ـ يرتاح ويطمئن، ويرى أن اللوم والعتبَ إذا وُجِّه فإنه إلى غيره.

وهنا كما سلف مَكْمَن الخطورة؛ إذ لو كان المرء متدبرًا كتاب ربه كالمواضع السابق ذِكرها، صادقًا مع نفسه، جادًّا في حب إصلاح نفسه، لأدرك الداء، ومن ثَمَّ سهل عليه الدواء.

فالـمُقِر بذنبه، المعترف بتقصيره، الساعي في إصلاحه وتلافيه؛ قريب من توفيق ربه.

أما المتهرب عن حاله، الـمُصِر على موقفه، الـمبرئ نفسه، المتهِم غيره، أو إنِ اعترف على نفسه فإنما هي عبارات يلفظها لسانُه لا يعتقدها قلبُه إنما هي من قبيل المجاملات والعبارات المحفوظة (الله يعفو عنا، كلنا مقصرون...)، فهذا يُخَاف عليه من الخذلان.

مقتـرحات حول موضوع خطبة الجمعة وأسلوب طرحه

من محاسن ديننا: احتفاؤه بالخُطبة؛ سواء كانت خطبة الجمعة أو كانت خطبة العيدين، أو إذا نابت المسلمين نائبةٌ فَنُودِي: الصلاة جامعة، ثم قام فيهم النبي ﷺ أو مَن خَلَفَهُ مِن بعده خطيبًا، إلى غير ذلك من المناسبات الكثيرة التي يكون للخطابة فيها شأن ومكان.

من أجل هذا يجب على المسلمين الاعتناءُ بهذا الجانب، وحُسن الاستفادة من هذه الميزة الحسنة في ديننا، وكل ديننا ولله الحمد محاسن.

وإذا كان المسلم الغيور يسوؤه تَبَوُّؤُ بعض الفَسَقة لبعض منابر الإعلام في بلاد المسلمين فأمامنا ولله الحمد مجالاتٌ لا يمكن أن تتاح لهم، فهل يُتاح لأولئك أن يُجمع الناس لهم كل أسبوع؟ ويُلزموا بالحضور وبالإنصات؟ ويُذم مَن تشاغل عن الإنصات ولو بمثل مَسّ الحصى؟!

وجوانب هذا الاعتناء متعددة؛ منها التدريب والتشجيع، ومنها رعاية مَن يُؤْنَسُ فيهم الموهبة.

وَلْنتطرق هنا لبعض الأمور المقترحة المتعلقة بموضوع الخطبة وأسلوب طرحه:

١ ـ عدم تعميم الخطأ، ووصفِ الناس جميعِهم به، بل يُشَاد بالخير الموجود وبأهله، ثم يُثَنَّى بذكر ما يُراد علاجُه والتنبيهُ عليه.

٢ ـ لا يَقتصر حديث الخطيب أو الواعظ على ذكر الأخطاء وذكر

علاجها، بل يَجمع بين هذا وبين ذكر الخير الموجود، والثناءِ على أهله، والدعوةِ إلى الازدياد منه، والاقتداءِ بأهله، ومنافستِهم فيه.

٣ ـ وقريب مما سبق: عدم الاقتصار على الترغيب، بل يُجمع بينه وبين الترهيب.

وأسلوب البشارة مع النِّذارة هو منهج القرآن والسنة في الدعوة، ودليل ذلك آيات وأحاديث كثيرة أمرت بهذا، كقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥]، وكقول ﷺ: «وبشروا ولا تنفروا»[(١)]، وأيضًا آياتٌ وأحاديثُ كثيرة يتجلى فيها هذا الأسلوب.

٤ ـ قد لا يُحسِن المتحدث عرضَ ما يُريد التحدثَ عنه فيُفهم عنه:

أ ـ أنه يحرم على الناس الاستمتاع بالحلال.

ب ـ أو أنه لا يشاركهم في اهتماماتهم.

ت ـ أو أنه يخالفهم في أصل الموضوع.

فمثال الأول: حث الناس على عدم التوسع في المباحات، قد يُعرَض عرضًا يُفهم منه أنه يُحَرِّم ذلك.

ومثال الثاني: ما لو أراد خطيبٌ أن يقول: كما تهتمون بدراسة أولادكم وتحرصون على نجاحهم فمِثل هذا الاهتمام والحرصِ بل أكثرُ منه اهتموا بهم في دينهم. لكنه أيضًا قد يَعرِض حديثَه بأسلوب اللائم لمن يهتم بالدراسة ويبذل فيها جهدًا، ويُتابع أولاده، ويَسأل عن مستوياتهم، ونحو ذلك، أو لا يوضح، فيُفهم منه ذلك.

ومثال الثالث: ما كان أصله مشروعًا لكن الناس أو بعضهم أخطأ في تطبيقه أو توسع توسعًا غير محمود، مثل: بذل الأسباب وعلاقته بالتوكل،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤١) ومسلم (١٧٣٢).

فقد يَستعرض المتحدثُ من الصور ويَذكر مِن أحوال الناس ما قد يقع في نفوسهم أنه يطلب منهم ترك الأسباب.

٥ ـ وقريب مما سبق: مَن يُحَذِّر من المكروه وكأنه محرم، أو يحث على المستحب وكأنه واجب، فهنا ينبغي أن يُبيّن أن هذا مكروه أو مستحب، وأنّ مِن يُسْر ديننا وحُسنه أنه لم يحرمه أو لم يوجبه، ثم يُحَث على الالتزام بذلك الحكم ويُرَغَّب فيه بمثل بيان أجره، وأننا كما نحرص على الكمال في أمور دنيانا في لباس أو مركب أو مسكن أو مأكل أو غيرها فلنحرص على الكمال في أمور ديننا.

٦ ـ ليحرص على ذكر حِكمة الحُكم إذا كانت ظاهرة بأن نُصَّ عليها، كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وكقوله ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج»[(١)]، أو كانت الحِكمة محسوسة مُدرَكة.

ومن فوائد ذكر الحِكمة: زيادة اليقين، كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ومع هذا الحرص فليحذر من التكلف في اِلْتِمَاس الحكمة.

وبعد هذا وقبله فَلْيُربط الناسُ بالتعبد لله في كل حُكم مما ظهرت حكمته أو خفيت.

٧ ـ الاعتدال في إصدار الأحكام، وعدم المبالغة في التحسين أو التقبيح، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال عن أهل الكتاب: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾ [آل عمران: ١١٣] الآيات، وقال: ﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٥) ومسلم (١٤٠٠).

مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًاۗ ﴾ [آل عمران: ٧٥].

٨ ـ البُعد عن الاستطراد الذي يُشتت ذهن المستمع، وكذلك الإطالة التي تُمِلُّ المستمع، ويُنْسِي فيها آخرُ الكلام أوَّلَه.

ولعل من ذلك: الحديث عن موضوع في الخطبة الأولى، ثم الحديث عن موضوع آخر بعده في الخطبة الثانية لا تدعو الحاجة إلى الجمع بينهما في وقت واحد.

٩ ـ طَرْق الموضوع في وقته، فهذا أدعى للاستفادة منه والاستجابة له، حيث إن النفس تتفاعل مع ذلك الحَدَث وتُعَايشه أو أنها تَتَهَيَّأ وتستعد له.

ففي تأخير البيان عن وقت الحاجة يَفُوت خير كثير، كما أن التعجل بطرح حديث قبل وقته قد يُضيع المقصود منه.

مثال ذلك: مَن يعاتب الذين لا ينشطون في صلاة الجماعة إلا في رمضان فإذا انتهى هجروا المساجد أو قصّروا في ارتيادها، فمعاتبة هؤلاء في أول الشهر قد تدعو قائلهم إلى أن يقول: ما دمنا مقصرين وعَمَلُنا هذا لا ينفعنا إذن فَلْنترك الصلاة في المساجد من الآن!

بخلاف ما لو كان يتعاهدهم أثناء الشهر بالحث والتشجيع وبيان فضل الطاعة ويُسْرِها على العبد، فإذا ما أوشك الشهر على الختام حَذَّر وخَوَّف مِن الانقطاع عن الطاعة والعودة إلى حال التقصير.

ومثال آخر: ذِكر ما يمكن أن يعمله المرء بعد رحيل رمضان قبل رحيله، كأنْ يحث على الاستمرار في القيام والتلاوة والصيام ونحو ذلك، فهذا قد يُهَوّن مِن وقع فراقه ورحيله، فكأن القائل حينئذ يقول: ولو انتهى الشهر فإنْ فاتني شيء من الطاعات الآن فيمكن أن أستدرك بعده، فقد يُلْقِي ذلك في نفسه شيئًا من الكسل.

ومثال آخر: ذِكر ما يقوم مقام الحج لمن لم يحج قبل فوات وقت الحج، فهذا قد يكسل بعض النفوس.

١٠ ـ تفصيل ما يحتاج تفصيلًا، وضَرْب أمثلة لما يحتاج أمثلة.

مثال ذلك: حينما يُحذَّر من المكاسب المحرمة والمشتبهة فَلْتُذكر صورٌ لها: كالتعامل بالربا، وتأجير المنزل على من يَعرف عنه أنه لا يشهد الصلاة في الجماعة، وكتأجير محل على مَن يُتاجر فيه بمحرم كالدخان أو أشرطة الغناء أو من يتخذه مقرًّا لمعاملات الربا.

ومثال آخر: حينما يُحَث على غض البصر فَلْتُذكر بعض صور الفتنة هنا كالأسواق، والمستشفيات، والمطارات.

١١ ـ بعض المتحدثين يقول كلامًا حسنًا لطيفًا يستحسنه من يسمعه؛ لكنَّ المستمع إذا خرج لا يكاد يرى أنه أمسك شيئًا يمكنه تطبيقه.

أو ترى بعض الخطباء يَعِظ ويُذَكّر حتى ترق القلوب، ثم يقف هو عند هذا الحد، ولا يستثمر هذه الرقة بحثهم على فعل أمر أو تركه.

ولذا فينبغي على المتحدث أن يجعل له هدفًا يسعى إلى تحقيقه في حديثه ذلك، ثم يَختار من الأساليب التي توصله إلى هدفه ذلك أَحْكَمَها.

١٢ ـ أهل العلم والدعوة أولى الناس بالحرص على لغة القرآن، والغيرة عليها، والالتزام بها، كما أن لسلامة اللغة أثرَه في إقناع الناس وحُسن تَقَبُّلهم.

١٣ ـ لا يضر الخطيبَ أو المحاضرَ ونحوَهما أن يستمد من غيره مقترحاتٍ حول ما يتحدث عنه، بل ومن مادته أحيانًا.

١٤ ـ تساؤلات:

- متى يَحسن رفع الصوت في الخطبة ومتى يَحسن خفضه؟
- كيف يطرق ما اختُلِف في حكمه؟

فضل الدعوة إلى الله

كتب الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالةً لمن يحمل هَمَّ الدعوة إلى الله تعالى، وذلك في الخامس عشر من شهر الله المحرَّم، عام ١٤٤١هـ، أي: قبل وفاته بشهرين.

ثم أعاد النظر فيها ثانيةً، فأصلح فيها ما شاء، وجعل عنوانها: «فضل الدعوة إلى الله»(١). ثم طلب أن تُعْرَض على بعض الفضلاء ليأخذ رأيهم فيما كتب.

تلك الرسالة هي آخر الرسائل التي اعتنى الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتحريرها.

وكأنها وصيته للدعاة إلى الله تعالى!

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فههنا مسائل:

المسألة الأولى: أن المؤمن عبد لربه، ليس مسؤولًا عن النتائج، عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ـ إذا وجد ما يقتضيه ـ بالطرق الشرعية، والنتائج لم يكلف بها.

المسألة الثانية: يتعاون مع إخوانه الصالحين، ويتواصون بالحق، ويتواصون بالصبر، ومَن نَابَهُ شيء من الفتور والتقصير فإنه يُعان على نفسه.

المسألة الثالثة: قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧]، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وهذا في جميع التكاليف

---

(١) وقد وجدتُ العنوان في المسوَّدة هكذا: «فضل الدعوة إلى الله، خواطر حِيَال الوضع الحالي». وإنما ذكرتُ هذا؛ لأن العنوان الـمُثبَت لا يدل على فحوى الرسالة بشكل مطابق!

الشرعية، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسماحةُ الشريعة ويسرها يَعُمُّ جميع واجباتها، ومنها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المسألة الرابعة: لا يُحْبَط مِن موقف إخوانه إذا لم يستجيبوا له بالصورة التي يُؤَمِّلُهَا؛ مستحضرًا وموقنًا أن الأمر لله، فإن تنشطوا لما تدعوهم إليه فهذا من الله وله الحمد، وإن لم يستجيبوا ـ بصورة أو بأخرى ـ وأخذوا يُكثرون من لوم الواقع، ويكررون عبارات:

تكاثرت الضباء على خراشٍ فما يدري خراشٌ ما يصيدُ

و«اتسع الخَرْق على الراقع»، ونحو هذه العبارات، أو جامَلوك في طرحك مجردَ مجاملة، لكنْ تحولت مجالسهم إلى مجالس تَشَاكٍ وتَبَاكٍ ولومٍ للواقع وتنديد به، دون مساعٍ جادّة، أو نحو ذلك من الصور، فلا يحبطْك ذلك، أو يُفْضِ بك إلى العتبِ على إخوانك وهجرهم، ولا يصرفْك عن السير على منهج أهل السنة والجماعة؛ متذكرًا ما قاله السلف: «الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك»[(١)].

واحذر أن تُفْرِطَ في إحسان الظن بنفسك، وتَزْكِيَة كل آرائك ونظراتك واجتهاداتك، فإن هذا مزلق خطير يؤول بالعبد إلى مآلات منكرَة، وقد ينتهي به إلى منابذة إخوانه، والموالاة على نظراته، والمعاداة عليها، وعمومًا فليحذر مما حذر الله منه أهل الاستقامة ـ على وجه الخصوص ـ، قال الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ﴾ [هود: ١١٢].

المسألة الخامسة: إذا استصحب العبد ما تقدم، وأدرك «فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» انزاح عن نفسه هَمٌّ ثقيل، وتَخَفَّفَ من أحمال ثقيلة كان يظن أنه مكلف بها وأنه سيسأل عنها، ورجا أن يكون له نصيب من قول الله: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فهو يرجو أنه قد

---

(١) ينظر: المدخل إلى علم السنن للبيهقي (١/ ٤١٩).

اهتدى، لَـمَّا امتثل أمر الله في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فقام ـ حسب وُسعه ـ بمَا كُلِّفَ به (وهو نفسه هو)، أما نفوس من يُنكِر عليهم وقلوبُهم فلم يكلف بها ولله الحمد.

وصار يستحضر نعمة الله عليه حيث وَفَّقه لهذه الطاعة وهذا الباب الذي فات كثيرًا من الناس، ويسأل الله المزيد من فضله وتوفيقه، وكان له نصيب من الحياة الطيبة؛ حياة السعادة والأُنس وانشراح الصدر الموعود بها في مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، ومن ثَمَّ كان هذا سببًا في ثباته على هذا الطريق، وفي كونه لا ينتقل عن حال إلا إلى ما هو أفضل منها، فهو في زيادة خير إلى أن يأتيه اليقين.

مما يعينه ويثبته: الذين يَثْبُتون: المتعبدون لله حقًّا، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [إبراهيم: ٢٧] الآية، ومن أسباب الثبات:

١ ـ الاجتهاد في الطاعات؛ اعتناءً بالفرائض، واستكثارًا من النوافل.

٢ ـ طلب العلم، وتحري سنة رسول الله ﷺ في جميع شؤونه.

٣ ـ إعطاء كل ذي حق حقه.

٤ ـ المشاورة.

كل حال لها عبوديتها.. فمن الفقه استحضارُ أن من لم يَتَأَتَّ له أكمل حال ـ في الإصلاح ـ انتقل إلى ما دونها، وهكذا، ولا يتحاقر ما أُتيح له من فرص أو أسباب ولو كانت توصف بأنها ضعيفة التأثير، فهذه إذا لم يمكن إلا هي فَتَرْكُها نقصٌ في العلم وقصورٌ في الحكمة، أو أن المسألة فيها ـ كما يقال ـ: هوى خفي.

ومن الفقه: الانتقال ـ أحيانًا ـ إلى باب آخر من أبواب الإصلاح، كالدعوة والوعظ وتأليف الكتب والرسائل ونشرها، ونحو ذلك، وهذا إذا لم

تَتَأَتَّ الحال الكاملة للاحتساب، وهي «الأمر» بالمعروف، و«النهي» عن المنكر، ويحذر من «الهوى»، ويراعي في ذلك «فقه الموازنات».

من المهم إدراك الأبواب الجوامع للإصلاح، ومنها: إقامة الصلاة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ومنها: نشر العلم الشرعي، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قصة قوم نوح لما صوروا صور الصالحين: «فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، ونُسِيَ العلم ـ أو قال نُسخ العلم ـ: عُبدت»[1].

ونَشْر العلم يكون: بترغيب الناس في طلبه، وبيان مسيس حاجتهم إليه، وحث العلماء على تعليم الناس، وإقامة الحلق والدروس والدورات، وتعاهد مَن في «الأطراف»، يُستضافون لهذه الدورات، ويُؤَمَّنُ لهم السكن وما يحتاجونه، ويُتعاهدون أثناء العام.

ومن أبواب الإصلاح: الاعتناء بالتعليم النظامي، بالتواصل مع مسؤوليه، وإمدادهم بالمقترحات والمشاريع النافعة، والاحتساب على ما يحتاج احتسابًا، وإعداد مسابقات تُؤَمَّن جوائزها، فلها أثر في الإصلاح.

ومن وسائل الإصلاح، وهي كثيرة جدًّا ولله الحمد:

١ ـ عيادة المرضى، ورقيتهم، وتعليمهم ما يحتاجون من أحكام.

٢ ـ الاعتناء بالمساجين، بمساعدة من يحتاج مساعدة، بالشفاعة، ورعاية من خَلَّف وراءه من عوائل محتاجة، وبالتعاون مع الجمعيات المتخصصة في هذا الشأن، ونحو ذلك.

٣ ـ إنشاء جمعيات خيرية، وأخذ تراخيص لها.

٤ ـ الاعتناء بالأوقاف، بِحَثِّ الناس على أن يوقفوا، وبتوجيه مصارف الأوقاف التوجيه الأمثل.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٠).

ويُنبه الناس على أن الأوقاف ليست حصرًا على الأثرياء؛ بل كل شخص يمكن أن يكون له سهم في الأوقاف، بحسب ما تيسر له.

٥ ـ التواصل مع مراكز الهيئة ومسؤوليها، ورفع هممهم ومعنوياتهم، وتذكيرهم أن ما هم مكلفون به: ما هو متاح لهم، فليستثمروه بأتم ما يمكن، ولا يثبطْهم أنهم منعوا من كذا ومن كذا؛ بل يستحضرون المجالات الكثيرة التي ما زالوا مُمَكَّنين منها ولله الحمد، وليحذروا من شرور أنفسهم وشر الشيطان وشِرْكه وحِيَله.

٦ ـ التواصل مع مكاتب الدعوة ومسؤوليها، وتذكيرهم ورفع هممهم، وحثهم على أن يزداد عطاؤهم، وأن تواكب مساعيهم وبرامجهم المستجدات التي يمر بها المجتمع، وإمداد الدعاة ومسؤوليها والخطباء بالموضوعات التي قد تحتاجها المجتمعات أكثر من غيرها، وتزويدهم بما يتيسر من الدراسات والإحصاءات والبرامج العملية، وكلما كانت المقترحات المقدمة لهم مدونة كان ذلك أبلغ في الاحتفاء بها والاستفادة منها.

ونحو ما تقدم، فإن هذا الباب ـ باب وسائل الإصلاح ـ واسع، ولله الحمد.

وليحذر المسلم مما يسمى: «الهوى الخفي»، وليتعوَّذ بالله من شر نفسه وشر الشيطان وشِركه، ولا تستهوِه هذه الأعمال ونحوها فتصرفه عن أعمال الاحتساب ـ المتاحة له ـ في الحال التي تكون هذه الأعمال الدعوية مفضولة، ذلك أن هذه الأعمال الدعوية ـ غالبًا ـ أقرب إلى هوى النفس.

وكل ما ذكر ـ من المقترحات الدعوية ـ ونحوه هو في الحال التي لا يتيسر فيها شيء من صور الاحتساب (بمعناه المطموح إليه).

ونسأل الله العافية، ونعوذ به من استباق البلاء، ونعوذ به من كفر النعمة؛ إذ إن الواقع ـ ولله الحمد ـ لا زالت فيه مساحة طيبة لممارسة كثير من المساعي الاحتسابية، كما هو حاصل، وكما هو مشاهد ـ ولله الحمد ـ من عدد من الجادِّين في أكثر من بلد، وليس بالضرورة أن تكون الأعمال

الاحتسابية بنفس الصورة التي كانت من قبل، ولكن من الحكمة صياغتها بما يناسب المستجدات، وليتواصوا مع إخوانهم باليقظة من شرور أنفسهم ومن شر الشيطان، حيث ينشغل كثير منهم بالتحسر على الماضي والنوح عليه، ويستهلك هذا وقته وعواطفه ومشاعره، بل ومجالسه، وينشغل بهذا عن العمل الجاد المثمر مما هو متاح له والذي هو مكلف به.

هذا، والله أعلم، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

طلب العلم

❖ فضل طلب العلم:

إن شأن العلم ومكانته وفضل طلبه ومنزلة أهله من الأمور المشتهرة المتقررة.

وقد ورد في شرف العلم والعلماء وفضل طلب العلم آيات وأحاديث؛ منها:

○ أن الله ﷻ قرن شهادة العلماء بشهادته جل جلاله، فقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨].

○ حُصرت خشية الله في العلماء، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

○ العلم سبب للرفعة، قال الله ﷻ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

○ أُمر النبي ﷺ أن يسأل ربه الزيادة من العلم، ولم يؤمر بالزيادة من مال أو طعام أو مركب أو مسكن أو نحوها، قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

○ نفى الله استواء الذين يعلمون بالذين لا يعلمون، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

○ قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» متفق عليه[١].

○ قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم[٢].

○ روي مرفوعًا: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» رواه الترمذي[٣].

○ أن طلب العلم طريق موصل إلى الجنة.

○ أن العالم يستغفر له مَن في السماوات والأرض.

○ العلماء أفضل من العُبَّاد.

○ بالعلم تُنال وراثة الأنبياء، وفي هذا يقول النبي ﷺ: «من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رِضًا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له مَن في السماوات ومَن في الأرض حتى الحيتانُ في الماء، وفَضْل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُوَرِّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما وَرَّثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بِحَظٍّ وافر» رواه أبو داود والترمذي[٤].

فانظر كيف رُتب الثواب ـ وهو تسهيل الطريق إلى الجنة ـ على مُجرد سلوك طريق العلم، حتى لو لم يُحصِّل بُغْيَته، وفي هذا ترغيب عظيم.

○ وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله وملائكته وأهل السماوات

---

(١) أخرجه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧).
(٢) أخرجه مسلم (١٦٣١).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٤٧).
(٤) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣).

والأرضين حتى النملةَ في جحرها وحتى الحوتَ ليصلون على معلم الناس الخير» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[١].

○ ومن فضائل طلب العلم: أن الاشتغال به أفضل من الاشتغال بنوافل العبادات، ويُروى أن رجلاً كان يكتب العلم عند الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، فوضع قلمه وقام يصلي، ثم عاد، فقال له الإمام مالك: ما الذي قمتَ إليه بأفضل مما كنتَ فيه[٢].

○ ومن شأن العلم: أنه من أهم الأسباب التي تَحفظ المجتمعات والأفراد من الانحرافات في العقيدة والانحرافات الأخلاقية. ومن أدلة ذلك: ما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قصة قوم نوح لما صوروا الصور، قال: «فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسِي العلم ـ أو قال: نُسِخ العلم ـ عُبِدت»[٣].

❖ العلم الذي ورد مدح صاحبه في الآيات والأحاديث:

العلم الذي ورد مدح صاحبه في الآيات والأحاديث هو العلم الشرعي؛ علمُ الكتاب والسنة وما استُمد منهما، وما سوى العلم الشرعي من العلوم فإنما يُمدح أو يُذم بحسب مقصد صاحبه لا لذاته.

روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «العلم ثلاثة، وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة، أو سُنَّة قائمة، أو فريضة عادلة»[٤].

فضل: يعني زيادة.

فلا تأخذنا الانهزامية فنتوسع توسعًا لم يَرِدْ به الشرع، ونَحمل آيات الله وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على غير المراد منها، ونسوّي بين علم الكتاب والسنة وبين ما سواهما من علوم الدنيا.

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥).
(٢) انظر: مدارج السالكين، دار عطاءات العلم، ٣/ ٢٨٢.
(٣) أخرجه البخاري (٤٩٢٠) بلفظ: «حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبِدت».
(٤) أخرجه أبو داود (٢٨٨٥) وابن ماجه (٥٤) مرفوعا.

❖ ما العلم النافع؟

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: العلم النافع: هو ما باشر القلب، فأوقر فيه معرفة الله وعظمته وخشيته وإجلاله وتعظيمه ومحبته، ومتى سَكَنَتْ هذه الأشياء في القلب خشع فخشعت الجوارح تبعًا له، ومن هنا قَسّم من قَسّم مَن العلماءِ العلمَ إلى باطن وظاهر.

فالباطن: ما باشر القلوب، فأثمر لها الخشية والخشوع والتعظيم والإجلال والمحبة والأُنس والشوق.

والظاهر: ما كان على اللسان، فبه تقوم حجة الله على ابن آدم.

وكان كثير من السلف كسفيان الثوري وغيره يُقسّمون العلماء ثلاثة أقسام:

١ ـ عالم بالله، وعالم بأمر الله:

ويشيرون بذلك إلى مَن جمع بين هذين العِلمين المشار إليهما: الظاهر والباطن، وهؤلاء أشرف العلماء، وهم الممدوحون في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩].

وقال كثير من السلف: ليس العلم كثرة الرواية، ولكن العلم الخشية.

وقال بعضهم: كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلًا.

٢ ـ عالم بالله، ليس عالـمًا بأمر الله:

وهم أصحاب العلم الباطن الذي يخشون الله، وليس لهم اتساع في العلم الظاهر.

٣ ـ عالم بأمر الله، ليس بعالم بالله:

وهم أصحاب العلم الظاهر الذين لا نفاذ لهم في العلم الباطن، وليس لهم خشية ولا خشوع، وهؤلاء مذمومون عند السلف.

وكان بعضهم يقول: هذا هو العالم الفاجر.

وهؤلاء الذين وقفوا مع ظاهر العلم ولم يصل العلم النافع إلى قلوبهم ولا شموا له رائحة، غلبت عليهم الغفلة، والقسوة، والإعراض عن الآخرة، والتنافس في الدنيا، ومحبة العلو فيها، والتقدم بين أهلها.

وقد مُنِعوا إحسانَ الظن بمن وصل العلم النافع إلى قلبهم، فلا يحبونهم ولا يجالسونهم، وربما ذموهم وقالوا: ليسوا بعلماء، وهذا من خداع الشيطان وغروره؛ ليحرمهم الوصول إلى العلم النافع الذي مدحه الله ورسوله وسلف الأمة وأئمتها.

ولهذا كان علماء الدنيا يُبغضون علماء الآخرة، ويَسعون في أذاهم جهدهم، وذلك لأن علماءَ الآخرة خلفاءُ الرُّسُل، وعلماء السوء فيهم شَبَهٌ من اليهود، وهم أعداء الرُّسُل وقَتَلَة الأنبياء ومَن يأمر بالقسط مِن الناس، وهم أشد الناس عداوة وحسدًا للمؤمنين، ولشدة محبتهم للدنيا لا يُعظِّمون علمًا ولا دينًا، وإنما يعظمون المال والجاه والتقدم عند الملوك. انتهى كلامه رحمه الله من شرح حديث أبي الدرداء: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا»[(١)].

❖ حكم طلب العلم:

طلب العلم منه ما هو فرض عين، وهو: ما لا يصح دين المرء إلا به، ومنه ما هو فرض كفاية، مثل ما يحتاجه المسلمون في عمومهم، كعلم الفرائض والإفتاء والقضاء، ومنه ما هو مستحب، وهو ما زاد عن الواجب.

أما العلوم الأخرى غير العلوم الشرعية فمنها ما تعلمه فرض كفاية، وهو: ما لا يستغني عنه المسلمون في قوام أمور دنياهم، كالطب والهندسة والصيدلة ونحوها، ومنها ما هو مستحب، وما هو مباح، وما هو مكروه، وما هو محرم.

---

(١) انظر: ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء، دار الفاروق الحديثة، ص١٦ ـ ١٩.

❖ **حاجة المسلمين إلى العلم والعلماء:**

لما ضعف المسلمون صارت تنقصهم أشياء كثيرة، ومَسَّت حاجتهم إلى أمور عديدة، فهم بحاجة إلى المال الذي يُصلحون به شأنهم، وإلى السلاح الذي يحمون به أنفسهم وينصرون به الحق، وإلى الإعلام الذي ينشرون به دين الله ويتعرفون به أخبار إخوانهم المسلمين في بقاع الأرض ويردون به الإشاعات التي يطلقها أعداؤهم، وإلى الوعي الاقتصادي الذي يعرفون به كيف يستثمرون ما آتاهم الله من خيرات ويستغنون عن أعدائهم، إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة التي هم بحاجة إليها.

لكن.. لا شيء يُقدَّم على حاجة المسلمين إلى العلم بدين الله وإلى العلماء الذين يهدونهم صراط الله المستقيم.

والمتتبع للدعوات الإسلامية على مَرِّ العصور يرى أنها قامت على أيدي العلماء الربانيين، فالعلماء هم الذين يُنقذ الله بهم المسلمين من الضلال، ويرفع بهم من الضعف.

كما أن مما يبين حاجة المسلم إلى العلم: أن المرء إذا أراد أن يلتزم بدين الله اعترضه شبهات وشهوات.

فالشبهات تعارض وتضاد خبر الله.

والشهوات تعارض وتضاد أمر الله.

وكلاهما متولدان من الجهل، ودواء الجهل العلم.

فبالعلم تدحض الشبهات وتكبح الشهوات.

وكلما ابتعد المسلمون عن العلم تعرضوا للشبهات والضلالات، وانغمسوا في الشهوات والملذات.

ولما كان العلم متوفرًا في القرون الأولى كانوا أبعد الناس عن الفتن

والبدع وعن الأهواء، قال رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» متفق عليه(١).

ولذا فقد حرص أعداء الإسلام على أن نبتعد وننصرف عن العلم الشرعي.

❖ **مصدر العلم الشرعي:**

العلم الشرعي المعتبر هو: العلم المستمد من الكتاب والسنة ومما أثر عن السلف:

١ ـ القرآن: قال الله ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

٢ ـ السنة: في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض»(٢)، قال في صحيح الجامع: صحيح رواه الحاكم(٣).

٣ ـ ما أُثر عن السلف: وذلك لتمسكهم وتقيدهم بالكتاب والسنة، وفي الحديث عنه ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ» رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح(٤)، وقال رسول الله ﷺ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» متفق عليه(٥).

ومما تميز به الصحابة رضي الله عنهم:

○ مصاحبة النبي ﷺ ومعاصرة الوحي.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٢٢ ط. المنهاج القويم).

(٣) صحيح الجامع الصغير للألباني (٢٩٣٧).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢).

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٥١) ومسلم (٢٥٣٥).

○ صفاء أذهانهم وسلامتها من المحدثات والبدع.

○ الفهم اللغوي الذي فهموا به القرآن، حيث نزل بلسان عربي مبين.

❖ آداب طالب العلم:

١ ـ أول ما يجب على طالب العلم: الإخلاص لله فيه؛ بأن يقصد بتعلمه وجهَ الله؛ لأن طلب العلم عبادة، والعبادة إذا لم تُبْنَ على الإخلاص والمتابعة للنبي ﷺ لم تقبل، بل كانت وبالًا على صاحبها، ففي الحديث عن النبي ﷺ أن من أول ثلاثة تسعر بهم النار يوم القيامة: «رجل تعلم العلم ليُقال هو عالم»[١]، وقال ﷺ: «من تعلم علمًا مما يُبتغى به وجهُ الله لا يَتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة» رواه أبو داود بإسناد صحيح[٢]. «عَرْف الجنة»: ريحها.

٢ ـ ومما يجب على طالب العلم: أن يعمل بعلمه، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع»، ومنها: «عن علمه ماذا عمل فيه»[٣]. وقد كان الصحابة ﷺ لا يتجاوز أحدهم عشر آيات حتى يعلم معناها ويعمل بها، فتعلموا العلم والعمل[٤].

والله ﷻ يقول: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣].

ومن الفوائد التي يستفيدها مَن عمل بعلمه:

○ رسوخ علمه وعدم نسيانه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٦٤) وابن ماجه (٢٥٢).

(٣) أخرجه الدارمي في مسنده (٥٥٦).

(٤) أخرجه أحمد (٢٣٤٨٢).

○ أن يرزقه الله عِلم ما لم يعلم، أي: يزيده من العلم النافع؛ لأنه قام بشكر نعمة العلم.

وبيان ذلك: أنه لما كان نَيْل العلم من أعظم النِّعَم، فإن حق النعم أن تُشكر، والشاكر موعود بالزيادة، والكافر متوعد بعذاب شديد، ومِن أَحْسَن ما تُشكر به نعمة العلم العملُ به وتعليمُه الناس.

لذا؛ فإنه يُطلب من طالب العلم أن يَظْهَر عليه أثر علمه: في ورعه ووقاره وتواضعه وحُسن خُلقه ومسارعته إلى الخيرات.

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ الله في كتاب الأدب من صحيحه: باب الهدي الصالح[(١)]، وذَكر فيه حديث حذيفة رَضِيَ الله عَنْهُ: «إن أشبه الناس دَلًّا وسمتًا وهديًا برسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَابْنُ أمِّ عبد»[(٢)]، وذكر ابن حجر رَحِمَهُ الله في شرح هذا الباب حديثَ: «الهديُ الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» وأحمد وأبو داود، وسنده حسن[(٣)].

كما ذكر ابن حجر حديثًا أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» عن ابن مسعود رَضِيَ الله عَنْهُ قال: «اعلموا أن حُسن الهدي في آخر الزمان خير من بعض العمل»، قال: وسنده صحيح[(٤)].

قال شيخنا العلامة الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «خير من بعض العمل» يعني: من حيث تأثيره على الناس في مظهره وتعامله، وجِمَاع ذلك: خُلقه، فيكون داعية بأفعاله.

---

(١) صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ٨/ ٢٥.
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٧).
(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر، دار المعرفة، ١٠/ ٥٠٩.
(٤) انظر: المرجع السابق، ١٠/ ٥١٠.

إذن يا طالب العلم، اجتهد أكثر من غيرك في الطاعات؛ بالمواظبة على الفرائض، والاستكثار من النوافل، فإنك أولى الناس بذلك.

وذلك كما تقدم من أسباب أن يُبارَك لطالب العلم في علمه، وحينما ترى أو تسمع عن بعض طلبة العلم أنه لم يَنتفع بعلمه فضلًا أن يَنتفع به غيره، بل بعضهم ربما تمادى به النقص حتى فرط في بعض الواجبات ووقع في بعض المنهيات، بل بعضهم تمنى مَن حوله لو يَسْلمون من سَلاطة لسانه وتعدي أذاه، إذا رأيت ذلك فَخَفْ على نفسك أن تؤول حالك إلى ما آلوا إليه.

ومِن أَحْسَن ما تُحصن به نفسك: الاجتهادُ في الطاعات، فإنها من أهم أسباب الثبات، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

عن أبي هريرة ﵁ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فِتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بِعَرَضٍ من الدنيا»[(١)]، وعن أم سلمة ﵂ قالت: استيقظ رسول الله ﷺ من الليل وهو يقول: «لا إله إلا الله، ماذا أُنزل الليلة من الفتنة؟ ماذا أُنزل من الخزائن؟ من يوقظ صواحب الحجرات؟ كم من كاسية في الدنيا عاريةٍ يوم القيامة؟» رواه البخاري[(٢)].

وكلما شَرُف العلم كان العمل به آكد، ومن هنا يتبين التقصير البَيِّن الذي يحصل من بعض المتعلمين حين يطالب نفسه بالعمل بما تعلم من الفروع، ويحاسب نفسه على ما قصر في هذا، وهذا حق لكنه يغفل عن مطالبة نفسه بالعمل بما تعلم من أصول الدين، فتراه يتعلمها وكأنها لا تزيد عن كونها معارف نظرية.

فمن أمثلة ذلك: مَن يعتني بدراسة توحيد الأسماء والصفات، فيتعلم

---

(١) أخرجه مسلم (١١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٤٤).

مذهب أهل السنة والجماعة، ثم يُعَرِّج على أقوال المخالفين لهم فيُلِم بها، لكنْ بعد هذا لا يُطالِب نفسه بالعمل بهذا العلم الذي هو أشرف العلوم، والذي هو أعظم سبب لحصول الإيمان وحصول شُعَبِه وثمراته.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان»: «الإيمان يحصل ويقوى بأمور كثيرة؛ منها بل أعظمها: معرفة أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، والحرص على فهم معانيها، والتعبد لله فيها.

فقد ثبت في الصحيحين عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة»، أي: من حفظها، وفهم معانيها، واعتقدها، وتَعَبَّد لله بها: دخل الجنة، والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون.

فعُلم أن ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان وقوته وثباته، ومعرفةُ الأسماء الحسنى هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها.

ومعرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

وهذه الأنواع هي رُوح الإيمان ورَوْحه، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفةً بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه وقوي يقينه.

فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الأسماء والصفات، وتكون معرفته سالمة من داء التعطيل، ومن داء التمثيل، اللذَين ابتُلي بهما كثير من أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول، بل تكون المعرفة مُتَلَقَّاةً من الكتاب والسنة، وما رُوي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

فهذه المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة في إيمانه، وقوة يقينه، وطمأنينة في أحواله»، انتهى[١].

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، دار أضواء السلف، ص٤٦ ـ ٤٧.

وقال رَحِمَهُ اللهُ في «القول السديد»: «أصل التوحيد: إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الأسماء الحسنى، ومعرفة ما احتوت عليه من المعاني الجليلة والمعارف الجميلة، والتعبد لله بها ودعاؤه بها»، إلى أن قال: «فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفةِ العبد بأسمائه وصفاته وتَعَبُّدِه بها لله لا يُحَصِّل العبدُ في الدنيا أجلَّ ولا أفضل ولا أكمل منها، وهي أفضل العطايا من الله لعبده، وهي رُوح التوحيد ورَوحه. ومَن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخالص، والإيمان الكامل، الذي لا يَحصل إلا لِلْكُمَّل من الموحدين»، انتهى[(١)].

إذن فاجتهد يا طالب العلم أن تعمل بكل علم تعلمته.

٣ ـ ومن حق العلم على أهله: أن يكونوا أنشط من غيرهم في الطاعات، وأسرع من غيرهم إلى القربات.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «كان الحسن يقول: إنما الفقيهُ الزاهدُ في الدنيا، الراغبُ في الآخرة، المجتهدُ في العبادة، القائمُ بسنة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، انتهى[(٢)].

وأولى هذه الطاعات بالاعتناء: الصلاة التي هي عمود الدين، وهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، والتي اختُصت من بين العبادات بخصائص ليست لغيرها.

فحَرِيٌّ بطالب العلم أن يتأسى بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عباداته عامةً وفي الصلاة خاصة، وأن يقتدي بأصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان في إنزالِهم هذه الفريضة منزلتها، والاحتفاءِ بها كما ينبغي لها، والاعتناءِ بإقامتها كما أمر الله، والمسابقةِ إلى ذلك، ولا يَقِسْ نفسه بالمقصرين فيرى أنه أفضلُ منهم؛ بل يقارن نفسه بالجادين، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد، مجموعة التحف النفائس الدولية، ص١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء، دار الفاروق الحديثة، ص٥٤.

وإن مما يُحزِن: أن ترى طلبة العلم وقد اعتادوا التأخر، وقد استمرؤوا الكسل، تَفُوتُ أحدَهم تكبيرةُ الإحرام بل ربما الركعة الأولى ولا يَحْزن لهذا، بل ربما تكرر منه ذلك وكأن شيئًا لم يكن.

وما كان هكذا أهلُ العلم وطلبته، ولن يَصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وتقدم قريبًا قول الحسن رَحِمَهُ اللهُ: «إنما الفقيهُ الزاهدُ في الدنيا، الراغبُ في الآخرة، المجتهدُ في العبادة، القائمُ بسنة محمد ﷺ»[(١)].

وقال غيره: في الدنيا طغيانان: طغيان المال، وطغيان العلم، فالذي ينجيك من طغيان المال الزهد فيه، والذي ينجيك من طغيان العلم العبادة[(٢)].

٤ ـ ومن آداب طلب العلم: حُسن الخُلق.

قال رسول الله ﷺ: «البِرُّ حُسن الخلق» رواه مسلم[(٣)]، وقال رسول الله ﷺ: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حُسن الخلق» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(٤)].

وسُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله وحُسن الخُلق»، وسُئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار؟ فقال: «الفم والفرج» رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح[(٥)].

وقال رسول الله ﷺ: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا» متفق عليه[(٦)].

---

(١) المرجع السابق، ص٥٤.
(٢) انظر: حلية الأولياء، دار الفكر، ١٠/ ٢٣٩.
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٥٣).
(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩) والترمذي (٢٠٠٢).
(٥) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤) وابن ماجه (٤٢٤٧).
(٦) أخرجه البخاري (٣٥٥٩) ومسلم (٢٣٢١).

وقال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن ليدرك بحُسن خُلقه درجةَ الصائم القائم» رواه أبو داود[١].

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة الواردة في فضل حُسن الخلق، ومِن أولى الناس بامتثال ذلك والتخلق بالخُلق الحَسن: هو طالب العلم.

ومن حُسن الخُلق: سلامة الصدر للمسلمين عمومًا، ولمن يشاركه في حب العلم وطلبه خصوصًا.

وفي الحديث عنه ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[٢].

وسلامة الصدر من الحقد والحسد والضغائن نعمة كبيرة، ومن وُفِّق لها فقد رُزِق خيرًا كثيرًا.

ومن أسباب تحقيق ذلك: ما جاء في الحديث عنه ﷺ: «ثلاث لا يُغِلُّ عليهن قلبُ مسلم أبدًا: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم» رواه الإمام أحمد[٣].

٥ ـ ومن حق العلم على أهله: الدعوة إلى الله.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في «القول السديد»: لا يَتِم التوحيد حتى يُكَمِّل العبد جميع مراتبه، ثم يسعى في تكميل غيره، وهذا هو طريق جميع الأنبياء عليهم السلام، فإنهم أول ما يدعون قومهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهي طريقة سيدهم وإمامهم ﷺ؛ لأنه قام بهذه الدعوة أعظم قيام، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٩٨).

(٢) أخرجه مسلم (٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨) وابن ماجه (٣٠٥٦) وأحمد (٢١٥٩٠). وانظر للاستزادة: محاضرة بعنوان: سلامة الصدر من الغل والحسد، ضمن كتاب: إضاءات مجموعٌ فيه رسائل ومحاضرات، ص٢٠١، للوالد رحمه الله.

أحسن، لم يَفْتُر ولم يضعف حتى أقام الله به الدين، وهدى به الخلق العظيم، ووصل دينه ببركة دعوته إلى مشارق الأرض ومغاربها، وكان يدعو بنفسه ويأمر رُسُلَه وأتباعه أن يدعوا إلى الله وإلى توحيده قبل كل شيء؛ لأن جميع الأعمال متوقفة في صحتها وقبولها على التوحيد.

فكما أن على العبد أن يقوم بتوحيد الله فعليه أن يدعو العباد إلى الله بالتي هي أحسن، وكل من اهتدى على يديه فله مثل أجورهم، من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

وإذا كانت الدعوة إلى الله وإلى شهادة أن لا إله إلا الله فرضًا على كل أحد كان الواجب على كل أحد بحسب مقدوره، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

ورحم الله من أعان على الدين ولو بِشَطْر كلمة، وإنما الهلاك في ترك ما يَقْدر عليه العبد من الدعوة إلى هذا الدين. انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)].

أما ما يفترضه بعض المتعلمين من التعارض بين طلب العلم والدعوة إلى الله؛ فهذا غير صحيح، فهذا لم يفهمه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلا نعرف أنه نُقل عنهم أنهم سألوا النبي ﷺ: أيهما نُقدم طلب العلم أو الدعوة؟!

فالدعوة إلى الله لا بد لها من العلم، والعلم من صفة أهله أن يُعلّموه الناس ويدعوهم إلى الله.

فيا طالب العلم، جِدَّ في طلب العلم، واجتهد في تحصيله، وانفع إخوانك المسلمين، علمهم ما ينفعهم وحذرهم مما يضرهم، نَبّه غافلهم، وشجع مطيعهم، وازجر المتمادي في غَيّه عن غَيِّه وجهالته، وَلْيكن أهلك وجيرانك وعشيرتك أولى الناس بِبِرِّك، واحذر أن يكون علمك لا نفع فيه

---

(١) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد، مجموعة التحف النفائس الدولية، ص٣٦.

ولا بركة فيكون حُجة عليك، وفي الأثر: «ويل للعالم من الجاهل، حيث لا يعلمه»[(١)].

وَاسْعَ في أن تكون من معلمي الناس الخير، ففي الحديث: «إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملةَ في جحرها وحتى الحوتَ ليصلون على معلم الناس الخير»[(٢)].

٦ ـ ومن آداب طلب العلم: حرص المتعلم على ما كان أنفع له، قال رسول الله ﷺ: «احرص على ما ينفعك»[(٣)].

قال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم»: فالذي يتعين على المسلم الاعتناء به والاهتمام: أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله ﷺ، ثم يجتهد في فهم ذلك، والوقوف على معانيه، ثم يشتغل بالتصديق بذلك إن كان من الأمور العلمية، وإن كان من الأمور العملية بَذَل وسعه في الاجتهاد في فعل ما يستطيعه من الأوامر واجتنابِ ما يُنهى عنه، وتكون همته مصروفة بالكلية إلى ذلك لا إلى غيره.

وهكذا كان حال أصحاب النبي ﷺ والتابعين لهم بإحسان في طلب العلم النافع من الكتاب والسنة.

فأما إن كانت هِمَّة السامع مصروفةً عند سماع الأمر والنهي إلى فرض أمور قد تقع وقد لا تقع فإن هذا مما يدخل في النهي، ويثبط عن الجد في متابعة الأمر، وقد سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما عن استلام الحجر؟ فقال له: رأيت النبي ﷺ يستلمه ويقبله، فقال له الرجل: أرأيتَ إن غلبتُ عليه؟ أرأيتَ

(١) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس مرفوعًا، انظر: المغني عن حمل الأسفار، دار ابن حزم، ص٢٢٧.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

إن زوحمتُ؟ فقال له ابن عمر: اجعل "أرأيت" باليمن، رأيتُ رسول الله يستلمه ويقبله، خَرَّجه الترمذي.

ومراد ابن عمر: ألا يكون لك هَمٌّ إلا في الاقتداء بالنبي ﷺ، ولا حاجة إلى فرض العجز عن ذلك أو تعسره قبل وقوعه، فإنه يُفَتِّر العزم على التصميم عن المتابعة، فإن التفقه في الدين والسؤال عن العلم إنما يحمد إذا كان للعمل لا للمراء والجدال.

وقد روي عن عليّ رضي الله عنه أنه ذكر فِتَنًا تكون في آخر الزمان، فقال له عمر: متى ذلك يا عليّ؟ قال: إذا تُفُقِّهَ لغير الدين، وتُعُلِّم لغير العمل، والتُمِسَتِ الدنيا بعمل الآخرة.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كيف بكم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، وتُتخذ سُنَّة، فإن غُيرت يومًا قيل: هذا منكر، قالوا: ومتى ذلك؟ قال: إذا قَلَّت أمناؤكم، وكثرتْ أمراؤكم، وقَلَّت فقهاؤكم، وكثرتْ قراؤكم، وتُفُقِّهَ لغير الدين، والتُمِسَتِ الدنيا بعمل الآخرة. خرجهما عبد الرازق في كتابه.

ولهذا المعنى كان كثير من الصحابة والتابعين يكرهون السؤال عن الحوادث قبل وقوعها، ولا يجيبون عن ذلك، منهم عمر رضي الله عنه.

وكان زيد بن ثابت رضي الله عنه إذا سُئل عن الشيء يقول: كان هذا؟ فإن قالوا: لا، قال: دعوه حتى يكون.

وقال مسروق: سألتُ أُبَيَّ بن كعب عن شيء، فقال: أكان بعدُ؟ فقلت: لا، فقال أجِمَّنا ـ يعني: أرحنا ـ حتى يكون، فإذا كان اجتهدنا لك رأينا.

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه مثله.

وعن الصلت بن راشد قال: سألت طاوسًا عن شيء، فانتهرني فقال: أكان هذا؟ قلتُ: نعم، قال: آلله؟ قلتُ: آلله، قال: إن أصحابنا أخبرونا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: أيها الناس، لا تَعجلوا بالبلاء قبل نزوله، فيُذهبكم هاهنا

وهاهنا، فإنكم إن لم تَعجلوا بالبلاء قبل نزوله لم يَنْفَكَّ المسلمون أن يكون فيهم مَن إذا سُئل سُدِّدَ، أو قال: وُفِّقَ، رواه أبو داود في المراسيل عن معاذ مرفوعًا، وفيه: وإنكم إذا تَعجلتم تَشتت بكم السبل هاهنا وهاهنا.

وقال الحسن: شرار عباد الله الذين يتبعون شرار[1] المسائل، يَغُمُّون بها عباد الله.

وقال الأوزاعي: إن الله إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط، فلقد رأيتهم أَقَلّ الناس علمًا.

وقال ابن وهب عن مالك: أدركتُ هذه البلدة، وإنهم ليكرهون الإكثار الذي فيه الناس اليوم، يريد المسائل.

وقال أيضًا: سمعتُ مالكًا وهو يعيب كثرة الكلام وكثرة الفتيا.

قال الهيثم بن جميل: قلت لمالك: يا أبا عبد الله، الرجل يكون عالـمًا بالسنن، يجادل عنها؟ قال: لا، ولكن يخبر بالسنة، فإن قُبلت منه وإلا سَكت.

قال إسحاق بن عيسى: كان مالك يقول: المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم من قلب الرجل.

وقال ابن وهب: سمعت مالكًا يقول: المراء في العلم يقسي القلب، ويورث الضغن، انتهى[2].

٧ ـ وأختم بذكر واجب على المسلمين عمومًا وعلى طلبة العلم خصوصًا، أمرٌ كَثُر فيه التفريط، وبان فيه التقصير، أمرٌ جعل الله قوام مصالح العباد الدينية والدنيوية مَنوطًا بالقيام به، فإذا قاموا به استقامت أمور دينهم ودنياهم وإلا انفرطت، فاستوجبوا البلاء والهلاك والعقوبات، واستوجبوا الإثم والنار والسخط، عياذًا بالله من ذلك كله.

---

(١) كتب الوالد رحمه الله عند هذه الكلمة: لعلها: شِدَاد.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، دار ابن كثير، ص٢٢٥ ـ ٢٢٩.

ذلكم هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي ورد ذكره في كثير من الآيات البينات والأحاديث الشريفة، والذي كان سببًا لخيريّة هذه الأمة وتفضيلها على من سواها، والذي جُعل فرقانًا بين المؤمنين والمنافقين، قال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧] الآية، ثم قال تعالى بعد ذلك: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

فانظر كيف قُدِّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا السياق على الصلاة والزكاة!

ولقد وصف الله القائمين به بالفلاح، كما وعد على القيام به النجاةَ من الهلاك، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

أما من قصّر فيه فهو متوعد بالوعيد الشديد: رَدِّ الدعاء، وقسوةِ القلب، ونزولِ البلاء والعقوبات، وتغيّرِ النِّعَم، نسأل الله العافية والسلامة.

روى الإمام أحمد والترمذي عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده، لَتَأْمُرُنَّ بالمعروف، وَلَتَنْهَوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم»[١].

وأعظم هذه العقوبات اللعن، عياذًا بالله من سخطه، قال الله عز وجل: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩].

فيا أيها المسلم، استعن بالله في القيام بما أوجب عليك من الأمر

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٩) وأحمد (٢٣٣٠١).

بالمعروف، والنهي عن المنكر، واحذر من عاقبة التفريط في ذلك أو التعذير للنفس بأعذار لا حقيقة لها.

واقتدِ بنبيك ﷺ الذي ذكر الله ﷻ من أول صفاته: الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] الآية.

واغتنم عظيم الأجر المرتب على القيام بهذه الفريضة، خاصةً عند كثرة التاركين لها.

روى الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ قال: «إن من أمتي قومًا يُعطَون مثل أجور أولهم، ينكرون المنكر»(١).

ولئن مَنع أحدًا من القيام بها هيبةُ الناس وحقرانُه نفسَه فليتذكر وعدَ الله بالنصر للقائمين بأمره، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

❖ آداب المعلم:

ذكر النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المجموع» مجموعةً من الآداب ينبغي أن يَتمثل بها ويَتصف بها من يُنَصِّب نفسه للتعليم:

١ ـ أن يقصد بتعليمه وجه الله، ولا يقصد توصلًا إلى غرض دنيوي، كتحصيل مال أو جاه أو شهرة أو سُمعة، أو تميّز عن الأشباه، أو تَكَثُّر بالمشتغلين عليه أو المختلفين إليه، ولا يَشِينُ عِلمَه وتعليمَه بشيء من الطمع في رفقٍ تَحَصَّل له من مشتغلٍ عليه من خدمة أو مال أو نحوهما وإن قَلَّ، ولو كان على صورة الهدية التي لولا اشتغاله عليه لما أهداها له.

٢ ـ أن يتخلَّق بالمحاسن التي ورد الشرع بها وحَثَّ عليها، والخِلال

(١) أخرجه أحمد (٢٣١٨١).

الحميدة والشِّيَم المرضيَّة التي أرشد إليها؛ من الزهد في الدنيا والتقلل منها وعدم المبالاة بفواتها، والسخاء والجود، ومكارم الأخلاق وطلاقة الوجه والحلم والصبر، وملازمة الورع والخشوع والسكينة والوقار والتواضع، والإقلال من المزح، وملازمة الآداب الشرعية الظاهرة والخفية.

٣ ـ الحذر من الحسد والرياء والإعجاب واحتقار الناس وإن كانوا دونه بدرجات:

○ وطريقه في نفي الحسد: أن يَعلم أن حكمة الله اقتضت جَعْل هذا الفضل في هذا الإنسان، فلا يَعترض ولا يَكره ما اقتضته الحكمة.

○ وطريقه في نفي الرياء: أن يَعلم أن الخَلْق لا ينفعونه ولا يضرونه حقيقةً، فلا يَتشاغل بمراعاتهم، فيُتعب نفسه، ويُضر دينه، ويحبط عمله، ويَرتكب سخط الله، ويُفوّت رضاه.

○ وطريقه في نفي العُجب: أن يعلم أن العلم فضلٌ من الله تعالى، وهو معه عارية، فإن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فينبغي ألا يُعجَب بشيء لم يخترعه، وليس مالكًا له، ولا هو على يقين من دوامه.

○ وطريقه في نفي الاحتقار: التأدب بما أدبنا الله، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣]، فربما كان هذا الذي يراه دونه أتقى لله تعالى وأطهر قلبًا وأخلص نية وأزكى عملًا.

٤ ـ دوام مراقبته لله تعالى في علانيته وسره، محافظًا على قراءة القرآن والأذكار والدعوات، ونوافل الصلوات والصيام وغيرها، مُعَوِّلًا على الله في كل أمره، معتمدًا عليه، مفوضًا في كل الأحوال أمرَه إليه.

٥ ـ أن يستمر مجتهدًا في الاشتغال بالعلم، قراءةً وإقراءً ومطالعة وتعليقًا ومباحثة ومذاكرة وتصنيفًا، ولا يستنكف من التعلم ممن هو دونه في سِن أو

نسب أو دين أو في علم آخر، بل يحرص على الفائدة ممن كانت عنده، وإن كان دونه في جميع هذا.

وينبغي ألا يمنعه ارتفاع منصبه وشهرته من استفادةِ مَا لا يعرفه، فقد كان كثير من السلف يستفيدون من تلامذتهم ما ليس عندهم.

٦ - ينبغي أن يعتني بالتصنيف إذا تأهل له، فبه يَطّلِع على حقائق العلم ودقائقه، ويثبت معه؛ لأنه يَضْطَرُّه إلى كثرة التفتيش والمطالعة والتحقيق والمراجعة والاطلاع على مختلِف كلام الأئمة ومُتَّفِقِه، وواضحه من مُشكله، وصحيحه من ضعيفه، وجَزْله من رَكِيكه، وما لا اعتراض عليه من غيره.

وبه يرتفع عن الجمود على محض التقليد، ويبلغ منزلة الأئمة المجتهدين أو يقاربهم.

ولْيَحذر كل الحذر أن يشرع في تصنيف ما لم يتأهل له، فإن ذلك يضره في دينه وعلمه وعرضه.

ولا يُخرِج تصنيفه من يده إلا بعد تهذيبه وتَرداد نظره فيه وتكريره.

ولْيُرَاعِ في تصنيفه وضوح العبارة، والإيجاز غير المخل، وليتطرق إلى المواضيع التي لم يسبق إليها، ويعم النفع بها وتدعو الحاجة إليها.

٧ - وينبغي له أن يحرض طلابه على الاشتغال في كل وقت، ويطالبهم في حفظ ما يلزم حفظه، وينير أذهانهم بطرح الأسئلة المهمة عليهم، فيثني على المجتهد منهم والنابغة فيهم؛ ترغيبًا له وشحذًا لهمم الآخرين.

ويُوَجّه إلى المقصّر منهم اللومَ غير المنفر، ويبسط له ما أشكل عليه لِيتضح له.

وعليه أن يُنصِفَهم في البحث، فيعترف بفائدة يقولها بعضهم وإن كان صغيرًا، ولا يحسد أحدًا منهم؛ لوفرة تحصيله، وحدة ذهنه، وحضور بديهته، فإن الحسد حرام لغير طلابه، وهنا أشد، فإنه بمنزلة الولد، وفضيلته يعود إلى

معلمه منها نصيب وافر، فإنه مربيه، وله في تعليمه وتخريجه في الآخرة الثواب الجزيل، وفي الدنيا الدعاء المستمر والثناء الجميل.

٨ ـ ومن أهم ما يؤمر به: ألا يتأذى ممن يقرأ عليه إذا قرأ على غيره، وهذه مصيبة يُبتلى بها جَهَلَة المعلمين؛ لغباوتهم وفساد نيتهم، وهو من الدلائل الصريحة على عدم إرادتهم بالتعليم وجه الله[١].

هذا وإن من يريد أن يسير مسيرة علمية فلا بد له من وضع أساس علمي يكون بمثابة القاعدة التي يقيم عليها بناءه العلمي.

والاقتراح لتحقيق ذلك هو: أن تختار بعض العلوم الأساسية التي هي بمثابة أصول الدين، ويركز عليها في الدراسة، وتبدأ من أولها بَدْءًا منتظمًا، ويختار في كل علم منها كتابًا مناسبًا يَجمع بين الإيجاز غير المخل، ووضوح العبارة، وحُسن البحث.

وأولى العلوم بأن تكون أساسًا في نظري ـ والله أعلم ـ:

١ ـ القرآن: تجويدًا وحفظًا وتفسيرًا.

٢ ـ التوحيد.

٣ ـ الفقه.

أما محاولة الوصول إلى العلم عن طريق القراءات المبعثرة والمباحث المتناثرة فهذه لا تنتج طلبة علم، وإنما تنتج أشخاصًا ذوي اطلاع عام وثقافة واسعة غير مركزة.

أو كذلك محاولة الوصول إلى العلم عن طريق الخوض في عميقه قبل المرور على بسيطه، فهذه يَنتج عنها الوقوع في التناقضات، كما يُشاهَد في بعض مَن تعمق وتوسع في بعض المسائل أو المباحث المتقدمة وهو لم يُحِطْ

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب، الطبعة المنيرية، ١/٢٨ ـ ٣٥.

بأصول ذلك الفن الذي يشتغل فيه ولا بقواعده، ولا مَرّ على مبادئه، فتكون النتيجةُ الاجتهاداتِ الخاطئة، والتناقضاتِ المضحكة أحيانًا.

ولا يعني ما سبق حصرَ الدراسة والقراءة في علوم محددة، لا؛ بل المقصود أن تلك تكون محل الاهتمام والاعتناء والتأصيل، وما سواها من العلوم النافعة فلا تهمل ولا يغض النظر عنها بل هي مهمة ومطلوبة، لكن تجعل بمثابة الروافد المغذية التي لا بد منها في اكتمال البناء العلمي.

❖ تنبيهات على دراسة العلوم آنفة الذكر:

التنبيه الأول: الحفظ:

للحفظ من الأهمية والمكانة في البناء التربوي العام للمسلم والجانب العلمي بصفة خاصة ما لا يُنكر.

ويكفي الحفظَ أهمية وشرفًا أن التقديم في الإمامة لأول أركان الدين بعد الشهادتين لا يكون بأي شيء قبل الحفظ، وكفى الحُفَّاظَ بهذا شرفًا وفخرًا، فمن تقدم في هذا المقام فهو فيما سواه في المقامات أولى بالتقديم.

ولما كان المسلمون يدفنون موتاهم في أُحُدٍ ـ الرجلين والثلاثة في القبر ـ كان النبي ﷺ يسأل: «أيهم أكثر أخذًا للقرآن»، فيقدمه ﷺ[(١)].

وتكون منزلة العبد يوم القيامة حسب حفظه، قال ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها» رواه أبو داود والترمذي[(٢)].

وقد اعتنى سلف الأمة منذ الصدر الأول إلى أزمنة قريبة بالحفظ والحُفَّاظ، فمنذ تَفَتُّح عين الصبي على الحياة يُهتم بتحفيظه كتاب الله، ولذلك وبوفرة تجد فيهم مَن حفظ كلام الله عن ظهر قلب قبل أن يتم العاشرة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٤) والترمذي (٢٩١٤).

وقد جرى منا تقصير في هذه الناحية، لا يليق بمكانة كتاب الله.

وبصورة أدق: فإنَّ إدراكنا لأهمية ذلك موجود، والقناعة متوفرة غالبًا، ونصيب الحفظ في الجدول موجود، ولكنه أَقَلُّ مما ينبغي لكتاب الله بكثير وكثير.

وأهم سبب لهذا في نظري ـ والله أعلم ـ:

○ أما تقصيرنا مع أنفسنا فتَشَاغُلًا بمهم عما هو أهم منه.

○ وأما تقصيرنا مع من تحت أيدينا فبحُجة عدم الإثقال عليهم، وعدم تنفيرهم، وعدم تكليفهم ما قد يكون سببًا في تَفَلُّتِهم.

وهذه مسألة أساسية في التربية تَحتاج إلى وقفة جادة متأنية، وأن يُنظر فيها نظرة متكاملة، وهي أنَّ الكثير منا يتوسع في مسائل المرح والترفيه والمداعبة مع مَن تحت يده.

ولهذه الظاهرة المتفشية أسباب؛ منها:

١ ـ التحجج بأنها سبب لتأليف القلوب، ومدعاة لانتزاع الشباب من الواقع المادي المتفلت المنطلق وراء الشهوات، فيُجعل المرح والهزل شكلًا من أشكال الجذب، حتى إذا ما ترسخ الإيمان في قلوبهم وعرفوا حلاوة الطاعة وقارنوا ما هم فيه بما كانوا فيه؛ نُقِلوا تدريجيًّا إلى الجِدّ.

٢ ـ ما ورد في سيرة النبي ﷺ من ممازحته لأصحابه رضي الله عنهم.

٣ ـ انهزاميةٌ وَرَدُّ فعلٍ معاكس لنظرة سائدة في بعض فئات المجتمع، تتهم المتدينين بسوء التعامل، وأن شمس الابتسامات لا تَعرف شفاههم، وإنما سُحُب العبوس والتقطيب مُتَجَهِّم على وجوههم.

٤ ـ تأثر الناشئ بالمربي وبمن حوله خاصة عند نشأته الأولى.

نقاش ما سبق:

١ ـ إنْ قيل بصحة ذلك إنْ سُلِّم بصحة هذا الأسلوب ورؤي أنه أجدى

الأساليب لانتزاع فَرْدٍ من واقعه الذي يعيش فيه، فلا يَتوسع في ذلك توسعًا في غير محله، بأن تطول هذه المرحلة، فتكون النتيجة أن يتعود على هذا الأسلوب، ويعسر تغييره عنه.

بل الأدهى من ذلك: أنَّ مَن حوله ممن ساهموا في تربيته وعاملوه بهذا الأسلوب بحجة الـمَرْحَلِيَّة قد استمرؤوا هُم الهزل والدَّعة والبُعد عن الجد!

وهذا للأسف ليس من قبيل المبالغات أو الافتراضات، بل للواقع شهادته على صحة ذلك.

والحقيقة التي نتناساها أو نتجاهلها أو نستصعب التصديق بها واقعيًّا: أن النفوس إذا عوملت بِجِدٍّ مُتَّزِنٍ ورجولة حقيقية؛ أنها ترتاح لهذا الأسلوب، وتنطلق معه، وتعطي بسببه.

وعلى النقيض من ذلك: إذا كان التعامل بهزل فإن النفس وإن استَحْلَتْ هذا الأسلوب وانقادت له إلا أنها على المدى ومع الزمن لا بد أن تقف مع نفسها وقفة إعادة نظر، ومراجعة حساب، فحينئذ ستجد أنها لم تحقق شيئًا، ولم تَتَعَدَّ مكانها، بينما الناس يسيرون ويتقدمون، وهو مراوح في مكانه، فتكون النتيجة أن ينحى باللوم على مَن حوله، وأنهم ما أفادوه بشيء، فيكون ذلك سببًا في تَفَلُّتِه؛ لأن الجد صفةُ كمال، والنفوس جُبلت على حب الكمال والإعجاب به، فإذا رُغِّب الفرد بذلك وحُثَّ عليه، وذُكِرتْ له نماذج من سيرة رسول الله ﷺ وسيرة أصحابه رضي الله عنهم ومَن تبعهم بإحسان إلى يومنا هذا، وأُعِين على نفسه، وكان المربي قد دعا نفسه إلى ما دعاهم إليه، وكان هذا التعامل متزنًا لم يَتَنَاسَ وضعَ مَن أمامه وظروفَهم وضعفَ النفس وحاجتَها إلى التذكير واحتياجها إلى الأناة بها والرفق عليها، فإنها حين إذن ـ بإذن الله ـ ستبادر وتستجيب.

وما أقرب هذا الكلام من الواقعية والتطبيق؛ لكنَّ نشوء بعضنا على خلافه واستمراره على ما كان عليه جعله ينظر إلى ما سبق أنه أخو الخيال والافتراضات النظرية!

لكن لِيَكن فيصلًا بيننا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما هو الشأن في كل اختلاف وتنازع؛ ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ولنتذكر معنى ﴿تَأۡوِيلًا﴾.

فلننظر إلى ما رَبَّى عليه القرآنُ وسنةُ رسول الله ﷺ الجيلَ الأول ومن اقتفى أثرهم؟ إنما ذلك هو أن يَقَر في القلوب محبة الله وخوفه ورجاؤه، وذلك بالتذكير بالله وأسمائه وصفاته وأيامه ونعمه الظاهرة والباطنة.

هذا، ولن يَصْلح آخرُ هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

ثم لنتذكر قول الله تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ووالله ـ إلا ما شاء الله ـ فقد وقعت الفتنة ووقع العذاب الأليم، فانظر إلى ثمار جهود الدعاة المضنية ومساعيهم الدائبة، ماذا أثمرت؟

نَعَم ولله الحمد، لقد أثمرت ثمرات حسنة؛ لكنها لا تَتَكافَأ مع الجهد المبذول، بل انظر إلى واقع الدعاة أنفسهم وما أصابهم من التفرق وغيره، ولا شك أن المسلم يُحاسَب على العمل والبذل لا على النتيجة، لكن مجيء الأمور على غير ما يحب المسلم يكون مَدعاةً لِأَن يتهم نفسه ويرى أنه إنما أُتي من قِبل نفسه، إما بقصور في الإخلاص، أو بتقصير في متابعة النبي ﷺ، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠]، ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩].

٢ ـ وأما الاحتجاج بما ورد عنه ﷺ من ممازحته لأصحابه فهذا حق.

ولكن؛ ما كان الأصل في حياته المرح، حاشاه ﷺ؛ لكنها حوادث محدودة ومعدودة في سيرته ﷺ.

فلا ينبغي لنا أن نتوسع فيها ونعكس الأمر فنجعلها هي الأصل، بينما هي عارضة.

٣ ـ هذا أوضح مَن أن يناقش.

وقد يصلح أن يُجاب عنه بصورة مختصرة بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

٤ ـ واضحة.

وعودة إلى ما مضى عن أهمية الحفظ: لابد أن يولَّى مكانته عمليًّا وتطبيقيًّا، وإذا ما حُثَّ الشباب على ذلك وحُبِّبُوا إليه ورُغِّبُوا فيه فمن المؤكد إقبالهم عليه، فالظروف كلها مواتية: الاستعداد الذهني، والوضع الاجتماعي، (والتخلص غالبًا من المشاغل الوظيفية والبيئية والنفسية)، والتهيؤ لقبول هذا العمل والمبادرة إليه.

التنبيه الثاني: الفقه:

يُحْتَرَزُ من إسناده لغير مَن يقدر عليه، وذلك لأنه أشبه ما يكون بالمفتي، والنصوص الواردة في الكتاب والسنة وكلام السلف في الاحتراز من ذلك كثيرة ومشهورة، (ينظر: شرح حديث: ما ذئبان جائعان، لابن رجب).

كذلك إذا كان مَن يُدرِّسه غيرَ تام الأهلية لذلك، فأحيانًا إذا عرضت مسألة لا يعرفها يستصعب أن يقول: لا أدري، خاصةً مع تكرر تلك المسائل التي لا يعرفها، فيستصعب التوقف فيها؛ خوفًا من سقوط مكانته عند مَن يدرّسهم، وأن يؤدي بهم الأمر إلى أن يقولوا: إذن ما الفرق بيننا وبينه، فيقول بغير علم، فيَضل ويُضل، ويكون مَن نَصَبَه شَرِيكًا له في وِزْره، أو حينما يُستعجل على مَن عنده بعض العلم فإنه يؤدي به ذلك إلى تضخم نظرته إلى نفسه.

❖ خطر الضحالة العلمية:

١ ـ نشوء جيل إِمَّعِيّ تابع، بسبب فقده العلم الذي يُميز به الحق من الباطل، والخطأ من الصواب.

٢ ـ أو نشوء جيل متعثر في خطواته متشتت، ذلك أنه تعلم مفردات من العلم متناثرة، فبنى عليها مسيرته واجتهاداته، فكانت النتيجة:

أ ـ الأخطاء الفادحة في اجتهاداته (حيث إنه وإن كان قد بنى اجتهاداته على أدلة من الكتاب والسنة لكنه بسبب قصور علمه ما أَلَمّ بأدلة الموضوع، ولا نظر إليها نظرة متكاملة).

ب ـ تسببه في أن يرمي بعضُ الناس الدعوةَ والدعاة بالبدعة؛ نتيجةَ الاجتهادات الخاطئة.

٣ ـ فَقْدُ النشءِ الثقةَ بمن حولهم، وسقوطهم من أعينهم، وتطلعهم إلى غيرهم.

ولنحترز هنا من أن نَتعلم أو نُعلم لكسب إعجاب الناس، وإنما المقصود ذكر بعض ما يترتب على الضحالة العلمية.

❖ **مسائل متفرقة:**

○ مِن نتائج غَلَبَة روح الهزل على روح الجد: ما نقع فيه نحن من التناقض بين المفروض والواقع.

○ من المهم الاهتمامُ بالتطبيق العملي للدروس، كالمواقيت، وتحديد القبلة...

○ من المفيد أَخْذُ دروس في مناسباتها؛ لتكون أوقع في النفس: العيد، رمضان، الاستسقاء...

○ من المهم جدًّا في التعلم: التحضيرُ المسبَق، والمراجعةُ للدرس الماضي، وللسابقين عبارة: فهم سطرين خيرٌ من حفظ وِقْرَين.

○ مما يعالج به ضيق الوقت: اغتنام المجالس في المدارسة والمراجعة ومناقشة المسائل المفيدة أو قراءة ما يفيد؛ لكسب الوقت، والنجاة من الخسر.

نظرات في تربية الأولاد

هذه نظرات في شأن تربية الأولاد بنين وبنات، ووَصْفُها بأنها مقترحات ووِجهات نظرٍ أَولى من وَصْفِها بأنها تجارِب؛ ذلك أن التجارب من شأنها التكرار والسبر والمقارنة، وما دُوِّن هنا يَفتقد كثيرًا من ذلك.

وهناك مسائل كثيرة لم يُتعرض لها؛ لوضوحها، أو لكثرة مَن يَطرقها ويتحدث عنها.

وعلى أيّ حال، فلا بأس في اعتبار ما كُتب هنا بمثابة مُسَوَّدَة، ويكون دور المتلقِّي لها والمطَّلع عليها تنقيحَها وتبييضَها، وحَسْبُ هذه الرسالة حينئذٍ أنها أثارت اهتمام القارئ، واستلفتت ذهنه لأمور مهمة في تربية الأولاد.

❖ أولًا: عوامل مؤثرة في التربية:

١ ـ للأم أثر بالغ في تربية الأولاد والاعتناء بهم، والتنسيق معها يوفر على الأب جهدًا كبيرًا، ويختصر عليه وقتًا طويلًا.

٢ ـ أثر البيئة والوسط الذي يعيش فيه الناشئ أوضح من أن يُدَلَّل عليه، ومن هنا تأتي أهمية توفير البيئة الصالحة، وقد تكون البيئة الدراسية أبلغَ أثرًا من غيرها؛ لعوامل عديدة، مما يؤكد الاعتناء بذلك.

٣ ـ من المفيد التعرف على أصحاب وصاحبات البنين والبنات، والتعرفُ بِلَبَاقة وكَيَاسة على اهتماماتهم وتوجهاتهم، ولا يكتفى بالاطمئنان المجمل عن ذلك الجليس بسبب أن أباه رجل صالح.

٤ ـ طول غيبة الأب عن أولاده وتكرر ذلك سببٌ لنشوء حواجز نفسية بينه وبينهم، لذا كان من المطلوب أن يحرص الأب على مجالسة أولاده بالقدر الكافي، كما أن طول مقارنة الأب لأولاده قد يقلل من قيمته في نفوسهم، فالتوسط هو المطلوب.

٥ ـ للابن الأكبر تأثيرٌ ملحوظ على إخوته، لذا كان من المهم الاعتناء به، مع مراعاة ما سيُذكر في «سادسًا».

٦ ـ تَقَارُب الأسنان بين الأولاد يسهل عملية التربية على الوالدين، حيث يفيد بعضهم بعضًا، وينشغل بعضهم مع بعض، والجهد الذي يبذله الوالدان مع أحدهم ينتقل إلى إخوته بحركة (تَمَوُّجِيَّة)، بخلاف ما إذا تباعدت أسنانهم، فحينئذ يكون كل واحد منهم كيانًا مستقلًّا، يحتاج جهدًا على حِدَة.

٧ ـ من المهم أن يقتنع كل واحد من الأولاد باهتمام والديه به شخصيًّا، وقد يكون من المهم إظهار ذلك بالأسلوب المناسب، وعدم الاكتفاء بالمشاعر الكامنة، ومن أسباب تحصيله: أن يروا اهتمامك بشؤونهم وحاجاتهم الشخصية، ومتابعتك إياها وأنت خارج البيت أحيانًا.

٨ ـ القاعدة العامة في معاملة الأولاد وغيرهم: الرفق، قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق، يحب الرفق في الأمر كله»(١)، وقال ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه»(٢)، وقال ﷺ: «من يُحْرَمِ الرفق يُحْرَمِ الخير كله»(٣)، وقال ﷺ: «إذا أراد الله ﷻ بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق»(٤)، وقال ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»(٥)، قال ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث: «المعنى أنه يَتَأَتَّى معه من الأمور ما لا يَتَأَتَّى مع ضده، وقيل: المراد يثيب عليه ما لا يثيب على غيره، والأول أوجه»(٦).

❖ ثانيًا: الترويح:

١ ـ للتسلية والترويح أثرهما في التربية، ولـمَّا كان الأب الصالح يتجنب الوسائل المحرمة كان مما يُنَبَّه إليه: عدمُ التوسع فيما كان محل شبهة بحُجَّة توفير البدائل، والسلامةُ منها ما وَجد إلى ذلك سبيلًا.

٢ ـ من المهم أن يربى الأولاد على الاعتزاز بدينهم والافتخار بتدين والديهم، لا أن يحسوا بأنهم يقْصرون عن غيرهم، وأنهم محرومون مما

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٧) ومسلم (٢١٦٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٤).
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٢).
(٤) أخرجه أحمد (٢٤٤٢٧).
(٥) أخرجه مسلم (٢٥٩٣).
(٦) فتح الباري لابن حجر، دار المعرفة، ١٠/ ٤٤٩.

يتمتع به كثير من أقرانهم، بسبب تدين والديهم، ومما يعين على ذلك تَلَمُّس حاجاتهم وتلبية رغباتهم مع الاعتدال في ذلك، ومع مراعاة ما تقدم من عدم التساهل فيما كان محل شبهة.

❖ ثالثًا: تربيتهم على الحب في الله والبغض في الله:

ومما يحسن التنبيه إليه هنا عند الحديث معهم عن (المنكرات، هموم المسلمين، مكائد الأعداء ومخططاتهم، فتن آخر الزمان، ونحو هذه المعاني) مراعاةُ استعدادهم الذهني والنفسي، وعدم تحميلهم ما لا يتحملونه بقصد تحمسيهم وتحفيزهم، فإنهم إذا أُعْطُوا جرعة تزيد عن استعدادهم فإن ذلك قد يكون سببًا في أن ينشأوا يائسين محبَطين خائفين من المستقبل.

❖ رابعًا: تربيتهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ويكون ذلك منذ الصغر، كلٌّ بما يناسب سِنَّه، فمثلًا الطفل الصغير يمكن أن يربى على ذلك بمثل أن يلقَّن الموقفَ الصحيح حينما يحكي تصرفًا خاطئًا لأحد زملائه بأنه قال كذا أو فعل كذا، فيقال له: إذا فعل هذا مرة أخرى فقل له: هذا لا يجوز...

ومن وسائل تربيتهم عليه: الإشادة بمن يفعله من المحتسبين والمتطوعين أو من أولاده.

❖ خامسًا: تربيتهم على حب الخير وفعل الطاعات:

وهنا يراعى ما يلي:

١ ـ كما تحرص على أن يعملوا الطاعات فاحرص مثل ذلك بل فوق ذلك على أن يحبوها.

٢ ـ الجمع بين الترغيب والترهيب والاعتدال في ذلك.

٣ ـ لا يُلْزمون بنوافل الأعمال، ولا يُعاتبون على التقصير فيها كأنهم

قصّروا في واجب، بل يُحْرَص على أن تُحبب الطاعة إلى نفوسهم، ويُرَغَّبون في فعلها، ويشجعون على ذلك.

٤ ـ لا تفرض عليهم شخصيتك، فتلزمهم أن يعجبوا بما أنت معجب به أو ينشطوا لكل ما تنشط له.

حَسَنٌ أن تحثهم وترغبهم، لكن لا تُلِحَّ عليهم أو تلزمهم بما ليس واجبًا، وحتى حثك لا يكن مشوبًا بالتعنيف أو العتب البالغ لمن لم يستجب له.

❖ سادسًا: من الأخطاء التي يقع فيها بعض الآباء أو الأمهات:

الاستعجالُ في رؤيتهم ابنَهم رجلًا يهتم باهتمامات الكبار، قد تَخَطَّى تفاهات الصبيان وترفَّع عنها، أو رؤيتهم ابنتَهم كذلك امرأة تهتم باهتمامات الكبيرات. . .

فترى الأب وربما الأم يحفزان ابنهما أو ابنتهما على ذلك، ويَريان أنهما يعوضانه عما يترك من الـمُتَع الطفولية بالإشادة والمدح ومحفزات أخرى.

وأكثر من يُمَارَس هذا في حقه هو الولد الأكبر، والغالب أن الولد يستجيب لذلك بسبب ما تقدم، وبسبب محفز آخر مهم وهو كونه يَرى أنه قد صُفَّ في مصاف الكبار، ويُعامل معاملة الكبار، ويكون نتيجة ذلك أن يستجيب الابن، ويتقدم خطوات تُبهج والديه وتشجعهما على أن يَمْضِيَا قُدُمًا في مطالبته بالمزيد من الرجولة والتخلي عن الطفولة، لكنْ مع الزمن غالبًا ينتهي مفعول تلك المحفزات أو يضعف، وتبقى الرغبة البشرية في أن يستمتع بما يستمتع به أقرانه، وأن يُجرب ما يسمع من مغامراتهم وتجاربهم، فيبقى ذلك الناشئ في صراع بين رغبة والديه منه ورغبات نفسه، فأحيانًا يُوَفَّق لاجتياز هذا الظرف الصعب والصعب جدًّا، وأحيانًا تُلِحُّ عليه تلك الرغبات فيسعى لاقتضائها وتعويض ما فاته منها أو فُوِّتَ عليه منها بأثر رجعي ـ إن صح التعبير ـ، فقد ينتكس عياذًا بالله من ذلك، وقد لا ينتكس كلية لكنه يؤول إلى شابٍّ غير جاد: لا يترك الصلاة لكنه يأتي إليها متأخرًا بخُطى متثاقلة، لم

ينقطع عن الصُّحبة الصالحة لكنه صار كَلًّا عليهم، أحاديثه واهتماماته في تَوَافِه الأمور.

وليس هذا تزهيدًا في تربية الأولاد على الجدية والاهتمام بمعالي الأمور، فهذا أمر مهم بل تتأكد حاجته في هذا الزمن الذي تَعَوَّد فيه كثير من الكبار فضلًا عن الصغار على العبث واللهو، وضعفت هممهم وعزائمهم، لكن المراد التنبيه على مراعاة التوازن في هذا الشأن.

❖ سابعًا: يشبه ما تقدم في شأن الوالدين ما يحصل من بعض المربين في المحاضن التربوية:

مِن عدم مراعاة التدرج في ترتيب البرامج التربوية، وما يصاحبها من المحفزات والمرغبات، فمثلًا الصبي الصغير المنتظم في حلقة المسجد يُفْرِحه أن يخرج مرة في الشهر أو نحو ذلك إلى موقع قريب يلعب مع أقرانه، ثم يعود فرحًا مسرورًا، كذلك يُفْرِحه أن يُقَدِّم لزملائه في الحلقة أو يُقَدَّم له حلوى يخرج من المسجد وهو مغتبط بها.

أما أن يَستضيف بعضهم بعضًا في بيوتهم بصحبة معلمهم بشكل راتب فهذا محفز يُدَّخَر لما بعد، ولو قُدِّم الآن لاستُنْفِد غَرَضُه، ولَفَقَد قدرًا من قيمته وأثره.

ومثل هذا يقال عن سائر البرامج المقدَّمة في مراحل التربية.

❖ ثامنًا: في الحديث عن النبي ﷺ: «لكل عمل شِرَّة، ولكل شِرَّة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد أفلح، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك»[(١)]:

تَمُرُّ ببعض الناشئين فترات نشاط في الطاعات وحماس إليها، وكثير من الآباء قد يقلق على ابنه؛ خوفًا من أن يتمادى به ذلك إلى تجاوز الحد المشروع.

فكيف يكون التعامل مع هذا الناشئ (الناسك)؟

---

(١) أخرجه أحمد (٦٩٥٨).

هذا الموقف ذو حساسية بالغة، يتطلب من الوالدين مراعاة الحكمة والدقة في التعامل مع ذلك الابن، ذلك أنه قد يكون توجيههما غير حكيم، فيفضي به إلى موقف معاكس تمامًا لما كان عليه، بسبب كثرة ما يسمع منهما من تعليمات وتوجيهات وانتقادات.

لذا فلعله يراعى معه ما يلي:

- أن يُشعر باغتباط والديه بذلك.
- أن يراقباه بلباقة.
- أن يُرَسِّخَا لديه وجوب متابعة النبي ﷺ، وإلا كان العمل مبتدعًا.
- أن يُفْهِمَاه بلطف أهمية التوازن في حياة المسلم، وصورة ذلك، وشمولية مفهوم العبادة.

❖ تاسعًا: من المشكلات المتكررة الوساوس:

في الطهارة، وأداء العبادات، ومسائل الإيمان، وغير ذلك، وهذه كغيرها من الأمراض، إذا اكتُشفت في وقت مبكر كان هذا أسهل لعلاجها بإذن الله، فإذا اكتُشفت فَلْتُعالج بحكمة، وَلْيُحذر من التعامل معها بتقريع أو سخرية أو نحو هذه الأساليب، وَلْيُستشرْ في ذلك مَن يرجى أن تفيد مشورته.

❖ عاشرًا: فترة الشباب عُرضةٌ لكثير من إشكالات العلاقات العاطفية:

- وحسنُ تربية الأولاد.
- وتقويةُ إيمانهم بالله.
- وملءُ أوقاتهم بما يفيد.
- والقربُ منهم.
- وقطعُ الأسباب التي تُفضي بهم إلى تلك الشرور.

كل هذه أسباب ـ بإذن الله ـ لِتَفَادي تلك الإشكالات، ولمعرفتها في وقت مبكر إن وُجدتْ، ومن ثَمَّ التعامل معها بحكمة.

كلمات في تربية الأولاد

يقول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

إن نِعَم الله علينا عظيمة كثيرة، ومن هذه النعم نعمة الأولاد.

انظر لنفسك، لو أنك لم تُرزق أولادًا لذهبت تتداوى عند الأطباء، وبذلت الأسباب حتى تُرزق أولادًا، وإذا رأيتَ من رُزقوا أولادًا غبطتهم وتمنيت أن تكون مثلهم.

وها أنت بحمد الله أبٌ لبنين أو بنات أو أن الله جمع لك البنين والبنات، فيا لها من نعمة عظيمة.

أيها المسلم، أيتها المسلمة، أذكركم بقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، فاشكروا الله على هذه النعمة العظيمة؛ ليزيدكم منها، واحذروا من كفرانها.

أيها المسلم، أيتها المسلمة، إن من أعظم ما تُشكر به نعمة الأولاد هو حُسْن تربيتهم، وحبذا الاعتناءُ بهذا الموضوع وطَرْقُه في المواطن، كخُطب الجمعة، والكلمات بعد الصلوات، والمجالس العامة، ونحو ذلك.

❖ إن التربية الحسنة تتم بأمور:

أولها: ترسيخ توحيد الله في قلوبهم:

لقد خلق الله الخلق كلهم مفطورين على توحيده وعبادته، قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(١)، إذن فابنك يولد على الفطرة، فواجبك أن تُرَسِّخ التوحيد في قلبه وتُعَمِّقه وتَصُونه ـ أي تحفظه ـ مما ينقصه أو ينقضه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨).

عَلِّم ابنك بأن الذي خلق السماوات والأرض هو الله وحده، وأنه تعالى وحده المالك للكون كله، وأنه سبحانه وحده هو المدبر، فهو المحيي المميت، وهو المعز المذل، ومنه وَحْدَهُ سبحانه الغِنَى والفقر، والسعادة والحزن، والنجاح والرسوب، وكل تدبير الكون إليه وَحْدَهُ سبحانه.

فإذا كان هذا شأن الله ﷻ فَلْيَتَوجَّه إليه وَحْدَهُ سبحانه بعباداته؛ بصلاته، ودعائه، وخوفه، ورجائه، ومحبته، وتوكله، فلا يتوجه بعبادةٍ إلى غير الله، ولا يستمد حاجاته إلا من الله.

وحَذِّره من الشرك؛ الشرك الأكبر، وهو صرف أيّ عبادة لغير الله، كالذبح لغير الله ودعاء غير الله، وكذلك حَذِّره من الشرك الأصغر، وهو كل وسيلة تؤدي إلى الشرك الأكبر، كقول لولا الله وأنت، بل يقول لولا الله ثم أنت، والحلف بغير الله كمن يقول: والنبي، والكعبة، وشرفك، وحياتك، فهذا كله محرم، قال رسول الله ﷺ: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت» متفق عليه[(١)]، وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف بالأمانة فليس منا» رواه أبو داود بإسناد صحيح[(٢)]، وكالتسمي بعبد النبي أو عبد الرسول، ومن الشرك الأصغر: اليسيرُ من الرياء، وكذلك من الشرك: تعليق التمائم والحروز؛ لدفع الشر أو الشفاء من المرض.

كذلك عَلِّمه وجوب محبة النبي ﷺ واتِّبَاعِه، دون إفراط ولا تفريط، ووجوبَ تقديمها على محبة النفس والمال والولد والوالد والناس أجمعين، وأن محبته تقتضي طاعته، قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٧٩) ومسلم (١٦٤٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤).

الثاني: ـ بعد ترسيخ التوحيد ـ:

عليك بالاهتمام بما يستلزمه التوحيد ويقتضيه ويوجبه، وهو طاعة الله تعالى؛ بفعل أوامره واجتنابِ نواهيه.

وأعظم هذه الأوامر: الصلاة، فهي عمود الدين، وهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، قال رسول الله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»(١).

أيها الأب المسلم، أيتها الأم المسلمة، أنتما تحبان النبي ﷺ، إذن فَامْتَثِلَا قولَه: «مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع» حديث حسن، رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم(٢).

فإذا أتموا سبع سنين فإنهم يُحثون على الصلاة ويُرغبون في أدائها، ويُرَبَّون على الاهتمام بها، وإذا أتموا عشر سنين أُمروا أمرًا مؤكدًا، فإن رؤي منهم تقصير واحتاج الأمر إلى أن يُضربوا فليُضربوا؛ إنفاذًا لأمر النبي ﷺ الذي هو أرحم بهم وبأمته من الآباء والأمهات بأولادهم، قال تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ﷺ.

واحذر أيها الأب ـ وفقك الله ـ من أن تقع فيما وقع فيه بعض الناس؛ من التباطؤ في تنفيذ هذا الأمر النبوي؛ غفلة أو تساهلًا أو شفقةً على ابنه بزعمه، حتى إذا كبر الابن تشكَّى الأب من تقصيره في الصلاة وعدم استجابته لنصحه وهو السبب! حيث خالف أمر النبي ﷺ، والله ﷻ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢١) والنسائي (٤٦٣) وابن ماجه (١٠٧٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٦) وأحمد (٦٧٥٦) والحاكم في المستدرك (٧٢٤ ط. المنهاج القويم).

هذا في حق الابن والبنت، أما ما يختص به الابن فهو أن تُعَوِّده أن يصلي جماعة في المسجد إن كان بقُربه مسجد يسمع نداءه.

أيها المسلم، أيتها المسلمة، إن الأولاد أمانة عظيمة، وتربيتهم مسئولية جسيمة، ستُسأل عنها، قال رسول الله ﷺ: «كُلّكُم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته»[(١)]، وفي الحديث الآخر: «إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه، أَحَفِظ ذلك أم ضيع؟ حتى يُسأل الرجل عن أهل بيته»[(٢)]، فاتق الله، واحذر أن يأتي ابنك يوم القيامة يخاصمك ويشتكيك فيقول: يا رب، هذا أبي ضيعني ولم يربني على الإسلام.

أيها الآباء والأمهات، كما تربون أولادكم على إقام الصلاة وسائر الواجبات فربوهم على الخوف من الله ومراقبته وترك المحرمات، حذروهم من شرب الخمر وعلموهم أنها أُم الخبائث، وحذروهم من الزنى وبينوا لهم قبح هذا وخطره، وأنه سبب لسخط الله ولدخول النار، وجنبوهم الأسباب التي تؤدي إليه من الاختلاط بين الذكور والإناث ونحو ذلك.

الثالث: تجنيبهم رفقة السوء وتحذيرهم منهم:

وذِكْر المفاسد المترتبة على مرافقتهم في الدين والدنيا، وإيراد ما يشهد لذلك من القصص، وأن يرغبهم في مرافقة أهل الصلاح والاستقامة، ويحذروهم من التشبه بالكفار، ويحبب إليهم الاقتداء بالنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ويقرأ عليهم سيرة النبي ﷺ وقصص أصحابه رضي الله عنهم.

وَلْيُعْتَنَ بهذا الأمر، فإنه من أهم أسباب الانحراف.

وتذكر ـ سددك الله ـ أن (رفيق السوء) لا يُطلَق على الـمُمْعِن في الانحراف الواقعِ في أنواع من الفساد فحسب كما يَفهم ذلك كثير من الناس حتى بعض الآباء؛ بل هو كل مَن لا يُستفاد من مجالسته.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩١٢٩).

الرابع: أن تُوَفَّر لهم الأجواء المناسبة:

ويُرغبوا في الاستفادة منها، كَحِلَق تحفيظ القرآن في المساجد، ومجالس العلم، والمكتبات الخيرية، والمراكز الصيفية، ونحوها من السبل المفيدة المأمونة.

الخامس: الحرص على تعليمهم ما ينفعهم:

أيها الآباء والأمهات، علموا أولادكم أمور الدين، فكيف يكونون مسلمين حقًّا وهم لم يتفقهوا في الدين فلم يعرفوا الحلال ولا الحرام.

إذن فاجتهدوا في تعليمهم العلم الشرعي، وألحقوهم بِحِلَق تحفيظ القرآن، قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[(١)]، وقال رسول الله ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحَفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» رواه مسلم[(٢)].

فيُحَثّون على حفظ كتاب الله، ويُحَفَّظون بعض الأذكار والأدعية، ويُعلمون سيرة النبي ﷺ وأخبار الصحابة ﷺ، ونحو ذلك من العلوم النافعة، ويكون ذلك بالأسلوب المناسب، ويُنشّطون بين حين وآخر بمنحهم جوائز مناسبة، وحوافز مرغبة (كأن تُربط إجابة طلباتهم بشراء شيء أو الخروج في نزهة بعد قَطْعِهم مرحلةً معيَّنة من البرنامج العلمي الـمُعَدّ لهم).

السادس: لِيَحرص الأب على الجلوس مع أولاده:

وَلْيعلم أن قِلَّة مخالطة الابن لأبيه يُوَلِّد حواجز نفسية بينهما، فتنشأ الهيبة المشوبة بالخوف، الخالية من المحبة، وتحصل النفرة والجفول، وترتفع المودة والثقة، فتَقِلّ الاستجابة للتوجيهات، بل ربما لو وقع الابن في مشكلة

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

ـ كأن يتعرض له أحد بسوء ـ لم يَجِدِ الجرأة في أن يصارح أباه بها، فيجتهد في إخفائها عن أبيه، فتكون النتائج غالبًا سيئة.

وليحرص الأب أيضًا على اصطحاب أبنائه معه، وأن يجالسوا الرجال، حتى يتطبعوا بطبعهم ويكتسبوا أخلاقهم، وترقى اهتماماتهم.

السابع: إبعاد أسباب اللهو المحرَّم من البيوت:

والحذر من حيلة كاد بها الشيطان بعض الناس، حيث خوفهم أنهم إن أخرجوا تلك الأدوات المحرمة فإن أولادهم سيلتمسونها لدى الجيران وفي المقاهي.

فأنتما يا أيها الأب ويا أيتها الأم عليكما بذل الأسباب الشرعية، ثم كِلَا الأمر إلى الله ﷻ، وهذا حقيقة التوكل.

وتذكرا أنه كما أن الرزق لا يُطلب بالأسباب المحرمة فكذلك صلاح الأولاد لا يُطلب بالأسباب المحرمة أو المكروهة.

الثامن: ـ من أسباب حُسن التربية وهو من أهمها وأبلغها أثرًا ـ:

الاجتهادُ في الدعاء لهم، ومن صفات عباد الرحمن التي أثنى الله عليهم بها دعاؤهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، كما أن من دعاء الرجل الصالح الذي أثنى الله عليه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

فلا تنسوا أولادكم من الدعاء؛ ادعوا الله أن يصلحهم ويهديهم، فالله قريب مجيب، فالولد الصالح يَسُرُّ والديه في الحياة، وينفع الله والديه به بعد وفاتهما حينما يدعو لهما، ففي الحديث: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة» ومنها: «ولد صالح يدعو له»(١).

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).

التاسع: نُصحك لإخوانك وحُبك الخيرَ لهم وسعيُك في صلاح ذراريهم:

مهما كان عملك وأيًّا ما كان موقعك، فالجزاء من جنس العمل، وكما قيل: اشتهِ الخيرَ لجارك تَرَهُ في دارك.

وبعد، فإن ما تقدم مما قيل في حق البنين يقال في حق البنات إلا ما يستثنى، بل إن البنات أسرع انفعالًا وتأثرًا بعوامل الخير والشر، والخوفُ عليهن لا يَقِل عن الخوف على البنين؛ بل ربما يزيد، فيجري في حقهن ما تقدم إلا ما يختص به البنون، بالإضافة إلى البرامج الخاصة بهن مما يؤهلهن للقيام بالوظائف التي تنتظرهن، كمربيات أجيال وربات أُسَر.

قال ﷺ: «من عَالَ جاريتين ـ يعني: قام بتربيتهما والإنفاق عليهما ونحو ذلك ـ حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه»[(١)]، وأخبر النبي ﷺ أن مَن أحسن إلى بناته كُنَّ له سِتْرًا من النار[(٢)].

أيها المسلم، أيتها المسلمة، ربوا بناتكم على الحياء ورغبوهن فيه، وحذروهن من التهاون في شأنه، فالحياء شعبة من شعب الإيمان، ولقد كان النبي ﷺ شديد الحياء[(٣)]، فالحياء يحمل المرء على فعل الخير وتَجَنُّب الشر، أما إذا تَرك الإنسان الحياء؛ صار كالبهيمة لا يتورع عن فعل قبيح.

إنَّ تَرْكَ الحياء والانسلاخَ منه قبيح، وتَرْكه من المرأة أشد وأقبح، فما بالك بامرأة قد تَخَلَّت عن الحياء، واللهِ إن موتها خير من حياتها!

هذا، ومُروا بناتكم ونساءكم بالاحتشام ولزوم الحجاب وترك الاختلاط؛ طاعةً لله، وامتثالًا لأمر النبي ﷺ، فإنَّ في ترك طاعته العذابَ والشقاء والنكد والحسرة، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٣١).

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٨) ومسلم (٢٦٢٩).

(٣) قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها» أخرجه البخاري (٣٥٦٢) ومسلم (٢٣٢٠).

فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال الله ﷻ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ﴾ [النور: ٣١] الآية.

وحذروهن من الاختلاط بالرجال والخلوة بهم، ففي الحديث عنه ﷺ: «ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»(١).

علموا بناتكم الاعتزاز بالدين والتمسك بأحكامه مهما استهزأ بها أحد أو سخر منها إنسان، ففي ذلك رضا الرب وثوابه وسعادة الدنيا والآخرة.

وعلموها أن زينتها الحقيقية إنما هي بتقوى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وحذروها من التشبه بالكافرات أو الفاسقات، وَلْتَقْتَدِ بالنبي ﷺ وزوجاته أمهات المؤمنين وسائر نساء الصحابة.

وبينوا لها كيف أن السعادة لا تُنال بالمال ولا بالمناصب ولا بإنالة النفس شهواتها، إنما تُنال فقط بالإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ورغبوها في مساعدة والدتها على شؤون البيت؛ بِرًّا بوالديها، واستعدادًا للحياة الزوجية.

ثم بادروا بتزويجها إذا جاء الخاطب الكُفْء؛ بل من حقها عليكم أن تبحثوا لها عن الزوج الكُفْؤ كما فعل عمر رضي الله عنه وغيرُه من سلف هذه الأمة(٢)، فإن في التبكير بالزواج حفظًا بإذن الله للفتى والفتاة، قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٥).

(٢) قصة عرض عمر رضي الله عنه ابنتَه حفصة رضي الله عنها على عثمان وأبي بكر رضي الله عنهما أخرجها البخاري (٤٠٠٥)، وانظر قصة تزويج سعيد بن المسيب ابنتَه، كما في سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ٤/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

«يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء»[(١)].

أيها الأب، أيتها الأم، كما أن الأولاد نعمة تستوجب الشكر فهم كذلك أمانة عظيمة تقتضي حسن الرعاية، قال رسول الله ﷺ: «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته» رواه البخاري ومسلم[(٢)]، وقال ﷺ: «إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه، أَحَفِظ ذلك أم ضيع؟ حتى يُسأل الرجل عن أهل بيته» حديث حسن، رواه النسائي وابن حبان[(٣)]، انظر صحيح الجامع[(٤)].

فاحذرا ـ وفقكما الله ـ من الغفلة عن متابعة الأولاد، ومعرفة مَن يرافقون في ذهابهم إلى المدرسة وإيابهم وسائر أوقاتهم، ومعرفة ما يشغلون به أوقاتهم.

واحذرا من وضع حُسن الظن في غير محله، ولا يعني هذا حمله على أسوأ المحامل وإساءة الظن به في كل ما يأتي ويذر، ولكن المقصود التيقظ والانتباه.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إمامًا، ربنا وأصلح لنا في ذرياتنا، وأصلح ذراري المسلمين، اللهم حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكَرِّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، واجعلهم من الراشدين، اللهم أعذهم من الفتن ما ظهر منها وما بطن.



---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٦) ومسلم (١٤٠٠).
(٢) أخرجه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩).
(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩١٢٩).
(٤) صحيح الجامع الصغير للألباني (١٧٧٤).



القسم الثالث

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

مقدمة

اقتضت حكمة الله ـ وهو العليم الحكيم ـ أن يجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في منزلة عالية، ومرتبة من الدين رفيعة، فهو واجب من واجبات الإسلام، وقاعدة من أعظم قواعده، لا قوام لأمور العباد بدونه، ولا صلاح لأحوالهم إلا به، ولا انتظام لمصالح دينهم ودنياهم عند فقده، به تُرفع الدرجات، وتُضاعف الحسنات، وبه يتميز المؤمنون من المنافقين، وأهله القائمون به على بصيرة الذين يُصلحون ما أفسد الناس هم أحظ الناس بوصف الطائفة المنصورة، جعلنا الله منهم.

لذا كان من المهم طرقُ هذا الموضوع ذي الأهمية البالغة في خطب الجمعة وغيرها من المجامع العامة؛ تذكيرًا للناس، وإعذارًا وإنذارًا، وإحياءً لهذه الفريضة في النفوس التي بفقدها يُفقد الإيمان.

معنى المعروف والمنكر

المعروف: هو الخير الذي يوافق الفطرة، وعُرِف في الشرع حُسنه.

المنكر: هو الشر الذي ينافي الفطرة، وعُرِف في الشرع قبحه.

ويتضح من التعريفين السابقين: أن الميزان الذي يقاس به المعروف والمنكر هو ميزان الشرع، فالحكم على شيء بالحُسن أو القبح إنما يُستمد من الأدلة الشرعية.

ذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

- قال الله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

- وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

- وقال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم(١).

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تَخْلُف من بعدهم خُلُوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» رواه مسلم(٢).

- وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لَتَأْمُرُنَّ بالمعروف، وَلَتَنْهَوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم» رواه الترمذي، وقال حديث حسن(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).
(٢) أخرجه مسلم (٥٠).
(٣) أخرجه الترمذي (٢١٦٩).

حُكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وإذا لم يقم به أحد أو قام به من لا يكفي أَثِم كُلُّ مَن قَدِرَ فَلَمْ يفعله بلا عذر.

وقد يصبح فرض عين في بعض الحالات، مثل ما إذا كان لا يَعلم بالمنكر إلا رجل واحد، فإنه يتعين عليه الإنكار، ومثل ما إذا كان لا يتمكن من إزالته إلا رجل واحد، فإنه يتعين عليه الإنكار.

ولا يسقط عن المسلم الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر لكونه لا يُفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين، والذي يجب عليه الأمر والنهي، وليس القبول.

قال النووي رحمه الله: لا يَسقط وجوبه لكونه لا يُفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين، والذي يجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس القبول(١).

ولا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كاملَ الحال، فإنه يجب على المسلم شيئان:

ـ أن يأمر نفسه وينهاها.

---

(١) شرح النووي على مسلم، ٢/ ٢٣. وقال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم، ت الفحل، ص٧٠٥: «وقد حكى القاضي أبو يعلى روايتين عن أحمد في وجوب إنكار المنكر على من يعلم أنَّه لا يقبلُ منه، وصحح القولَ بوجوبه، وهو قولُ أكثرِ العلماء. وقد قيل لبعض السَّلف في هذا، فقال: يكون لك معذرة. وهذا كما أخبر الله تعالى عن الذين أنكروا على المعتدين في السَّبت أنَّهم قالوا لمن قال لهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾».

ـ وأن يأمر غيره وينهاه.

فإن قَصَّر في أحدهما لم يُسَوِّغ له ذلك أن يُقَصِّر في الآخر.

مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الدين

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مكانة عظيمة، فلا يتم الدين إلا به، ولا يكتمل الإيمان إلا بوجوده، ومما يبين ذلك ما يلي:

١ ـ عُلِّقت خيريّة هذه الأمة بكونها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، قال الله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٢ ـ نَفْيُ الإيمان عمن لم يَقُم به، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تَخْلُف من بعدهم خُلُوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» رواه مسلم(١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله في بيان معنى قوله ﷺ: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»، قال: «مراده أنه لم يبقَ بعد هذا الإنكار ما يدخل في الإيمان حتى يفعله المؤمن، بل الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان، ليس مراده أن مَن لم ينكر لم يكن معه من الإيمان حبة خردل، ولهذا قال: «ليس وراء ذلك»»(٢).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠).

(٢) مجموع الفتاوى، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٧/٤٢٨.

فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم[١].

قال ابن العربي: معناه أنه ليس وراء ذلك في التغيير درجة[٢].

٣ ـ الآيات الواردة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أكثر من الآيات الواردة في الصيام وفي الحج مع أنهما ركنان.

٤ ـ أن الجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الإسلام فرعٌ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥ ـ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص صفات المؤمنين التي تميزهم عن المنافقين، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١][٣].

فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وثمراته

منها:

١ ـ براءة الذمة بامتثال أمر الله ﷻ، قال تعالى: ﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، فَقَدَّمُوا الأهم.

٢ ـ أن القائم به موعود بالرحمة العاجلة، رحمةِ الله التي تغنيه عن رحمة من سواه، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

(٢) انظر: أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، ١/ ٣٨٤.

(٣) ويكْمُل المعنى الذي يشير إليه الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذِكر الآية التي فيها صفة المنافقين، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

٣ ـ القائمون به هم المفلحون، الذين فازوا بالمطلوب ونجوا من المرهوب، قال الله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

٤ ـ نَصْرُ الله للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، كما قال ﷻ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ ـ ٤١]، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

٥ ـ بقاء النِّعَم، وحِفْظُ الأعراض، وسلامة المجتمع من الانحرافات المؤدية إلى الهلاك، كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَثَل القائم على حدود الله والواقع فيها كمَثَل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على مَن فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذِ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا» رواه البخاري(١).

٦ ـ التَّحابُّ والتآلف بين أفراد المجتمع، وزوال الغل والأحقاد من القلوب، فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في خطبته في الخَيْف من منى: «ثلاث لا يُغِلُّ عليهم قلبُ المؤمن: إخلاص العمل، والنصيحة لولي الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تكون من ورائه»(٢)، فأخبر ﷺ أن هذه

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٠٥٦) وأحمد (١٦٧٣٨).

الثلاث الخصال تمنع الغل عن قلب المسلم، (انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب، شرح الحديث الثاني والسابع).

ومعنى (لا يُغِلُّ) أي: لا يحمل الغل.

ولما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] قال بعدها: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٥] الآية، فَتَرْكُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للتفرق وحصول الفتن.

٧ ـ به تتحقق الولاية بين المؤمنين، قال الله ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، روي عن سفيان الثوري أنه قال: «إذا أمرتَ بالمعروف شددتَ ظهر المؤمن، وإذا نهيتَ عن المنكر أرغمتَ أنف المنافق»[(١)].

٨ ـ مضاعفة الأجر، روى الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن من أمتي قومًا يُعطَون مثل أجور أولهم، ينكرون المنكر»[(٢)]، قال في صحيح الجامع: صحيح[(٣)].

٩ ـ شَدُّ أَزْرِ المؤمنين، وتقوية عزائمهم، وإغاظة أعداء الدين من الكفار والمنافقين، قال سفيان الثوري رحمه الله: «إذا أمرتَ بالمعروف شددتَ ظهر المؤمن، وإذا نهيتَ عن المنكر أرغمتَ أنف المنافق»[(٤)].

١٠ ـ زيادة الخير وتناميه.

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مسائل الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، ص٣٦.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣١٨١).

(٣) صحيح الجامع الصغير للألباني (٢٢٢٤).

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مسائل الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، ص٣٦.

١١ ـ القضاء على الشر[(١)].

نتائج الإخلال بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

منها:

١ ـ أن مَن تركه فقد عَرَّض نفسه لِلَعنة الله، نسأل الله العافية والسلامة، واللعن: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩].

٢ ـ قسوة القلب، وإذا قَسَا القلب استثقل الطاعة واستثقل أهلها، وأحب المعصية وأحب أهلها.

روى أبو داود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا، اتقِ الله ودَعْ ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أَكِيلَه وشَرِيبَه وقَعِيدَه، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض»[(٢)].

قال في «عون المعبود شرح سنن أبي داود»: «ضرب الله قلوب بعضهم ببعض» أي: سود الله قلب من لم يعصِ بشؤم من عصى، فصارت قلوب جميعهم قاسية بعيدة عن قبول الحق والخير أو الرحمة، بسبب المعاصي ومخالطة بعضهم بعضًا، انتهى[(٣)].

٣ ـ رَفْعُ النعم، ونزول البلاء والعقوبات، وحلول المصائب، فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا

---

(١) ومن فوائده وثماره العظيمة ـ أيضًا ـ: عدم إِلْفِ المنكر، وإبقاءُ نكارته وتحريمه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٣٦) والترمذي (٣٠٤٧) وابن ماجه (٤٠٠٦).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، ١١/٣٢٧.

رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أَوْشَكَ أن يعمهم الله بعقاب منه» رواه أبو داود والترمذي والنسائي[(١)]، قال النووي: «بأسانيد صحيحة»[(٢)].

فأفاد قوله: «أَوْشَكَ أن يعمهم الله بعقاب منه» بيان سرعة حلول العقاب إذا تُرِك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا العقاب يكون وفق ما تقتضيه مشيئة الله، فقد يُعاقِب الله من قَصَّر فيه باختلال في الأمن، وفُشوٍّ في السرقات، وخوفٍ على الأعراض، وانتشار أمراض وأوبئة لم تكن تُعرف من قَبْل، أو رفع البركة من الأرزاق، وحصول المجاعات، أو تَسَلُّط الأشرار على الأخيار، أو تَبَاعُد القلوب والتفرق شِيَعًا وأحزابًا، أو أن يُصاب الناس في دينهم وهذا أدهى وأمرّ، عياذًا بالله من هذا.

وقد يُعاقِب الله من قَصَّر فيه بتمرد الأبناء وعقوقهم، فلما لم يُطِعِ الله بل عصاه؛ عصاه أقرب الناس إليه، إلى غير ذلك من العقوبات.

إذا كنتَ في نِعمةٍ فارْعَها ... فإنَّ المعاصي تُزِيلُ النِّعَمْ
وحافظْ عليها بِتَقوى الإلهِ ... فإنَّ الإلهَ سَرِيعُ النِّقَمْ

فهذا كله لا يُدفع إلا بالإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

أما وجود الصالحين غير الساعين في الإصلاح فلا يدفع ذلك إذا كَثُر الخَبَث، ففي الصحيحين أن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كَثُر الخَبَث»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٣٨) والترمذي (٢١٦٨) والنسائي في السنن الكبرى (١١٠٩٢) وابن ماجه (٤٠٠٥).
(٢) رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة، ص٩٧.
(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٦) ومسلم (٢٨٨٠).

٤ ـ رَدُّ الدعاء، ففي الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده، لَتَأْمُرُنَّ بالمعروف، وَلَتَنْهَوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكَنَّ الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم»(١).

٥ ـ تَفَشِّي الشر وانتشاره.

٦ ـ انتفاء الإيمان عمن لم يقم بشيء منه، قال ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تَخْلُف من بعدهم خُلُوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» رواه مسلم(٢).

٧ ـ قد يضل بعض أهله وينحرفون؛ من بنيه أو بناته أو غيرهم، فلما لم يَغَرْ على دين الله وحُرُمَاته خُذِل ورأى السوء والانحراف في أقرب الناس إليه.

٨ ـ إهماله من صفات المنافقين.

يقول الله ﷻ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

قال أبو بكر الخلال: أخبرني عمر بن صالح قال: قال لي أبو عبد الله ـ يعني الإمام أحمد ـ: يا أبا حفص، يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه بينهم مثل الجيفة ـ يعني: لا قَدْر له عندهم ولا محبة ولا اهتمام ـ، ويكون المنافق يُشار إليه بالأصابع ـ يعني: يُعْلُون شأنه ويَحْتَفُون به ـ، فقلت: يا أبا عبد الله، وكيف يُشار إلى المنافق بالأصابع؟ فقال: يا أبا حفص، صيروا

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (٥٠).

أمر الله فضولًا ـ يعني: تَدَخُّلًا فيما لا يعني، أي: أن من يهتم بأمر الله ويدعو إليه فضوليٌّ يُدخِل نفسه فيما لا يعنيه ـ.

وقال ـ أي: الإمام أحمد ـ: المؤمن إذا رأى أمرًا بالمعروف أو نهيًا عن المنكر لم يصبر حتى يأمر وينهى ـ فحينئذ يقال: هذا فضول ـ، قال: والمنافق كلُّ شيء يراه، قال: بيده على فمه ـ أي: يصمت ولا يقول شيئًا ـ، فقالوا: نِعْمَ الرجل، ليس بينه وبين الفضول عمل(١).

تَأَكُّد الحاجة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الفترة أكثر من ذي قبل

لئن كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة من فرائض الإسلام لا يستغني عنه المسلمون في أيّ عصر وفي أيّ قُطْر، فإن حاجتنا إليه في هذه الفترة الراهنة أَمَسُّ؛ لأسباب:

منها: كونه أهمَّ وسيلة لإحباط مساعي المفسدين الذين تنادَوا وتواصوا بانتهاز الفرصة القائمة لتحقيق ما عجزوا عنه فيما مضى من السنين.

ولكونه أبلغ الأسباب لرد التهديدات التي يهددنا بها أعداؤنا، فبعد أن استعلنوا بعداوتهم لنا، وأصبحوا يتحدثون في هذا دون مُوَارَبَة أو مجاملة؛ اتضح أن هدفهم الأول والرئيس هو ديننا، ولا شك أن لهم أطماعًا اقتصادية ولهم أهدافًا كثيرة، لكن الهدف الأول والأساس هو ديننا، حيث رأوا أنه مصدر قُوَّتنا ومَثَار التهديد لهم، فرأوا أن أخصر طريق للقضاء على تلك التهديدات تغيير طبيعة المجتمع التي تتسم بالمحافظة، وتغيير بيئته التي هي في الجملة بيئة تَدَيُّن إلى بيئة شهوانية متفلتة من ضوابط الدين.

وكل مسعى خَيِّرٍ فله أثره في الإصلاح ودفع الفساد؛ لكن هذه المساعي يتفاوت أثرها تفاوتًا بَيِّنًا، فمنها ما هو بمثابة العوائق والعراقيل في وجه

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مسائل الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، ص٣٦.

الفساد والمفسدين، ومنها ما هو بمثابة القيود والسدود في وجه أولئك، وما من شك أن مِن أبلغ هذه الأسباب أثرًا وأعظمها نفعًا الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن هنا يتضح سبب حنق المفسدين على هذه الفريضة وأهلها وكل ما يتصل بها.

ومن وسائلهم في ذلك: الهجوم على وسائل الإصلاح وأدواته، كالمحاضن التربوية، ومناهج التعليم ومقرراته، والجمعيات والمؤسسات الشرعية، وتغيير الأنماط والأوضاع المحافظة التي تحكم الناس، ونحو ذلك.

ومن أدواتهم في هذا الهجوم: المنافقون، والخطر على المسلمين منهم لا يقل خطورة من الكفار الصرحاء؛ بل ربما كانت أشد، ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، ومما يزيد خطرهم: غفلةُ كثير من الناس عن معرفتهم أو التَّنَبُّهِ لِشَرِّهم، بسبب غفلتهم عن تدبر القرآن الذي فيه ذِكر صفاتهم.

ومن أسباب خطرهم: أنهم يَظهرون بمظهر المصلحين الناصحين، وأحيانًا ـ وهو الأكثر والأغلب ـ يُضْفُون على مساعيهم وصفَ الإصلاح، كمن يضع برنامجًا لتغريب المجتمع وتغيير هويته ويسميه برنامجًا إصلاحيًّا، ويبرره بـ: (نُصْلِح بأنفسنا قبل أن يفرض علينا من الخارج).

فمن هنا تظهر الحاجة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتباره أهم سبب لصد دعوة التَّفَلُّت من القِيَم، وردّ مَن استجاب منها مِن سَرَعَان الناس وإِمَّعَاتِهم.

لكن ليست التهديدات الخارجية هي كل شيء؛ بل قد لا تكون هي أخطر شيء، فمن الواضح أن مجتمعنا يعيش مرحلة حرجة، حيث يمر بفترةِ تَحَوُّل وتَغَيُّر؛ بل إعادة تَشَكُّل أو إعادة تشكيل في أوضاعه وأحواله ونُظُمِه ونظراته ونمط تفكيره وغير ذلك.

فإن قام الصالحون بما يجب عليهم حيال ذلك فَسَيَنْكَفُّ عنهم من الشر ما شاء الله أن يَنْكَفَّ، وسيبقى بإذن الله لهذا المجتمع صِبغته الطيبة وسِمَتُه

المحافظة، أما إن قصّروا وفرّطوا واكتفوا بدور المتفرج، أو كانت مساهمتهم تلاومًا في مجالسهم، وتَنَصُّلًا عن المسؤولية، وتواكلًا فيها، فَلْيَنْتظروا جزاءَ ما كسبت أيديهم، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

ومن المستحسن أن نستفيد من التاريخ الماضي، فتوضيحًا للمعنى المراد تقريره هنا لعله يحسن التمثيل ببعض المنكرات التي قُرِّرَت في المجتمع في زمن كان لأهل العلم مكانتهم، كترتيب المستشفيات على الوضع الحالي بما فيه من تبرج واختلاط، وكأوضاع الرحلات الجوية وما فيها من منكرات ظاهرة، وغيرها، فبعض الناس يقول: أين كان العلماء؟!

فنحن إن قصّرنا في هذه الفترة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد لا يُبْطِئ مجيءُ زمانٍ يُقال فيه: كان أهل الصلاح والاستقامة كثيرين، وكان لهم حضور، فأين أثرهم؟!

وَلْنَأخذ عبرة من دول حولنا كانت حواضر العالم الإسلامي، مُزدانة بالعلماء والعبّاد والزهّاد، يَؤمها الناس طلبًا للعلم والفائدة، ثم آلت إلى ما آلت إليه، فغَدَتْ كأنها قطعة من بلاد الغرب! كيف حصل هذا؟ بما كسبت أيدي العباد بلا شك ولا ريب، بأن يرى الناسُ المنكر وهم قادرون على تغييره فيفرطون ويتكاسلون، فتتفاقم المنكرات حتى يصبح الحق وأهله أذلة ضِعافًا، ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

معوقات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1]

❖ أولًا: معوقات نفسية:

١ ـ تهوين المنكر، وتهوين آثاره.

٢ ـ تهويل المنكر، وتهويل أهله وآثاره.

٣ ـ الهزيمة النفسية أمام الباطل.

(١) تاريخ هذه الورقة «معوقات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»: ١٤٢٢/١١/٢٤هـ.

٤ ـ احتقار الذات.

٥ ـ الخوف على الدنيا، والخوف على الوَجَاهة، وحب الدنيا، وصور ذلك كثيرة.

٦ ـ الخوف من الأذى(١).

٧ ـ الاحتجاج بتقصير النفس، وانتظارُ تكميلها.

٨ ـ التسويف والتأجيل.

٩ ـ الضعف والخَوَر تحت مسمى الحكمة والحياء.

١٠ ـ الخَلْط بين المداهنة والمداراة.

١١ ـ التواكل (تَدَافُع هذا الواجب).

١٢ ـ التواضع المذموم.

١٣ ـ عدم الصدق مع الله.

١٤ ـ تبرير المنكر.

١٥ ـ الخوف من الفشل.

١٦ ـ عدم إدراك مقصد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٧ ـ الإحباط واليأس.

❖ **ثانيًا: معوقات في طبيعة العمل:**

١ ـ الاندفاع قبل التثبت.

٢ ـ الاستعجال وعدم التأني.

٣ ـ عدم الدُّرْبَة، والتَّهَيُّبُ من الجديد.

٤ ـ عدم الواقعية، والطموحُ الـمُفْرِط.

---

(١) والمراد: إذا كان الخوف متوهَّمًا، ولذا قال القاضي أبو يعلى ـ كما نقل ابن مفلح في الآداب الشرعية ١/ ١٥٥ ـ: «ولا يَسقط فرضُه بالتوهم...».

٥ ـ الجهل بالحكم الشرعي في المأمور به أو المنهي عنه.

٦ ـ قِلة الفقه، حين يُعتذَر بمصلحة الدعوة (قد يكون صحيحًا وقد لا يكون).

٧ ـ مواجهة شهوات الناس وأهوائهم.

٨ ـ الفجوة بين المحتسبين وبين أهل العلم وطلبته.

٩ ـ كثرة المنكرات.

❖ ثالثًا: معوقات منهجية:

١ ـ التقصير في تبيين مكانته في الدين، وفوائده، وآثار التقصير فيه.

٢ ـ إغفاله أو التقصير فيه في البرامج التربوية.

٣ ـ ربط العمل بالنتائج (عدم إدراك مقصد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

٤ ـ الخوف على مصلحة الدعوة.

٥ ـ الخلط بين الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦ ـ الفوضى وعدم التخصص.

٧ ـ حصره على قضايا الأفراد.

٨ ـ دعوى البَدْء بإنكار المنكر الأكبر ثم الأصغر.

٩ ـ النظر إلى المحتسبين نظرةً دُونِيَّة.

١٠ ـ عدم وضوح منهج التغيير.

❖ رابعًا: معوقات اجتماعية:

١ ـ شبهة عدم التدخل فيما لا يعنيه.

٢ ـ عدم الممارسة الاجتماعية، وعدم تقدير مساعي المحتسبين.

٣ ـ عدم إدراك طبائعِ المجتمعات والفروقِ بين البيئات.

٤ ـ دور الوالدين والأهل في التثبيط.

٥ ـ فُشو الإشاعات (تناقل الإشاعات).

٦ ـ عدم تطبيع الاحتساب (اقتصاره على فئة من أفراد المجتمع).

٧ ـ عدم إدراك عامة الناس لخطورة المنكر في العاجل والآجل.

٨ ـ تَنَقُّصُ بعضِ المَسَاعي بوصفها رُدُودَ أفعال.

شبهات قد يَعتذر بها بعض الناس عن القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١ ـ قلة العلم:

لا شك في أهمية العلم ومَسِيس الحاجة إليه، كيف لا وهو ميراث النبوة وتبدو الحاجة إليه جَلِيَّةً عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد يريد الجاهل أن يُصلح فيُفسد أكثر مما يصلح.

لكن الذي لا ينبغي هنا: تضخيم هذه المسألة حتى تصبح مانعًا ومعوقًا ومُقْعِدًا عن القيام بهذه الفريضة العظيمة.

وكما أن مراتب العلم تتفاوت فأهل العلم يتفاوتون في حظهم من العلم، وكذلك أنواع المنكرات تتفاوت في جلائها وخفائها، فمن المنكرات ما أَمْرُه بَيِّن لا يحتاج إلى مزيد علم، كالأمر بالاهتمام بالصلاة، والنهي عن التهاون فيها.

ومنها ما قد يكون فيه لَبْس وخفاء، وتتعارض فيه المصالح والمفاسد، فمثل هذا لا يُقْدِم المسلم على أن يأمر به أو ينهى عنه إلا إذا تأكد من ثمرة ذلك الأمر أو النهي، وأن المصلحة فيه أرجح من تركها، وإذا لم يَعلم فليسأل، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وإنما شفاء العِيِّ السؤال.

٢ ـ إن العاصي ضرره على نفسه، وكل إنسان محاسب على نفسه، فلماذا يُجْبَر على فعل شيء أو تَرْكِه؟

الجواب:

ـ إن المعصية إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها، وإذا ظهرت ضرت كل مَن علم بها فلم يغيرها.

ـ أن صاحب المعصية لما جاهر بها كان قد تعدى على حق غيره، وأصبح بمثابة الداعي إلى معصيته، فلم يقتصر ضرره على نفسه، وقد قيل: الناس كأسراب القَطَا مَجْبُولون على تشبه بعضهم ببعض، وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَثَل القائم على حدود الله والواقع فيها كمَثَل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على مَن فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذِ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا» رواه البخاري[(١)].

فهؤلاء قالوا: «لو أنا خرقنا في نصيبنا» ظنوا أنهم يمكن أن يتصرفوا في القسم الخاص بهم بما شاؤوا، وغاب عنهم أن فعلهم هذا يضر بالسفينة كلها ومَن فيها، وهكذا العاصي إذا أظهر معصيته أضر بالمجتمع كله.

ـ أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر إنما يَسعى أولًا في أمره ونهيه في تخليص نفسه من إثم السكوت على المنكر.

ـ أن التناصح هو مِن حق المسلم على إخوانه المسلمين، فإذا رأوه على خطأ وجب عليهم أن يرشدوه ويُوَجِّهوه، ولو استدعى الأمرُ إجبارَه وقَصْرَه على الحق، كما أن من حقه عليهم في حالة كونه سفيهًا لا يحسن التصرف

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٣).

في ماله أن يَحْجروا عليه، فلا يتصرف في ماله إلا حسب نظر الولي، فإعانته على نفسه في شأن دينه آكد وأوجب منها في شأن ماله.

٣ ـ عدم تطبيقه ما يَأمر به أو ما يَنهى عنه:

لا شك في أهمية امتثال المرء لما يأمر به أو ينهى عنه، وإلا فقد عَرَّض نفسه لوعيد شديد، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه ـ يعني: تخرج أمعاء بطنه ـ، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان، ما لك؟ ألم تكُن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه» متفق عليه[(١)].

قال ابن رجب رحمه الله: قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، فقال له: إن لم تَخْشَ أن تفضحك هذه الآيات الثلاث فافعل، وإلا فابدأ بنفسك، ثم تلا: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣]، وقوله حكاية عن شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ [هود: ٨٨].

ثم قال ابن رجب رحمه الله: ومع هذا كله فلا بد للناس من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والوعظ والتذكير، ولو لم يَعِظِ الناسَ إلا معصومٌ من الزلل لم يَعِظْ بعد رسول الله ﷺ أحد؛ لأنه لا عصمة لأحد بعده.

لئنْ لم يَعِظِ العاصينَ مَن هو مُذنبُ ... فمنْ يَعِظُ العاصينَ بعدَ محمدِ؟

وقيل للحسن: إن فلانًا لا يَعِظ، ويقول: أخاف أن أقول ما لا أفعل،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٨٩) ومسلم (٢٩٨٩).

فقال الحسن: وأيُّنا يفعل ما يقول؟! وَدَّ الشيطان أنه قد ظفر بهذا، فلم يأمر أحد بمعروف، ولم يَنْهَ عن منكر.

وقال مالك عن ربيعة: قال سعيد بن جبير: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء؛ ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض نُوَّابه على بعض الأمصار كتابًا يَعِظُه فيه، فقال في آخره: وإني لَأَعِظُكَ بهذا، وإني لَكثير الإسراف على نفسي، غير مُحْكِم لكثير من أمري، ولو أن المرء لا يَعِظُ أخاه حتى يُحْكِم نفسه إذن لَتَواكَل الناس الخير، وإذن لرُفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذن لاستُحِلت المحارم، وقَلَّ الواعظون والساعون لله بالنصيحة في الأرض. انتهى باختصار من لطائف المعارف[(١)].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]: وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يَقُم بما أَمَر به أنه يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيها، فَتَرْكُ أحدهما لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير، انتهى[(٢)].

إذن فكأن اللوم في الآية السابقة على مَن أَمَر غيره ونَسِي نفسه، أما مَن أمر غيره وهو قد أمر نفسه ويسعى في مجاهدتها فلا لوم عليه إن شاء الله.

٤ ـ الخوف من مُداخَلَة الرياء:

إن الرياء أمره خطير؛ ذلك أنه قد يؤدي إلى حبوط العمل، ففي الحديث

---

(١) انظر: لطائف المعارف، المكتب الإسلامي، ص٤١ ـ ٤٣.

(٢) انظر: تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، ص٥١.

القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركتُه وشِركَه»[١].

ثم إنه خَفِيٌّ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل»[٢].

والمتقون دائمًا يحاسبون أنفسهم، ويفتشون في نياتهم، ويخافون على أنفسهم من أن يقعوا في الرياء وهم لا يشعرون.

عن الحسن رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]: إن المؤمن واللهِ ما تراه إلا يلوم نفسه: ما أردتُ بكلمتي؟ ما أردتُ بأَكْلَتي؟ ما أردتُ بحديث نفسي؟ وإن الفاجر يَمضي قُدُمًا فلا يُعاتِب نفسه[٣].

لكن الخوف من الرياء قد يَصِل ببعض الناس إلى أن يترك العمل الصالح، وهذا خطأ وخطر.

وهنا يقال: إن الخوف من الرياء منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم، فالمحمود منه: ما كان مقربًا إلى الله سبحانه بتجديد النية، وتعاهد الإخلاص، مع الازدياد من العمل الصالح، والمذموم منه: ما حَدَا بصاحبه إلى ترك العمل الصالح.

وهذا مَزْلَق ومَكِيدة من الشيطان يستزِلُّ فيها أحيانًا أقدام الصالحين.

٥ ـ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دور العلماء الذين لهم وزنهم وثقلهم في المجتمع وعند الولاة، حيث إنهم إذا أَمروا أُطِيعوا، وإذا تَكلموا سُمع لقولهم:

وهذا كلام يردده كثير من الناس، ويجعلونه عذرًا في ترك بعض ما يجب عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥)

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٩).

(٣) انظر: الزهد للإمام أحمد، دار الكتب العلمية، ص٢٢٨.

لا شك أن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتفاوت وجوبه على الناس بحسب إمكانياتهم وما عندهم من العلم ونحو ذلك، ولكنْ لا يعني ذلك أنَّ من قَدِر على مرتبة من مراتب الإنكار أن يتركها بحُجَّة أن غيره أقدر.

فمثلًا: إذا كان غيرك يملك تغيير المنكر باليد واللسان، وأنت لا تستطيع تغييره إلا باللسان، فيبقى الأمر متوجهًا إليك؛ اللهم إلا إن كان قد قام به غيرك قيامًا كاملًا، فهنا تبرأ عُهدتك، حيث إنه من فروض الكفايات.

لكنْ إن لم يَقُم به أحد، أو قام به من لا يكفي؛ فيبقى وجوبه متوجهًا إليك، ويشملك قول النبي ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[(١)].

إذن تقصير غيرك إن قصّر ليس عذرًا في أن تُقصّر أنت.

٦ ـ قول من يقول: لو كان هذا منكرًا فكيف يُقَرُّ في بلاد المسلمين ويُسمح به:

وهذه شبهة يجادل بها بعض الناس أحيانًا عن جهل، وأحيانًا عن هوى ورغبة في عدم الاستجابة.

ولا يخفى أن الحلال ما أحله الله ورسوله ﷺ، والحرام ما حرمه الله ورسوله، وأن الناس بعد النبي ﷺ كلّهم يؤخذ من كلامهم ويرد، إنما الحجة فيما قاله الله أو قاله رسوله ﷺ.

لكن لعل أنسب أسلوب يُسلَك مع مَن يجادل بمثل تلك الشبهة ألا تَسترسِل معه في اللجاج والجدال، وإنما تحاكمه إلى الأصل (الكتاب والسنة)، فتورد له الدليل على وجوب ما تأمر به أو تحريم ما تنهاه عنه.

فتقول له: ألم يأمر الله بهذا ورسوله ﷺ؟ أو ألم يَنْهَ الله عن هذا

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

ورسوله ﷺ؟ ولا يَسْتَجِرَّنَّك أو يَسْتَزِلَّنَّك في جدال عقيم، ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

ولما جادل الذي آتاه اللهُ الملكَ إبراهيمَ في ربه لم يسلك معه إبراهيم ﷺ مسلك المناقشة والتحليل لكلامه وتخطئته فيما مَثَّل به، حيث إنه ذكر بعض المفسرين أنه أَتى برجلين قد حكم عليهما بالقتل، فقتل أحدهما وأطلق سراح الآخر، فاعتبَر الملكُ ذلك إحياءً منه وإماتة[1]، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام قال له قولًا يقطع اللجاج والجدال: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

٧ ـ اليأس من الاستجابة:

والأمر هنا بَيِّن، وهو أن الذي كلفنا الله به ـ وله الحمد وله الشكر ـ إنما هو امتثال أمره سبحانه، وأما قبول الناس وعدمُه فليس إلينا ولم نكلَّف به.

كما قال الصالحون الأولون: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، وهذا كافٍ، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، وهذا دافع آخر.

فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء سبحانه، فقد يهتدي الضال، كما أنه قد يَضل المهتدي.

واقرأ قول الله ﷻ في قصة موسى مع فرعون والسحرة: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦٠ ـ ٦١].

فانظر كيف أن موسى عليه الصلاة والسلام قام بالنهي عن المنكر مع عُتاة الكفرة والطغاة السحرة الذين وقفوا مع فرعون صفًّا واحدًا في وجه الحق؛ صَدًّا عن دين الله، وتلبيسًا على الناس.

فما كان هؤلاء من عامة الضالين؛ بل كانوا أقطاب الضلالة ورؤوسها.

---

(١) انظر: تفسير الطبري، طبعة هجر ٤/ ٥٧١.

ثم إن هذا كان على مَشهد من الناس ومرأى، وقد حُشر الناس وجُمعوا ضحى، والأملُ في استجابة مَن يُدعى إلى الحق أمام الناس ضعيف جدًّا، إذ الغالب أنْ تأخذه العزة بالإثم، فيرى أن استجابته للحق تُظهِره أمام الناس بمظهر الضعيف.

ثم إنهم قد بلغهم الحق وقامت عليهم الحجة، فقال لهم موسى ما قال؛ زيادةً في الإعذار إلى الله.

ولذا فانظر كيف كانت النتيجة: آمن أولئك السحرة إيمانًا لم يزلزله تهديد فرعون الرهيب: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٤٩ ـ ٥١]، وقالوا: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه: ٧٢].

كما لم يُزعزعهم عن إيمانهم ما كان قد أغراهم به من المناصب والقُرْب منه والحَظْوَة لديه.

إذن لا نفترض أن المأمور أو المنهي لن يستجيب؛ بل نتفاءل خيرًا، وقد كان النبي ﷺ يُعجبه الفأل[1].

٨ ـ الخطأ في فهم قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]:

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

يديه أَوْشَكَ أن يعمهم الله بعقاب منه» رواه أبو داود والترمذي والنسائي بأسانيد قال النووي: صحيحة[(١)].

قال ابن العربي: «ذلك إنما يكون مع القدرة على ذلك بيقين الأمن من الضرر عند القيام به، يدل عليه قوله في حديث أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فإذا رأيت شحًّا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيًا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بخاصة نفسك، ودع أمر العامة»، وذلك لعدم الاستطاعة على معارضة الخلق، والخوف على النفس أو المال من القيام بالحق، وتلك رخصة من الله عَزَّ وَجَلَّ يسرها علينا»[(٢)].

فلا يَتم هُدى المرء إلا بالإتيان بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لكنَّ من أنكر المنكر فلم يُقبل منه ولم يُستجب له أو من كان عاجزًا عن الإنكار بيده ولسانه وأنكره بقلبه فإنه لا يضره ضلال غيره.

٩ ـ كيف ينكر (كذا) من المعاصي وفيه ما هو أعظم نَكَارةً منها؟! أو كيف يُنكَر على فلان (الضعيف) ويترك القوي؟!

هذه بعض الشبهات وهناك غيرها، ولكنْ لعل ذِكر ما سبق يُنَبِّه على ما سواها.

وهذه الشبهات مَنْشَؤُها من الجهل وقلة العلم، أو ضعف النفس ومهانتها، وقبل ذلك كله تثبيط الشيطان ووسوسته.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٣٨) والترمذي (٢١٦٨) والنسائي في السنن الكبرى (١١٠٩٢) وابن ماجه (٤٠٠٥)، وانظر: الأذكار للنووي، دار الفكر، ص٣٣١، ورياض الصالحين، دار ابن كثير، ص٨٦.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي، دار الكتب العلمية ٢/ ٢٢٧.

أمور تعين على تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام به

١ ـ خوف الله سبحانه، وتقديم ذلك على خوف الناس.

٢ ـ الإيمان بالقدر، والعلم بأن الناس مهما اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك.

٣ ـ معرفة حُكمه وفضله، وحُكم مَن تركه، وأَثَر التقصير فيه.

٤ ـ تَعلم العلم؛ لِيُقْدِم على بصيرة أو يُحْجِم على بصيرة.

٥ ـ تبشير المسلم بما يسره ويفرحه من الأخبار الحسنة، ومن ذلك ما يجريه الله من خير بسبب مساعي المصلحين.

٦ ـ التمرين والتدريب، فكما أن الصبي يؤمر بالصلاة ليتدرب عليها، ويؤمر بالصيام ليتعود عليه، فكذلك ـ في نظري ـ مما يساعد على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التمرينُ والتعويد عليه.

وهذا كلام يُخاطَب به مَن وفقه الله للقيام بوراثة الأنبياء، والقيام بشؤون الدعوة والتربية، أن يَغرسوا في النفوس الحرص على هذه الفريضة العظيمة، وأن تُقدر حق قدرها، وأن يُسلَك في تطبيقها المسالك الصحيحة، مراعين في ذلك ما جاءت به الشريعة من الحرص على جلب المصالح ودرء المفاسد.

٧ ـ دعاء الله، والتقرب إليه بالأعمال الصالحة؛ فرضها ونفلها.

وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وسائله كثيرة جدًّا ولله الحمد، ومن الصعب حصرها، فمنها:

ـ الكلمة الطيبة.

ـ شكر المحسن؛ تشجيعًا له وحثًّا لغيره.

ـ المشافهة.

ـ الرسالة.

- المهاتفة.

- الهدية.

- الزيارة.

- البرقية.

- ومنها شبكة المعلومات، مع التأكيد على حُسن الاستفادة منها، ومراعاة آداب ذلك.

- ووسائل أخرى كثيرة؛ لكنْ أنوه بما يلي:

- شكر الله.

- حُسن الظن بالله.

- دعاؤه سبحانه، ففي الحديث عن النبي ﷺ قال: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»(١)، وفي رواية: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم»(٢).

- احرص على أبلغ الأسباب أثرًا؛ لكن إذا لم يُتَحْ لك إلا السبب الضعيف فلا تتركه لضعفه.

- الأصل الاحتساب على مَن صدر منه المنكر.

شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآدابه

١ - الإخلاص لله ﷻ فيه، قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، وقال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٦).

(٢) أخرجه النسائي (٣١٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).

قال ابن رجب رحمه الله: «وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز»[(١)].

وكلما كمل الإخلاص ترتب عليه:

أ ـ مضاعفة الأجر، قال ﷺ: «سبق درهم مئة ألف درهم»[(٢)].

ب ـ حصول الثمرة، وعموم نفعها، وطول بقاء هذا النفع، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

ومما يعين على تحقيق الإخلاص: معرفة فضلِ هذا العمل، والآثارِ المترتبة عليه، ونتائجِ التقصير فيه، وكذلك معرفة خطر الرياء والشرك.

٢ ـ المتابعة للنبي ﷺ، قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، وحُسن العمل أن يكون خالصًا صوابًا، قال رسول الله ﷺ: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»[(٣)].

فلا يفعله انتصارًا لنفسه، وانتقامًا مِن خَصمٍ له، أو ما أشبه ذلك، وإنما نصرةً لدين الله.

٣ ـ الصبر، كما حكى الله تعالى عن لقمان أنه قال: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧].

والنصوص في الصبر في القرآن الكريم وردت أكثر من تسعين مرة، ومن النصوص الواردة في الصبر في السنة: «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون»[(٤)].

---

(١) جامع العلوم والحكم، دار ابن كثير، ص٥٠.
(٢) أخرجه النسائي (٢٥٢٧).
(٣) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).
(٤) أخرجه أحمد (١٤٨١) بلفظ: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الصالحون».

وهذه سنة جارية، قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: ضُرب محمد بن المنكدر وأصحابٌ له في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر(١).

وأنكر عماد الدين الجمّاعيلي المقدسي على فُسَّاق، وكَسَر ما معهم، فضربوه حتى غُشي عليه(٢).

وقد كان أهل العلم يوصون به غيرهم، فكان من وصية عمير بن حبيب لبنيه: إذا أراد أحدكم أن يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر فَلْيوطن نفسه على الأذى، وليوقن بالثواب من الله، فإنه مَن يثق بالثواب مِن الله لا يجد مَسَّ الأذى(٣).

وسُئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كيف ينبغي أن يأمر؟ قال: يأمر بالرفق والخضوع، ثم قال: إن أَسمعوه ما يكره لا يغضب، فيكون يريد أن ينتصر لنفسه(٤).

٤ ـ أن يكون على علم وبصيرة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، والبصيرة هي: الدليل الواضح.

فالجاهل إذا أراد أن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر على جهل قد يُفسِد أكثر مما يصلح.

٥ ـ البدء بالنفس:

لما ولي عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ الخلافةَ وقف على المنبر، وقال: أما

---

(١) موطأ مالك، نشر مؤسسة زايد بن سلطان، ١/ ٢٦١.

(٢) انظر: تاريخ الإسلام، دار الغرب الإسلامي، ١٣/ ٣٩٩. ويذكر أصحاب التراجم أن سبب وفاةِ فقيهِ الحنابلة في عصره: عمر بن الحسين، أبي القاسم الخِرَقي، أنه أنكر منكرًا بدمشق، فضُرب، فكان موتُه بذلك، رَحِمَهُ اللَّهُ. انظر: المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ٢/ ٢٦٩.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٧٢٤٤ ط. الشثري).

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مسائل الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، ص٣٦.

بعد، فإن هؤلاء أعطونا عطايا ما كان ينبغي لنا أن نأخذها، وما كان ينبغي لهم أن يعطوناها، وإني قد رأيت ذلك ليس عليَّ فيه دون الله محاسب، وإني قد بدأت بنفسي وأهل بيتي، اقرأ يا مزاحم، فجعل مزاحم يقرأ كتابًا كتابًا، ثم يأخذه عمر وبيده الجَلَم فيقطعه حتى نودي بالظهر[(١)].

٦ ـ الرفق، قال الله ﷻ: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ [طه: ٤٤]، وقال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق، يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه» رواه مسلم[(٢)]، وقال ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» رواه مسلم[(٣)]، وقال ﷺ: «من يُحْرَمِ الرفقَ يُحْرَمِ الخيرَ» رواه مسلم[(٤)].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «والناس يحتاجون إلى مُدَارَاة ورفق في الأمر بالمعروف بلا غِلظة؛ إلا رجلًا مباينًا معلنًا بالفسق، فيجب عليك نَهْيُه وإعلانه؛ لأنه يُقال: ليس لفاسق حُرمة، فهذا لا حرمة له»[(٥)].

وقال أحمد: حدثنا معتمر قال: سمعت أبي يقول: ما أغضبتَ رجلاً فقبل منك[(٦)].

---

(١) انظر: حلية الأولياء، دار الفكر، ٥/ ٣٥٥. والجَلَم، قال في لسان العرب: «جَلَمَ: جَلَمَ الشيءَ يَجْلِمُه جَلْمًا: قَطَعَهُ. والجَلَمان: المِقْرَاضان، واحدُهما جَلَمٌ للذي يُجَزُّ به...».

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٩٢).

(٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مسائل الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، ص٢٥.

(٦) المرجع السابق، ص٢٦.

ـ نماذج من الرفق:

أ ـ حديث معاوية بن الحكم السلمي[(١)].

ب ـ قصة الفتى الشاب الذي استأذن النبي ﷺ في الزنى[(٢)].

تنبيه مهم: لا منافاة بين الرفق والغضب، فالغضب عند انتهاك محارم الله مطلوب، والرفق والغلظة أداتان للتغيير، يَختار المحتسبُ أصلحهما وأنسبهما، فإذا استدعى الحالُ الشدةَ والغلظةَ فبها، فإنَّ مِنَ الناس من هو لئيم الطبع، لا يزيده الرفق إلا تماديًا، وقد كان النبي ﷺ لا يغضب لنفسه إلا إذا انتهكت حرمات الله[(٣)].

---

(١) أخرج مسلمٌ في صحيحه (٥٣٧) عن عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه أنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أُمِّيَاهْ! ما شأنكم تنظرون إليَّ. فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني، لكني سكتُّ، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي! ما رأيتُ معلمًا قبله ولا بعده أحسنَ تعليمًا منه، فوالله! ما كَهَرَنِي ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يَصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن».

(٢) أخرج أحمدُ في مسنده (٢٢٢١١) عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شابًّا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مَهْ مَهْ! فقال: «ادْنُهْ»، فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا واللهِ، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم»، قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا واللهِ يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»، قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا واللهِ، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم»، قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا واللهِ، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم»، قال: «أفتحبه لخالتك؟» قال: لا واللهِ، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»، قال: فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصِّن فرجه»، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٦٠) ومسلم (٢٣٢٧).

وخذ عبرة من سيرة النبي ﷺ: في تفريقه بين إنكاره على الذي لبس خاتم ذهب[(١)]، وعلى الأعرابي الذي بال في المسجد[(٢)].

قال القاضي عياض: ويرفق في التغيير جهده بالجاهل، وبذي العزة الظالم المخوفِ شره، إذ ذلك أدعى إلى قبول قوله، ويُغلِظ على المتمادي في غَيِّه والمسرفِ في بطالته إذا أمن أن يُؤَثِّر إغلاظه منكرًا أشد مما غيره[(٣)].

وقال الحليمي: ينبغي أن يكون الآمر بالمعروف مميِّزًا ـ يعني: يميز بين الحالات ـ، يرفق في مواضع الرفق، ويَعْنف في مواضع العنف، ويكلم كل طبقة بما يَعلم أنه أَلْيَق بهم وأنجعُ فيهم، ولا يخاطِب أحدًا بفضلٍ من الكلام لا يَحتاج إليه فيُنفّره بذلك عن قبول موعظته، وكما لا ينبغي لمن يقوم بهذا الأمر أن يعنف في موضع الرفق فكذلك لا ينبغي له أن يرفق في موضع التعنيف؛ لئلا يستخف قدره[(٤)].

٧ ـ مراعاة الحكمة، قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

---

(١) أخرج مسلمٌ في صحيحه (٢٠٩٠) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحه، وقال: «يَعْمِدُ أحدُكم إلى جمرة من نار فيجعلُها في يده»، فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا واللهِ! لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ.

(٢) أخرج مسلمٌ في صحيحه (٢٨٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَهْ مَهْ! قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُزْرِمُوه، دَعُوه»، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله ﷻ، والصلاة، وقراءة القرآن»، أو كما قال رسول الله ﷺ، قال فأمر رجلًا من القوم، فجاء بدلو من ماء، فشنه عليه. ونحوه في صحيح البخاري (٢١٧)، وزاد في آخره: «فإنما بُعثتم ميسرين، ولم تُبعثوا معسرين».

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم، ٢/ ٢٥.

(٤) انظر: المنهاج في شعب الإيمان، دار، ٣/ ٢١٨.

❖ مراتب الخلق في إيصال الدعوة إليهم:

١ ـ المستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه: يُدْعى بطريق الحكمة.

٢ ـ القابل الذي عنده نوعُ غفلة وتَأَخُّر: يُدْعى بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

٣ ـ المعاند الجاحد: يُجادَل بالتي هي أحسن.

فمن الحكمة أن ينصح سرًّا إلا إذا استدعى الحال خلاف ذلك، وألا يؤدي الأمر بالمعروف إلى تفويت معروف أهمَّ منه، أو حصولِ منكر أعظم منه.

تنبيه مهم: اعتبار مقادير المصالح والمفاسد إنما هو بميزان الشريعة، وفق ما تدل عليه الأدلة الشرعية، لا بوجهات النظر الشخصية أو بالآراء القاصرة.

ومن الحكمة: البشاشة وطلاقة الوجه إلا إذا استدعى الحال خلاف ذلك، فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وقد سترتُ سَهْوَةً لي بِقِرام فيه تماثيل، فلما رآه ﷺ هتكه وتلون وجهه، وقال: «يا عائشة، أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله» الحديث، متفق عليه[١].

القِرام: الستر، والسَّهْوة: الصُّفة تكون بين يدي البيت، وقيل: الطاق النافذ في الحائط[٢].

ومن الحكمة أيضا: البدء بالأهم:

أ ـ الأصل البدء بالتوحيد.

ب ـ إذا وُجد في المجتمع انحراف بارز، وصار معوّقًا عن استجابتهم، فإنهم يُدْعَون إلى التوحيد مع علاج ذلك الانحراف.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٤) ومسلم (٢١٠٧).

(٢) انظر: رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة، ص٢١٣، وانظر أيضًا: غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة ١/ ٢٤٤.

ت ـ إذا كان المجتمع موحِّدًا، ولكن توجد فيه بعض الانحرافات، فهذه تعالج مربوطةً بالأصل وهو التوحيد.

٨ ـ حُسن الخلق، ومنه التواضع والشفقة على الصغير، والتوقير للكبير.

معنى التغيير بالقلب

- الإيمان بأنه منكر.
- وأن يُبغِض ذلك المنكر بقلبه.
- وأن يستمر هذا البغض ما دام المنكر باقيًا.
- وأن يفارقه ببدنه إن استطاع.
- وأن يعقد العزم على تغييره متى ما تمكن من ذلك.

وهذه المسألة (معنى التغيير في القلب) مهمة وخطيرة جدًّا، والجهل فيها كثير، والتفريط فيها خطير، إذ قد يؤدي استمرار رؤية المنكر إلى إلْفِه والتعود عليه، فيقع المرء في الوعيد الوارد في قوله ﷺ: «ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[١].

وينطبق عليه أيضًا الوصفُ الوارد في الحديث: «ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده»[٢].

الفرق بين الدعوة وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كل واحد منهما على حِدَتِه واجبٌ من الواجبات، وشُعبة من شعب الإيمان الواردة في الحديث، فيجب القيام بهما جميعًا.

ومن الأخطاء الشائعة الخلطُ بينهما، والاكتفاءُ بأحدهما عن الآخر، نعم

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٣٦) والترمذي (٣٠٤٧) وابن ماجه (٤٠٠٦).

يمكن على وجه التعميم أن يدخل أحدهما في الآخر من حيث اللفظ؛ لما بين صور كثيرة منهما من تشابه؛ لكن أنْ يُجْعَلا شيئًا واحدًا فهذا غير صحيح.

ومن هنا يظهر خطأ **مَن يظن أنه يمكن أن يستغني بالدعوة بمعناها الخاص عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، وأنه إذا كثَّف مساعيه وجهوده الدعوية عَوَّض تقصيره فيما أُمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذا خطأ بَيِّنٌ تَرُدُّه النصوص الشرعية، والنظرة العقلية، والأدلة الواقعية.

فالآيات والأحاديث أمرت بهذا وهذا.

كما أنه من المسَلَّم بَداهةً أن الإنسان إذا أراد تحقيق مقصد له اجتهد في دفع ما يضاده.

ومن الأمثلة البسيطة لهذا: لو افترضتَ أن شخصًا يشكو من تسرب الماء من خلال سقف غرفته، فلا يكفي أن يجتهد في تجفيف الأثر ما دام مصدره مستمرًّا؛ بل لا بد من إيقاف مصدره.

كما أن الأدلة الواقعية تَرُدُّ تلك النظرة، وهذا واضح إذا استعرضنا حال عدد من مجتمعات المسلمين اليوم التي اجتهد أخيارها وفضلاؤها ـ جزاهم الله خيرًا ـ في الدعوة إلى الله؛ لكن حصل تقصير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان واقعهم: أن المصلح يصلح ويدعو إلى الله ويجتهد، وفي نفس الوقت: المفسد يفسد ولا أحد يأخذ على يديه، فماذا تكون مُحَصِّلة هذا الوضع؟

ج: أن يَتَّبعَ أكثرُ الناس المفسدَ؛ لأنه يغريهم بالشهوات المحببة إلى النفوس.

لكن لو كان الداعي يدعو إلى الله، والعاصي يُؤخذ على يديه، لكان هذا أدعى وأحرى لتحقيق مقصدهم في الإصلاح.

مقترحات عملية

١ ـ احتساب الأب أو الأم على أولادهم:

من المهم الاجتهاد في حُسن تَنْشِئَة الأولاد منذ الصغر، وامتثال الأوامر الشرعية في ذلك، بأمرهم بالصلاة، والتفريق بينهم في المضاجع، وفي اللباس.

كما أن من المهم أن يحرص الأب على مجالسة أولاده وقتًا كافيًا، كما أنّ تَبَسُّط الأم مع أبنائها وبناتها سبب في التعرف على أخبارهم، ومعرفة من يصاحبون، وبِمَ يهتمون...، ومن ثَمَّ يسهل التوجيه.

فالتودد إلى الأبناء والبنات سبب في كسب قلوبهم، ومن ثَمَّ قَبُولُهم توجيهاتِ الوالدين، وإلا جنحوا إلى ما يُشبعون به هذه الحاجة الفطرية، وربما بأسباب محرمة.

فالابن الذي يرى أنه لا يحترم أحيانًا يجنح إلى بعض العادات السيئة، كالتدخين؛ ظنًّا أنه يُكْمِل به رجولته.

والبنت التي لم تجد الحنان من والديها تقع أحيانًا في العلاقات المحرمة.

وإذا حصل أن أحد الأبناء وقع في مثل هذه المخالفات، فأحيانًا يكون من الحكمة تَقَاسُمُ الأدوار بين الوالدين، فمثلًا: أحدهما يَظهر وكأنه لا يَعلم عن شيء، والآخر يُرغبه ويُرهبه بأن أباك أو أمك لو علم لفعل وفعل.

وأسلوب الإقناع، والمبادرة في العلاج لها أثرها بإذن الله.

ومن المهم الاجتهاد في الدعاء، فالله تعالى لا يُخيّب من دعاه.

٢ ـ الاحتساب على الجار المقصر في الصلاة.

٣ ـ الاحتساب في الأسواق والمنتزهات ونحوها من أماكن التجمعات العامة:

لها تأثيرها البالغ في تشكيل الصبغة العامة للمجتمع، ففيها تُطلق كثير من الموضات والتقليعات وكثير من العادات، ثم منها تنطلق وتنتشر.

لذا كان الاعتناء بها وعدم الغفلة عنها مما يختصر جهودًا في الإصلاح.

فإذا رأيتَ مَن ظهرت عليه مخالفة فابذل له النصيحة.

فإذا رأيت شبابًا يتسكعون في سوق أغلب مَن يرتادها النساء وفيه حاجات النساء، فانصحهم بالحسنى، وذكرهم بالله، وخوفهم مَغِبَّة فعلهم، وأن الجزاء من جنس العمل.

وإذا رأيت امرأة متبرجة، فإن كان معها محرمها فَوَجِّه له النصيحة سِرًّا، وإلا فأَلْقِ عليها النصيحة بصوت مسموع وامْضِ، ولا تقترب منها كثيرًا، ولا يكنْ كلامك هَمْسًا؛ حتى لا يُساء بك الظن.

وفي بعض الحالات لا يكفي مجرد النصح، فيحتاج إلى حضور هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فليكن معك دائمًا أرقام هواتف مراكز الهيئة؛ لدعوتهم عند الحاجة.

٤ ـ وإذا رأيت سلعًا مخالفة للشريعة فَوَافِ الجهة المعنية:

الهيئة، وزارة التجارة، أمانات المدن، وبلدياتها، وزارة الثقافة والإعلام، وأحيانًا يشترك في مَرْجِعِيَّتِها أكثر من دائرة، فلا مانع من مواصلتهم جميعًا، وإن أمكن أن تحصل على فاتورة فهذا أحسن؛ لتفادي إنكار صاحب المحل، وحتى يُتوصل إلى معرفة المصدر الذي يُمَوِّل بهذه السلع المخالفة.

٥ ـ الاحتساب في قصور الأفراح:

أ ـ أن تستعد المرأة بنشرات توجيهية حول المخالفات المتوقعة.

ب ـ أن تنصح مَن تراها مخالفة.

ت ـ من الحزم أن تشترط المدعوة سلفًا سلامة الحفل من المنكرات العامة.

ث ـ إذا وَجَدَتْ منكرًا لم تستطع تغييره فلتُقَدِّم رِضى الله على مجاملة

المخلوقين وتَخرُجْ، وَلْتشعرهم أنها إنما خرجت لأجل هذا المنكر (راجع ما سبق: معنى تغيير المنكر بالقلب).

ومن التصرفات الحسنة: ما يُدَوِّنُه البعض في بطاقات الدعوة من التنبيه إلى منع الألبسة المخالفة.

كيف يُرَبَّى الصغار على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

يُحَبَّب إلى نفوسهم، ويُبَيَّن لهم أهميته، ويدربون عليه، حسب أعمارهم واستعدادهم، ولا يُقَصَّر معهم في هذا، كما لا يُحَمَّلُون أكثر من طاقتهم.

ابنك الصغير حينما يحكي لك بعض ممارسات أقرانه الخاطئة فإنك تلقنه: يا بني، قُلْ لهم: هذا لا يجوز، ربي لا يحب الذي يكذب، الله يحب الذي يحترم النعمة فلا يرمي بقية الطعام على الأرض، ونحو هذه التوجيهات التي يمكن أن يستوعبها، كذلك بتشجيع مَن يبدر منه أمر بمعروف أو نهي عن المنكر، وأيضًا بالإشادة بالآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

منكرات المتاجر والأسواق والحدائق والمنتزهات

المنكرات التي تكون في المتاجر والأسواق أو الحدائق والمنتزهات، هل نترك الذهاب إليها ونحرم منها؟

الجواب: نعم، ننحرم:

١ ـ هذا من الابتلاء، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]، ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

٢ ـ كونك تتركه لله فيعوضك الله خيرًا منه، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]؛ خير من أن تفعل ما تهواه نفسك، ثم يفوتك ما طلبته من السعادة لك أو لأولادك، ويفوتك الأجر، وتكسب الوزر!

٣ ـ البدائل كثيرة.

أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الأمن

قال النبي ﷺ: «ثلاث لا يُغِلُّ عليهن قلبُ مسلم أبدًا: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»(١).

دور العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١ ـ شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٢).

٢ ـ تأكُّدُه في حق أهل العلم.

٣ ـ قصص ونماذج لأهل العلم.

٤ ـ واقع أهل العلم في شأن الاحتساب على المنكرات وأهلها.

٥ ـ آثار تقصيرهم:

أ ـ التلبيس على الناس.

ب ـ الزهد في العلم، والإعراض عن العلماء، والتسبب في تَنَقُّصهم والوقوع في أعراضهم.

ت ـ تَصَدُّر من ليس أهلًا، واغترار الناس بهم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨) وابن ماجه (٣٠٥٦) وأحمد (٢١٥٩٠). ولبيان معنى الحديث: راجع الفائدة والثمرة السادسة من فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسبق ذلك قريبًا.

(٢) مقصود الوالد رحمه الله بهذه الفقرة (دور العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر): حَثُّ أهل العلم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك من خلال هذه النقاط المذكورة، فيُبيِّن لهم: شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتَأَكُّدُه في حق أهل العلم، وتُذكَر لهم قصص أهل العلم القائمين بهذه الفريضة، ويُبيَّن لهم آثار تقصير أهل العلم في هذه الفريضة، إلخ.

ث ـ مدعاة للخروج عن منهج السلف بسلوك مسالك الغلو أو غيره (تحت دافع الغيرة على حرمات الله والانتصار لدينه).

ج ـ سقوط هيبتهم، قال أبو عبد الرحمن العمري: «مَن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مِن مخافة المخلوقين نزعت منه هيبة الطاعة، فلو أمر ولده أو بعض مواليه لاستخفَّ به»[١].

٦ ـ أسباب ما تقدم؛ منها:

أ ـ الانشغال بأعمال مفضولة أو أنها فاضلة في ذاتها لكن يمكن أن يقوم بها الكثيرون غيره.

ب ـ شبهة التفرغ للتعليم؛ لأنه أفضل الأعمال.

ت ـ توقير العلم وعدم تعريضه للامتهان.

ث ـ عدم التعود.

ج ـ تضخيم واقع أعداء الدين ومخططاتهم وهيمنتهم، وأن ذلك لا يجدي معه مسعى.

ح ـ ردود أفعال لمواقفَ بُنيت على أخبارٍ تَبَيَّن أن فيها مبالغة، أو مواقفَ ما أُحسن استقباله فيها، ونحو ذلك.

خ ـ الخوف على الرزق ومصالح الدنيا.

(انظر: معوقات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد سبق).

٧ ـ ما يوصى به حيال ما تقدم:

أ ـ القُرب من أهل العلم، وموافاتُهم بالأخبار الموثَّقة، وإمدادُهم بالتحليلات السليمة، وإِطْلَاعُهم على المستجدات، واصطحابهم إلى

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مسائل الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، ص٥٧.

الميدان، واستشارتهم في سُبُل معالجة المنكرات، ونحو ذلك مما يُرجى معه تجدد الغيرة فيهم.

ب ـ عدم استجابة أحد من أهل العلم ليس مدعاةً لهجره وتزهيد الناس فيه، أو الاسترواح عند سماع ذَمِّه.

ت ـ الاقتناع بالمشاركات الجزئية إذا لم يحصل منه إلا هي مع استمرار الطلب منهم ما هو أكثر.

ث ـ بَثُّ مفهوم (مقتضى الواجب الكفائي)، فلا تُربط المساعي بأحد، مهما علا قَدْره، أو غَزُر علمه، أو عظمت وجاهته، وإنما تقوم بواجبك حسب قدرتك، وتطلب من أهل العلم والوجاهة والمواهب أن يقوموا بواجباتهم.

ج ـ التخفيف عن أهل العلم مشاغلهم، والقيام بما يمكن القيام به من أعمال البِرِّ والإحسان؛ ليتفرغوا أو لِيَتسع وقتهم للاحتساب على المنكرات وأهلها.

ح ـ عدم التزهيد في مساعي الشباب وأحداث السن أو التقليل من شأنها، فالـمُشاهد أنها من أهم الحوافز لِتَحَرُّك الكبار.

خ ـ إيراد الأخبار السارة والبشارات، وذِكر نماذج مشجعة من آثار مساعي المحتسبين.

حقوق أهل الحسبة الآمرين بالمعروف

١ ـ ما فضلهم علينا؟

أ ـ حملوا عنا فرض الكفاية.

ب ـ يقومون بدورهم الفعَّال في حفظ الأعراض، وكَفِّ السفهاء والعابثين عن التعرض لمحارم المسلمين.

ت ـ إعانة الناس على أنفسهم بفعل الطاعات والكف عن المعاصي، أرأيتَ هذه المتاجر ونحوها التي تُغلق وقت الصلاة، لو تُرك الناس وما أرادوا

لاستمر كثير منهم في بيعه وشرائه غير مُبَالٍ بالصلاة! وحينئذ يثقل الأمر على جاره ومثيله في العمل أو النشاط أن يتوقف هو عن العمل أو البيع والشراء ليذهب إلى الصلاة وجارُه يمارس ذلك، فيُثَقِّل عليه الشيطان ذلك، ويغريه بأن يفعل مثله.

٢ ـ محبتهم، حيث إنهم ينصرون دين الله، والحبُّ في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان.

وأكثرُ أفراد المجتمع ولله الحمد لِمَا يرون ويسمعون عن أعضاء مراكز الهيئة يحبونهم ويقدّرون لهم جهدهم ومعروفهم.

ولا بد أن يكون لهم مُبْغِض، هذا شيء لا بد منه، فما الأسباب وراء ذلك؟

قد تكون تأثرًا من خلال موقف معيَّن، وبعض الناس لا إنصاف عنده، يبني آراءه أو تقويمه أو مواقفه من خلال حَدَث معيَّن.

وبعض الناس قد لا يحبهم؛ لأنهم فَوَّتوا عليه شهوة من الشهوات المحرمة.

وبعض الناس ربما تأثر بأخبار سمعها، فتلقفها دون تمحيص أو تمييز.

على أي حال، مِن المهم هنا التنبيهُ على الفرق بين مَن يقتصر على مجرد فعل المعصية، وهو عاتب على نفسه، مُقِرٌّ بخطئه، يُحب الطاعة، ويَغبط أهلها، ويَوَدُّ لو يكون مثلهم لكن نفسه تضعف عن هذا، فرقٌ كبير بين هذا ومَن يبغض الطاعة وأهلها، هذا ـ نسأل الله العافية ـ هلاك؛ لأنه أبغض ما يحبه الله.

فالصنف الأول كثيرًا ما يُعينه الله على نفسه، ويرحمه بسبب حبه الخير وأهله، فيوفقه للتوبة.

أما الآخر فمرضه في قلبه ـ نسأل الله العافية ـ، والغالب أن حاله من سَيِّءٍ إلى أسوأ إن لم ينتبه لنفسه.

٣ ـ مناصحتهم إذا رؤي عليهم خطأ، فكلٌّ يخطئ.

٤ ـ مساندتهم والوقوف في صفهم، ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، والدفاع عنهم عند مَن ينتقصهم أو ينوي بهم شرًّا، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «من ذَبَّ عن لحم أخيه بالغَيْبة كان حقًّا على الله أن يعتقه من النار»(١)، وقوله ﷺ: «ما من امرئٍ يخذل امرأً مسلمًا في موضع تُنتهك فيه حرمته ويُنتقص فيه من عرضه إلا خذله الله ﷻ في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئٍ ينصر مسلمًا في موطن يُنتقص فيه من عرضه ويُنتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»(٢).

قد نسمع أحيانًا عن أخطاء رجال الحسبة، وقد يُعَبَّر عنها بالتجاوزات، فماذا يقال في هذا المقام؟

أ ـ إن الله قد أمر بالعدل، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٥٢]، فحُبُّنا لأحد أو بُغضنا له ليس مدعاة لتزييف الحقائق، وإنما يُقال للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت، إذن فما يجب علينا من حُبٍّ لرجال الهيئة ليس مدعاة لأنْ نبرئهم من كل عيب.

ب ـ من العدل أيضًا أن يُفرَّق بين خطأ سببه الاجتهاد والرغبة في الخير والتشوف إلى الإصلاح، وبين خطأ سببه التفريط والإهمال.

ويحضرني في هذا المقام قصة طبيب كان يعالج شابًّا في مُقتبل عمره، فاحتاج الطبيب إلى عمل عِدة تحاليل لكن لم يستفد منها في تشخيص حالة المريض، فكان من اجتهاده وحرصه أن أخذ عَيِّنَة من النخاع لتحليلها، فكان لهذا مضاعفات على حالة المريض، ففي هذه الحالة ليس من الإنصاف أن يُلام هذا الطبيب الذي اجتهد ونصح.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٦٠٩)، قال الألباني في صحيح الجامع (٦٢٤٠): صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٣٦٨) وأحمد (٢٧٦٠٩)، قال الألباني في صحيح الجامع (٥٦٩٠): حسن.

ت ـ أيضًا يُراعى قوةُ ضغط المنكرات وازديادها، والتي لا يكافئ كثرتُها أعدادَ رجال الحسبة.

والإنسان بمقتضى بشريته مهما تحرز واتخذ أسباب الحيطة إذا كُلِّف أكثر من طاقته فلا بد له من القصور.

ث ـ ثم إن الناظر بعين الإنصاف سيرى أن الخطأ واقع في جميع القطاعات والأجهزة، فالذي يعمل لا بد أن يخطئ، هذا مع أن الإحصائيات الميدانية الرسمية المتعلقة بالهيئة أثبتت انضباطًا بدرجة عالية جدًّا، حيث حُصرت القضايا التي باشرتها الهيئة، ثم حُصرت القضايا التي كان عليها ملاحظات فكانت نسبةً لا تُذْكر، أقل من خمسة في الألف.

أقول هذا ولستُ من منسوبي الجهاز، لكن الله أمرنا بالعدل.

بعد ذلك أعود فأقول: إن الكثرة الكاثرة من القصص التي قد تُنسب إلى رجال الهيئة منها ما نُقل على غير وجهه، ومنها ما ضُخم، بل منها ما هو افتراء.

والجدير بالذكر أن القضايا التي تُنهى داخل مراكز الهيئة باستدعاء ولي أمر المقبوض عليه، والتأكيد عليه بالمحافظة على ابنه أو ابنته، وما أشبه هذه الحلول التي يُغَلَّب فيها جانب الستر إذا رؤي أنه أدعى لاستصلاح الشخص رجلًا كان أو امرأة، أكثر من القضايا التي تُحال إلى الجهات المعنية.

الاحتساب الفكري

لعل من المهم التأكيدَ على باب من أبواب إنكار المنكر، ذلك هو ما يتعلق بمجاهدة المنافقين والاحتساب عليهم، وهو ما يسميه بعضهم: الاحتساب الفكري.

ومن أمثلته: ما يُنشر في بعض الصحف من شبهات، أو لَمْزٍ لأحكام الدين، أو تَنَقُّص لأهل العلم، ونحو ذلك.

ومن أمثلته: مَن جعلوا الأدب أو الثقافة ستارًا لأفكارهم الضالة وتوجهاتهم المنحرفة تحت مسمى الحداثة أو غيرها من المسميات.

وعن مثل هذا النوع من الاحتساب ـ الذي قد يُسمى الاحتساب الفكري ـ يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «زاد المعاد»: لما كان الجهاد ذروة سنام الإسلام وقبته ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة كما لهم الرفعة في الدنيا، كان رسول الله ﷺ في الذروة العليا منه، واستولى على أنواعه كلها، فجاهد في الله حق جهاده، بالقلب والجنان والدعوة والبيان والسيف والسنان، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد بقلبه ولسانه ويده، ولهذا كان أرفع العالمين ذِكرًا، وأعظمهم عند الله قدرًا.

والجهاد أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

وجهاد المنافقين إنما هو تبليغ الحجة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، وجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار، وهو جهاد خواص الأمة، وورثة الرُّسُل، والقائمون به أفراد في العالم، والمشاركون فيه والمعاونون عليه وإن كانوا هم الأَقَلِّين عددًا فهم الأعظمون عند الله قدرًا. انتهى باختصار وتصرف يسير(١).

تنبيهات للصالحات

❖ منكرات قد تصدر من الصالحات:

أ ـ في طلب العلم وتدارسه: كالجدال والمماراة.

ب ـ التأثر بالآخرين أو الأُخْرَيَات في النظرات، والاهتمامات، أو في موازين الأمور، أو في اللباس، أو في تربية الأولاد، بالاهتمام مثلًا بالاحتياجات المادية والمبالغة في ذلك ولو أدى إلى محاذير شرعية.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، دار عطاءات العلم، ٣/ ٥ ـ ٦.

ت ـ التوسع في الخروج، مما ورد في ذلك: (انظر: مسائل الصيام)[١].

❖ **في الشؤون العائلية:**

○ في حق والديها، قال ﷺ: «مَن أحق الناس بحُسن صحابتي»[٢].

○ في حق الزوج.

○ في حق أهل الزوج.

○ يُطلب من المرأة الصالحة أن تكون مفتاحًا للخير، مغلاقًا للشر، وسببًا في تقوية الروابط والصِّلات لا العكس، وإن تنازلت عن بعض حقها، فمن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه.

❖ **في المنكرات العامة:**

○ كالخلوة بالأجانب، ومن صورها: انفرادها بالسائق في سيارة.

○ منكرات الأفراح والزيارات.

○ التساهل بالحجاب، أو إبداء بعض ما يحرم إبداؤه.

خاتمة

ولنختم بكلام للنووي حول هذا الباب، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن هذا الباب ـ أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ قد ضُيِّع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبقَ منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جدًّا، وهو باب عظيم، به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عَمَّ العقابُ الصالحَ والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

---

(١) يشير الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الرسالة التي كتبها بعنوان: «كي نستفيد من رمضان»، وهي ضمن كتاب: إضاءات مجموعٌ فيه رسائل ومحاضرات، انظر: ص٤٣.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧١) ومسلم (٢٥٤٨).

فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله ﷻ أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم، لاسيما وقد ذهب معظمه، ويُخلصَ نيته، ولا يَهَابَنَّ مَن ينكر عليه؛ لارتفاع مرتبته، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢ ـ ٣].

واعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يُتاركه أيضًا لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقًّا، ومن حقه أن ينصحه ويَهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها، وصديقُ الإنسان ومُحبُه هو مَن سعى في عمارة آخرته وإن أدى ذلك إلى نقصٍ في دنياه، وعدوُّه مَن يسعى في ذهابِ أو نقصِ آخرته وإن حصل بسبب ذلك صورةُ نفعٍ في دنياه، وإنما كان إبليس عدوًّا لنا لهذا، وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها، ونسأل الله الكريم توفيقنا وأحبابنا وسائر المسلمين لمرضاته وأن يعمنا بجوده ورحمته»(١).

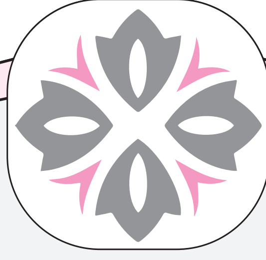
ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبسطتُ الكلام في هذا الباب لِعِظم فائدته، وكثرة الحاجة إليه، وكونه من أعظم قواعد الإسلام، والله أعلم»(٢).



---

(١) شرح النووي على مسلم، ٢/ ٢٤.

(٢) المرجع السابق، ٢/٢٦.



الورقة الخامسة

قَصص وأخبار وذكريات

دروس من قصةِ غُلام أصحاب الأخدود

هذه بعض الدروس من حديثِ غُلام أصحاب الأخدود[١]:

١ ـ الاستقلالية في التفكير، وعدم التقليد الأعمى أو السير على ما كان عليه مَن قَبله دون تفكير وتمحيص.

❖ ما آثار التقليد وما نتائجه؟

منها: أنه يصد عن الحق.

٢ ـ بيان الحالات التي يُرخّص فيها بالكذب. ولا يعني هذا التساهلَ في الكذب بأدنى الأعذار.

ومما ورد في الحث على الصدق وذم الكذب: قول الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، وقول النبي ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا» الحديث[٢]، وقوله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر....، وإن الكذب يهدي إلى الفجور...»[٣]، وقوله ﷺ: «أصدقكم رؤيًا أصدقكم حديثًا»[٤]، وقوله للمرأة التي دعت طفلها، وقالت تعالَ أُعْطِكَ: «لو لم تُعطِه شيئًا كُتبت عليك كذبة»[٥].

---

(١) قصة غلام أصحاب الأخدود رواها الإمام مسلم في صحيحه (٣٠٠٥)، وقد تعرَّض لها الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب إضاءات مجموع فيه رسائل ومحاضرات، ص٢٨٩ ـ ٣٠٥، فساق الحديث كاملًا، ثم علَّق على القصة بذِكر فوائد ومسائل مهمة، فراجع ما ذَكره إن شئت.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٦٣).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٩٩١).

٣ ـ حرص الغلام على ما يُثبِّت الإيمان في قلبه ويزيده، وذلك لما قال: «اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من الساحر فاقتل هذه الدابة»(١)، وهكذا قال الخليل عليه السلام: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

٤ ـ أشد الناس ابتلاءً الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الناس على قدر دينهم.

٥ ـ حكمة الابتلاء تمحيصُ المؤمنين، وليتبين ضعيف الإيمان مِن قوي الإيمان، والله أعلم بعباده سبحانه.

٦ ـ مواقف الناس بعد الابتلاء: منهم من يزداد قوة وصلابة في إيمانه، ومنهم من يضمحل إيمانه ويتفتت وينقلب على عقبيه.

٧ ـ أشكال الابتلاء تكون بما يشاء الله، فقد يُبتلَى في صحته أو في ماله أو في قريب عزيز عليه، أو بتسليط عدو عليه، أو بمضايَقة من أهل أو أقارب، أو غير ذلك.

٨ ـ خوف المسلم على دينه وابتعاده عن الفتن، وذلك لما قال الراهب: «فإن ابتليتَ فلا تدل عليَّ»(٢).

فمهما كان من قوة إيمان المرء فلا ينبغي له أن يُعَرِّض دينه للفتن، فإنه حينئذ ـ وإن لم يتأثر ـ فهو مَلوم بتعريضه دينه للفتنة، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهؤلاء الكلمات حين يصبح وحين يمسي: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي، وأعوذ بعظمتك أن أُغْتَال من تحتي»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥).
(٢) أخرجه مسلم (٣٠٠٥).
(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤) وابن ماجه (٣٨٧١).

❖ **ومن أشكال تعريض الدين للفتن:**

أ ـ مجالسة مَن لا خير فيهم؛ بحجة أنه لن يتأثر بهم.

ب ـ الذهاب لأماكن المعصية؛ بحجة أن قصده اللهوُ البريء!

ت ـ قراءة أو استماع أو مشاهدة ما يثير الفتنة من أغانٍ أو مسلسلات أو مجلات أو قصص أو غيرها.

ث ـ السفر إلى الخارج.

٩ ـ الثبات على الدين، وعدم التزحزح عنه.

❖ **ومن أسباب الثبات على الدين:**

١ ـ قوة الاقتناع واليقين.

ب ـ وجود المرء في وسط صالح يشد من أزره ويُثَبِّته ويُصَبِّره؛ لأنه مهما كان من قوة إيمانه إذا كان وحده في الساحة فإنه لن يثبت ـ إلا ما شاء الله ـ في وجه التيارات المضللة، وفي وجه أسباب الشر النفسية والخارجية.

١٠ ـ حِرص الغلام على الدعوة إلى الله وإيصالِ الخير للناس جميعًا، قال ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم»(١).

١١ ـ وحشية الكافرين وهمجيتهم، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٤ ـ ٥]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

١٢ ـ الدعاء سلاح المؤمن.

ومن أساليب الشيطان في عداوته لبني آدم: أسلوب التَّيْئِيس، وهو أن يُيَئِّس الشيطانُ الناسَ من رحمة الله، ويقنطهم منها، ويوهمهم بوجود حواجز بينهم وبين ربهم، فعندئذ يقنطون ويَيْأَسون من أن يستجيب الله دعاءهم؛ مع أن الله يقول: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠١) ومسلم (٢٤٠٦).

١٣ ـ الباطل منهزم نفسيًّا ومعنويًّا أَمام الحق؛ مهما كان معه من قوة، ولذلك لما قال الغلام: «إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به» بادر الملك قائلًا: «وما هو؟»[(١)].

١٤ ـ يَسترخص المؤمنُ نفسَه وماله في سبيل مرضاة ربه، ولكن لِنَتذكر: أن من لم يضحِّ بالقليل لم يضحِّ بالكثير.

١٥ ـ يحتاج الناس إلى نماذج عملية يرون الحق متجسدًا فيها، تُضحِّي بنفسها وشهواتها من أجل الحق.

١٦ ـ أسلوب الباطل في مواجهة الحق: يواجهه بالبطش والتنكيل والطغيان لا بالحجة والمناقشة والبرهان؛ لأنه لا يملكها.

هذه بعض دروس هذا الحديث، فلنحرص على الاتصاف بصفات ذلك الغلام.

وإذا دَعَونا في الفاتحة حين نقرأ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، فلنتذكر أننا ندعو الله أن يهدينا صراط من أنعم عليهم في الدنيا بنعمة الهداية وثمراتها؛ مِنِ انشراح الصدر، وراحة البال وسعادة القلب والرضا والطمأنينة، وفي الآخرة بنعمة الجنة والنجاة من النار، ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧]، مِثْل النبي ﷺ وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وسائر الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ومثل هذا الغلام المؤمن الصابر الداعي إلى الله المجاهد في سبيل الله، الذي لم يصرفه عن الحق نَزوة الشباب وطَيشه، ولا تقليد الآباء والمجتمع الذي نشأ فيه، ولا خوفه على حياته من بطش الملك وجبروته، ولا طَمَعه أن يكون من خاصة الملك وحاشيته.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥).

درس من قصة الهجرة

إن القرآن أعظم سبب لهداية القلوب وتزكية النفوس وهداية الخلق.

في القصة التالية ـ والتي تُطلعنا على صفحة من سيرة صِدِّيق هذه الأمة رضي الله عنه ـ شاهدٌ على ذلك:

خرَّج الإمام البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: لم أعقل أبوَيّ قطُّ إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرةً وعشيةً.

فلما ابتُلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى بلغ بَرْك الغِماد لقيه ابن الدَّغِنَة ـ وهو سيد القَارَة ـ، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي، قال ابن الدَّغِنَة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج، إنك تُكسب المعدوم، وتَصِل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتَقْرِي الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك.

فرجع، وارتحل معه ابن الدَّغِنَة، فطاف ابن الدَّغِنَة عشية في أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرُج مثله ولا يُخرَج، أتخرجون رجلًا يُكسب المعدوم، ويَصِل الرحم، ويحمل الكَلّ، ويَقْرِي الضيف، ويعين على نوائب الحق؟

فلم تُكذّب قريش بجوار ابن الدَّغِنَة، وقالوا لابن الدَّغِنَة: مُرْ أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليُصَلِّ فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به، فإننا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا.

فقال ذلك ابنُ الدَّغِنَة لأبي بكر، فلبث أبو بكر كذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره.

ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيتقذَّف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يَعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلا بكّاءً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدَّغِنَة، فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك، على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجدًا بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فَانْهَهُ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نُخْفِرَك، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدَّغِنَة إلى أبي بكر، فقال: قد علمتَ الذي عاقدتُ لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن تُرجع إليَّ ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أُخْفِرْتُ في رجل عقدت له، فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله ﷻ.

والنبي ﷺ يومئذ بمكة، فقال النبي ﷺ للمسلمين: «إني أريت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين»، وهما الحَرَّتان، فهاجر مَن هاجر قِبَل المدينة، ورجع عامة مَن كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قِبَل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «على رِسْلِكَ، فإني أرجو أن يؤذن لي»، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم»، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر وهو الخَبَط أربعة أشهر.

قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها: فبينما نحن يومًا جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعًا، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداءٌ له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسولُ الله ﷺ فاستأذن، فأذن

له فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أخرج من عندك»، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله، قال: «فإني قد أُذن لي في الخروج»، فقال أبو بكر: الصحبةَ بأبي أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم»، (وفي غير رواية البخاري: فبكى أبو بكر من الفرح، ولم أكن أشعر قبل يومئذ أن أحدًا يبكي من الفرح)[(١)]، قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتيَّ هاتين، قال رسول الله ﷺ: «بالثمن».

قالت عائشة رضي الله عنها: فجهزناهما أحثَّ الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاق.

قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغارٍ في جبل ثور، فَكَمَنا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام شاب ثَقِفٌ لَقِنٌ، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبَائِتٍ، فلا يسمع أمرًا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فُهيرة مولى أبي بكر مِنحةً من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رِسْل، وهو لبنُ مِنْحَتِهما ورَضِيفِهما، حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلًا من بني الدِّيل، وهو من بني عبد بن عدي، هاديًا خِرِّيتًا، والخِرِّيتُ الماهرُ بالهداية، قد غَمَس حِلفًا في آل العاصِ بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأَمِنَاه فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال، براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة، والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل[(٢)].

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه، دار المعارف، ٢/ ٣٧٨.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٠٥).

تضمنت هذه القصة فوائد كثيرة، وأحكامًا ودروسًا وعِبرًا.

لكن الشاهد منها: فزعُ المشركين من صنيع أبي بكر رضي الله عنه، وماذا صنع أبو بكر رضي الله عنه؟ لقد ابتنى مسجدًا فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيجتمع عليه صبيان المشركين ونساؤهم يشاهدونه، فخافوا أن يتأثروا به؛ بل أفزعهم ذلك، فسعوا في منع أبي بكر رضي الله عنه من ذلك.

وهذا كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، وذلك أن القرآن أعظم سبب لهداية القلوب وتزكية النفوس وهداية الخلق، قال الله عز وجل: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٢].

من سيرة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه

إن أعظم نِعَم الله علينا أن هدانا للإسلام، وأنزل علينا القرآن، وجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء والرسل، عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

ومن نعمة الله على هذه الأمة أنِ اختار لنبيها الصفوةَ من خلقه؛ ليكونوا أصحابه، فنصروه وآزروه وحفظوا سنته، وبلغوا الدين من بعده أتم تبليغ، فجزاهم الله عن دينه وعن رسوله صلى الله عليه وسلم وعنا خير الجزاء، والحمد لله على ذلك كثيرًا.

وإذا طالعتَ سِيَر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تبيَّن لك أن الله الذي اختار نبيه هو الذي اصطفى له أولئك الأصحاب البررة رضي الله عنهم.

وفيما يلي طَرَف يسير من سيرة أحدهم رضي الله عنهم أجمعين.

هذا عثمان رضي الله عنه ذو النورين، كان كثير الصلاة بالليل، روي أن ابن عمر رضي الله عنهما قرأ قول الله تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]،

فقال: ذاك عثمان بن عفان رضي الله عنه[(١)]، وإنما قال ابن عمر ذلك لكثرة صلاة عثمان بالليل وقراءته.

وكان كثير الإنفاق والتصدق رضي الله عنه، مع زهده وورعه رضي الله عنه، روى شرحبيل بن مسلم قال: كان عثمان رضي الله عنه يطعم الناس طعام الإمارة، ويَدخل بيته فيأكل الخل والزيت[(٢)].

وكان يباشر أعماله بنفسه مع وجود الخدم، فقد أخرج ابن سعد عن عبد الله الرومي قال: كان عثمان رضي الله عنه يلي وضوء الليل بنفسه، فقيل له: لو أَمرتَ بعض الخدم فكفوك! فقال: لا، الليل لهم يستريحون فيه[(٣)].

وكان له عبدٌ فقال له: إني كنتُ عركتُ أذنك، فاقتصَّ مني، يا حبذا قصاص في الدنيا لا قصاص في الآخرة[(٤)].

وعن عبد الملك بن شداد قال: رأيت عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة على المنبر عليه إزار عدني غليظ، ثمنه أربعة دراهم أو خمسة دراهم[(٥)].

وعن الحسن البصري رحمه الله قال: رأيت عثمان بن عفان يَقِيلُ في المسجد وهو يومئذ خليفة، فيقوم وأثر الحصى بجنبه[(٦)].

وكان يُسائل الناس وهو على المنبر عن الأسعار والأخبار؛ اهتمامًا بأمر المسلمين، فعن موسى بن طلحة قال: رأيت عثمان رضي الله عنه يخرج يوم الجمعة فيجلس على المنبر فيسأل الناس عن أسعارهم وعن أخبارهم وعن مرضاهم[(٧)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٣٧٨).
(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في الزهد (٦٨٤).
(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى، مكتبة الخانجي، ٣/ ٥٩ ـ ٦٠.
(٤) أخرجه بحشل في تاريخ واسط، دار عالم الكتب، ١/ ١٨٤.
(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية، ١/ ٧٥/ ٩٢.
(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في الزهد (٩٧٥).
(٧) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى، مكتبة الخانجي، ٣/ ٥٦.

هذا، وإن مدة خلافته رضي الله عنه التي امتدت اثني عشر عامًا تمت خلالها فتوحات واسعة عظيمة بسرعة مدهشة يكاد يتعذر نظيرها في تاريخ سابق، وقد اتسع نطاق الدولة الإسلامية في هذه الفترة اتساعًا ملحوظًا حتى إن حدودها قد امتدت من السند إلى الأندلس، وأُنشئ فيها أسطول بحري قوي، ولهذا يقول المستشرق ليفي دِيْلَّاوِيْدا في موسوعة الإسلام: إن عثمان نفذ سياسة عمر، وأدخل فيها تحسينات.

وفي عهده رضي الله عنه فُتحت جزيرة قبرص، وجزيرة روديس، وفي عام ٢٥ للهجرة تم الزحف العسكري على طرابلس الغرب (عاصمة ليبيا حاليًّا)، وبعد عامين فقط فُتحت تونس والجزائر والمغرب الأقصى.

وفي هذا العام نفسه حاصر عبد الله بن نافع الأندلسَ بعد ما عَبَر البحر.

ومن جهة المشرق وصلت جيوش المسلمين إلى ساحل البحر الأسود، وفي عام (٣٠) للهجرة زحفوا إلى أرض خراسان وطبرستان، ثم فتح جرجان وخراسان وطبرستان، وتقدم عبد الله بن عامر ففتح سوات وكابل وسجستان ونيسابور، وأخضع ما والاها للخلافة الإسلامية، حتى تم فتح طخارستان وكرمان.

واتسعت الحدود في الخلافة الإسلامية إلى بحر قزوين، وفي عهده أَقبل المسلمون نحو الهند، ووصلوا إلى المناطق الساحلية في ولاية كجرات بالهند.

وفي عام (٣٢) للهجرة وصل المسلمون إلى مضيق القسطنطينية.

ومن أَجَلِّ مآثره رضي الله عنه أنه جَمَع العالم الإسلامي كله على مصحف واحد وقراءة واحدة، فحفظهم عن التفرق والشقاق رضي الله عنه وأرضاه.

ومما يدل على قوة شخصيته ورجاحة عقله وبُعْد نظره: رفضُه طلبَ الثوار التنازلَ عن الخلافة، مع علمه بأنهم سيقتلونه إن لم يتنازل، وذلك لئلا يفتح بابًا لأهل الفتنة، كلما سخطوا من الولاة شيئًا حَمَلُوهم على التنازل.

وعلى أيّ حال فإن حُبَّ أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم أصلٌ من أصول أهل السنة والجماعة.

منقبة عظيمة للصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق

قوله ﷺ: «يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام»، أخرجه البخاري ومسلم(١).

هذه منقبة عظيمة للصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما، التي هي من خير ومن أفضل نساء العالمين، كما قال رسول الله ﷺ: «فَضْل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»(٢).

وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من أعظم النساء بركة على هذه الأمة، بما بلغته الأمة من سنة النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته، فهي من أكثر الصحابة رضي الله عنهم روايةً للحديث عن النبي ﷺ؛ لقوة حفظها، ووفور عقلها، ولتميزها بالنباهة والفطنة.

كل ذلك غير ما امتازت به من الجود والسخاء الذي هو مضرب مثل، مع الزهد في الدنيا، والصبر على شظف العيش، والرغبة في الله والدار الآخرة(٣).

فرضي الله عنها وأرضاها، وجزى الله الصديقة وجزى الصديق عنا وعن نبينا وعن أمة نبينا خير الجزاء، وجعلنا الله ممن أحبهم واتبعهم بإحسان، كما قال عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٥) ومسلم (٢٤٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٥٩) ومسلم (٢٤٤٦).

(٣) انظر كتاب: خِتام السنين، للوالد رحمه الله، ص١٣٨ ـ ١٤٠، ففيه ذِكرٌ لبعض صور الجود الذي عُرفت به عائشة رضي الله عنها.

ومَضات من حياة أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

من الموضوعات التي كانت محل عناية وتأمُّل من الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: سيرةُ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكان يتحدث عنها ويتوقف عند أهم معالمها في مناسبات متعددة..

وقد يسر الله للوالد ـ في سنواته الأخيرة ـ أن يُحرر هذه الوَمَضَات في مدة ليست يسيرة، فقد بدأ رَحِمَهُ اللَّهُ بالكتابة بتاريخ ٢٨/٥/١٤٣٨هـ، وفرغ منها بتاريخ: ٢٨/٨/١٤٣٨هـ، وربما أصلح فيها شيئًا بعد ذلك.. وهذا نصها:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه. أما بعد:

فللصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فضل على كل مسلم جاء بعدهم، فقد نشروا الدين في الآفاق، وبذلوا في ذلك أموالهم وأرواحهم، وفارقوا لأجل هذا أوطانهم وأحبتهم، وحفظوا الدين فلم يضيعوه كما فعل كثير من أتباع الأنبياء قبل نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولبعضهم علينا من الفضل والمعروف أكثر من بعض، فالصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قدَّم ما لم يُقدِّم غيره، وفعل ما لم يَفعل غيره، ولو لم يكن من ذلك إلا تثبيت الدين أيام الردة.

وعمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذلك، ومن هذا: تثبيته قواعد الدولة الإسلامية بحكمته وعدله وحُسن سياسته، وهكذا سائر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

ومن هؤلاء الصحابة الذين لهم فضل متميز وحق خاص على كل مسلم: أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ بما حفظ للأمة من سنة نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القولية والفعلية والتقريرية، حيث فاق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في هذا.

ولقد شهدت له الأمة ـ الصحابة فمن بعدهم ـ بهذا:

○ قال عنه عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان يحفظ على المسلمين حديث رسول الله ﷺ(١).

○ وقال له عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كنتَ أَلْزَمَنا لرسول الله ﷺ وأَعْرَفَنا بحديثه(٢).

○ وعن طلحة بن عبيد الله ـ أحد العشرة المبشرين بالجنة السابقين الأولين للإسلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال: لا نشك أن أبا هريرة سمع من رسول الله ﷺ ما لا نسمع(٣).

○ وعن محمد بن عمارة بن حزم أنه قعد في مجلس فيه مشيخة من الصحابة، بضعة عشر رجلًا، فجعل أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أجمعين يحدثهم بالحديث عن رسول الله ﷺ فلا يعرفه بعضهم، فيُرَاجَعون فيه، حتى يعرفوه، ثم يحدثهم بالحديث كذلك، حتى فعل مرارًا، قال محمد بن عمارة: فعرفتُ يومئذ أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحفظ الناس، رواه البخاري في تاريخه(٤).

○ قال الإمام الشافعي: «أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحفظ مَن روى الحديث في عصره»(٥).

وعلى جلالة هذه الشهادات، فأبلغ منها وأجلُّ: شهادة النبي ﷺ له، فإن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سأل النبي ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال له النبي ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى، مكتبة الخانجي، ٥/ ٢٥٧.
(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦٤٦٦ ط. التأصيل الثانية).
(٣) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير، دار الناشر المتميز، ٧/ ١٥٨.
(٤) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير، دار الناشر المتميز، ١/ ٥١٦ ـ ٥١٧.
(٥) فتح الباري لابن حجر، دار المعرفة، ١/ ٢١٤.

أولَ منك؛ لما رأيتُ من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»[١].

والعجيب هنا أن أبا هريرة رضي الله عنه وهو أكثر الصحابة رواية للحديث لم يلازم النبي ﷺ إلا في أواخر عمره ﷺ، فإنه قدم على النبي ﷺ عام خيبر، وذلك في السنة السابعة، وتوفي النبي ﷺ في السنة الحادية عشرة، أي: لم يلازمه إلا نحو أربع سنين.

علمًا أن من الصحابة مَن لازمه منذ أن كان في مكة، ومنهم مَن لازمه منذ هاجر إلى المدينة إلى أن توفي ﷺ، فما سبب تميز أبي هريرة رضي الله عنه بكثرة الرواية؟

والجواب عن ذلك ـ على وجه الإجمال ـ تجده في قول الله عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، فلا شك أن ما تميز به أبو هريرة رضي الله عنه اختيار من الله واجتباء واصطفاء اصطفى الله به أبا هريرة رضي الله عنه.

وإذا أراد الله أمرًا قَيَّض أسبابه، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم ـ مع شدة حرصهم على ملازمة النبي ﷺ والأَخْذ عنه ـ منهم مَن كان مشتغلًا بالتجارة والصَّفْق بالأسواق، وهم المهاجرون رضي الله عنهم، ومنهم مَن كان منشغلًا بالقيام على أموالهم من الزروع وغيرها، وهم الأنصار رضي الله عنهم، ولا تثريب عليهم كلهم في هذا، فإنه مطلوب من المسلم أن يسعى في التسبب؛ ليعول نفسه ومن تلزمه نفقته.

أما أبو هريرة رضي الله عنه فقد اختار لنفسه منحى آخر، فقد أدرك بِبُعْد نظره أن الدنيا إن فاتت هذا اليوم أُدركت غدًا، وإن فاتت هذا العام أُدركت فيما يليه، أما النبي ﷺ فإن فات فما عنه بديل ولا منه عوض، فلازم النبي ﷺ مقابل ما يسد جوعه ويقيم أَوَدَه.

وحيث إن النبي ﷺ كان أحيانًا يعوزه الطعام، وأحيانًا يبيت طاويًا، فهكذا كان حال أبي هريرة رضي الله عنه، حتى إنه أحيانًا يتمادى به الجوع فلا يستطيع

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

المشي أو أن يعتدل قائمًا فيخر مغشيًّا عليه كما في البخاري وغيره[(١)]، ومع كل هذا صَبَر واحتسب مُؤْثرًا ملازمة رسول الله ﷺ، مستحضرًا أنها فرصة إن فاتت فلا يمكن تعويضها.

ولقد كان من أمنياته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يرزقه الله قوة الحفظ ليحفظ حديث رسول الله ﷺ.

أخرج النسائي بسند جيد في العلم من كتابه «السنن»[(٢)]: أن رجلًا جاء إلى زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: «أفرضهم زيد بن ثابت»[(٣)]، وهو الذي وكَّله أبو بكر ثم عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بجمع القرآن[(٤)] ـ، فسأله، فقال له زيد: عليك بأبي هريرة، فإني بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ذات يوم ندعو الله ونذكره إذ خرج علينا رسول الله ﷺ حتى جلس إلينا، فقال: «عودوا للذي كنتم فيه»، فقال زيد: فدعوت أنا وصاحبي، فجعل رسول الله ﷺ يُؤَمِّن على دعائنا، ودعا أبو هريرة فقال: اللهم إني أسألك مثل ما سألك صاحباي، وأسألك علمًا لا يُنسى، فقال رسول الله ﷺ: «آمين»، فقلنا: يا رسول الله، ونحن نسأل الله علمًا لا يُنسى، فقال: «سبقكم بها الغلام الدوسي»، انتهى من الإصابة[(٥)].

وحيث إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له في تدبير هذا الكون وتدبير شؤون عباده سنن شرعية وكونية وجزائية، فإن من سنن الله الجزائية أن من اهتم بشيءٍ وحرص عليه وَجَدَّ في تحصيله فإن الله تعالى بفضله وكرمه يعطيه ويفتح عليه على قدر جِدِّه.

ولعل من هذا: ما جاء في الصحيح أن أبا هريرة كان يومًا عند النبي ﷺ،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٣٤).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٥٨٣٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٩١) وابن ماجه (١٥٤).

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٧٩، ٤٩٨٧).

(٥) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، ٧/ ٣٥٧.

فقال: «لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه، ثم يجمعه إلى صدره، فينسى من مقالتي شيئًا أبدًا»، فبادر أبو هريرة إلى ذلك؛ اغتنامًا لهذه المعجزة من معجزاته ﷺ، فبسط بُرْدَة كانت عليه، فلم ينسَ بعدها كلامًا سمعه من النبي ﷺ[(١)].

وهذا من معجزاته ﷺ وعلامات نبوته كما قال الحافظ ابن حجر[(٢)].

ولقد كان أبو هريرة رضي الله عنه مستحضرًا غاية الاستحضار جَسَامة المسؤولية في الرواية عن النبي ﷺ، وعِظم الإثم في القول عليه ما لم يَقل، وفي نفس الوقت كان مستشعرًا حق العلم الذي يحمله، ووجوب تبليغه، وخطر كتمانه.

وفي فترة من الفترات بعد وفاة النبي ﷺ ووفاة كثير من كبار الصحابة، ومع ازدياد الحاجة إلى علم أبي هريرة رضي الله عنه وما حَفِظه، ثَارَ تساؤلٌ بين بعض الناس مستغربين كثرة ما يحدثهم أبو هريرة عن النبي ﷺ قياسًا إلى غيره ممن بقي من الصحابة، فبلغ ذلك أبا هريرة رضي الله عنه، فقال: يقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث، واللهُ الموعد، ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه، وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرأً مسكينًا ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون، وقال النبي ﷺ يومًا: «لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه، ثم يجمعه إلى صدره، فينسى من مقالتي شيئًا أبدًا»، فبسطت نَمِرَة ليس عليَّ ثوب غيره، حتى قضى النبي ﷺ مقالته، ثم جمعتها إلى صدري، فوالذي بعثه بالحق، ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا، والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئًا أبدًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٠) ومسلم (٢٤٩٢).

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، ٧/ ٣٥٧.

لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٠]، رواه البخاري[١].

ومن الصحابة الذين يقاربون أبا هريرة في حفظ الأحاديث: عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، بل كان أكثر من أبي هريرة رضي الله عنه؛ لأنه كان يدوّن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم[٢]، لكنَّ ما حدثه للناس وما روي عنه لا شك أن أبا هريرة أكثر منه بكثير، بل أبو هريرة أكثرُ الصحابة على الإطلاق.

قال الذهبي رحمه الله في تاريخ الإسلام: كان أبو هريرة رضي الله عنه أحد الحفاظ المعدودين في الصحابة، روى عنه ابن عباس وأنس وجابر رضي الله عنهم[٣].

وقال ابن حجر رحمه الله في «الإصابة»: روى عنه ابن عمر، وابن عباس، وجابر، وأنس، وواثلة بن الأسقع رضي الله عنهم[٤].

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله في سبب كون حديث أبي هريرة رضي الله عنه أكثر من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: لذلك أسباب:

أحدها: أن عبد الله كان مشتغلًا بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم، فَقَلَّتِ الرواية عنه.

ثانيها: أنه كان أكثر مقامه بعد فتوح الأمصار بمصر أو الطائف، ولم تكن الرحلة إليهما ممن يطلب العلم كالرحلة إلى المدينة، وكان أبو هريرة رضي الله عنه متصديًا فيها ـ أي في المدينة ـ للفتوى والتحديث إلى أن مات، ويَظهر هذا من كثرة من حَمل عن أبي هريرة رضي الله عنه، فقد ذكر البخاري في تاريخه الكبير أنه روى عنه ثمان مئة نفس[٥]، ولم يقع هذا لغيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٠) ومسلم (٢٤٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (١١٣).

(٣) تاريخ الإسلام، دار الغرب الإسلامي، ٢/ ٥٦٠.

(٤) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، ٧/ ٣٥٢.

(٥) انظر: أسد الغابة، دار الكتب العلمية، ٦/ ٣١٣، الإصابة، دار الكتب العلمية، ٧/ ٣٥٣.

ثالثها: ما اختُص به أبو هريرة من دعوة النبي ﷺ له بأن لا ينسى ما يحدثه به»، انتهى[١].

ويضاف إلى ما تقدم: أن أبا هريرة رضي الله عنه عاش بعد النبي ﷺ قرابة خمسين سنة، وخلال هذه السنوات توفي عدد كثير من الصحابة رضي الله عنهم ممن لازم النبي ﷺ، فازدادت الحاجة إلى أبي هريرة رضي الله عنه وإلى أمثاله ممن لازم النبي ﷺ وتلقوا عنه مباشرة.

هذا، وإن السمة البارزة في شخصية أبي هريرة رضي الله عنه: الجانب العلمي؛ روايةً للحديث، وتعليمًا للناس، وإفتاءً للعامة.

❖ وتَلْمَح في شخصية أبي هريرة (المعلِّم) ميزتين:

أحدهما: أنه لم يكن مجرد (حافظ) ينقل لغيره ما حفظه فحسب؛ بل كان راويًا فقيهًا، ولذا فإن المصنفين إذا عدوا فقهاء الصحابة ذكروا منهم أبا هريرة رضي الله عنه، وقد كانت فتاواه معتبرة بين الصحابة رضي الله عنهم بل كانوا يرجعون إليه أحيانًا فيما يشكل عليهم.

روى الإمام مالك في الموطأ والبيهقي في السنن وسعيد بن منصور وعبد الرزاق وابن أبي شيبة في مصنفهما عن معاوية بن أبي عياش الأنصاري: أنه كان جالسًا مع ابن الزبير، فجاء محمد بن إياس بن بكير يسأل عن رجل طلق ثلاثًا قبل الدخول، فبعثه ابن الزبير إلى أبي هريرة وابن عباس وكانا عند عائشة رضي الله عنهم، فذهب فسألهما، فقال ابن عباس لأبي هريرة: أفته يا أبا هريرة فقد جاءتك معضلة، فقال أبو هريرة: الواحدة تبينها، والثلاث تحرمها[٢].

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر، دار المعرفة، ١/٢٠٧.

(٢) أخرجه مالك في موطئه (٢١١٠ ط. الأعظمي)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١٩٢٥ ط. التأصيل الثانية)، وسعيد بن منصور في سننه (١٠٩٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٨٨٠٩ ط. الشثري)، والبيهقي في السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، (١٤٩٦٦).

قال الذهبي: «أفتى أبو هريرة ﵁ في دِقاق المسائل مع مثل ابن عباس»، وأورد من أمثلة ذلك: أنه أفتى في مسألة المطلقة طلقة ثم يتزوج بها آخر ثم بعد الدخول فارقها فتزوجها الأول، أنها تبقى عنده على طلقتين، وهذا قول عمر وآخرين من الصحابة ﵃، وقول مالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه[(١)].

وروى ابن سعد في الطبقات الكبرى بسنده عن زياد بن ميناء قال: كان ابن عباس وابن عمر وأبو سعيد وأبو هريرة وجابر ﵃ يُفتون بالمدينة ويُحدثون عن رسول الله ﷺ من لدن توفي عثمان ﵁ إلى أن توفوا، وهؤلاء الخمسة إليهم صارت الفتوى[(٢)].

قال ابن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام»: المتوسطون فيما روي عنهم من الفتاوى: عثمان، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وأم سلمة، وأنس بن مالك، وأبو سعيد الخدري، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسلمان، وجابر بن عبد الله، ومعاذ، وأبو بكر ﵃ أجمعين، انتهى[(٣)]، وانظر كلام ابن القيم في إعلام الموقعين[(٤)].

الميزة الأخرى وهي أهم: امتثاله ما يرويه للناس وما يعلمهم إياه من حديث رسول الله ﷺ وسنته، وشواهد هذا كثيرة؛ منها:

١ ـ ما رواه البخاري ومسلم عنه ﵁ أنه كان يقول: لو رأيتُ الظباء بالمدينة ترتع ما ذَعَرْتُها، قال رسول الله ﷺ: «ما بين لابتيها حرام»[(٥)].

٢ ـ وحيث روى ما روى في فضل الصدقة والإنفاق في سبيل الله، فقد بعث إليه أمير المدينة مروان بن الحكم مئة دينار، فلما كان الغد بعث إليه:

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ٢/٦١٩ ـ ٦٢٠.
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى، مكتبة الخانجي، ٢/٣٢١.
(٣) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، دار الآفاق الجديدة، ٥/٩٢.
(٤) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار ابن الجوزي، ٢/١٨ ـ ١٩.
(٥) أخرجه البخاري (١٨٧٣) ومسلم (١٣٧٢).

إني غلطت ولم أُرِدْك بها، فقال أبو هريرة رضي الله عنه: قد أخرجتها، فإذا خرج عطائي ـ بمثابة الراتب السنوي ـ فخذها منه، وكان قد تصدق بها، وإنما أراد مروان اختباره. البداية والنهاية[١].

٣ ـ وحيث روى عن النبي ﷺ قوله: «رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته» الحديث رواه أبو داود[٢]، قال النووي: «بإسناد صحيح»[٣]، فقد أخرج الإمام أحمد بسند ـ قال ابن حجر: «صحيح»[٤] ـ، عن أبي عثمان النهدي قال: تضيفتُ أبا هريرة سبعًا فكان هو وامرأته وخادمه يَعْتَقِبُون الليل أثلاثًا، يصلي هذا، ثم يوقظ هذا[٥].

٤ ـ وحيث كان النبي ﷺ أحيانًا يدخل على أهله فيقول: هل عندكم شيء؟ فإن قالوا: لا، قال: فإني إذن صائم ـ انظر صحيح مسلم[٦] ـ، فقد روى أبو نعيم عن سعيد بن المسيب قال: رأيت أبا هريرة يطوف بالسوق، ثم يأتي أهله، فيقول: هل عندكم من شيء؟ فإن قالوا: لا، قال: فإني صائم[٧].

والميزة الأخرى: أنه لم يقتصر على الجانب النظري في تعليمه الناس بل كان يعتني بامتثال المرء ما تعلمه، ويشجع الناس على ذلك، ويحذرهم من مخالفته، فمن شواهد ذلك:

١ ـ أنه لما روى قول النبي ﷺ: «لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبةً

(١) انظر: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ٨/ ١١٤.
(٢) أخرجه أبو داود (١٣٠٨) والنسائي (١٦١٠) وابن ماجه (١٣٣٦).
(٣) رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة، ص٣٤٥.
(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، ٧/ ٣٦٠.
(٥) أخرجه البخاري (٥٤٤١) وأحمد (٨٦٣٣).
(٦) أخرجه مسلم (١١٥٤).
(٧) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، دار الفكر، ١/ ٣٨٢.

في جداره»، فقال بعدها معاتبًا من قَصَّر في ذلك: مالي أراكم عنها معرضين؟! والله لأرمين بها بين أكتافكم، أخرجه البخاري ومسلم[١].

٢ ـ وقال البخاري: «وكان ابن عمر وأبو هريرة يَخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما»[٢].

٣ ـ روى الإمام أحمد في مسنده قال: حدثنا سفيان عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر، عن مولى أبي رُهم: أن أبا هريرة رضي الله عنه رأى امرأة متطيبة، فقال: أين تريدين يا أمة الجبار؟ فقالت: المسجد، فقال: وَلَهُ تطيبتِ؟ قالت: نعم، قال: إن رسول الله ﷺ قال: «أيما امرأة خرجت من بيتها متطيبة تريد المسجد لم يقبل الله لها صلاة حتى ترجع»[٣].

٤ ـ كما روى الإمام أحمد بسنده عن مسلم بن أبي مسلم قال: رأيت أبا هريرة رضي الله عنه ونحن غلمان نجيء الأعرابَ نقول: يا أعرابي، نحن نبيع لك، قال: دَعُوْه فليبع سلعته، فقال أبو هريرة: إن رسول الله ﷺ نهى أن يبيع حاضر لباد[٤].

وعلى أي حال، فهذا الجانب ـ أعني الجانب العلمي ـ أحد جوانب شخصيته رضي الله عنه، لكن المتأمل لشخصيته يجد فيها شمولية وتكاملًا.

فتجد فيها إضافة إلى الجانب العلمي:

١ ـ العبادة والزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله.

٢ ـ الأمانة وحسن الخُلق.

٣ ـ الصدع بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٦٣) ومسلم (١٦٠٩).

(٢) صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ٢/ ٢٠.

(٣) أخرجه أبو داود (٤١٧٤) وابن ماجه (٤٠٠٢) وأحمد (٧٣٥٦).

(٤) أخرجه أحمد (٧٤٥٦).

٤ ـ القدرات الإدارية.

وهذا بسطٌ لتلك الشواهد:

١ ـ العبادة:

فقد ذكر أهل السير أنه كان هو وأهله قسموا الليل ثلاثًا: يصلي أبو هريرة من أول الليل إلى ثلثه، ثم تقوم زوجه فتصلي ثلث الليل الأوسط، ثم يقوم خادمه فيصلي إلى طلوع الفجر، فلا يزال في بيت أبي هريرة مُصَلٍّ(١).

ومِن بذله ورغبته في الخير وزهده في الدنيا: ما رواه البخاري في صحيحه أنه لما توجه من ديار دوس إلى النبي ﷺ ومعه غلامه ضل كل واحد منهما من صاحبه، فأقبل الغلام بعد ذلك، وأبو هريرة جالس مع النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة، هذا غلامك قد أتاك»، فأعتَقَه رضي الله عنه لوجه الله(٢).

ومن علو همته وصدق رغبته في الخير: مواظبته على الجهاد في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، وحين رَوَى قول النبي ﷺ: «للعبد المملوك الصالح أجران»، الحديث مخرج في الصحيح، قال رضي الله عنه إثر ذلك: والذي نفسي بيده، لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك(٣).

وأمضى حياته رضي الله عنه بين التقشف والكفاف، حتى بعد أن اتسعت أحوال الناس وفُتحت على المسلمين خزائن الأرض كما أخبر النبي ﷺ(٤)؛ لم تفتنه الدنيا، فحينما توفي رضي الله عنه لم يُخَلِّف الأموال والثروات رغم منزلته رضي الله عنه ومكانته عند الخاصة والعامة.

فمن سمات شخصيته: الثبات، فلم يكن من ذوي النفسيات المتقلبة أو الشخصيات المتلونة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٤١)، ولفظه ـ كما مر قريبًا ـ: «... فكان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثًا، يصلي هذا، ثم يوقِظ هذا».

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٣٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٤٨) ومسلم (١٦٦٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

٢ ـ حسن الخلق:

ومن ذلك: لطفه بأمه وبره بها، ففي الصحيح عن أبي هريرة ﵁ قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيتُ رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلتُ: يا رسول الله، إني كنتُ أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليَّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أَكره، فادعُ الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اهْدِ أم أبي هريرة»، فخرجتُ مستبشرًا بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئتُ فَصِرْتُ إلى الباب فإذا هو مجافٌ ـ أي مغلقٌ ـ، فَسَمِعَتْ أمي خَشَف قدمي، فقالت: مكانكَ يا أبا هريرة، وسمعتُ خضخضة الماء، قال: فاغتَسَلتْ ولبستْ درعها، وعجلتْ عن خمارها[١]، ففتحتِ الباب ثم قالتْ: أبا هريرة، أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قلت: يا رسول الله، أبشر، قد استجاب الله دعوتك، وهدى أم أبي هريرة.

فحمد الله، وأثنى عليه، وقال خيرًا، قلتُ: يا رسول الله، ادعُ الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حبب عُبيدك هذا ـ يعني أبا هريرة ـ وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين»، فما خُلِق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني، رواه مسلم[٢].

---

(١) جاء في شرح المشكاة للطيبي، ما نصه: «وقوله: «وعجلت عن خمارها»؛ أي: عجلت الفتح متجاوزةً عن خمارها». أي: أن أم أبي هريرة لبست الدرع، وهو القميص، وأسرعت إلى فتح الباب، وتركت لبس الخمار.
وقد وجدت في أحد دفاتر الوالد ﵀ ما نصه: تأمَّلْ قول أبي هريرة ﵁ في قصة إسلام أمه: «فاغتَسَلتْ ولبستْ درعها، وعجلتْ عن خمارها».

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩١).

ومما يستوقف النظر، ويدعو للتأمل في هذه القصة: كون أمه رافقته في هجرته إلى النبي ﷺ مع أنها كانت إذ ذاك مشركة.

ولنستحضر أن مفارقة كبير السن ـ فضلًا أن يكون امرأة ـ للمكان الذي اعتاده ونشأ فيه وترعرع، وفيه أهله وعشيرته، إلى بلد لم يألفه، وقوم لا يعرفهم ولا يعرف عوائدهم وطباعهم؛ أن هذا من الثقل بمكان.

فما الذي دعا أم أبي هريرة أن ترافقه في هذا السفر والحال ما ذُكر، لاسيما وهي تَعْلم أنها مفارَقة للوطن إلى غير عودة؟!

والجواب: أنه تَعَلُّقٌ بابنها، بسبب بره البالغ ولطفه بها، فذلك جعلها تتشبث به ولا تطيق فراقه، وقد تقدم قول أبي هريرة رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده، لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك»[1]، وفي صحيح مسلم: «وبلغنا أن أبا هريرة لم يكن يحج حتى ماتت أمه؛ لصحبتها»[2].

ومن بره بأمه: ما رواه البخاري في «الأدب المفرد»: أنه كان إذا أراد أن يخرج وقف على باب أمه، فقال: السلام عليك يا أمتاه ورحمة الله وبركاته، فتقول: وعليك السلام يا بني ورحمة الله وبركاته، فيقول: رحمك الله كما ربيتيني صغيرًا، فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيرًا، ثم إذا أراد أن يدخل صنع مثله[3].

ومن «تاريخ دمشق»: «كان أبو هريرة إذا غدا من منزله لبس ثيابه ثم وقف على أمه، فقال: السلام عليك يا أمتاه ورحمة الله وبركاته، جزاك الله عني خيرًا كما ربيتيني صغيرًا، فترد عليه وأنت فجزاك الله عني خيرًا كما بررتني كبيرة، ثم يخرج، فإذا رجع قال مثل ذلك»[4].

(١) أخرجه البخاري (٢٥٤٨) ومسلم (١٦٦٥).
(٢) أخرجه مسلم (١٦٦٥).
(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٢).
(٤) تاريخ دمشق، دار الفكر، ٦٧/ ٣٦٩.

ومن «سير أعلام النبلاء»: ومن صور بره بأمه أن أبا هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خرجتُ يومًا من بيتي إلى المسجد لم يُخرجْني إلا الجوع، فوجدت نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: ما أخرجك هذه الساعة؟ قلت: الجوع، فقالوا: ونحن والله ما أخرجنا إلا الجوع، فقمنا فدخلنا على رسول الله ﷺ، فقال: ما جاء بكم هذه الساعة؟ فأخبرناه، فدعا بطبق فيه تمر فأعطى كل رجل منا تمرتين، فقال: كلوا هاتين التمرتين، واشربوا عليها من الماء، فإنهما ستجزيانكم يومكم هذا، فأكلت تمرة، وخبأت الأخرى، فقال: يا أبا هريرة لِمَ رفعتها؟ فقلت: لأمي، قال: كلها، فسنعطيك لها تمرتين(١).

ومن صور كرم أخلاقه وحُسن شمائله: أنه لما وفدت الوفود من مختلَف الأمصار إلى معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الشام كان أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ضمن وفد المدينة، يقول عبد الله بن رباح ـ أحد التابعين وكان أيضًا في وفد المدينة ـ: فكان يصنع بعضنا لبعض الطعام، فكان أبو هريرة يكثر أن يدعو إلى رحله ـ يعني المكان الذي كان نازلًا فيه أثناء سفره ـ، فقلت ـ القائل عبد الله بن رباح ـ: ألا أصنع طعامًا فأدعوهم إلى رحلي، فأمرت بطعام يصنع، ثم لقيت أبا هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقلت: الدعوة عندي الليلة، فقال: سبقتني؟ قلت نعم، رواه مسلم(٢).

ولعل هذا ـ أعني لطفه ودماثته وحسن أخلاقه ـ مما يضاف إلى أسباب اجتماع طلبة العلم عليه كما تقدم.

كما تقدم النقل عن البخاري أنه روى عنه ثمان مائة نفس(٣)، وأن هذا لم يحصل لغيره.

وكذلك تواضعه، فلم تغيره المناصب ولا ارتفاع مركزه الاجتماعي ومكانته عند العامة والخاصة.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ٢/ ٥٩٢ ـ ٥٩٣.
(٢) أخرجه مسلم (١٧٨٠).
(٣) انظر: أسد الغابة، دار الكتب العلمية، ٦/ ٣١٣، الإصابة، دار الكتب العلمية، ٧/ ٣٥٣.

٣ ـ الصدع بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

روى مسلم عن أبي هريرة ﵁: أن قريشًا وَبَّشت أوباشًا لها وأتباعًا، فقالوا: نقدّم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطيناه الذي سَأَلَنا، فقال النبي ﷺ: «ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم؟»، ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى ـ أي: أنِ احصدوهم حصدًا ـ حتى توافوني على الصفا، قال: فانطلقنا فما نشاء أن نقتل أحدًا إلا قتلناه(١).

ومن شواهد ذلك:

أ ـ ما رواه مسلم في صحيحه أنه ﵁ قال لأمير المدينة ـ وكان إذ ذاك مروان بن الحكم ـ: أحللت بيع الربا، فقال مروان: ما فعلتُ، فقال أبو هريرة: أحللت بيع الصكاك، وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع الطعام حتى يستوفى، فخطب مروانُ الناسَ فنهى عن بيعها، يقول الراوي: فنظرتُ إلى حرسٍ يأخذونها من أيدي الناس(٢).

والصكاك جمع صك، وهو كتاب يكتب فيه للمرء مالهم من رَزق وحق، فيبيع الصك قبل أن يقبض ما وُعِد به.

ب ـ وروى البخاري ومسلم ـ واللفظ لمسلم ـ عن أبي زرعة قال: دخلت أنا وأبو هريرة دارًا تبنى بالمدينة لسعيد أو لمروان، فرأى مصوِّرًا يصور في الدار، فقال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقًا كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة»(٣).

ت ـ روى مسلم أن أبا هريرة لما كان أمير البحرين رأى رجلًا يجر

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٠)، وهو قطعةٌ من حديثٍ جاء فيه قصة فتح مكة.
(٢) أخرجه مسلم (١٥٢٨).
(٣) أخرجه البخاري (٥٩٥٣) ومسلم (٢١١١).

إزاره، فجعل أبو هريرة يضرب الأرض برجله، وهو يقول: جاء الأمير جاء الأمير، قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى من يجر إزاره بطرًا»[(١)].

وقوله: «وجعل يضرب الأرض برجله، وهو يقول: جاء الأمير جاء الأمير»؛ يعني: أنه فَعل ذلك تبشيعًا لفعله، يعني أنه فعل ذلك وكأنه أمير قومه؛ تأكيدًا للإنكار عليه.

٤ ـ القدرات الإدارية:

ومن شواهد ذلك: أن النبي ﷺ اختاره ليكون بمثابة (أمين المستودع) الذي تجمع فيه صدقة الفطر[(٢)].

وما كان النبي ﷺ ليختار لهذا العمل وأمثاله مما تتعلق به مصالح المسلمين إلا الأكفاء، ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

ولما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولى أبا هريرة أميرًا على البحرين ـ هجر، الأحساء حاليًّا وما حولها: دارين والقطيف وجواثى وغيرها ـ[(٣)]، ولم تكن البحرين منطقة هامشية في الجزيرة العربية، بل كان لها تميزها الاقتصادي والسياسي، ثم انظر من الذي ولاه على هذه المنطقة الواسعة والمهمة؟ إنه عمر المحدَّث الملهَم.

وشاهد آخر: أن مروان بن الحكم لما كان واليًا على المدينة كان يستخلف أبا هريرة على إمرة المدينة[(٤)]، ومما لا شك فيه أن المدينة كانت إذ ذاك تزخر بالطاقات وذوي الكفاءات، ومما لا شك فيه أيضًا أن المستخلِف يحرص على أن ينيب من يطمئن إلى كفاءته وحُسن إدارته، فاختيار مروان لأبي هريرة له دلالاته هنا الواضحة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣١١).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢١٧٣٥ ط. التأصيل الثانية).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى، مكتبة الخانجي، ٥/٢٥٣.

ولعل مما يَحسن الإشارة إليه هنا: أن العلاقة بين العلماء والولاة من المسائل الحساسة والمسالك الشائكة، حيث لا ينجح فيها ويوفق للصواب ولزوم طريق السداد تحقيقًا للمصلحة وسلامةً من المفسدة إلا أفذاذ وأفراد.

فكثير من أهل العلم يُؤْثرون السلامة والحيطة لدينهم؛ خوفًا من أن يقصروا، وذلك بسكوتهم عن منكر يرونه أو تأييدهم باطلًا يُفعل، كما في الأثر: «من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن»[١].

وآخرون سلكوا مسلك التواصل مع الولاة؛ قيامًا بواجب النصيحة لهم، ومزاحمةً لبطانة السوء، وإبلاغًا لحوائج الناس؛ لما في الأثر المرفوع: «من كان وَصْلَةً لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في مبلغ بِرٍّ، أو تيسير عسير، أعانه الله على إجازة الصراط يوم القيامة عند دَحْضِ الأقدام»، رواه الطبراني وابن حبان[٢]، ونحوه من النصوص.

وأبو هريرة رضي الله عنه من الأفذاذ الذين حققوا المعادلة الصعبة، فمع مكانته ومنزلته من الولاة لم يُؤخذ عليه خروجٌ عن سمت العدالة، أو وقوعٌ في زلة، أو تَوَرُّطٍ في مداهنة، أو تَزَلُّفٍ لاستجلاب مصلحة شخصية، بل كان ثابتَ الشخصية في تعامله مع الولاة ومع العامة، ينكر المنكر على الشريف والضعيف، كما تقدم بنا صور من ذلك.

ولعل من أسباب هذا الموقف: زهدَه، فلم يكن يتطلع إلى ما في أيدي الولاة أو يتشوف إلى عطاياهم، بل عاش حياته بين الشظف والكفاف.

وختامًا: وحيث إن النبي ﷺ قد دعا لأبي هريرة أن يحببه الله لعباده المؤمنين كما تقدم في الحديث الذي خرجه مسلم[٣]، فاجعل هذا معيارًا

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٥٩) والترمذي (٢٢٥٦) والنسائي (٤٣٠٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) أخرجه ابن حبان في الصحيح (٦٥١) والطبراني في المعجم الأوسط (٣٥٧٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٩١).

لإيمانك قوة وضعفًا، فإن كنتَ ممن يحب أبا هريرة ﵁ وسائر أصحاب رسول الله ﷺ ويُجلهم ويُنْزلهم منزلتهم التي أنزلهم الله إياها وأنزلهم رسول الله ﷺ فهنيئًا لك، فهذه بشرى خير وعلامة توفيق، فاستمسك بهذا وازدد منه، وإن كانت الأخرى ـ وأُعيذك بالله من ذلك ـ فبادر بالتوبة إلى الله والاستغفار، واعلم أن هذا من مرض القلب، ومرضُ القلب إذا غفل عنه صاحبه زاد حتى يَستحكم ويُهلِك صاحبه ـ نسأل الله العافية ـ، قال الله ﷻ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠].

هذا، وبالله التوفيق، وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، والحمد لله رب العالمين.

آل أنس بن مالك ﵃

ذريةٌ بعضُها من بعض: أنس بن مالك ﵁[(١)]:

١ ـ أمه أم سليم، صاحبة المواقف المشهودة.

٢ ـ أبو طلحة زوج أمه، وهو القائل: «نحري دون نحرك يا رسول الله»[(٢)].

٣ ـ وأخوه البراء بن مالك.

٤ ـ وعمه أنس بن النضر.

٥ ـ وعمه أيضًا أبو زيد، عن أنس ﵁ قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة: أُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد» قال قتادة: قلت: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي[(٣)].

---

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، ٨/٤٠٨ ـ ٤٠٩ (أم سليم)، ٢/٥٠٢ (أبو طلحة)، ١/٤١٢ (البراء)، ١/٢٨١ (أنس بن النضر)، ٢/٤٢ (حرام بن ملحان)، ٨/٣٧٥ (أم حرام بنت ملحان)، ٨/١٣٣ (الرُّبيّع)، ٨/٣٢٠ (مليكة).

(٢) أخرجه أحمد (١٤٠٥٨).

(٣) أخرجه أحمد (١٣٩٤٢).

٦ ـ وخاله حرام بن ملحان، الذي قُتل يوم بئر معونة، وهو القائل: «فُزت ورب الكعبة»[(١)].

٧ ـ وخالته أم حرام، الوارد ذكرها في حديث: «مُلوكٌ على الأَسِرَّة»[(٢)].

٨ ـ وعمته الرُّبيّع بنت النضر، أم حارثة الذي قتل في بدر، وقال عنه ﷺ: «إنه أصاب الفردوس الأعلى من الجنة»[(٣)].

٩ ـ وأخوه أبو عمير، توفي صغيرًا[(٤)].

١٠ ـ وأخوه أيضًا عبد الله، الذي جاء فيه حديث: «اللهم بارك لهما في ليلتهما»[(٥)]، وجاء من ولده عشرة علماء أخيار[(٦)].

١١ ـ وجَدَّته مُليكة.

من أخبار حكيم بن حزام وابنه هشام:

من سير أعلام النبلاء: عن حكيم بن حزام رضي الله عنه: قوله: «فوالذي بعثك بالحق لا أَرْزَأُ أحدًا بعدك شيئًا»[(٧)]، فلم يَقبل ديوانًا ولا عطاءً، فمات حين

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٩٢).

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٤٥) والنسائي (٣١٧١).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٠٩).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر، دار المعرفة، ٣/ ١٧٠. وهو الذي قال له النبي ﷺ: «يا أبا عمير، ما فعل النغير»، وهو أخو أنس لأمه.

(٥) أخرجه البخاري (٥٤٧٠) ومسلم (٢١٤٤) بلفظ: «اللهم بارك لهما».

(٦) انظر: شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي، ١٦/ ١٢.

(٧) والحديث كاملًا ـ كما في صحيح البخاري ـ: أن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: «يا حكيم! إن هذا المال خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى»، قال حكيم: فقلت: يا رسول الله! والذي بعثك بالحق، لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا. =

مات وإنه لمن أكثر قريش مالًا، قال: ما أصبحتُ وليس ببابي صاحب حاجة إلا علمتُ أنها من المصائب التي أسأل الله الأجر عليها[١].

ابنه هشام بن حكيم: «كان صليبًا مهيبًا، وقال الزهري: كان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فكان عمر إذا رأى منكرًا قال: أمّا مَا عشت أنا وهشام بن حكيم فلا يكون هذا»[٢].

كم عُمُر سلمان الفارسي؟

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سير أعلام النبلاء»: قال العباس بن يزيد البحراني: يقول أهل العلم: عاش سلمان ثلاث مئة وخمسين سنة، فأما مئتان وخمسون فلا يشكّون فيه.

ثم قال الذهبي: وقد فَتّشت فما ظفرت في سِنِّه بشيء سوى قول البحراني، وذلك منقطع لا إسناد له.

ومجموع أمره وأحواله وغزوه وهمته وتصرفه وسَفّه للجريد وأشياء مما تقدم: ينبئ بأنه ليس بمعمَّر ولا هَرِم، فقد فارق وطنه وهو حَدَث، ولعله قدم الحجاز وله أربعون سنة أو أَقَلّ، فلم ينشب أن سمع بمبعث النبي ﷺ، ثم هاجر، فلعله عاش بضعًا وسبعين سنة، وما أُراه بلغ المئة، فمن كان عنده علم فليفدنا[٣].

= فكان أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يدعو حكيمًا إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه، ثم إن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئًا، فقال عمر: إني أُشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه. فلم يرزأ حكيمٌ أحدًا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ٣/ ٤٤ ـ ٥١.

(٢) المرجع السابق، ٣/ ٥٢.

(٣) سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ١/ ٥٥٥.

علقمة ومسروق

قال الشعبي يُقَوِّم أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه: كان علقمة أبطنَ الناس به[١]، وكان مسروق قد خلط منه ومن غيره، وكان الربيع بن خُثيم أشدَّ القوم اجتهادًا، وكان عَبِيدةُ السَّلْمانيُّ يوازي شريحًا في العلم والقضاء.

وقال: كان علقمة مع البطيء، ويدرك السريع.

كان علقمة من الربانيين، وكان أشبه الناس بابن مسعود، وكان أشبه الناس بعلقمة إبراهيم النخعي وكان خاله.

كَنَّى ابن مسعود رضي الله عنه علقمة أبا شبل، ولم يولد له.

ومسروق بقي بعد علقمة لا يُفَضَّلُ عليه أحد، قالت له أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: يا مسروق، إنك من ولدي، وإنك لمن أحبهم إليَّ[٢].

مَنَعَهُم الجهل أو الهوى عن الاعتراف بفضل الشافعي

بعضُ مَن عَاصَر الشافعيَّ اتهمه بالتشيع، والبعضُ اتهمه بالاعتزال، وآخرون ادَّعوا أنه يعادي مذهب مالك وأبي حنيفة، ووقف بين يدي الخليفة هارون الرشيد بتهمة التآمر على الدولة.

هؤلاء وغيرهم مَنَعَهُم الجهل أو الهوى عن الاعتراف بفضل الشافعي، فلما توفي أطبقت الأمة على إمامته.

وصَدَق من قال: المعاصرة حجاب، قد تَحجب فضائل من تعاصره.

ابن حزم والذهبي

قال الذهبي في السِّيَر: «ولي أنا مَيْلٌ إلى أبي محمد؛ لمحبته في الحديث

---

(١) أي: من خواصّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وبطانته.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ٤/ ٥٥ ـ ٥٧، ٦٦ ـ ٦٧، ١١/ ٣١٧، ١٢/ ١٩٦.

الصحيح، ومعرفته به، وإن كنتُ لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل، والمسائل البشعة في الأصول والفروع، وأقطع بخطئه في غير ما مسألة»، انتهى[(١)].

توفي ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم سنة (٤٥٦)، وكانت ولادته في قرطبة سنة (٣٨٤).

وذكر محقق المحلى ـ حسان عبد المنان ـ: أن ابن حزم لم يتمَّ المحلى، بل وصل إلى كتاب الدماء والقصاص، فأتم الباقيَ ابنُه[(٢)].

ابن دقيق العيد

ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ: وُلِد في شعبان سنة (٦٢٥) في ينبع، ووالده متوجه إلى الحجاز، وتوفي عام (٧٠٢).

دقيق العيد: جده[(٣)].

رسالة ابن تيمية لتلميذه وهو في السجن

كتب ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ إلى تلميذه أبي عبد الله بن رُشَيِّق وهو في سِجنه ـ ولعلها السَّجنة التي مات فيها رَحِمَهُ اللَّهُ[(٤)] ـ يقول: قد فتح الله عليَّ في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن، ومن أصول العلم بأشياء كان أكثر العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن[(٥)].

---

(١) سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ١٨/ ٢٠١ ـ ٢٠٢.

(٢) انظر: المحلى، دار بيت الأفكار الدولية، ص٣، ٤، ٧، ٩.

(٣) انظر: شرح الإلمام بأحاديث الأحكام، دار النوادر، ص١٣، ٤٢ من المقدمة.

(٤) هذا صحيح، ففي أول هذا النقل ما نصه: «ثم لما حُبِس في آخر عمره كتبتُ له أن يَكتب على جميع القرآن مرتَّبًا على السور، فكَتَبَ يقول...، وقد فتح الله عليَّ في هذا الحصن...».

(٥) انظر: العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، دار عطاءات العلم، ص٤١.

ثناء الحافظ ابن حجر على الشيخ تقي الدين ابن تيمية وابن القيم

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية، صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف، لكان غايةً في الدلالة على عظيم منزلته»[(١)].

الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

نقلًا عن عنوان المجد: سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان عالـمًا فاضلًا بارعًا في الحديث والتفسير والفقه، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، صادق الاتصال بالله، قُتل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر سنة (١٢٣٣)، قتله إبراهيم باشا بعد دخوله الدرعية واستيلائه عليها، فأحضره إبراهيم وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر إغاظةً للشيخ، ثم أخرجه إلى المقبرة، وأمر العساكر أن يرموه بالرصاص جميعًا، فمزقوا جسمه، رحمه الله ورضي عنه[(٢)].

من أخبار العُبَّاد

حكى لي الشيخ (...)، ليلة الاثنين (٧/ صفر/ ١٤٣٨): عن جده لأمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه مكث ثنتين وستين سنة لا يؤذن المؤذن إلا وهو في المسجد، وأنه فَقَدَ إحدى عينيه منذ ثمان وأربعين سنة ولم يَعلم بهذا أحدٌ حتى زوجته[(٣)].

---

(١) انظر: تقريظ لابن حجر على الرد الوافر، دار ابن تيمية، ١/ ١٥.

(٢) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ١/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥.
تنبيه: الشيخ سليمان بن عبد الله هو صاحب كتاب: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ولم يكمله، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) هذا يُشبه ما جاء في سِيَر بعض السلف، فمن ذلك: ما جاء في طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى: «قال إبراهيم الحربي: ما شكوتُ إلى أمي ولا إلى أختي ولا إلى امرأتي ولا إلى بناتي حمى قط وجدتها. الرجل هو الذي يدخل غمه على نفسه ولا يغم عياله. وكان بي شقيقة خمسًا وأربعين سنة ما أخبرت بها أحدًا قط، ولي عشرون سنة أبصر بفرد عين ما أخبرت بها أحدًا قط...».

وقصة من رأى نفسه منهمكًا في التجارة وخاف أن ينشغل عن القرآن فعوّض ذلك بأن واظب على صلاة الفجر في يوم الجمعة في الجامع ليختم قبل دخول الخطيب.

وقصة من كان يختم كل أسبوع في صلاة الليل، فلما رأى من نفسه استثقالًا لهذا أَدَّب نفسه بأن صار يختم كل ثلاث.

الإسلام في الفلبين[1]

يقال إن الإسلام دخلها عام (٧٨٥هـ)، وقيل قبل ذلك، حيث وُجدت آثار تدل على ذلك تعود إلى القرنين الخامس والسادس الهجريين.

كان دخول الإسلام على يد الأشراف من حضرموت.

أول مملكة إسلامية أُسست في الفلبين في جزيرة (صولو) سنة (٨١٠هـ)، أسسها الشريف أبو بكر، وكان من أهم الدعاة، حيث جعلها خلافة إسلامية اتسعت وانتشرت في الجزر الفلبينية الأخرى، وطُبقت أحكام الإسلام فيها، واستقرت إلى أن دخل الأسبان سنة (٩٤٠ه/ ١٥٢١م).

خدع ماجلان ملكَ جزيرة (سيبو)، وأَوْهَمَهُ بأنه سيساعده على توسيع ولايته، وبهذا توالت حملات الأسبان حتى شملت معظم جزر الفلبين.

سعى الأسبان في إدخال أهل هذه الجزر في النصرانية إرغامًا وإجبارًا، ونفذوا ذلك في جزيرة لوزون وجزر أخرى.

أما (مندناو) و(صولو) وبعض الجزر التي تأصَّل فيها الإسلام فقد صمدوا واستمروا في عراك وحرب ضروس مع الأسبان مدة (٣٧٧) سنة، من (٩٤١ إلى ١٣١٨هـ/ ١٥٢١ ـ ١٨٩٨م)، وذلك لما انحسر الأسبان وبدأ المد الأمريكي.

دخل الأمريكان الجزر الفلبينية عام (١٣١٩هـ)، فحاولوا السير على

---

(١) نقل الوالد رحمه الله مضمون هذه الورقة من كتاب: الدعوة الإسلامية في الفلبين، تأليف: سعود العوشن.

طريقة الأسبان في التنصير لكنهم باؤوا بالفشل، فعملوا معاهدة مع المسلمين باحترام دينهم وعاداتهم.

وبذلك استطاعوا أن يطؤوا المناطق الإسلامية، واشتركوا في وضع القوانين والحكم وغير ذلك من أمور البلاد.

في سنة (١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣ م) على إثر الحرب العالمية الثانية احتل اليابانيون جزيرة (مندناو) و(أرخبيل صولو)، فقام المسلمون بجهادهم مدة أربع سنوات حتى اندحروا، ونال المسلمون استقلالهم سنة (١٣٦٦هـ) من أمريكا.

من هو ماجِلّان؟!

الذي رُسِّخ في الأذهان أنه رحَّالة بحري، له فضلٌ على العالم في اكتشاف طرق كانت مجهولة عندهم.

وهذا له نسبة من الصحة؛ لكن ماذا كان الباعث له ولمن معه؟ وما مدى صحة ما تأثر الناس به أيضًا من كونه لقي حتفه على يد بعض «المتوحشين» المسلمين؟

كل هذا من تزييف الحقائق وتغيير الواقع، وصورة من صور إضفاء الـمَسْحَة العلمية على الحرب بين الصليبية النصرانية والإسلام.

يحدثنا المؤرخ محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ ولعله أبرز مؤرخ مسلم محقق في العقود الأخيرة ـ في كتابه المتميز «التاريخ الإسلامي» عما تقدم فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماجلان قائد صليبي للحملة الصليبية الأسبانية إلى الفلبين، وكان حاقدًا على الإسلام وأهله، فعاث في جزيرة «ماكتان» في الفلبين بالقتل والحرق والأعمال الوحشية، وقام بتهجير النساء والأطفال، وسطا هو وجيشه على طعام السكان، فقاومهم الأهالي، فأضرموا النار في أكواخ السكان الآمنين، ففروا هاربين.

عندها قام حاكم «ماكتان» واسمه «لابو لابو» باستنفار النفوس واستعلاء

الإيمان، وقام بمواجهة ماجلان وجيشه، فقال ماجلان لـلابو لابو: «إنه باسم المسيح يطلب منه التسليم، وهم ـ العرق الأبيض أصحاب الحضارة ـ أولى منهم بحكم تلك البلاد».

فأجابه لابو لابو: «إن الدين لله، وإن الإله الذي أعبده هو إله البشر جميعًا على اختلاف ألوانهم».

ثم هجم على ماجلان وقتله بيده، وشتت شمل جيشه، ورفض أن يسلم جثة ماجلان لأتباعه الذين غادروا البلاد، عائدين إلى بلادهم عن طريق جنوب آسيا، فوصلوا إلى أسبانيا يجرون أذيال الخيبة والانهزام عام ٩٢٨ هجري، في شهر شوال، انتهى[(١)].

رحلة إلى أوزباكستان وقيرقيزستان وما حولها

في أحد الدفاتر الصغيرة دَوَّن الوالد رَحِمَهُ الله بعض المشاهد والمواقف واليوميات في رحلةٍ دعوية قديمة كانت إلى أوزبكستان وقيرقيزستان وما حولها.

وفي تلك المدونة فوائد دعوية، وأخرى منهجية، وصور من الزهد، ومَشاهد من الحرص على العلم، وغيرُ ذلك من الفوائد..

سأنقل تلك التدوينات التي «كتبها الوالد لنفسه» كما هي:

الشيخ محيي الدين: لما أُخرج من (نمنقان[(٢)]) وعُين تلميذه عبد الأحد، أَهمه أن يُثبت مكانته[(٣)] في النفوس، فقام مرة بعد صلاة الجمعة، فقال: أنا تلميذ لهذا، فمن احترمه فقد احترمني.

يقول: حتى يستطيع أن يبلغ للناس الدعوة إلى الكتاب والسنة.

---

(١) انظر: التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، ٨/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥.
(٢) هي مدينة في أوزبكستان.
(٣) أي: مكانة تلميذه عبد الأحد.

وكان يَسأل كثيرًا عن معهد أوش[١]، ويقول: هل أُقْبل أم أُرد بسبب سني، فاقبلوني ولا أريد شهادة، بل أريد أن أتعلم من العرب.

وكان لا يبالي أينما يذهب تلاميذه ما داموا يستفيدون.

ومن تلاميذ الشيخ محيي الدين: إبراهيم، وهو لا يقبل هدية، خاصة النقود والطعام، فإن أُلح عليه أعطاها غيره.

ولما أُريد تعيينه مشرفًا على المدرسة من قِبل الجمعية وعُرض عليه الراتب رفض، وقال: هذا كثير، بل آخذ كما يأخذ المعلمون، وأَلَحَّ وأصر على الرفض.

ولما ابتُعِث إلى مصر للدراسة قطع دراسته وعاد، وقال: لم أجد الملتزمين بعلمهم.

بدأت مدرسة (كمالات) بمبلغ قدره (٥٠٠) سوم[٢]، وكان يعادل (٢٠٠) دولار، قال: ومما استفدته: ألا تنشغل بما تكفل الله به.



من محاسن الأوزبك: تمسكهم ببعض العادات الحسنة، خاصة فيما يتعلق بالمرأة، حتى إنهم في هذه أحسن من كثير من الدول العربية مع أنهم كلهم خضعوا للاستعمار، ولعل السبب كون عدوهم مشاهدًا مرئيًّا وتحديه ظاهر، بخلاف الاستعمار الغربي.



دروس من حياة الشيخ عبد الحكيم: دأبه حتى هذه السن، ذهب قريبًا إلى سمرقند، وعيَّن أحدَ تلاميذه مدرسًا هناك.

---

(١) **أوش**: مدينةٌ في قيرقيزستان.

(٢) **السوم**: هي العملة المستخدمة في أوزبكستان وما حولها.

وقال ابنه: لم ينقطع عن درس منذ خمسين سنة، حتى إنه قد يكون في طشقند، ويحين موعد درس فيستعد للسفر، وقد يكون قرب موعد صفقة تجارية مربحة، فيدعها ويقطع جلوسه، ويقول: تلك هي التجارة، فلا أنشغل بما يفنى عما يبقى.

ابنته تُشْبهه في الهمة في التدريس، تدور مع زوجها على سبع مدن أو قرى على مدى أيام الأسبوع، ولها في بلدتها درسان، فتدرّس المعلمات، وهنَّ يدرسن مَن تحتهن.

وحتى إذا كانت مريضة تذهب إلى الدرس فتنشط وتَصِحّ يقوله زوجها، ويقول: وهكذا أبوها، فكأن الدروس دواء له.

قلت: وقد أتى فيمن أتى إلينا يوم السبت بداية الدورة، وبقي إلى نهاية ذلك اليوم.

وفي ختامها يوم الاثنين أوصى ابنه بالسلام علينا والاعتذار عن عدم مجيئه؛ لأنه كان محمومًا تلك الليلة، وأبلغَنا شكره لنا، يقول: على مجيئنا وتركنا أهلنا.

تابع عن الشيخ عبد الحكيم: احتفاؤه بتلاميذه، وسؤاله عنهم، ومعرفته ـ تذكُّره أسماءَهم فيما أظن ـ، وإقباله عليهم بوجهه حتى صغارهم أو أوساطهم.

ذكر أحدُ تلاميذه ـ اسمه: صاحب جمال ـ: أنه كان إذا وعظ الناس بكى وأبكى الناس، مع أنه لا يذكر شيئًا غريبًا.

ذكر ابنه: أنه كان يتاجر بالذهب قبل زواجه، وبعد ذلك كانت أكثر تجارته في أصباغ الملابس، وكان ينفق بسخاء على المعلمين والمتعلمين، يقول: وكان الله يبارك له، حتى إنه أحسن حالًا من الذين يعملون لدى الحكومة ويتقاضون منها رواتب.

صور من جديتهم في التعلم: حَدَثٌ من قرقيزيا عمره قرابة ثنتي عشرة

سنة، يدرس في الحجرة منذ سنتين، يتحدث بالعربية بمستوى حسن، ويزور أهله كل شهرين يومًا وليلة، اسمه: محمد ثابت.

ورئيس الحجرة (مطلب) من كازاخستان، لا يزور أهله إلا مرة في السنة؛ لأنه إذا زارهم ألحوا عليه في الزواج، وهو يرغب في التعلم.

رأيت ابنين لعبد السلام ابن الشيخ عبد الحكيم، أرسلهما للدراسة في عطلتهما، أحدهما عمره سبع سنوات والآخر قرابة تسع أو عشر، مدة شهر ونصف، ويزورون أهلهم كل خمسة عشر يومًا.



أحد المعلمين اسمه: صاحب جمال، يعمل في تلحيم الحديد يومًا واحدًا في الأسبوع "الجمعة"، ويشتغل في باقي أيامه بالتعليم، ويقول: هذا يكفيني لقوت يومي، وأمه غاضبة عليه؛ لأنه لم يهتم بجمع المال فيبني له بيتًا في الأراضي التي توزعها الحكومة، ويقول: بناء البيت يتطلب مني أن أعمل ستة أيام في الأسبوع.



(سَطْوَلِّي) عمره قرابة (٧٣) سنة، يقول: لما استُعْمرت بلادهم كان المسلمون يخرجون لصلاة العيد في وادٍ مُخْتَفٍ، ويقيمون من يحرس، فإن رأى أمرًا مريبًا أخبرهم، وكانوا يخرجون مبكرين قبل أن يرتفع الضحى.

سؤاله إيانا عن مصر والجزائر وطاجكستان والبوسنة والصومال، وهذا ما لم أَرَهُ من غيره.

ابنه عبد الله يسكن في مزرعة في بيت غاية في السذاجة[١].

وأبناء ابنه عبد الله صغيرهم وكبيرهم قد علمهم العربية.

---

(١) أي: البساطة والتواضع وعدم التكلّف.

ابنه عبد القادر: كان...[١]، فهداه الله، وأصبح معلمًا، زُرنا قريةً في الجبال، بينها وبين الصين (٨٠) كم تقريبًا، فأخبرنا أنه كان يدرِّس هنا، وكان لا يصلي منهم إلا كعدد أصابع اليدين أو اليد الواحدة، فاستفاد الناس منه كثيرًا، وكان يختار من الطلاب من يذهب إلى (مرغلان[٢]) ليكمل دراسته.



❖ **كلمةٌ أُلقيت في جبال قرقيزيا:**

١ ـ نِعَم الله كثيرة، أعظمها نعمة الإسلام.

٢ ـ من النعم نعمة الأولاد.

٣ ـ حق النعم شكرها.

٤ ـ مِن شكر هذه النعمة حسن تربيتهم، قال تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ [التحريم: ٦]، «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته»[٣].

٥ ـ تربيتهم:

أ ـ تعليمهم توحيد الله الذي خلق السماوات والأرض ورزقنا، ولذا فهو سبحانه المستحق وحده لأنْ يعبد، فنعبده وحده، ولا نصرف شيئًا من العبادات لغيره.

ب ـ وقد أرسل الله لنا رجلًا من البشر لينقذنا، فمن أطاعه دخل الجنة.

---

(١) هكذا كتب الوالد رَحِمَهُ اللهُ؛ تَوَرُّعًا!

(٢) هي مدينة في أوزبكستان.

(٣) أخرجه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩).

ومما أمرنا به النبي ﷺ: الصلاة (ويُبَيَّنُ شأنُها)، وأن نجتنب كل ما نهانا عنه ﷺ (ومن ذلك الإتيان إلى السحرة والكهنة والعرافين).

٦ ـ فضل الولد الصالح.

٧ ـ علّم أولادك وزوجتك، واجلس معهم، وانصحهم، واستخدم الأسلوب الحسن.

٨ ـ احرص على الدعاء لهم.

قال الشيخ عبد السلام: إنهم هنا في جبال قرقيزيا لا يفرقون بين الله جل جلاله، وبين النبي ﷺ، وبين الولي.

لذا فيجب أن يُنتبه لهذا عند تعليمهم.



❖ دروس مهمة:

١ ـ معنى الشهادتين.

٢ ـ وجوب تربية الأولاد وتعليمِهم الإسلام أصوله وفروعه.

٣ ـ التحذير من الإتيان إلى السحرة والكهنة والعرافين.

يُحرص على ربط ما يُقال بأن الله أمر بهذا، وأن النبي ﷺ قال كذا، وفعل كذا، ونهى عن كذا.



❖ جبال قرقيزيا:

١ ـ زيارة (عبد الله بن سَطْوَلِّي)، وعنده في بيته المتواضع تلاميذ، وهو يشرف مع أخويه على عدد حسن من التلاميذ، يبثهم في القرى في الجبال.

٢ ـ زيارة قرية مجاورة حيث اجتمع عدد من أهلها.

٣ ـ وقبل ذلك زيارة إمام جامع في الطريق والتحدث معه.

٤ ـ المبيت في أوش[١].

٥ ـ في الصباح زيارة رجل صالح فيما ذُكر لنا عنه في إحدى القرى.

٦ ـ وبعد ذلك زيارةُ آخَر في نفس القرية حيث كان مَن قَصَدْناه (إمام القرية) في الحقل.

٧ ـ حضر عدد طيب من أهل القرية.

٨ ـ بعد خروجنا من عنده سرنا في شارع القرية وهم يَدْعُون مَن يرون حتى اجتمع عدد لا بأس به من أهلها من الشيوخ والشبان والفتيان وبعض العجائز.

٩ ـ كان قد أخبرنا عبد السلام أن في هذه المناطق مَن لا يفرق بين حق الله تعالى، وحق النبي ﷺ، وحق الولي، فكان أكثر الحديث عن تعريفهم بالله الذي خلق هذه الجبال الجميلة، وشق هذه الأنهار، ورزقكم هذه الزروع وهذه المواشي، فهو سبحانه المستحق للعبادة.

وقد أرسل سبحانه رسولًا هو النبي محمد ﷺ، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

وأعظم ما أمرنا به النبي ﷺ التوحيد (ويُشرح)، وبعد ذلك الصلاة (وتُشرح وتُبيَّن مكانتها وحكم تاركها)، وأعظم ما نهانا عنه ﷺ الشرك (ويُشرح).

ثم يُحَثُّون على تربية أولادهم وزوجاتهم على ذلك؛ توحيدِ الله، وشهادةِ أن محمدًا رسول الله، وطاعتِه فيما أمرنا، وأعظم ذلك بعد التوحيد الصلاةُ، واجتنابِ ما نهانا عنه، وأعظمه الشرك، ومن صوره. . .، وإتيان السحرة والعرافين.

١٠ ـ في الصباح ذهبنا إلى آخر.

١١ ـ ثم ذهبنا إلى قرية في السفح، وخطبنا الجمعة وجلسنا مع بعضهم قليلًا في غرفة المسجد.

---

(١) سبق أن مدينة أوش تقع في قيرقيزستان.

١٢ ـ ثم ذهبنا إلى قرية أخرى وقصدنا عمدتها، حيث ذكروا عنه صلاحًا وحبًّا للخير.

١٣ ـ وأُلقيت فيهم موعظة وهم في أحد شوارع القرية.

١٤ ـ من غد عدنا، وفي الطريق زرنا أحد جماعة المسجد الذي صلينا فيه الجمعة حيث كان قد دعانا.



١ ـ يُحْرَص ما أمكن أن يكون لتلك القرى من الدعاة نصيب.

٢ ـ تُرَاجَع قراءة الإمام للفاتحة وقصار السور، ثم يُحَث ويُرَغب في تعليمهم إياها، حيث وجدنا من كبار السن من لا يُحسنها.

٣ ـ يُحَث أهل تلك البلاد أن يجعلوا برنامجًا لزيارة تلك المناطق ولو على فترات متباعدة ـ كل شهر أو شهرين مثلًا ـ، فإن هذا ينفعهم بإذن الله، ولا يشق على الدعاة.

رحلة إلى منطقة فطاني

أما الرحلة الدعوية للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ والتي كانت إلى منطقة فطاني ـ جنوب تايلند ـ عام ١٤١١هـ، فقد دوَّن أهمَّ أخبارها الشيخ د. محمد بن عبد العزيز الخضيري حفظه الله، وهي منشورة[١].

وقد ساق أخي الشيخ د. عبد الله بعض ما كتبه الشيخ الخضيري، وذلك في السيرة التي كتبها عن الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ[٢].

(١) وعنوانها: «رحلة مع الشيخ فهد القاضي».

(٢) انظر: «أنوار القدوة، شذرات من سيرة أبي، الشيخ فهد بن سليمان القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ»، ص١٤.

عُمَان

الأخ حمد؛ أبو تميم ـ حفظه الله وحفظ الجميع ـ لما كان على رأس العمل ذهب إلى عُمَان ربما أكثر من مرة، وأذكر أنه كان يحدث الوالدة - رحمها الله ورحم أبي وغفر لهما ـ عن أهل عُمان، وأنهم فيهم لطف.

تذكرتُ كلام أبي تميم لما قرأتُ الحديث الذي رواه مسلم أن رسول الله ﷺ بعث رجلًا إلى قوم، فسبوه وضربوه، فجاء إلى النبي ﷺ، فقال ﷺ: «لو أنَّ أهلَ عُمان أتيتَ ما سبوك ولا ضربوك»[١].

وأيضًا روى الإمام أحمد في مسنده من طريق أبي لَبِيد قال: خرج رجل من طَاحِيَةَ[٢] مهاجرًا، يقال له: بَيْرَح بن أسد، فرآه عمر رضي الله عنه، فعلم أنه غريب، فقال: من أنت؟ قال: مِن أهل عُمان، قال: مِن أهل عُمان؟ قال: نعم، قال: فأخذه بيده، فأدخله على أبي بكر رضي الله عنه، فقال: هذا من أهل الأرض التي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إني لأعلم أرضًا يقال لها عُمَان ينضح بناحيتها البحر، بها حي من العرب لو أتاهم رسولي ما رموه بسهم ولا حجر»[٣].

وأسأل الله أن يصلح أحوالنا وأحوالهم وأحوال المسلمين.

أهل عُمان أكثريتهم سنة لكن حكومتهم تتبنى المذهب الإباضي، المفتي والمناصب الدينية محصورة فيها، والإباضية فرقة من الخوارج.

من ذكريات الوالد سليمان

آيةٌ في سورة القَصص كثيرًا ما إذا سمعتها تذكرتُ الوالد سليمان رحمه الله.

لما كنا في بيت (الشميسي) كان رحمه الله كثيرًا ما يترنم بها ويرفع بها صوته

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٤).

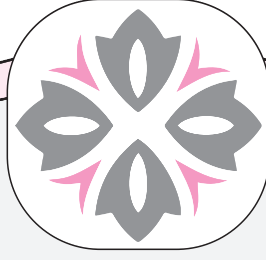
(٢) **طاحية**: قبيلة من الأزد.

(٣) أخرجه أحمد (٣٠٨).

ما بين المغرب والعشاء، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]، والآيات التي بعدها.

رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا، اللهم انفعهم وارفعهم بالقرآن العظيم، واجعلهم من أهل القرآن، واجعل لهم من بركات كتابك أوفر الحظ والنصيب.





مُلحق (صُورٌ من الأُوراق)

صورة (١)

تعزية موجَّهةٌ إلى جدي وجدتي - من جهة أبي -، رحمهم الله تعالى، أرسلها إليهما خالُ الوالد:

بسم الله الرحمن الرحيم — من مكة المكرمة — إلى الخرج
إلى حضرة المكرم الأخ العزيز سليمان الحمد القاضي
وسيدتي الأخت مضاوي سلمهم الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
بعده: يا إني أعزي نفسي أولاً ثم أعزيكم ثانياً بوفاة عمي
سليمان الحمد الحرب تغمده الله بالرحمة وأسكنه الجنة ولاشك
لقي حزن شديد على وفاته ولكن حقاً أن الحزن لا ينفع ولا
البكاء لا يدفع لأن الموت حق وهو مآل كل حيٍّ وما هذه
الدنيا إلا ثوب مستعار ليس لأحد فيها قرار كلنا سوف نموت
ولكن عسى الله أن يرحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه
حُكْمُ المنية في البرية جاري — ما هذه الدنيا بدار قرار
فلا تحزني يا سيدتي الأخت العزيزة مات صفوة البشر سيدنا
محمد عليه الصلاة والسلام فلو عمر أحد لعمر هو صلى الله
عليه وسلم. وفي الختام أسأل الله تعالى أن الله يلهمكم الصبر
فيه تمام الأجر وغفر للمرحوم سيئاته وأسكنه فسيح
جناته آمين والسلام

الوالد
عبدالرحمن العبدالله الحرب

٢٤/٦/١٣٧٥هـ

نص صورة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

من مكة المكرمة إلى الخَرْج.
إلى حضرة المكرم الأخ العزيز سليمان المحمد القاضي.
وسيدتي الأخت مضاوي، سلمهم الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إنني أعزي نفسي -أولًا- ثم أعزيكم -ثانيًا- بوفاة عمي: سليمان الحمد الخِرب، تغمده الله بالرحمة، وأسكنه الجنة.

وإني لفي حزن شديد على وفاته، ولكن حقًّا أن الحزن لا ينفع، وأن البكاء لا يدفع؛ لأن الموت حق، وهو مآل كل حي، وما هذه الدنيا إلا ثوب مستعار، ليس لأحد فيها قرار، كلنا سوف نموت، ولكنْ عسى الله أن يرحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه.

حُكْمُ المنيةِ في البريةِ جاري　　　ما هذه الدنيا بدارِ قَرارِ

فلا تحزني يا سيدتي الأخت العزيزة، مات صفوة البشر سيدُنا محمدٌ عليه الصلاة والسلام، فلو عُمِّرَ أحد لعُمِّرَ هو ﷺ.

وفي الختام: أسأل الله تعالى أن يُلهمكم الصبر، فبه تمام الأجر، وغَفَر للمرحوم سيئاته، وأسكنه فسيح جناته، آمين، والسلام.

الولد: عبد الرحمن العبد الله الخِرب.

صورة (٢)

قصيدةٌ بخط الخال يوسف بن عبد الرحمن القاضي، بمناسبة حِفْظ جدتي - من جهة أمي- للقرآن الكريم.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وبعد / فهذه قصيدة كتبتها بمناسبة حفظ الوالدة للقرآن الكريم، ولم أنس الإشادة بفضل الوالد رعاه الله :

ألا ليت شعري أيَّ معنىً سأبتدي ... عليكِ سلامُ الله يا أمَّ أحمدِ
وباقةَ وردٍ فاح ريحُ عبيرها ... لأجلكِ أُزجيها بكفٍّ مورَّدِ
إذا فرح الأبناءُ يوماً لأهلهم ... فرحتُ لكِ بالأمس واليوم والغدِ
تزاحمت الألفاظ لمّا دعوتها ... لتخبرَ عن مكنون نفسي ومقصدي
وعن فرحٍ ألقى عليَّ ظلاله ... لحفظكِ آياتِ الكتاب الممجدِ
فَمَرّي به عيناً وهُزّي بجذعه ... يساقطْ عليكِ من لآلٍ وعسجدِ
كأنكِ والقرآنَ إذْ تقرئينه ... مصابيحُ نورٍ مشرقاتٌ بمسجدِ
تخلّلها الريحانُ من كل جانبٍ ... يُحَلُّ برؤياها عقالُ المقيَّدِ
أليس كتابُ الله نوراً وجنةً ... لكلِّ تقيٍّ طاهرِ القلبِ مهتدي
تفرّدَ بالترتيلِ فانهلّ دمعُه ... وأعقبَ هذا الدمعَ حسنُ التعبدِ
تقبّلكِ الرحمنُ يا أمَّ أحمدٍ ... وألبسكِ ثوبَ النعيم المؤبّدِ
وبُوركَ من جهدٍ ستلقينه غداً ... وكلُّ صنيع المرءِ يلقاه في غدِ
وللوالدِ المِفْضالِ ذي الجودِ والندى ... فواضلُ لا تُنسى من القلب واليدِ
يفيض حناناً نضّر اللهُ وجهَه ... ويُقدم إقدامَ الشديد المؤيّدِ
رعى الله هذين الأَبَوَيْنِ مثلما ... رعونا صغاراً في زمان التوحّدِ

• • •

كتبها وأهداها لوالديه ابنهما :
يوسف بن عبد الرحمن العثمان القاضي
جمادى الآخرة عام ١٤٢٠هـ



صورة (٣)

أبياتٌ في رثاء المؤثرين في الأمة، للشيخ الزاهد: عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدَّمِيرِيّ الدِّيرِينيّ، نقلها الوالد ﷺ بخطه:

إذا ما مات ذو علم وتقوى
فقد ثلمت من الإسلام ثلمة
وموت الحاكم العدل المولّى
بحكم الأرض منقصة ونقمة
وموت الفارس الضرغام هدم
فكم شهدت له بالنصر عزمة
وموت العابد القوام ليلاً
يناجي ربه في كل ظلمة
وموت فتى كثير الجود محلٌ
فإن بقاءه خصب ونعمة
فحسبك خمسة يُبكى عليهم
وباقي الناس تخفيف ورحمة
وباقي الخلق همج رعاع
وفي إيجادهم لله حكمة

صورة (٤)

رسالة من الوالد رحمه الله إلى الجار بشأن «أطباق استقبال البث»، «الدش»:

بسم الله الرحمن الرحيم

فهد بن سليمان القاضي

جاري العزيز حفظه الله ووفقه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فإن للجار على جاره حقاً عظيماً ، فما زال جبريل يوصي النبي ﷺ بالجار ، حتى ظن أنه سيورثه .

هذا وإن من أهم حقوق الجيران بعضهم على بعض: التواصي بالحق ، والتعاون على البر والتقوى .

أخي الكريم .. أكتب لك في شأن الطبق (الدش) الموجود فوق منزلكم ، فمثلك حفظك الله يعلم آثار هذه الأطباق الفضائية وما جنته على مجتمعنا . ومن ثم أفتى علماؤنا – أداء للأمانة ونصحاً للأمة – بحرمة اقتنائها. والظن بجار كريم مثلكم أنه ما اقتناها لمشاهدة الأفلام الهابطة والمسلسلات المنحلة ، وإنما لمتابعة الأخبار ونحو ذلك . لكن يبقى أن العاقل لا يأمن على نفسه ، فالشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم. ثم لو فرض أن الإنسان قد جاهد نفسه ومنعها من مشاهدة هذه البرامج .. فالغالب أنه يكون باقتنائها قد تسبب على أهل بيته بالشر بينما كان الواجب أن يكون سبب خير وصلاح ، كما قال النبي ﷺ {كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته}.

ثم إن من اقتناها وجاهر بنصبها فوق منزله فإنه مشجع لغيره بلسان الحال على اقتنائها ، ومن ميزات حينا الحسنة ولله الحمد عدم وجود هذه الأطباق - أو قلتها - سيما البيوت القريبة من المسجد كبيتكم .

أخي الكريم إن كان لنا - نحن الجيران - حق عليك فإننا نناشدك بحقنا عليك أن تتخلص من هذا الطبق ، طلباً لمرضاة الله عز وجل ، واستدفاعاً لسخطه ، فقدم رضى ربك على هوى نفسك ، تجد التوفيق في جميع أمورك. خاصة والمسلمون في هذه المواسم الشريفة .

وإني لعلى أمل كبير أن تلقى كلماتي هذه من شخصكم الكريم اذناً صاغية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تحريراً في ٧/ ١٢

أخوك

فهد بن سليمان القاضي

ص . ب ٢٥٠٣٧ الرياض ١١٤٦٦ جوال : ٠٥٤٤٨٩٤٧٩

صورة (٥-٦)

ورقتان بخط الوالد رحمه الله:

حفظ في إحداهما موضع قبر والده، وقبر جدته (من جهة أمه).

وكتب في الورقة الثانية رسالة للطبيب الذي شَخَّص حالة والدته، رحمهم الله جميعًا..

وإنما ضممتُ الورقتين إلى بعض لاتحاد المقصود منهما، وهو البر بالوالدين.. رَبِّ ارحمهما!

قبر الوالد رحمه الله
تنطلق من العمود (٤٥)
وبعد ثلاثين قبراً وهو الثلاثون

قبر الوالدة منيرة رحمها الله
تنطلق من العمود (٦٣)
ورقم القبر (٢٧)

من فضلك يا دكتور
لا أريد أن تعلم الوالدة
إذا كان الذي عندها
تليف!!

صورة (٧)

أبياتٌ للحافظ ابن رجب رحمه الله، علقها الوالد رحمه الله على غلاف أحد دفاتره:

ختم ابن رجب رحمه الله رسالة له في شرح حديث:
(إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا أنتم هؤلاء الكلمات) الحديث،
بأبيات منها:

أستغفرُ اللهَ مما يعلمُ اللهُ ... إن الشقيَّ لمن لا يرحمُ اللهُ
طوبى لمن حسنت دوماً سريرته ... طوبى لمن ينتهي عما نهى اللهُ

صورة (٨)

أبياتٌ جميلة في التوسل إلى الربِّ تعالى، الأبيات السبعة الأولى، منسوبةٌ للعالِم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، والتي تليها للشاعر أبي نواس، نقلها الوالد رحمه الله بخطه:

يا من يرى ما في الضمير ويسمعُ	أنت المعدّ لكل ما يُتوقعُ
يا من يرجّى في الشدائد كلِّها	يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كنْ	أمنن فإن الخير عندك أُجمعُ
ما لي سوى فقري إليك وسيلةٌ	فبالافتقار إليك فقري أدفع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلةٌ	فلئن رُددتُ فأيَّ باب أقرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه	إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تُقنِّط عاصيًا	فالفضل أجزل والمواهب أوسع
يا رب إن عظمت ذنوبي كثرةً	فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسنٌ	فمن الذي يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً	فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
ما لي إليك وسيلةٌ إلا الرجا	وجميل عفوك ثم أني مسلم

صورة (٩)

تهنئة بمناسبة دخول شهر رمضان المبارك، بخط الوالد ﷺ:

اللهم لك الحمد كما بلغتنا رمضان، اللهم فسلّمه لنا وسلّمنا له،

وأهلّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام،

ووفقنا لصيامه وقيامه وقيام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا،

وارزقنا فيه الجدّ والاجتهاد والنشاط، وأُعذنا فيه من الغفلة،

واجعل لنا من فضلك فيه أوفر الحظ والنصيب،

ولا تحرمنا فضلك بذنوبنا.

صورة (١٠-١١-١٢-١٣)

هذه صور لورقاتٍ أشرتُ إليها وذكرتُ شيئًا من خبرها، في ورقة «مدونات»، في المدونة الأولى: مواسم الطاعات:

فُــرَص

في الأثر:

(الشتاء ربيع المؤمن

طال ليله فقامه

وقصر نهاره فصامه)

وفي الأثر الآخر:

(الصيام في الشتاء الغنيمة الباردة).

بسم الله الرحمن الرحيم

البدار.. البدار

وأسفاه على أيام معدودات قاربت أن تنتهي.فلندرك يا إخوتي مابقي علنا نلحق بركب الفائزين .فهاهي ليلة القدر قد أقبلت.فهل من يقظة وهل من عودة ؟وهل من توبة ؟

اما آن لنا أن نطهر بيوتنا من أجهزة تبارز الله بالمعصية ؟ اشتريناها بأموالنا ووضعناها في أعز مكان في منازلنا..وهاهم أولادنا يتحلقون حولها منذ نعومة أظفارهم فدنست فطرتهم وأذهبت حياءهم ولعل قصص الانحراف والشذوذ في الشباب تقنعك بخطرها.بل والمؤلم أن سمومها لم يسلم منها الكهول.أما النساء فلتبك العيون عليهن دما.

هيا يا أخي نستقبل ليلة القدر بقلوب منكسرة وعيون دامعة.

هيا نطهر بيوتنا من أجهزة الفساد والضلال ولنصدق التوبة قبل أن تشهد علينا أسماعنا وأبصارنا ونندم حين لاينفع الندم.

أصحاب الهمم

كان عبيد بن عمير إذا جاء الشتاء قال:

يا أهل القرآن..

(طال ليلكم لقراءتكم القرآن فاقرؤوا،

وقصر النهار لصيامكم فصوموا).

أصحاب الهمم

كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول:

(ألا أدلكم على

الغنيمة الباردة..

الصيام في الشتاء).



المحتويات

الورقة الأولى

فوائد

الورقة الثانية

مُرَاسَلات

الورقة الثالثة

مُدَوَّنات

الورقة الرابعة

تأصيل

الورقة الخامسة

قَصص وأخبار وذكريات

